أثر العناصر الأجنبية في فكر بعض الشيعة الاثني عشرية

عبداللطيف بن عبدالرحمن بن عبدالله الحسن



ح العبيكان، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
الحسن، عبداللطيف عبدالرحمن.
أثر العناصر الأجنبية في فكر بعض الشيعة الاثني عشرية.
عبداللطيف عبدالرحمن الحسن .
الرياض - ١٤٣٧هـ.
٤١٦ ص؛ ١٦.٥ × ٢٤ سم.
ردمك: ٤ - ٨٥٨ - ٥٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨
الاثنا عشرية (فرقة شيعية). أ. العنوان
ديوي ٢٤٧,٠٨
رقم الإيداع ١٤٣٧/٧٠

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الناشر العبيكان Obeikan للنشر
المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية
طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول
هاتف ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس ٤٨٠٨٠٩٥
ص.ب ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

موقعنا على الإنترنت
www.obeikanpublishing.com

كتبنا على جوجل Google play
https://t.co/8r2O53H3B3

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان Obeikan
المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية
طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول
هاتف ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس ٤٨٨٩٠٢٣
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥
www.obeikanretail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة

لقد كُتِبت في مذهب الشيعة الاثني عشرية خاصة كتبٌ وبحوثٌ كثيرة، شملت تاريخ هذا المذهب، ونشأته السياسية، ومعتقداته وتطورات هذه الاعتقادات، وكُتبٌ عن فرق شيعية أخرى ومقالاتها، التي تتداخل فيما بينها، وكُتب عن أثر الديانات والفلسفة القديمة، ولكنها كانت متناثرة مختصة بأثر أحد العناصر الأجنبية وأثرها في التشيع، كما فعلنا في كتابنا: (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة).

ففي الباب الأول: حاولنا أن نجمع أثر جميع العناصر الأجنبية على التشيع، وخاصة العناصر المتعلقة بالديانة الفارسية، وديانة وادي الرافدين، والديانات الهندية القديمة، والديانتين النصرانية واليهودية، ثم أثر الفلسفة اليونانية على التشيع.

وفي الباب الثاني: عرضنا الجسور التي عبرت منها تلك العناصر الأجنبية إلى هذا الفكر، والتي منها استيطان العرب الفاتحين للبلاد المفتوحة، ثم الممالك والإمارات العربية التي كانت أحد الجسور التي عبرت منها كثير من العناصر الأجنبية إلى العرب عمومًا، ثم إلى الشيعة خصوصًا، ثم عرضنا الحركات الشعوبية، حيث كانت هي الأخرى الناقل للعناصر الأجنبية إلى الفكر نفسه، ثم أوضحنا بالتحديد الحركات الفارسية المارقة عن الدولة العباسية خاصةً، التي نقلت الأفكار المجوسية إلى التشيع، وأوضحنا أن الموالي العرب كان كثير منهم على علم ومعرفة ببعض تلك العناصر الأجنبية، بل كان بعضهم رجال دين في معابد النار عند المجوس، أو كانوا يهودًا أو نصارى، فدخلوا في هذا المذهب.

وتناولنا أفكار القرامطة، وبيَّنَّا اقترابها من أفكار الشيعة، وأوضحنا أنهم كانوا من الجسور المتقدمة، التي عبرت منها العناصر الأجنبية إلى التشيع.

وبحثنا أفكار رجال رواة الحديث من السنة والشيعة، الذين كانوا -بوضوح- مَنْ نقلوا العناصر الأجنبية، سواء المجوسية أو اليهودية أو النصرانية إلى التشيع، وذلك بشكل واضح لا لبس فيه ولافت للنظر.

وتناولنا طرفًا من بيوت العبادة والكنائس، التي كانت منتشرة في بلاد العرب والمسلمين، والتي كانت هي الأخرى عاملًا من عوامل انتقال العناصر الأجنبية إلى العرب عمومًا وإلى التشيع خاصة (موضوع البحث) وتطرقنا إلى عامل مؤثر في نقل العناصر الأجنبية إلى التشيع، ألا وهو تحالف الشيعة مع القوى الأجنبية من فارسية أو يهودية أو نصرانية رومانية، حيث سهل نتيجة هذا التحالف اتصال الفريقين وتقاربهما فكريًّا، ومما يلاحظه الباحث امتزاج تلك العناصر الأجنبية التي كانت تحملها تلك القوى الأجنبية، وانتقالها إلى التشيع، ثم تناولنا بإسهاب الفرق الصوفية، التي عبرت من خلالها العناصر الأجنبية إلى التشيع، وركزنا البحث على فرقة البكتاشية التي كان لها أثر فاعل في نقل عناصر من النصرانية والمجوسية إلى المذهب، وضربنا على ذلك أمثلة من صوفية تلك الفرق، التي تشابه مقالاتهم مقالات الشيعة وأفكارهم.

وفي الباب الثالث: ركزنا على دور الصوفية وفلاسفة الشيعة الذين تأثروا بالعناصر الأجنبية، وذكرنا أسماء بعضهم، وتعرضنا لأفكارهم ذات الصِّلة بالتصوف من جهة وبأفكار العناصر الأجنبية من جهة أخرى، وأفردنا البحث في أثر الديانات الوثنية القديمة على التشيع؛ لوجود كثير من الالتقاء بين الطرفين، ما يدلك بوضوح على استعارة الشيعة بعض عقائد من هذه الديانات.

وفي الباب الأخير: تعرضنا لبعض المحاولات التاريخية في إصلاح الفكر الشيعي بدءًا من الإمام علي والإمام الصادق رضي الله عنهم، ثم أسماء رجال من الشيعة في العصر الحديث، حاولوا بطريقة أو بأخرى إصلاح عقائد الشيعة أو إنكار بعضها، ثم تعرضنا أخيرًا لفكرة التقريب بين مذهب الشيعة والسنة، باعتبار ذلك إحدى وسائل إصلاح التشيع في رأي بعضهم، وغرضنا من هذا البحث أن يتعرف الشيعة إلى أن ما عندهم من أفكار واعتقادات إنما انتقل إليهم من تلك الديانات والفلسفات القديمة، فقد استعاروها في أثناء تطور تاريخهم منذ نشأته السياسية في البداية إلى تطوره إلى مذهب ديني، استعار عقائده من أفكار أجنبية قديمة.

الباب الأول

الديانات والفلسفات القديمة التي تأثر بها التشيع

الفصل الأول

ديانة وادي الرافدين

ترجع ديانة وادي الرافدين لما قبل الألف الرابع قبل الميلاد، ويقصد بهم السومريون والأكاديون في جنوب العراق، والبابليون في وسط العراق، والآشوريون في وسط العراق وشماله، وتتفق هذه الديانات في العقائد الآتية:

١. تعدد الآلهة

تتعدد آلهتهم، وتتعدد أسماؤها، وآلهتهم مرتبطة بما على الأرض من نبات أو حيوان أو جريان أنهار، وعقائدهم مرتبطة بالظواهر الطبيعية، خاصة الشمس والزهرة (عشتار) وبقية الكواكب، وترتبط بالأمطار، وما يرافقها من رياح ورعد وبرق، فهذه الظواهر والموجودات التي ذكرناها لها آلهة تسمّت بأسماء على اختلاف بين تلك الديانات.

وكان السومريون يتصورون أن السماء والأرض ملتصقتان، ويحيط بهما بحر عظيم، ويمثل التصاقهما التصاق الذكر بالأنثى، فالإله (آن) يمثل السماء، والإله (كي) يمثل الأرض، فأنتج (إنليل) روح الهواء، فرفع إنليل أباه (السماء) عن الأرض، وحط بأمه (الأرض) إلى الأسفل، واختلطت بهما روحه، فظهرت الآلهة، وبدأ يخلق النبات والحيوان والنَّاس، فالناس لم يخلقوا إلا لعبادة هذه الآلهة، والآلهة هذه من وظيفتها تعذيب الأشرار في حياتهم، ولا ينتفي الشر إلا عن طريق السحر، وأما الأخيار فإن الآلهة تسعد حياتهم، وبظهور الدولة البابلية التي وحدت سومر، وظهور الملك حمورابي، اعتقد البابليون بتعدد أكثر من الآلهة، لكنهم اعتقدوا بوجود إله أعظم من بين الآلهة، والإله مردوخ عندهم هو خالق الكون بما فيه من كواكب ونبات وحيوان وبشر، فاختار بابل مدينة مقدسة، وعبدالبابليون عشتار (الزهرة) بوصفها أمًّا للإله الأعظم، فهم لم يؤمنوا بالإله الواحد، وإنما آمنوا بتعدد الآلهة، وصراع قوى تلك الآلهة بين بعضها، وبينها وبين الإنسان من

جهة أخرى؛ فالسومريون يعتقدون بتعدد الآلهة، ولكن كبير الآلهة يختار وكيلًا عنه يسمى (إيشاكو)، وظيفته رعاية الناس، وتولي أعمال الكهانة، وذلك بصفة رجل دين (كاهن)، وهنا يوصف بصفة إلهية نتيجة التوكيل، فالإله الأعظم (شمش) أوكل بنشر شرائعه إلى الإله (أور)، فأضحى لكل مدينة أو إقليم إله مدبر، يتلقى أوامره من الإله الأعظم، ومن أمثلة ذلك ما جاء ترجمته في النص الآشوري، من أن الملك حمورابي تسلم شريعته من إله الشمس، وعند الآشوريين تعدد الآلهة أيضًا، وطبعت بطابع حربي؛ لكثرة الحروب التي خاضها الآشوريون من حولهم، فالإله آشور هو إله الحرب المدافع عنهم.

وعدُّوا زوجته الآلهة عشتار محاربة لأعدائهم، وهناك آلهة أخرى عندهم، وهي: (أدد- نابور- مرجال- نسكو)، فعبدوا جميع هذه الآلهة، ووصفوها بأقدس الأوصاف، واعتبروها القوة المسيطرة في الكون، وخاصة الإله (آشور) الذي يُرمز له بصورة قرص شمس مجنح، وتحته صورة نحلة رمزًا للحياة.

ومن المحتمل أن تكون فكرة تفويض الخالق للإمام عليٍّ رضي الله عنه بتدبير الكون عند بعض الشيعة أثرًا من هذه الديانة، كما سنفصل لاحقًا.

٢. بناء المعابد

بنى قدماء سكنة وادي الرافدين معابد للآلهة التي يعبدونها، فكانوا يزورون هذه المعابد ويحجون إليها، ومن أمثلتها معبد الإله عشتار القائمة بوابته في بابل حتى اليوم، وللمعبد خدم وخادمات، وقد ورد في النص الآشوري: أن رفض خادمة المعبد النوم مع المتعبد يغضب الإله عشتار[١].

وغني عن البيان: أن الشيعة لهم عناية كبيرة بقبور أوليائهم و زيارتها، و بناء المعابد عليها.

(١) محسن عبدالصاحب المظفر: جغرافية المعتقدات والديانات، ط٢، (ص ١٤٧)، وما بعدها، دار صفاء للنشر، عمان ٢٠١٤.

٣. الكهنة ورجال الدين

لمعابد هذه الديانات رجال دين يسكنون حولها أو داخلها، ويقومون على التعريف بكيفية العبادة والصلاة في المعبد وتقديم القرابين، وقد ورد في النص: أن الآلهة تحب لحم الضأن عوضًا عن لحم البشر، حيث تنازلت الآلهة، واستعاضت بلحم الضأن عن لحم البشر، وتقديم قرابين أخرى، مما تيسر من طعام: كالتمر والخبز واللبن، فيتسلمه رجال الدين، ويعد أهم مصدر لرزقهم، فأضحى كهنة المعابد من أغنى الطبقات[١].

وسنوضح لاحقًا موقع رجال الدين وتقديسهم عند الشيعة.

٤. العالم السفلي

يعتقد السومريون بوجود أرواح في الهواء ووجود ملائكة، وهذه الأرواح منها شريرة ومنها خيرة، ولها القدرة على تقمص جسم الآدمي وروحه، ويعتقدون برجعة الأموات، ولهذا فهم يضعون في قبور موتاهم بعض الشراب والطعام، وهو الاعتقاد نفسه عند قدماء المصريين، فيعتقدون بأن الطعام والشراب يفيد الميت عند رجعته إلى العالم السفلي المظلم، فهم لا يعتقدون بوجود جنة ولا نار. ويعتقد البابليون بأن الناس عند موتهم يذهبون إلى مكان مظلم أبد الدهر؛ ولذا يضعون مع موتاهم الطعام والشراب على أمل عودتهم من هذا الظلام، ولا يعتقدون بعقاب أو ثواب في الآخرة، إنما هو في الدنيا فقط. وفكرة الرجعة عند الشيعة لها علاقة بهذا الفكر، كما نشير إلى أن بعضًا من الفرق المارقة لا تؤمن بجنة ولا نار ولا حساب في الآخرة، كما سنعالج ذلك في موضعه[٢].

٥. عبادة الظواهر الطبيعية

في معابدهم يعبد السومريون آلهة تمثل الظواهر الطبيعية، فهناك آلهة الشمس، وآلهة القمر، وآلهة لكل كوكب يعتقدون فيه أنه هو المحرك والنافع والضار، ويعتقدون بآلهة لفيضان مياه الأنهار؛ لأنها تتكرر في كل سنة (في الشهر الخامس) من السنة الميلادية[٣].

---

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ١٥١- ١٥٥- ١٥٦- ١٥٠- ١٥٨- ١٥٧).

(٢) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق.

(٣) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٥١).

ولأنهم يمتهنون الزراعة والصيد، فهم أيضًا يعبدون آلهة الزرع، لكي يجود الحصاد وخاصة ثمار النخيل، والشيعة لا يعقدون عقودًا خاصة للزواج في أوقات النحس المتعلقة عندهم بالبروج: كبرج العقرب. ولا عند الريح الصفراء، وقد يتعدى ذلك إلى أول الشهر ومنتصفه وآخره، كما سنرى ذلك في موضعه.

٦. الإيمان بالمعجزات والخرافات (الثيولوجيا)

في مثل هذا المجتمع الزراعي الرعوي الذي يعتمدون فيه أيضًا على صيد السمك في الأنهار تدور رغباتهم، وتتشكل على شكل معجزات وخرافات، فمثلًا: يذكر عند السومريين أن راعي الغنم (أتانا) أصاب غنمه العقم، فركب ظهر نسر وطار به إلى السماء، باحثًا عن عشب أصل الحياة، ليداوي به مرض أغنامه، فلما اقترب من عشب الحياة سقط (أتانا) على الأرض.

ومن أساطيرهم المشهورة أسطورة الفردوس، حيث كان زوجان في دلمون أمَرتهم الآلهة (نينجر ساج) بأن لا يأكلوا من نبات معين، كي لا يخرج من الفردوس، وأسطورة أخرى حول صياد سمك يبدو أنه لم يفز بصيد، فغضب غضبًا انكسرت له أجنحة آلهة الرياح، فقلبت قاربه في الماء، فاستدعاه إله السماء في عرشه، وسأله عما حدث، فعفا عنه، فقدم له خبز الحياة وماءها، فرفض أن يأكل لشدة عسره، فضيع على نفسه وعلى بني البشر الخلود في الحياة.

ومن المعجزات عند الأكاديين: أن الملك سرجون كان في الأصل طفلًا من امرأة، كانت تخدم في المعبد، فلما ولدته وضعته في سلة ورمته في نهر الفرات، فالتقطه أحد المزارعين، وبرعايةً من الآلهة عشتار وحبها صار فيما بعد (شروكي)، أي الملك الصادق، ويرى الأكاديون أن البشر خلقتهم الآلهة من طين، من أجل أن يعبدوها ويقدموا القرابين لها.

والأكاديون يعتقدون أن خلق الكون بدأ من عمل الآلهة (إيسو) و(تيامات) كما ورد في أسطورة الطوفان المشهورة، فالعالم منقسم إلى سماء وهواء وأرض وبحار، فالسماء

يسيطر عليها الإله (أدوم)، والهواء والأرض يسيطر عليها الإله (أنليل)، والبحار يسيطر عليها الإله (أنكي).

ومن أساطير البابليين قصة الطوفان، حيث اعتقدوا أن الإله قد غضب على الكائنات فأراد أن يمحوها، فأرسل عليها طوفانًا من الماء، ولكن (كسيثورس) تجلى له الإله، فقال له: اصنع لنفسك فلكًا، وضع فيها من كل زوجين اثنين. فسار بالفلك إلى أن رست على جبل أرارات، فصعد (كسيثورس) إلى السماء وفاز بالخلود، ومن الأساطير البابلية: أن عشتار تزوجت من الإله (تموز)، فقتل تموز بسبب ذلك، فحزنت عشتار فأبت إلا النزول للعالم السفلي، لترى تموز، فاستجابت لرغبتها آلهة السماء، فكانت نتيجة ذلك أن جفت الأرض، وتوقفت الحياة والنسل، فقامت آلهة السماء بإرجاع عشتار وتموز إلى الحياة، وعادت الأرض بالنبات، ففرح البشر، ولذا فالبابليون يحزنون بمناسبة وفاة تموز، فيذهبون إلى معبد بابل في هذا الموعد كل سنة يلقون بأحزانهم بصور شتى. ويروي الآشوريون أسطورة الطوفان بشكل مختلف عما رواه السومريون والأكاديون، حيث يعتقدون أن رجلاً عاقلاً اسمه (أتونا بشتم) يسكن مدينة شورباك على نهر الفرات، فلكونه حكيمًا أحبه الإله، فتجلى له وسماه (إثرا خاسيس)، وحذره من وقوع الطوفان، وطلب منه إقامة الفلك، وأخذ أسرته معه، وأن يأخذ من الحيوان من كل زوجين اثنين، فلما حصل الطوفان سار بالفلك ورست عند النصير[1]. وكتب الحديث عند الشيعة مليئة بالمعجزات المنسوبة إلى الأئمة والأنبياء كما سنرى.

٧. شريعة حمورابي

يدَّعي الملك حمورابي أن شريعته التي وضعها على شكل نصوص تتألف من (٢٨٨) مادة، بأن الإله مردوخ هو الذي أمر بها، وأنه هو الذي تسلمها منه، وهي عبارة عن وثيقة مهمة في علم القانون، وهي أول وثيقة هدفت إلى تحقيق العدالة، وقد ورد فيها حكم العين

---

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٥١).

بالعين، والسن بالسن، وتحريم الكذب، والسارق تقطع يده من أصابعه[١]. (وكذا الحال في القانون الساساني) قبل الإسلام.

وسنفصل أثر هذه الديانات على فكر الشيعة، وخاصة علاقة الإله بالأئمة، وفكرة الرجعة، وعزاء الحسين، ومعجزات الأئمة، وما يتعلق بذلك من خرافات لها علاقة بالكواكب والنجوم، ولكن نشير إلى أن كتب الفقه عندهم تنص على قطع يد السارق من أصابعه لا من الرسغ، خلافًا لأكثر المذاهب.

ديانة الصابئة - المندائيين

يتركز وجودهم في وادي الرافدين جنوب العراق على ضفاف الأنهار وبعض الأحواز، وقيل: إن أصلهم من حران، أو من وادي الأردن، أو من منداي جبل في إيران، وأيًّا كان الأمر، فيستخلص من معتقداتهم التي لها علاقة بالتشيع على صور مختلفة ومحاور المعتقدات الآتية:

١. تقديس الصابئة الكواكب والنجوم، ويعتقدون أن الكواكب السيارة مقر للملائكة، وأن لكل ملك عملاً يؤديه، وأكثر ما يقدسون كوكب الجدي، ويقولون: إنهم لا يُصلّون لها، ويعتقدون أنها تؤثر بالأحداث وبالأرواح البشرية، ولعلهم شاهدوا منذ القديم ظاهرة المد والجزر في أنهار البصرة وعلاقتها بالقمر[٢].

ولهذا فمن واجبات رجال الدين عندهم قراءة الطالع المتعلق بحركة الكواكب، وهم يتطيرون من الأرواح الشريرة التي قد تصيبهم أو تصيب دوابهم في بعض أيام السنة، ولذا يغلقون بيوتهم عليهم، فلا يخرجون حتى لدوابهم.

٢. يعتقد الصابئة بوجود جنة ونار، والإنسان سيحاسب على أعماله بعد الموت، فالروح الصالحة تعبر بسهولة (نهر دخشاشة) إلى النعيم، أما الشريرة فتعاقب عند المطهراتي، الذي يطهرها ويعيدها إلى الجنة.

---

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٤٦)، وما بعدها.

(٢) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٤٦)، وما بعدها.

٣. يُعاقب على جرائم القتل والزنا والسرقة والكفر بالخالق، والطلاق غير جائز، ولكن تعدد الزوجات أمر مقبول.

٤. يؤدون الصلاة واقفين ثلاث مرات في اليوم مستقبلين الشمس، وقيل: يستقبلون الجدي، ولهم معبد يتولى رجال الدين فيه تعميد الأطفال بماء النهر.

٥. يصومون فقط عن أكل اللحم ٣٦ يومًا في السنة.

٦. يدعون أن نبيهم يحيى، ولهذا فالدارسون قرنوا بصلتهم بالنصرانية.

٧. ليس من تعاليمهم بناء القبور، وإن كان بعضها قد بُنِيَ.

٨. هم مسالمون يكرهون الحرب، وإن كانت بعض الدول الأوربية قد جندت بعضهم للعمل على بواخرها في الخليج العربي في القرن الخامس عشر الميلادي، بدعوى أنهم ربما مسيحيون أو يقربون للمسيحية.

٩. أنهم يقدسون الماء، وخاصة الجاري في الأنهار، لاعتقادهم بحلول الروح المقدسة بالماء؛ ولذا فهم لا يسكنون إلا على ضفاف الأنهار، فيعتقدون أن في الماء روحًا قدسية، فعقد الزواج لا يتم إلا بدخول الزوجين والكنزفرة (رجل الدين) في النهر. ويأخذون المشرف على الموت لتغطيسه في النهر، وقيل: إن لديهم عادة تعميد الأطفال حين ولادتهم في ماء النهر، والصلاة لا تتم إلا بالوضوء أو الغسل من النهر.

١٠. يعتقدون بمعراج إدريس إلى السماء السابعة، حيث الحي العظيم.

١١. لديهم عدة أعياد ومناسبات في السنة، أهمها عيد البنجة، ويدعون أنه بمناسبة خلق الله للكون.

١٢. يعتقدون بنجاسة المرأة الحائض، حيث يجب عليها ألا تمس طعامًا؛ فالمرأة التي ولدت حديثًا يدور حولها الكثير من الخرافات، كقولهم بعدم دخول الغرباء عليها، وإذا دخل عليها أحد فيجب عند خروجه رشق أثره بدلو من الماء، وربما كانت هذه من مؤثرات البيئة والمجتمع.

١٣. يعتقدون بأن البشر قد تعرضوا إلى موجات عدة من الفناء، بين كل موجة وأخرى عشرات الآلاف من السنين، حيث لا يبقى بعد كل فناء إلا زوج واحد، تتناسل منه أقوام جديدة، وسبب هذا الفناء يعزونه إلى خلق الإنسان من طين آسن، يتجه إلى الظلام وإفناء نفسه، فمثلًا يرون أنه بعد (شيث بن نوح) قضى على البشرية بالفناء عن طريق الحرب، فلم يبق إلا (آرام وورد)، وبعد عشرات الآلاف قضي على البشرية بالنار، فلم يبق إلا (شوربي) وزوجته (انهريتا) وابنه (سام).

١٤. يحتفظون بأسماء مندائية لهم، يحفظونها عند رجال الدين، ولكنهم يتسمون رسميًّا بأسماء عربية، ولهم لغة مندائية، كتبت بها كتبهم الدينية، خاصة كتاب كنزربه، ويبدو أن هذه اللغة لها علاقة باللغات السامية، وقد سكنت بينهم في قلعة صالح الليدي دراور البريطانية، وكتبت عن لغتهم وعن معتقداتهم ودياناتهم جزأين مفصلين، كما كتب عنهم كثير من المستشرقين الألمان، فعمل بعضهم قاموسًا لترجمة مفردات لغتهم، كما أن عندهم كتبًا أخرى:

أ. كتاب كنزربه: أي الكنز العظيم أي صحف آدم.

ب. كتاب دراشة أديها: يضم تعاليم النبي يحيى، مملوء بالوصايا والأمثال والفروض الدينية والنصائح.

ج. كتاب صحف آدم: يضم تعاليم آدم ويتبعونها.

د. كتاب سدوة: يدور حول التعميد والدفن والحداد.

هـ. كتاب الديونات: هو سفر ضخم، يضم كل كتبهم المقدسة.

و. كتاب الأنفس: يضم قصة هبوط النفس في جسد آدم.

ز. القلستا: يضم أصول الزواج.

ح. كتاب ألمه ريشاية: يدور حول تكون العالم.

ط. كتاب القماهي: عبارة عن حرز يكتب للأطفال.

١٥. الذبيحة عندهم لا تصح إلا على يد حلالي، يقوم بذبحها مغطسة بماء النهر، فتفيض روحها بالماء المقدس، كما تفيض روح الميت.

١٦. رجال الدين عندهم مقدسون، وهم على درجات أدناها:

أ. الحلالي.

ب. الترميذة: أو التلميذ.

ج. الكنزفرة: مفسر كتاب الكنزا.

د. الريشدامة: رئيس الملة والأمة.

هـ. السرباني: وهي الأعلى، ولم يحز على المرتبة هذه سوى النبي يحيى.

وقد ورث شيعة العراق وخاصة في الجنوب الكثير من الأفكار ومعتقدات الصابئة التي سنشير إليها في موضعه، وخاصة أثر الكواكب والنجوم على الإنسان، وعلاقة المناسبات عند الشيعة بمؤثرات الكواكب.

الفصل الثاني

الديانات الفارسية القديمة

ورثت الديانات الفارسية القديمة مجموعة من عناصر الديانات الهندية القديمة، وعناصر من ديانات الأقوام القادمة من آسيا الوسطى وشرقها (سلاجقة- تركمان- قرقيز)، وكانت بدايات الديانة الفارسية طاجيكية، تؤمن بتعدد الآلهة المتمثّلة بالظواهر الطبيعية، فلكل إله اختصاص في شؤون الخلق، فمن أجل استجلاب حمايتها يقدم لها القرابين والطعام، وأعلى القرابين هو تقديم ذبح الأبناء، وبعد أن قامت أقوام من الآريين بطرد الطاجيك من هضبة إيران- وطن الآريين- ظهرت قبيلة فارس (پارسي)، وكذا قبيلة (معاطي).

فكانت ديانتهم عبادة الكواكب والشمس وتقديم القرابين للنور، فالرب (متهيرا) انقسم بين خير وشر، عبَّروا عنه بإله النور وآلهة الظلام، وأسموا إله الخير (أهورا ومزدا)، وآلهة الشر (دورج)، فهم يعبدون اثنين لجلب الخير ودرء الشر، وتطور الاعتقاد إلى الديانة المزدكية، التي اعتقدوا بأن الإله (مزدا) تقدس، فأصبحت عينيه هي الشمس (متهيرا)، فهو يمثل النور الذي كله خير.

والنار الموقدة مقدسة بوصفها مصدرًا للنور، والإله (مزدا) يصورونه بأنه رجل رفع إلى السماء، واستمرت عينه تضيء الأرض، ولذلك قُدسوا النار يصلون لها في معابدهم على رؤوس الجبال كي تصل الصلوات بسرعة إلى السماء، وابتدعوا شرابًا يساعدهم في الهيامات بتقديس آلهتهم يشربونه عند صلاتهم، والإنسان حر في اختيار الخير أو الشر، فتطورت الديانة هذه على يد مزدك بن بإمداد في مدينة (مذرية) قيل: إن موقعها إصطخرة. وقيل: إنها قرب الكوت في العراق، وأهم ما في العقيدة المزدكية ما يأتي:

١. تؤمن بإلهين: واحد للخير، وآخر للشر؛ ولذا سميت بالديانة المثنوية، ويعتقدون أن الإله الأعظم (أهورا مزدا) هو الذي خلق الإنسان وقبله خلق النور والأرض، والإله (أهريمن) خلق الزواحف والحشرات، وأن بذور الإنسان كانت مخبأة في الأرض، فأنبتت شجرة كبيرة خرج منها زوجين من بني آدم.
٢. تحريم قتل الحيوان وأكل لحمه، ولكن لا بأس من لبنه وجبنه وزبده.
٣. تحريم القتل للإنسان ومعاملة العدو بالحسنى.
٤. يجب المساواة في الأرزاق بين الناس، لتسود العدالة، فيقسم بينهم الأرض والمال والنساء.
٥. القيام بأعمال الخير وإطعام الغرباء والضعفاء.
٦. يعتقدون بأن الإله جالس على كرسي، بيده أربع قوى هي: التميز، والفهم، والحفظ، والسرور، ويدير العالم بسبعة وزراء، تساعدهم اثنتا عشرة من الأرواح.

مرحلة الديانة الزرادشتية

وهذه الديانة نسبة إلى مؤسسها زرادشت، حيث أصبحت أوسع ديانة في إيران، وهي خليط من الديانة المزدكية والديانة الميهرية مع إضافة تعاليم جديدة من زرادشت، بوصفها حركة إصلاحية ضد رجال الدين السابقين، وأهم عناصر عقيدتها تتلخص في الآتي[١]:

١. ادعى زرادشت أهمية المفاهيم الثلاثة، وهي الأخلاق- الحرية- المسؤولية.
٢. تعتقد الزرادشتية بآلهة (أهورا مزدا)، فصدر عن (أهورا مزدا) روحان اثنتان، كانتا كامنتين فيه، إحداهما: معبرة عن روح الخير. والثانية: معبرة عن روح الشر.
٣. الحياة تمر بثلاث مراحل؛ الأولى: مرحلة الخلق الطيب. والثانية: امتزاج الخير بالشر، و تحريض الشيطان، ففي هذه المرحلة يبقى الإنسان خيرًا مكافحًا للشر،

---

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٤٦)، وما بعدها.

ولكنه عرضة للغواية. أما المرحلة الثالثة: فهي ظهور المخلص المنتظر، والمدعو (ساوشنباط).

٤. تقول الأسطورة: إن في مدينة أذربيجان في إيران رجلًا اسمه بورو زهازيو مع زوجته، ففي أثناء رعايته لماشيته تراءى له شبحان قدما لزوجته غصنًا من النبات وشربته، فحملت ولدًا سموه زرادشت، وذلك من بشرى من (أهورا مزدا)، وعند المؤرخين أن زرادشت ولد حوالي ٦٦٠ قبل الميلاد، وعند ولادته لم يبك على عادة كل مولود، وإنما قهقه ضاحكًا، وانغمر مكان مولوده بالأنوار الإلهية، واختفت الأرواح الشريرة، فأصاب كبير السحرة هلع حينما علم أن نبيًّا قد ظهر، وأنه سيقضي على السحرة والكهان؛ ولذا فقد حاول قتله أو إحراقه، ولكن المشيئة حمته.

٥. تعلم زرادشت الحكمة على يد حكيم، ولكنه اعتزل مفكرًا في الكون والحياة، فاعتقد بوجود الخير والشر، المتمثل بنور النهار وشرور الظلام في الليل، وادعى أنه نبي تنزل عليه كبير الملائكة، فتلقى منه أنوار الحقيقة، فنزل من معبده إلى الناس مبشرًا بالحقيقة المتمثّلة بالخير والشر، وادعى أن الملائكة الستة علموه الحقيقة المقدسة، وحقيقة ما في الأرض والظواهر الطبيعية ونوازع الخير والشر في الناس، فآمن بدعوته ملك إيران (كشتاسب)، فانتشرت تعاليمه من أذربيجان إلى الري (طهران)، وأصبحت الزرادشتية دينًا رسميًّا، واتسع نفوذها خاصة في عهد الدولة الأخمينية، حيث كان أهم ملوكها كورش كبير (٥٤٩. ق.م)، وانتهى زرادشت بأنه قتل، وهو يعبد النار.

٦. ومن أساطير الزرادشتية أن تحول زرادشت إلى إله في السماء، اتخذ من قبة السماء لباسًا، وكان جسمه الضوء، وعيناه الشمس والقمر، ثم تجسد الإله للزرادشت في صورة ملك ضخم، وأعانه الإله الأعظم بستة من الآلهة الصغار لمساعدته، تأخذ قوة طبيعية كالنار والماء والشمس والقمر والرياح والمطر، والإله

الأعظم يتصف بسبع صفات، هي: النور، والعقل، والحق، والسلطان، والتقوى، والخير، والخلود، ويعدد زرادشت لأتباعه هذه الصفات إلى آلهة متعددة.

٧. تؤمن الزرادشتية بأن الميت تبقى روحه حوله ثلاثة أيام، وبعدها إن كانت خيرة ذهبت إلى الجنة، وإن كانت شريرة ذهبت إلى النار، وأن هناك يوم حساب سيأتي على الناس، فيبعث الموتى، ويقع النجم المذنب على الأرض، فتنصهر من حرارته المعادن، فالخيرون يعبرونه بسهولة، والأشرار يحترقون، حيث يعبر الخيرون على صراط محدود، تتلقاهم بعده الإله (آهورا مزدا)، فيعيش أبد الدهر.

٨. توصي الزرادشتية بإبقاء النار مشتعلة مذكرة للإنسان بعبادة (آهورا مزدا)، وأن الشمس والنار ليست بآلهة، والزرادشتية تنبذ السحر والكهانة.

٩. تعتقد الزرادشتية بوجود وسيط بين الدنيا وعالم الآخرة، فأرواح الخيرة تعبره ويستقبلها (آهورا مزدا)، والشريرة يكون لها الشيطان بالمرصاد.

١٠. تعتقد الزرادشتية أن ابن زرادشت سيظهر بصفته مخلصًا للبشرية، وذلك بعد ثلاثة آلاف سنة.

١١. يقدس الزرادشتية النار، ومن تعاليمهم أن بيوت العبادة تسمى بيوت النار، بسبب أن النار موقدة بها دائمًا، ويقوم على وقودها الكاهن، والنار تنقسم في معتقدهم إلى نار البيوت، والنار التي في جسد الإنسان والحيوان، والنار التي تسري حرارتها في النباتات، والنار التي في الصواعق بين الغيوم، والنار التي تضيء الجنة تحت أقدام الإله.

١٢. تعتقد الزرادشتية بقراءة الطالع للناس، والذي يقوم به كهنة بيوت النار، فيعبدون استطلاع الغيب.

١٣. أهم كتاب عند الزرادشتية هو الأفستا، لاحتوائه خلاصة تعاليم زرادشت، ويقوم بشرحه طبقة الموابدة من رجال الدين، وقد شرح في إحدى وعشرين مجلدًا، أضيف في هذه المجلدات الكثير من التقاليد والأعراف السائدة في المجتمع آنذاك، فأصبحت بمرور الوقت جزءًا من الديانة الفارسية الزرادشتية حتى العهد الساساني، الذي أسقط على يد الفاتحين العرب، وهناك كتب أخرى

منسوبة لهذه الديانة الزرادشتية، وهي: (كتاب دنديداد) يحتوي على قوانين ضد الشياطين، و(كتاب ياسنا) يحتوي على الطقوس الدينية، و(كتاب فيسرد) يحوى مجموعة تسابيح، و(كتاب يشت) يحوي تراتيل بحمد الملائكة، و(كتاب غاث) يحوي تعالم زرادشت.

ونشير هنا إلى اختلاط العقائد الفارسية بعقائد وادي الرافدين، وخاصة العقائد البابلية المتعلقة بالميثولوجيا (الأساطير)، وإلى اليوم يوجد أقوام من الزرادشتية في إيران خاصة في يزد وطهران وعلى الحدود العراقية، ولهم بيوت نار؛ كما توجد في الهند، وأقوام من الفرس الذين رحلوا من إيران إلى الهند واستوطنوا مومباي وكراجي (هربًا من الفتح الإسلامي).

أما تعاليم الزرادشتية فقد انتشرت في كثير من الأصقاع خاصة اليونان وروما، والزرادشتيون الذين ذكروا في الهند كانوا في إيران أيام الفتح الإسلامي، ولكنهم هربوا من المسلمين، وظلوا يرسلون المعونات من الهند إلى أقاربهم في إيران مدة طويلة بعد الفتح[١].

وأثر الديانة الفارسية القديمة (المجوسية) كبير على الفكر الشيعي، خاصة ما يتعلق منها بظهور المهدي المنتظر (المخلص) آخر الزمان، وفكرة رجل الدين وعلاقته بالسماء، حيث لها علاقة كبيرة بادعاء بعض الشيعة بفكرة أن للإمام علي وبقية الأئمة إدارة الكون تفويضًا من الله، وفكرة الشيعة حول طبيعة الأئمة من حيث خلقهم الله من نور، وهم معصومون باختيار من الله، وهذا يشبه كثيرًا ما سبق شرحه، وسنبحث ذلك مفصلًا في موضعه.

الديانة الفارسية المانوية

بعد ضعف الديانة الزرادشتية في العصر الساساني ظهرت المانوية بوصفها حركة إصلاحية، ولتعديل ما ليس مقبولًا في الديانة الزرادشتية، مؤسس هذه الديانة هو

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٤٦)، وما بعدها.

ماني بن فاتك، ويبدو أن أفكاره واجهت عدم قبول في المجتمع الإيراني، فرحل إلى ميسان في العراق، وفي هذه المرحلة تأثرت معتقداته بمذهب المغتسلة (الصابئة) المندائيون، وكذا بالديانة النصرانية، وكان ظهوره سنة ٢١٥ ميلدي، وادعى أنه نبيًّا يوحى إليه، ومعتقدات أخرى تعد تعديلًا للزرادشتية، وخليطًا من التعاليم الهندية، وعقائد وادي الرافدين والنصرانية، ومن أهم أفكاره:

١. اعتقد بالألوهية المثنوية: إله النور المتجلي بخمسة عناصر، هي: الحلم، والعلم، والعقل، والغيب، والفطنة. وإله الظلام المتجلي أيضًا بخمسة عناصر، وهي: الضباب، والحريق، والسحر، والسموم، والظلمة.
٢. إن المانوية قسمت طبقات المجتمع إلى: المعلمين، أبناء العلم القسيسين، أو الكهنة، الصديقين، أهل السماع.
٣. الصيام سبعة أيام كل شهر، والصلاة بعد التطهر بالماء اثنتي عشرة مرة.
٤. الإقرار بنبوة زرادشت والمسيح.
٥. مجموعة تعاليم أخلاقية، أهمها حفظ اللسان، وحفظ عمل اليد، وحفظ القلب من سوء النوايا والأعمال، كما تدور تعاليمه حول معتقد الإيمان المتعلق بالإله والنبوة المذكورين آنفا.
٦. تفرض المانوية على أتباعها دفع عُشْر أموالهم.
٧. كما في عدة كتب احتوت تعاليمه، أهمها كتاب سفر الأسرار وكتاب الأصليين (حرب الشياطين مع السماء) وكتاب التعاليم الذي يحوي مجموعة من السلوك الأخلاقي. وتعرض ماني إلى اضطهاد مخالفيه، فذهب إلى الهند، وتعرف على الديانات الهندية، ثم رحل إلى الصين، وأخيرًا رجع إلى إيران، وفيها تمت مناظرته وإدخاله السجن، وتوفي في سجنه سنة ٢٧٦م[1].

فكرة الإمامة عند الشيعة الإمامية والملكية الساسانية

قبل الفتح الإسلامي كانت إيران والعراق محكومتين من قبل الدولة الساسانية، واعتمادًا على ما أسلفنا من عقيدة الفرس (المجوس) في ملوكهم أنهم مختارون أو من نسل

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٤٦)، وما بعدها.

الآلهة ونور الآلهة (اهورا مزدا) إله النور، الذي حل بالملك وبالملكة عن طريق الأساطير والمعجزات، التي نقلناها في المعتقدات الفارسية القديمة؛ فالملك عندهم له صفة إلهية يختلف عن بقية البشر وصفاته النورانية المقدسة، تنتقل في الأصلاب جيلاً بعد جيل في الأسر الحاكمة، وأوامره واجبة الطاعة، وليست قابلة للمناقشة يتلقاها منه الكهنة رجال الدين كطبقة نافذة في المجتمع الساساني، فلما تم الفتح الإسلامي ودخل الكثير من المجوس في الإسلام تفرقت بهم المذاهب والنحل، وكانوا يحملون في عقولهم هذه الحقيقة عن الملك ورجال الدين، وفي المعتقد الشيعي الإمامي، فإن أثر هذه النظرية واضح، وآتي في النصوص الواردة في مصادر الشيعة الإمامية، وخاصة كتب الحديث الأربعة المشهورة، وقد عززوا هذه النظرية بادعائات تاريخية وفلسفية منها:

أصل الأئمة الاثني عشر مزيج من الدم الهاشمي والدم الفارسي الساساني

استغل الشيعة الإمامية روايات قد تكون مكذوبة، مفادها أن ابنة الملك الساساني يزدجرد المهزوم بعد الفتح، أسرت ابنته (شهربانو) في المدائن، وقيل: أسرت هي واثنتين من أخواتها، فجيء بهم مع السبي إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتقول الرواية الشيعية: إن عمر أمر ببيعهم مع جملة السبايا، ولكن علي بن أبي طالب رضي الله عنه اعترض قائلاً: إن بنات الملوك لا تباع. و انتهت المسألة بتزويجها إلى الحسين بن علي رضي الله عنه.

فولدت منه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فالأئمة الاثني عشر هم من هذا النسل المقدس، وهذه الرواية على الرغم من عدم ثبوتها، فإن المقصود منها واضح جلي، أهمها أن الإمامة ليست للخلفاء الراشدين عن طريق الشورى والاختيار، بل هي نص إلهي من الله إلى رسوله محمد، ومن محمد إلى علي كما يدَّعون، كما أن هذه الرواية تبرر لهم رغبتهم في كراهية عمر الذي فتح بلادهم وهزم جيشهم، كما تبرر أيضًا كراهيتهم

لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار بل كراهية العرب جميعًا[(١)].

فالعقلية المجوسية حينما دخل بعضهم إلى الإسلام، وخاصة عن طريق فرق الشيعة ظلت عقليته في مفهومها القديم للملك الساساني المقدس وصفاته الإلهية، وهذه العقلية عند الإيرانيين بقيت حتى العهد العباسي، حيث سيطرت على عقائد الشيعة فصاغوا صفات الأئمة الاثني عشر: كصفات الملوك الساسانيين من العصمة ومعرفة الغيب ومعرفة جميع اللغات، بل وتسيير الكون، حيث كانوا يعتقدون أن الآلهة قد فوضت للملك الكون من تسيير الرياح والأمطار، وما إلى ذلك من القوى الطبيعية، كما هو مفصل في موضعه في هذا البحث، ونشير هنا إلى ما ورد في محاكمة البرامكة أيام الرشيد، حيث وجد عندهم كتبًا مرسلة من إيران معنونة: (إلهنا جعفر البرمكي) من المحتمل أن هذه الفلسفة التي ظهرت منذ القرن الثاني الهجري قصد بها نقل السلطان من يد العرب وإرجاعه إلى فارس، وهذا واضح من توجه الثورات المعادية للإسلام في العصر العباسي خاصة، والتي سنشير إليها في هذا البحث، كما تكرر القصة نفسها الخاصة بزواج الحسين إلى زواج الإمام الحسن العسكري بابنة أحد ملوك الفرس الساسانين، ولكن مصادر الشيعة تختلف في اسمها، والغرض من ذلك واضح، كما هو في القصة الأولى، ولكن هنا يراد إضفاء القصة القدسية على الإمام الثاني عشر، المدعى باختفائه في سرداب سامراء، بالرغم من أن الروايات التاريخية الثابتة تنفي أن يكون للحسن العسكري ابن، والصفات التي منحتها المصادر الشيعية الإمامية إلى الإمام المنتظر فاقت جميع الصفات التي منحها المجوس لملوكهم وآلهتهم، كما سنفصل ذلك في صفاته في هذا الكتاب.

وقد باءت محاولة المجوس الفرس بالفشل في مجموعة ادعائات بظهور المهدي المنتظر على يد العديد من الفرق الشيعية التي حاولت الثورة في العديد من المرات على الحكم

---

(١) انظر مناقشة تفصيل عدم ثبوتها: كتاب التشيع العربي والتشيع الفارسي: لنبيل الحيدري، (ص ٩٨)، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٤م.

العربي الإسلامي، والنتيجة أن الشيعة الأوائل الذين كتبوا تلك العقائد المختلطة بالديانة الفارسية، قد أسسوا السلطة والحكم على أساس الحق الإلهي المحصور بين أئمة آل البيت الاثني عشر فقط، والذين هم من نسلٍ نوراني، تجري في عروقه الدماء الفارسية المجوسية المقدسة، وعن هذا الطريق يفرضون سلطانهم على العرب؛ ولذا يتضح أن الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية صناعة فارسية مجوسية الأصل، كما هو واضح.

الفصل الثالث

الديانات الهندية

الهندوكية - البراهما - والبوذية

الديانة الهندوكية

يرى الدارسون الهندوكية واعتمادًا على كتب الفيديا بأنها تؤمن في الأصل بالإله براهما، وأنه هو الكائن الأزلي الوحيد، ومن صفاته أنه كائن مطلق وأسمى، الذي اعتبره كثير من الهندوس يمثل الحقيقة المطلقة، واعتقد الهندوس أن الإله براهما هو الذي أوجد آلهة متعددة، أوكل إليهم إدارة الكون بما فيه من المظاهر الطبيعية.

والهندوسية تؤكد على المبادئ الأخلاقية عامة، وتلك الخاصة بالشعور بالمسؤولية تجاه الأسرة والأبناء والمعلمين والوالدين، والعطف حتى على المخلوقات، وتعترف الهندوكية بالحاجات الدنيوية للإنسان، وهي اللذة الحسية، وما تفرع منها، والكسب المادي، والواجب الخلقي، والتحرر والسمو.

التقمص أو التناسخ والكارما

تؤمن هذه الديانة بأن لكل شيء حي روحًا تقمصت فيه على شكل نبات أو حيوان أو إنسان أو كوكب سماوي، ويعتقدون بأن كل روح لها نشاط فعل أو رد فعل (الكارما)، والروح عبارة عن ولادة متجددة مستمرة قد تتشكل أشكالاً عدة حسب ما عليها من ضغوط وأقدار وأفعال.

حياة الفرد الروحية

تؤمن الهندوكية بأن للإنسان مراحل عمرية أربعة بعد مرحلة الطفولة (٨ سنوات):

١. من ٨ سنوات إلى ٢٥ سنة، وهي مرحلة التعلم الروحاني على يد (الغورو) رجل الدين الحكيم، وفيها يخدم التلميذ أستاذه، ويتعلم لغة الكتاب المقدس، وهو الفيديا المكتوب في الأصل باللغة السنسكريتية.
٢. مرحلة ما بعد الخامسة والعشرين: وهي مرحلة الزواج وبناء الأسرة وإنجاب الأطفال، وفي هذه المرحلة توجب على الفرد أيضًا ممارسة العبادة الروحية.
٣. مرحلة النسك والتخلي تدريجيًّا عن أعباء الحياة، وتسليم نشاطه الدنيوي إلى أبنائه وأحفاده.
٤. مرحلة الانعزال عن المجتمع والتفرغ للعبادة (مرحلة ساكن الغابة)، وفي هذه المرحلة يتم التخلي عن جميع نوازع الدنيا ومباهجها، وتحرر الروح من جميع نوازع الدنيا، والهندوكي يجب عليه الاستمرار في الممارسات الروحانية التي منها طريقة العمل الإيثارية، وخدمة الإله، وسلوك الطريقة المعرفية الغيبية، عن طريق التأمل والنظر في حكمة الأشياء، وسلوك طريق المحبة الربانية.

وعمومًا سلوك طريق اليوجا وبلا شك، فهذه الفلسفة قد أثرت أو وجدت في كثير من الديانات والفلسفات القديمة، ومنها انتقلت هذه المؤثرات إلى الطرق الصوفية والشيعية، خاصة فكرة (العرفان)، وطريق المعرفة في الديانة الهندوكية انتقل إلى ديانات أخرى كديانة الفرس (المجوس)، خاصة ما تعلق منها بسياحة رجل الدين لوحده أو مع تلامذته، وهذه فكرة المدرسة المشائية في الفلسفة اليونانية، وعند كثير من الطرق الصوفية الإسلامية[١].

وقد تجددت الديانة الهندوكية بشكل مختلف عن أصلها، وذلك على يد راما كريشنا (١٨٣٤- ١٨٨٦م)، الذي نادى بأن جميع الديانات تعد سبيلًا للتوحيد إلى الله، وقد تأثر بممارسته مزيج من الديانات الإسلامية والمسيحية، إضافة إلى الأسس والممارسات في الديانة الهندوكية، التي تأثر بها المجتمع الهندي منذ تاريخه القديم، وركز في تعاليمه على المحبة وممارسة اليوجا، وقد انتشر هذا المذهب، ولاقى رواجًا في بعض أنحاء أوروبا وأمريكا.

(١) سهيل بشروئي ومراد مسعودي: تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة، (ص ٢٠٦)، وما بعدها، دار الساقي، بيروت ٢٠١٢م.

الديانة البرهمية

هي الديانة القديمة للهنود منسوبة إلى الإله براهما بما يقرب من الألف الأول قبل الميلاد، وقد سطرت تعاليمها في كتب (الفيديا)، وفي قانون (مانو)، وتتعلق بالمعارف المنسوبة إلى النار والهواء والشمس، وإلى الآلهة الكثيرة الأسماء والمتعددة القوى، وفيها أيضًا تعاليم العبادات وشعائرها وبعض أحكام المعاملات.

كما تتبنى طريقة تقديم القرابين لحفظ الأرواح من الشياطين والرقى ضد السحر، كما تشمل أيضًا التعاليم إلى إشارات في كيفية نشأة الكون والخلق وبقية صفات المجتمع.

ويرى بعض الباحثين أن أصل هذه الديانة ديانة توحيد للإله براهما بدليل ما ورد في كثير من نصوص الفيديا، ولكن غلب عليهم فيما بعد القول بتعدد الآلهة مع بقاء براهما الإله القوي الأوحد، الذي لا يلد ولا يولد، وليس هو بذكر ولا بأنثى.

وفي البداية أضيف لبراهما صفة الموجد والحافظ والملك، فكانت بابًا لدعوى التثليث، وقد حرفت الديانة بدوافع الأهواء والنزاعات بين الفرق.

وحدة الوجود في البرهمية

ومقتضاها عندهم أن الكائنات جميعًا من جماد ونبات وحيوان سرت فيها روح الإله الموجد، وعلى ذلك فإن هذه الكائنات ليست إلا مظاهر منه وحده، ومن هنا فالهدف الأساسي للإنسان يجب أن يكون في الفناء في هذا الإله المطلق، حيث في ذلك سعادته، ولا يحصل ذلك إلا بالزهد والصوم والسهر وتعذيب الجسد، فتخمد بذلك شهواته، وترقى روحه، وتصفو. وتشير الفيديا أن الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات إنما هي شيء واحد، وما الشمس والقمر والأرواح في الموجودات إلا أجزاء ومظاهر للإله المطلق.

إن نظرية وحدة الوجود انتقلت من الديانة الهندية إلى الفارسية، حيث بلغت بعض المسلمين عن هذا الطريق، وتأثروا بها، منهم: أبو منصور الحلاج، وابن عربي. وأصبحت ركنًا من أركان الفرق الصوفية، التي تشبعت فيما بعد بهذه الفكرة، ولَم تسلم الحركات

والفرق الشيعية الصوفية، التي ظهرت في إيران من تأثيرات هذه النظرية، كما سنرى في مسألة التشيع الصفوي في إيران.

تناسخ الأرواح

إن أرواح الكائنات ومنها الإنسان لا تفنى بالموت، ولكنها تفارق الجسد الذي كانت فيه، إلى أن تحل في جسد آخر، فتظل متنقلة إلى أن تصل إلى نهايتها الأخيرة، وهي الاتحاد بالإنسان في أثناء حياته، تعلق روحه بالأفعال التي يمارسها، فإن كانت خيرًا فالسعادة ستكون مصير روحه، وإن كانت شرًّا فمصيرها إلى الشقاء، فإذا غادرت روح خيرة جسدها، فإنها تحل في جسد آخر يحقق لها استمرار السعادة، وإن كانت شريرة بما اقترفته من أفعال حلت بجسد متعب: كالحمار أو الكلب، حيث تبقى حبيسة في شقاء جزاءً لها، وتستمر هذه الدورة للروح بين الكائنات إلى أن تتطهر من جميع الشرور، وتصبح مستعدة للاتحاد والرجوع لمصدرها الأصلي: براهما. فانتقال الروح من جسد إلى آخر بهذه الكيفية، والهدف هو التناسخ، والروح في عالمها لا تدري بالعوالم التي مرت بها سابقًا، فكل دورة تكون منقطعة عن الأخرى.

ويترتب على ذلك عدم وجود بعث وثواب بالصورة التي عليها الديانات السماوية، وإنما الروح تأخذ جزاءها بالكيفية المعبر عنها سابقًا، ويستتبع ذلك عدم وجود الجنة والنار على الشكل المعروف في العقيدة الإسلامية، إنما يؤمنون بأن أرواح الناس تكون في حياتهم الأولى في منزل وسطي في الكسب والعمل، فإن كان خيرًا ذهبت أرواحهم إلى المنزلة العليا، حيث السعادة (الجنة)، و إن كان العكس ذهبت إلى الدرجات السفلى، حيث العذاب (النار)، ويكون ذلك لمدة معينة تنتقل فيها الأرواح فيما بعد لأجساد أخرى، ومن هنا يعتقدون أن كثيرًا من الأرواح الخيرة قد حلت ببعض الكائنات، فقدستها، فحلت مثلًا بنهر براهما بوترا، فأصبح ماؤه مقدسًا طاهرًا تدور حوله كثير من المعتقدات، حتى إنه يطهر الأجساد التي تلقى به، كما أن تلك الأرواح قد حلت بالبقر، فأصبحت مقدسة يحرم ذبحها وأكلها، بل لا يجوز التعرض لها بأذى، فذلك من أكبر الآثام، كما يتبركون بروثها،

واعتقدوا أيضًا أن تلك الأرواح قد حلت في صنم جماد، اقتضى عندهم تقديسه وعبادته، أو حلت برجل معين، فأصبح مقدسًا عندهم، وذلك بما ناله من نسك وصيام وتصوف.

إن نظرية تناسخ الأرواح هي الأخرى انتقلت من الديانة الهندية إلى الديانة الفارسية، ومن الفرس انتقل بعض تأثيرها في عقائد كثيرة منتسبة إلى الإسلام، وسنرى أن بعضًا من فرق الشيعة كانت تقضي بهذه الفكرة، وأظهرها بعضهم بأشكال مختلفة معدلة لتبرير عقائدهم، كما سنرى ذلك بالتفصيل فيما بعد.

لا نبوة في الديانة البرهمية

النبوة بالمعنى الذي تشير إليه الديانات السماوية لا تعتقد بها البرهمية أولًا باعتبار ذلك عملًا مستحيلًا أن يختص الخالق أحد عباده دون الآخرين بالهداية والواجب، ويمنع ذلك عن بقية خلقه، ويذكر الشهرستاني حجتهم بإنكار أفكار النبوة، أنهم يقولون: إن النبي لا تخلو حاله من أمرين: فإما أن يأمر بمعقول، والبشر لا يلزمهم نبي من أجل الوصول إلى الحق؛ لأنهم في عقل متساو، والجميع لديهم القدرة على الوصول إليه، وإما أن يأمرهم بغير معقول، وعندها لا يكون الأمر مقبولًا؛ لأن في ذلك تجهيلًا وبهيمية للعاقل، والحقيقة أن البرهمية أغلقت فكرة محدودية العقل البشري وإدراكه، خاصة في بعض مراحل حياة البشر، حيث يكون العقل في حاجة إلى الهداية الربانية عن طريق النبوة.

بالإضافة إلى أن البرهمية قد ناقضت نفسها حينما أوصلت بعض البشر إلى مصاف الآلهة بدعوى الحلول والاتحاد، كما أوضحنا ذلك، كما أنها لم تأخذ بمقتضى العقل في كثير من تعاليمها المنافية بشكل صارخ لحكم العقل: مثل تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات، لا ترقى إلى أي طبقة أو تنتقل إلى أخرى، وهم البراهمة رجال الدين، والكشتريون رجال الحرب، والفيسائيون وهم رجال العمل والتجارة، والشواذرا وهم المنبوذون، وأصبحوا منبوذين لأنهم انحدروا من قدم الإله براهما، وهي أحط جزء من جسمه، فليس لهم إلا

وظيفة الخدمة؛ لأنهم رجس، لا يصح لمسهم ولا مؤاكلتهم ولا مصاهرتهم. والمنبوذ ينجس الآنية التي يشرب أو يأكل منها، فلا يصح استعمالها بعده[١].

وهذه لها أثر في فقه الشيعة الإمامية المتعلق بنجاسة أهل الكتاب (النصارى واليهود)، حيث ينجسون الآنية، ولا يصح ملامستهم حينما يكونون مرطبين من المطر مثلًا.

لا جنة ولا نار

ما زالت الهندوسية لا تؤمن بالبعث والحساب حسب المفهوم الإسلامي، فإن الثواب والعقاب هو الآخر لا وجود له، فلا جنة يخلد فيها المؤمنون، ولا نار يعاقب بها الأشرار، كما في المفهوم الإسلامي، وإنما بما يقضي به التناسخ تكون أرواح المؤمنين في عالم العلوى (جنة) سعيدة باتحادها ببراهما، وأرواح الأشرار تكون في عالم سفلي (جهنم)، لتتطهر مما علق بها من شرور في دورات مختلفة، حتى تتطهر الروح نهائيًّا، وعلى هذا فإن الثواب والعقاب يقع للروح لا على الجسد، وهما إنما يكونان مؤقتين لمدة معينة خاصة بالنسبة للروح الشريرة[٢].

وقد قامت حركة ضد البرهمية سميت بالبوذية، نسبة إلى المصلح بوذا (٥٢٧ ق.م)، فأنكرت البوذية وجود الآلهة، فهي حركة إلحادية، كما رفضت نظام الطبقات الموجودة في البرهمية، لكن فكرة التناسخ بقيت في البوذية مع بعض التحوير الذي يقتضي بِه المقال، حيث دعت البوذية إلى الزهد ونبذ العنف. ولا تؤمن البوذية بصلاة البراهمة أو تقديم القربان، كما أباحت البوذية الانتحار، وأباحت كذلك التعري للتحلل من القيود والظهور

---

(١) من المحتمل أن يكون لهذه العقيدة المتعلقة بنجاسة المنبوذ صلة وتأثير، لما هو عند بعض الفرق الإسلامية من اعتقادها بنجاسة أهل الكتاب خاصة، إذا لحقه رطوبة. أما آنيته وطعامه فغير جائز للمسلم، وقد ذكر بعض السائحين الأوربيين في مذكراتهم النصيحة بحمل كأس ماء، واستعماله عند السياحة في إيران. كما ينصحون بتجنب السائح المبلل بالمطر، وعدم الاحتكاك بالناس في الأماكن العامة، وفي إيران لا يجوز الزواج بالكتابية، إلا متعة حسب تعاليم الإمامية، وحجتهم في ذلك: أن أهل الكتاب مشركون، ونجاسة المشرك جاء بها القرآن الكريم. انظر أيضًا رسالة للشيخ المفيد، عنوانها: (ذبائح أهل الكتاب).

(٢) لقد أنكرت كثير من الفرق المنتسبة إلى الإسلام الجنة والنار، وقالوا بتأويل ما جاء فيها في القرآن الكريم، إنما هي أسماء رجال، ولا شك أن ذلك من آثار الديانات التي لا تؤمن بالجنة والنار والحساب والبعث على التفصيل الوارد في الدين الإسلامي، وقد ورد هذا الاعتقاد عند كثير من الفرق الشيعية كما سنرى.

على الحقيقة، ودونما زيف، وقد ادعى تلامذة بوذا فيما بعد آراء أضيفت إلى البوذية، حاولوا فيها التوفيق بين الاعتقاد بالآلهة كما في الهندوسية، وبين آراء بوذا، ومنها ادعاؤهم أن روح الآلهة براهما قد حلت في بوذا، واعتقدوا بوجوب تآخي جميع الديانات؛ لأنها على حق باعتبار الحقيقة المنبعثة من معتنقيها، فلابد من احترام جميع الديانات والأفكار، فأنشأت ما يسمى باليوجا، وقد انتشرت البوذية في شرق آسيا في الصين واليابان وسيام وبورما، ولم تسلم كثير من الفرق المنتسبة إلى الإسلام من بعض الأفكار البوذية كما سنرى[١].

الديانة البوذية

ظهرت هذه الديانة شمالي الهند في القرن الخامس قبل الميلاد على يد بوذا، وهي ديانة تركز على تعاليم الزهد وحسن الأخلاق، وليس فيها اعتقاد متعلق بخالق الكون، وتهتم هذه الديانة بتحرير الإنسان في الدنيا من الشقاء، وظهر بوذا سنة ٥٦٣ ق.م في (لومبين) قرب نيبال.

وقد طلق بوذا حياة الترف، حيث كان ابنًا لحاكم تلك المدينة واتجه إلى الزهد في شبابه، وترجع البوذية ولادة بوذا إلى أسطورة تتعلق بأحلام أمه، التي طارت بها الملائكة إلى جبال الهملايا، وهناك وضعت بالحمَام، ووضعت في الفراش، ونزل عليها فيل أبيض يحمل غصنًا من نبات البشنين، فأدخل الغصن المبارك في رحمها إلى أن جاءها المخاض، فجلست تحت شجرة البشنين، وانحنى غصن منها إلى المولود، فوقف المولود ومشى بضع خطوات، وقال: أنا سيد هذا العالم. فاحتفلت ملائكة السماء بولادة بوذا، وفي شبابه قرأ بوذا تعاليم الديانات الهندية، التي قبله خاصة البرهمية، وما ورد في كتاب الفيديا، وهاجم عقيدة البرهمية ونادى بانعتاق الإنسان[٢].

(١) الحيني: في العقائد والأديان.

(٢) كتب أصله باللغة السنسكريتية، وهي لغة الأقوام الآرية، التي غزت الهند من أقاصي آسيا الوسطى وشرقها، وعن هذه اللغة. يقال: تفرعت اللغات.

وأنكر سيطرة الآلهة ونادى بفعل الخير وترك الشر، والبحث عن إسعاد البشر وعدم الاهتمام أو الاعتقاد بقوى خارقة للمادة، ولما أنكر عليه رجال الدين الهنود عقيدته رد عليهم، بأن ماء النهر لا يرجع إلى الجبل، وأن الصلاة لا تجعل النار باردة، وأن القرابين المقدمة إلى الآلهة شر محض، والصلاة إلى الأصنام لا تقدم شيئًا، و أن براهما لم يخلف شيئًا، وأن كثيرًا مما أوردته الفيديا من عبادات للآلهة براهما خطأ كبير، و أن العالم سيبقى كما هو ليس له نهاية، كما أنه ليس له بداية في نظره، والحياة الوسطية هي الصالحة، فلا الترف مفيد، ولا تعذيب النفس مفيد، وتنحصر تعاليم بوذا بمجموعة من التعاليم والسلوك الأخلاقي المتعلق بعمل الإنسان وبكلامه وبتفكيره، حيث يجب على الإنسان التبصر والحكمة وتجنب الانفعال والغضب، وأغلبها تعاليم مادية في حياة الإنسان، وتعامله مع نفسه ومع الآخرين، ولكن بعد وفاة بوذا ٤٧٠ ق.م. طور أتباعه البوذية، وأضافوا عليها ما يأتي:

١. أن بوذا هو الابن المخلِّص للإنسانية من الشرور.
٢. تجسد بوذا عن طريق حلول روح القدس على العذراء.
٣. بمولده رتلت السماء الأناشيد، وظهر نجم بوذا في السماء.
٤. قبل موته تغير جسده، فنزل عليه نور أحاط برأسه وجسده، فقال من حوله كما يزعمون: إن هذا الإله الأعظم.
٥. يصلي البوذيون لبوذا، ويعتقدون بذلك أنهم سيدخلون الجنة. ويرى أتباعه أن بوذا صعد إلى السماء، وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم.
٦. تلتقي البوذية بالديانة الهندوسية في الاعتقاد بفكرة التناسخ، والزهد، وتلتقي بتشابه ولادة بوذا والمسيح.
٧. أضيفت الصلاة أمام تمثال بوذا، والصيام عن الطعام دون الشراب، وذلك من فعل أصحاب بوذا.
٨. لبوذا عدة كتب، أهمها القوانين البوذية، وكتاب آخر يحوي خطب بوذا، وكتاب (تيبتكا) أصله باللغة السنسكريتية، ونقل إلى لغة (بالي) المنتشرة في سيرلانكا.
٩. انتشرت البوذية بشكل واسع ببلدان آسيا بعد أن ضمر نفوذها في الهند، وكثرت فرقها وفروعها، ولكونها ديانة مسالمة، وأكثر مبادئها خلقية تدعو إلى التسامح،

فقد تطورت وانتشرت في أنحاء العالم اليوم، وتماثيل بوذا وعبادته منتشرة، ليس فقط في موطنها الأصلي، وإنما في:

١- تايلاند ٢- ماينمار ٣- كوريا ٤- الصين ٥- اليابان ٦- الهند ٧- سيرلانكا ٨- ماليزيا ٩- منغوليا ١٠- نيبال ١١- سنغافورة ١٢- فيتنام ١٣- كمبوديا ١٤- تايوان ١٥- السويد ١٦- أفغانستان.

وهي الديانة الثانية من ناحية الانتشار بعد الإسلام.

ويبدو لنا أن علاقة التشيع بالديانات الهندية القديمة حصلت من جانبين: الأول من خلال تسرب هذه الديانات إلى الديانة الفارسية القديمة، ومنها عبرت إلى الفكر الشيعي. والجانب الثاني: أن تلك الأفكار الهندية، ربما انتقلت مباشرة إلى علماء الشيعة من الأصل الهندي، وسنتتبعها كل ذلك فيما بعد في دراستنا.

ولكن نشير هنا إلى تشابه ظروف ولادة السيد المسيح وولادة الحسين بن علي رضي الله عنه، وما ذكرناه عن ولادة بوذا.

الفصل الرابع

الديانات اليونانية القديمة

اعتقد قدماء اليونان بتعدد الآلهة وسيطرتها على مظاهر الطبيعة؛ ولذا يقدمون لها القرابين، ويتلون الصلوات والأدعية، كي تنجيهم خاصة من غوائل البحر، حيث كان يمثل جزءًا من تفكيرهم الديني، إذ تدور حوله الكثير من الأساطير، وارتبطت هذه الأساطير بما يقوم به رجل الدين من تنبؤ بالغيب، وأصبح حرفة للعارفين الذين منهم الشعراء والمبدعون، وتُمارس هذه الطقوس في المعابد التي اعتقدوا بنزول الوحي السماوي إليها: مثل مهبط الوحي في معبد دلفي، الذي أشار إليه شيشرون فكان الناس يتوجهون إليها ويطلبون من الإله الإجابة عما يعن لهم من أسئلة متعلقة بالعبادات.

واعتقد اليونانيون القدماء بالوجود الإلهي في مهابط الوحي، التي أقاموها لمعابد الناس، واعتقدوا بأن للآلهة قدرة على إصابة البشر بالمس، واهتموا خاصة بالعارفين منهم بتفسير الأحلام وبناء المستقبل والمجهول عليها، واعتقدوا بقدرة الإله أبولو على إحياء الموتى.

وقد آمن اليونان القدماء بوجود فئتين من الآلهة المتعددة، وهما آلهة السماء وآلهة الأرض، وخلصوا إلى فكرة التطهر من الخطيئة عن طريق الاتحاد مع الآلهة، وتعد الفيثاغورثية مرحلة من مراحل الفكر الديني اليوناني، وهي المنسوبة إلى المعلم فيثاغورث الذي ظهر في حدود ٥٧٠ ق.م، ويذكر الدارسون أنه مزج بين الأفكار الأوروبية وأفكار مصر الفرعونية وبين علوم الطبيعة والإلهيات، مما ينسب له من أفكار تمتعه بقوى روحية وقدرة على انطلاق الروح خارج الجسد، والقدرة على شفاء الناس، والتنبؤ بالغيب، والظهور بعد الموت (الرجعة)، والإيمان بالتقمص (التناسخ)، وبإدراكه المباشر للعالم الروحي، والعزلة والصوم وسكنى الأرواح، وعمومًا فالديانة اليونانية قبل أرسطو كانت تدور حول فكرة كون العالم مسيَّر بنظام بارع من قبل مسبب أول للوجود، عنه صدرت

جميع الكائنات، وإليه تعود كل الأشياء، وأضفوا على هذا المسبب صفة الألوهية، وهؤلاء الفلاسفة اختلفوا في ماهية المسبب الأول، فعند الفيلسوف طاليس أنه (الماء)، وعند غيره هو (الأزل اللامحدود)، غير قابل للإحاطة، ولا حصر له، ولكنه هو (يحيط بكل شيء).

وعند غيرهم أن المسبب هو الهواء الذي ينشأ منه كل شيء، وسموا هؤلاء الفلاسفة بالطبيعيين، وذلك لاتصال فلسفتهم بالطبيعة، وفسر بعض فلاسفتهم المسبب بأنه هو (اللوغوس)، الذي عبروا عنه مرة بالحكمة، ومرة أخرى بالعقل، وعند الفيلسوف أمبيدوكليس: أن هناك أربعة آلهة تتمثل في العناصر الطبيعية الأربعة، وهي (الهواء- التراب- النار- الماء).

فلسفة سقراط

لم يكتب سقراط آراءه بنفسه، وإنما نقلها تلامذته خاصة تلميذه أفلاطون في أثينا، وذلك في كتاب المحاورة الذي كتبه أفلاطون، واعتمد سقراط في تفكيره الفلسفي الديني على التحليل والمناقشة لا على التسليم والتلقي، وبهذا المنهج خالف سقراط رجال الدين والفلاسفة في أثينا على أفكارهم التي دونت سالفًا، وعن طريق التحليل والمناقشة عرض رأيه في المعرفة والعدل والفضيلة، ويهدف سقراط من ذلك إلى تحرير شعب أثينا من سطوة الفكر القديم، المُسلَّم بصحته دونما تفكير، وذلك عن طريق التفكير أو التحليل، وأن الهدف النهائي عنده هو إسعاد بني البشر، ولهذا فقد أحدثت أفكاره ردة فعل من رجال الدين والفلاسفة، ودفعوا إلى محاكمته في أثينا وقتله، وهو في السبعين من عمره يدعو إلى الفضيلة التي تكسب صاحبها الخير في الحياة وبعد الممات[1].

آراء أفلاطون

أنشأ أفلاطون في أثينا أكاديمية لتدريس تلاميذه الفلسفة، وذلك سنة ٤٢٧ ق.م، واستفاد من أسلوب أستاذه سقراط، التحليل والمناقشة، غير أنه لم يكن متعصبًا لآرائه،

---

(١) سهيل بشروئي، ومراد مسعودي: تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة، (ص ١٥٨)، دار الساقي، بيروت، ط ١.

وقد كتب كتاب المحاورة أظهر فيها أسلوبه ونقده لآراء أستاذه سقراط، وآراء الفلاسفة ورجال الدين السابقين، مركزًا على أسلوب المعرفة عن طريق العقل، وقد كتب كتابه الثاني الجمهورية (جمهورية أفلاطون) موضحًا فكرته عما تبلور في الفلسفة بتسمية اللاهوت، مستخدمًا التفكير العقلي، ونابذًا لما تجمع من أساطير يونانية عن الآلهة؛ ولذا وصفت فلسفة أفلاطون بأنها فلسفة إلهية ربانية، كانت أكثر تأثيرًا بالمسيحية وبفلاسفة الإسلام، ويمكن تلخيص آراء أفلاطون بما يأتي:

١. وصف في كتابه المحاورة بأن الموجد (الخالق) صانع خير بارع كريم كامل، وفسر ذلك أحد تلاميذه بأن الخالق ليس متجسدًا أو جسمًا له صفات البشر، بل هو عقل رباني رشيد خلاق.
٢. و في كتابه المحاورة يفهم منه أن لكل إنسان روحًا أبدية خالدة، تتميز عن جسده وتختلف عنه، وهي ليست مادة، ولكنها تشكل فكر الإنسان في كتابه (فيدو)، ويرى أن الفلسفة تساعد على التحرر من الجسد والتوجه إلى الفضيلة، فالحكمة والفضيلة عنده تظهر من النزعات نحو الخطيئة. والروح عنده خالده تدفع إلى تذكر الفضيلة في جميع الظروف؛ فالروح لها قدرة عنده على تجنب التجسيد والتناسخ.
٣. يرى أفلاطون أن العالم الخارجي الذي يحيط بالإنسان يتم عن تكوينه لصور مخالفة للحقيقة، وذلك نتيجة قصور لما يتحسسه المرء من حواسه للعالم الظاهري؛ ولذا فحواس الإنسان لا يعتمد عليها لإدراك الحقيقة.
٤. في كتابته المادية التي تناول فيها أفكار الفلاسفة حول آلهة الحب والجمال، ورفيق أفروديت، والمسمى عند الرومان كيوبيد، استخلص بأن الحب درجات، تبدأ من الحالة الفردية إلى الانتقال إلى العموم والشمول، حيث يسمو إلى درجات أعلى في الفكر والعلوم والشعر والسياسة... .

وهذا عنده قمة الإدراك المفاجئ للجمال، وفسر الفلاسفة الأفلاطونية المحدثون والمسيحيون: بأن كلام أفلاطون في المادية إنما هو تعبير عن استعارة مجازية (الحب)، وترمز إلى توجه الروح إلى الله، و أن هناك طبقات لحقائق الوجود.

آراء أرسطوطاليس

وهو أشهر تلاميذ أفلاطون، أسس مدرسة فلسفية سنة ٣٨٤ ق.م في أثينا، وتعد آراؤه مزيجًا من آراء أستاذه أفلاطون، مع تعديلات وإضافات قام بها، وأهمها ما يأتي:

١. أن إصلاح الإنسان يعد تعبيرًا عن نشاط روحه، تبعًا للفضائل والكلمات التي يسعى إليها.
٢. أن السعادة الإنسانية مرحلة يكون فيها الفكر المنطقي فعلًا وفقًا للفضيلة.
٣. يرى أرسطو أن العقل هو أسمى ما يميز الإنسان من إدراك الفضيلة، واستخدام الطاقة البشرية عن طريق العقل، فالهدف هو الوصول إلى الفضيلة التي تحقق السعادة.
٤. شرح أرسطو حركة الكواكب، وأنها تتحرك مع الظواهر بقوة الإله القادر، الذي هو عند أرسطو العقل الإلهي، وهو عنده الحقيقة التامة الكاملة، وهو المبدئ الأول للوجود، والمحرك الذي لا يتغير ولا يتبدل، فالكون وما فيه يدور حول محبة الحقيقة والعقل.
٥. في رأي أرسطو أن التأمل الإنساني هو أفضل سبيل للوصول إلى إدراك الحقيقة الأزلية (اللاهوت).

وقد تأثر بآراء أرسطو الإسكندر المقدوني الثالث، وقاد جيشًا في حدود سنة ٣٣٦ ق. م أخضع فيه بلادًا مترامية الأطراف، شملت آسيا الصغرى والشام والهند ومصر، وأنشأ مدينة الإسكندرية، وغزا بلاد الرافدين وإيران، وانتشرت في هذه البلاد الفلسفة اليونانية، وقيل: إن غرض الإسكندر كان غرضًا فلسفيًّا في توحيد العالم، الذي اعتقده محققًا لسعادة الإنسان، ومدفوعًا بدوافع الفلسفة اليونانية.

فلسفة أفلوطين المحدثة

وبعد ستة قرون بعثت آراء أفلاطون من جديد على يد مجموعة من الفلاسفة الرومان، أخصهم أفلوطين الذي ولد في الإسكندرية سنة ٢٠٤م، ثم رحل إلى روما، وفيها

نشأت الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، التي استحدثها أفلوطين وغيره من فلاسفة عصره، ويمكن تلخيص آرائها بما يأتي:

١. مزجت هذه المدرسة بين أفكار أفلاطون وأرسطو والمدرسة الرواقية، وركزت أفكارها حول ما وراء الطبيعة، وأن للعالم موجدًا استنتجته هذه المدرسة من فكرة أفلاطون المتعلقة بألوهية المحبة وعلاقتها بالجسد، وترى الأفلاطونية المحدثة أن للفلسفة هدفًا ساميًا، وهو تلمس الحقيقة عن طريق معرفة الخالق، بقصد الاتحاد بالخالق عن طريق التأمل الفلسفي.

٢. وصف أفلوطين الخالق بأنه الواحد المكتفي ذاتيًّا بالخير، وأن الخالق ليس كائنًا ذا حجم وحيز، وأنه ثابت غير متغير أزلي، وهو فوق كل إدراك بشري، ويعبر عنه أحيانًا بالحقيقة المطلقة.

٣. تعتقد هذه المدرسة بالأقانيم الثلاثة: الأقنوم الأول وهو الحقيقة المطلقة. والأقنوم الثاني وهو العقل. والأقنوم الثالث وهو الروح أو النفس.

وبتعبير آخر: ترى هذه المدرسة أن الأقنوم الأول يعبر عن الواحد ذي الحقيقة المطلقة، التي ينبعث عنها العقل، وهي الأفكار الإلهية.

والأقنوم الثاني فهو العقل الثاني، ويفسر بالأشكال التي تنبعث من الإله (الحقيقة المطلقة): كالعدل والجمال والحكمة... .

وأما الأقنوم الثالث فيعبر عنه أيضًا بأنه القوة الخلاقة، التي تشكل العالم المحسوس، وتمد العالم بروح فردية مشخصة، حيث تصبح روحًا بشرية.

٤. وترى الأفلاطونية المحدثة بأن الروح تحاول أن تستكشف طريقًا للخلاص والهروب إلى الموجد، وفسر ذلك إلى الهروب إلى الله وبتعبير آخر الاتحاد بالخالق.

ويرى أفلوطين أن للروح قدرة للانفصال عن العالم المادي، وذلك عن طريق التأمل والتدرج للمسير نحو الخالق، ولكن الروح أيضًا قد تسلك الطريق السفلي، فتنجذب إلى العالم المحسوس (اللذة) إذا هي لم تسلك طريق الزهد والورع.

٥. تسلك هذه المدرسة مسلك الزهد والورع والابتعاد عن أكل اللحوم والاقتصار على المآكل النباتية، التي في اعتقادهم طريق الصفاء الروحي، وقد تأثرت اتجاهات هذه المدرسة ببعض المتوارث من الأساطير والسحر الذي يعين في رأيهم حضور الأرواح.

٦. سميت فلسفة هذه المدرسة فيما بعد بالفلسفة الإشراقية، وذلك بسبب اختلاطها بعناصر من الديانات الشرقية، وخاصة الهندية والفارسية (المجوسية)، وأخص ما ركزت عليه هذه المدرسة فكرة الحلول ووحدة الوجود، التي أشرنا إليها من أفكار أفلوطين، حيث توضحت عند هذه المدرسة فكرة الحلول والاتحاد للروح الإنسانية مع موجدها الأول، واتخذت هذه المدرسة فكرة العرفان كوسيلة من وسائل الإلهام الروحي للوصول إلى الحقيقة.

ونقل زياد الحمام عن الغزالي: أن أفلوطين قال: «وقد وجدت مرات عديدة أن ارتفعت خارج جسدي، بحيث دخلت نفسي، كنت حينذاك أحيا وأظفر باتحاد مع الله»[١].

فالمدرسة الإشراقية سلكت طريق الغنوص (العرفان عن طريق الإلهام)، وذلك للوصول إلى معرفة الحقيقة بخلاف المدارس الفلسفية الأخرى المعتمدة على البرهان، وقد أثرت هذه المدرسة بمفاهيمها السابقة على الفلسفة الإسلامية بشكل عام، وعلى الفرق الصوفية والشيعية بشكل خاص، خاصة فيما تعلق بنظرية الحلول والاتحاد، وفكرة وحدة الوجود، وفكرة العرفان، سنفصل في هذا الكتاب من تأثر من علماء الشيعة وفلاسفتهم بهذه النظرية، وبأفكار هذه الفلسفة الإشراقية: كالسهروردي، والملا علي نوري، والملا هادي السبزواردي، والملا إسماعيل الدرب كوشكي، والشيرازي، والداماد، والفيض الكاشاني، وسعيد القمي، إضافة إلى الحلاج وابن عربي[٢].

---

(١) زياد الحمام: العلاقة بين الصوفية والإمامية، (ص ٨٨- ١٤٦)، ط١، الرياض، دار البيان ١٤٣٢هـ.
(٢) العلاقة بين الصوفية والإمامية، مصدر سابق، (ص ١٤٦).

الفصل الخامس

الديانة اليهودية

في كتابنا (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة) أوجزنا شيئًا من تاريخ اليهود، ثم تحدثنا عن أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، وكيف تسرب لهم عن طريق الإسرائيليات والتفسير، ثم أفكار إسرائيلية استعارها التشيع: كفكرة الألوهية، وتحمل ذنوب الأمة، ونقل الجنائز ودفنها في النجف، وفكرة التثليث والبداء والتابوت، واستعارة معجزات الأنبياء، وخاصة معجزات عيسى عليه السلام ومريم العذراء، وفكرة العنصرية والتميز، واختيار الخالق لليهود، ثم أوردنا جملة من تشابه الأفكار عند الفريقين في مسألة الوصية والأسباط الاثني عشر والمهدي المنتظر، والتضحية بالآخر، وتقديس الأئمة وعصمتهم، وفكرة التقية والرجعة وتحريف كتاب الله، وفكرة تجسيم الخالق. وتناولنا أيضًا التشابه في بعض العادات والممارسات في الصلاة ومناسبات الأعياد والمآتم وزيارة القبور ونكاح المتعة وتحريم أكل الأرنب وبعض الأسماك، وتعطيل أحكام الشريعة، والطعن في الأنبياء وزوجاتهم وأصحابهم، وفكرة الحلول الإلهي، والتأويل الباطني، وتشابه رأى الفريقين بمخالفيهم، ثم أوضحنا وسائل انتقال الفكر اليهودي إلى التشيع التي منها بعض الرجال والرواة والفرق، وبعض المدن كمراكز للانتقال الفكري[1].

والآن نلقي الضوء على أهم الملامح التاريخية اليهودية، وتشابه تلك المراحل وتطورها مع فكر الشيعة وتاريخهم.

مقدمة عن تاريخ اليهود

ملخص لتاريخ اليهود منذ النشأة، وذلك على المراحل الآتية:

---

(١) د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، العبيكان، الرياض ٢٠١٤م.

جدول توضيحي لتواريخ تقريبية لليهود[١]

السنة	الحدث
٢٢٠٠ق.م	خروج إبراهيم عليه السلام من العراق، وعبوره إلى فلسطين
٢١٠٠ق.م	ظهور بني إسرائيل
١٧٨٠ق.م	دخول بني إسرائيل لمصر
١٣٥٠ق.م	خروج بني إسرائيل من مصر
١٣٠٠ق.م	وفاة النبي موسى عليه السلام
١٢٠٠ق.م	استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان بفلسطين
١١٨٩ق.م	استولى يشوع بن نون على البلاد
١٠٩٥ق.م	حكم النبي داود عليه السلام في أورشليم، ليصحح مسار الديانة اليهودية وحكم ٤٠ سنة
١٠٦٠ق.م	حكم النبي سليمان عليه السلام وحكم ٤٠ سنة
٧٢١ ق.م	غزا سرجون ملك العراق مملكة (السامرة) بفلسطين (السامرة الشمالية)
٧٠٠ ق.م	كتبت التوراة
.---..---.	غزا الفرعون (نخو) مملكة يهوذا الجنوب (القدس)
٥٩٧ ق.م	السبي البابلي الأول
٥٨٦ ق.م	السبي البابلي الثاني، وهدم أورشليم والهيكل
٣٨٠ ق.م	كتابة التلمود البابلي
٣٦ ق.م	تخريب الرومان القدس واحتلالها
٢٩ ميلادية	تسبب اليهود بقتل المسيح
٧٠ ميلادية	احتلال الرومان للقدس، وطرد اليهود منها، وبعدها تشتتوا في الأرض إلى أن قامت دولة إسرائيل
٢٢٠٠ق.م	مرحلة التكوين: الديانة البدائية واستخدام اللغة العبرية، منسلخة من الآرامية والكنعانية. خروج إبراهيم عليه السلام من العراق وعبوره إلى فلسطين.

(١) إن السنين الواردة ليست على سبيل التحديد، وإنما هي تواريخ تقريبية؛ ولهذا اختلفت فيها المصادر التاريخية، ونحن إنما نورد تلك التواريخ لمجرد تقريب الأحداث لمفهوم القارئ والمقارنة فيما بينها.

جدول توضيحي لتواريخ تقريبية لليهود[١]

السنة	الحدث
٢١٠٠ق.م	حياة بدوية رعوية والاهتمام فيها بالكبش (الأيل)، وتكوين بلدة إيليا وبيت ايل. ظهور بني إسرائيل (يعقوب) وتوسعهم في بلاد كنعان.
١٧٨٠ق.م	دخول بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية عبادة الثور بدل الأيل واضطهاد بني إسرائيل من قبل فرعون
١٣٥٠ق.م	خروج بني إسرائيل من مصر ومرحلة (التيه). ديانة التوحيد وعبادة الإله يهوا وعبادة العجل من الذهب، متأثرين بالديانة المديانية (مدين).
١٣٠٠ق.م	وفاة موسى عليه السلام قبل وصوله إلى إيليا، ورئاسة يوشع بن نون وصي موسى مرحلة فتح الإسرائيليين لأورشليم ومدن أخرى
١٢٠٠ق.م	استيلاء بني اسرائيل على أرض كنعان مرحلة حروب بني اسرائيل وانتصارهم على الكنعانيين والعمالقة
١٠٩٥ق.م	حكم النبي داود عليه السلام ١٠٦٠ق.م
١٠٦٠ق.م	حكم النبي سليمان عليه السلام مرحلة بناء الهيكل في أورشليم
٧٢١ ق.م	انقسام مملكة إسرائيل إلى يهوذا (أورشليم)، والسامرة (الخليل وما جاورها) غزو الملك سرجون العراقي لمملكة السامرة مرحلة الخلاف السياسي بين الإسرائيليين من جهة، وتمردهم على الحكم في العراق ومصر
٧٠٠ ق.م	كتابة التوراة قيام كهنة اليهود بكتابة التوراة على مراحل زمنية مختلفة، جمعت من ذاكرة الكهنة، وما كان مكتوبًا من تعاليم موسى في الألواح غزو فرعون مصر مملكة يهوذا (أورشليم)
٥٩٧ ق.م	السبي البابلي الأول في عهد نبوخذ نصر
٥٨٦ ق.م	السبي البابلي الثاني وهدم أورشليم والهيكل وسبي اليهود، وجعلهم عبيدًا في بابل

(١) إن السنين الواردة ليست على سبيل التحديد، وإنما هي تواريخ تقريبية؛ ولهذا اختلفت فيهاالمصادر التاريخية، ونحن إنما نورد تلك التواريخ لمجرد تقريب الأحداث لمفهوم القارئ والمقارنة فيما بينها.

جدول توضيحي لتواريخ تقريبية لليهود[١]

السنة	الحدث
٣٨٠ ق.م	كتابة التلمود البابلي مرحلة تأثر اليهود بديانات وادي الرافدين وإدخالها بالتلمود المعتبر شرحًا للتوراة
٢٠٠ق.م	إرجاع ملك الفرس كورش اليهود إلى فلسطين مرحلة بناء الهيكل ثانيًا وبناء أورشليم مرة أخرى
٣٦ ق.م	غزو الامبراطور الروماني بومباي أورشليم تخريب الهيكل تآمر اليهود على قتل النبي زكريا ويحيى عليهما السلام
٢٩ ميلادية	صلب المسيح تآمر اليهود وتعاونهم مع الرومان، وتحريض الحاكم الروماني بيلاطس على قتل المسيح
٧٠ ميلادية	غزو الرومان فلسطين، وتخريب أورشليم تشتت اليهود وخروجهم إلى نواحي مختلفة من الأرض
القرن الخامس	إخراج اليهود من يثرب استيطان مجموعات يهودية في اليمن والعراق والشام وعيشهم بسلام في الدولة الإسلامية
٨٠٠ م ـ ١٠٠٠م	إخراج اليهود من يثرب استيطان مجموعات يهودية في اليمن والعراق والشام وعيشهم بسلام في الدولة الإسلامية
بعد ١٤٠٠ميلادي	طرد اليهود من إسبانيا المسيحية لجوء اليهود إلى تركيا العثمانية، وتسميتهم بيهود الدونمة
من ١٦٠٠ م إلى١٨٠٠م	حقبة التعبئة النفسية والعقائدية قيام يهود أوروبا ومن في الشتات بالمناداة بتجمع اليهود والاهتمام بعقائدهم وكنيسهم
من ١٨٠٠م إلى ١٩٤٨ م	مرحلة التمهيد للعودة إلى أرض الميعاد حقبة العنف والتمرد اليهودي، والمطالبة بحقوقهم في بلاد الشتات وحصول ما يسمى بالمحرقة

(١) إن السنين الواردة ليست على سبيل التحديد، وإنما هي تواريخ تقريبية؛ ولهذا اختلفت فيها المصادر التاريخية، ونحن إنما نورد تلك التواريخ لمجرد تقريب الأحداث لمفهوم القارئ والمقارنة فيما بينها.

جدول توضيحي لتواريخ تقريبية لليهود[١]

السنة	الحدث
من ١٩٤٨ م	قيام دولة إسرائيل واستكمال الهجرة من دول الشتات اضطهاد الفلسطينيين وطردهم من أراضيهم[٢]

هيكل سليمان

ينسب اليهود إلى نبي الله سليمان قيامه ببناء هيكل، وهو عبارة عن معبد أو قصر يشبه الكنيسة الصغيرة، يحوي العرش الذي كان يجلس عليه، وقد يكون مكان استقبال ضيوفه، وربما كان هو المكان الذي وضع فيه عرش الملكة بلقيس ملكة سبأ، وربما يكون هو المكان الذي استقبل فيه الملكة بلقيس، وأن بعض أرضيته كانت من القوارير، حيث أشار القرآن الكريم إلى أن بلقيس حينما دخلت الصرح حسبته لجة من الماء، فرفعت ثوبها، كما يذكر المفسرون.

قيل: إن طوله ١١٣،٧٥ قدم، وعرضه ٣٢،٥ قدم، قام ببنائه مختصون من مدينة صيدا وصور، وبني على طراز متأثر من الطراز الفرعوني والفينيقي. وقيل: إنهم وضعوا فيه لفائف من التوراة في تابوت العهد، وكان الهيكل بعد ذلك رمزًا للقداسة، لا يدخله إلا الكهنة في يوم الغفران مرة في السنة.

وقد هدمه الجيش الآشوري البابلي بأمر من الملك نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م. حين هدم أورشليم كلها، وقد أعيد بناؤه كما يُدَّعى سنة ٢٥١ ق.م. بمساعدة كورش ملك إيران، ولكن الرومان غزو أورشليم، وقضوا على الهيكل سنة ٧٠ م، واستمر حنين اليهود إلى هذا الرمز يمنون أنفسهم بإعادته، ولكن لا يعلمون بدقة أين موقعه، ولهذا تتكرر محاولة الإسرائيليين الحفر في المسجد الأقصى وقبة الصخرة، مدعين أن قواعد الهيكل كانت تحتها، وفي صلاتهم اليوم دعاء يتلى بإقامة وإعادة الهيكل.

(١) إن السنين الواردة ليست على سبيل التحديد، وإنما هي تواريخ تقريبية؛ ولهذا اختلفت فيها المصادر التاريخية، ونحن إنما نورد تلك التواريخ لمجرد تقريب الأحداث لمفهوم القارئ والمقارنة فيما بينها.

(٢) عباس إبراهيم مزهر، مصدر سابق، (ص ٢٧٤).

وكثير من الفرق الدينية تقدس الأبنية أو المعابد أو الأضرحة التي دارت حولها تجمعاتهم وصلاتهم وذبح قرابينهم، وعند الشيعة الاثنى عشرية في تراثهم المسطور في الأحاديث المنسوبة إلى الأئمة أن الإمام المنتظر عند ظهوره سيقوم بأعمال كثيرة، منها إعادة بناء مسجد الكوفة (الذي يسمونه مسجد الإمام علي) معبرين عن نفس الحنين اليهودي للهيكل لما في التاريخ الديني للتشيع لمسجد الإمام علي من قدسية وذكريات من خطبه وأخيرًا كان مكان اغتياله.

ويقوم الشيعة بدفن موتاهم في النجف قريبًا من قبر الإمام علي، ومن لم يتمكن من جلبه إلى النجف لسبب أو لآخر يقومون بإيداعه إلى الأرض، ثم ينقلونه إلى النجف، وتدعي الأحاديث المروية عندهم أن الإمام علي سيشفع لكل من دفن حوله.

ويحاول اليهود اليوم الدخول والحضور إلى المسجد الأقصى مدعين الصلاة، وأنهم يمهدون إلى إعادة بناء الهيكل، وقد تأسست جماعات من اليهود لهذا الغرض، وقد عارضها بعض اليهود المتمسكين بالنص الوارد في كتبهم، بأن إعادة بناء الهيكل لن يتم إلا بعد ذبح البقرة الحمراء، التي لا شية فيها، واستخدام رمادها ودمها في طقوس التطهير، ولن يتم ذلك حسب النص إلا بعد خروج المسيح المنتظر.

وما يتصل بهيكل سليمان حائط المبكى، وقدسيته عند اليهود. قيل: إنه كان هو الحائط الغربي لهيكل سليمان عندما أعيد بناؤه للمرة الثانية، ويصلون عنده على ادعاء بأن الله قريب من هذا الحائط، يسمع دعاءهم، وينظر إلى بكائهم الذي ينصب عادة على هدم الهيكل الذي يمثل قدس الأقداس (بيت الله).

وقد انقسم اليهود حوله إلى قسمين: المتدينين: يرون أن يخصص الحائط هذا للصلاة والبكاء حوله فقط، ويبعد عنه النساء وكل ما هو غير طاهر. والقسم الثاني: اتخذه ساحةً للتنزه وإقامة الحفلات والمناسبات.

ومن الجدير بالذكر: أن الخلاف حول حائط المبكى بين الفلسطينيين المسلمين واليهود أمر قديم منذ العهد العثماني، وقد تكررت حوله جملة من الاشتباكات، كان منها

في عهد الانتداب البريطاني، حيث قررت اللجنة المختصة بفض النزاع، بأن الحائط ملك للمسلمين، ولا بأس من تعبد اليهود حوله[١].

وقد تسمى المعبد اليهودي في بعض الأحيان بلفظة: هيكل، رمزًا إلى هيكل سليمان. وللمعبد تسميات عدة، منها سنياجوج، ومنها الكنيس اليهودي، وقد اختلفت في بنائها وطرازها حسب الأماكن التي يعيش بها اليهود، وعمومًا فإن المعبد يتجه شرقًا إلى القدس؛ ولهذا فإن الحائط الشرقي يكون عادةً السطر الأول من الصفوة، ويأتي وراءهم عموم اليهود من التجار والصفوف الأخيرة قرب الحائط الغربي، يكونون الطبقات الدنيا، وتقام الصلاة يوم السبت، وثلاثة أوقات كل يوم بعد التنبيه ببوق يشبه القرن، ويتلى في الصلاة بعضًا من نصوص التوراة، والمرأة لا تحضر عادة إلى المعبد، بل إن عند بعض مجتمعات اليهود كاليمن المرأة غير مكلفة بالتكاليف الشرعية[٢].

وفي المعبد توضع المنوارة، وهي عبارة عن شمعدان ذي سبعة رؤوس، وقيل تسعة رؤوس، غالبًا توضع فيها شموع الإنارة، ويدعون أن هيكل سليمان كان مضاء بالمنوارة، وقد أصبحت رمزًا لليهودية في مجالات شتى.

ويختلف المعبد عند بعض التجمعات اليهودية بما يسمى عندهم بالمدراس، وهو مكان تدريس الأولاد للديانة اليهودية، وقد تطورت الحاجة عند بعض المجتمعات اليهودية إلى فصل المعبد عن المدراس، كما هو الحال عند الشيعة بالفصل بين المسجد والحسينية، حيث يخصص المسجد فقط للعبادة، والحسينية مخصصةً للأغراض الاجتماعية والمناسبات الدينية.

ولا علاقة لنجمة داود بهيكل سليمان، ولم ترد لا في التوراة ولا في التلمود. وقيل: إن أول ظهورها كان على معابد رومانية، ثم ظهرت رسمًا على المعابد اليهودية في القرن الثالث الميلادي، وتذكر بعض الروايات عند اليهود أن هذه النجمة كانت على درع ابن

---

(١) غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، (ص ٤٧-٦٤)، وما بعدها، ط١، دار الجليل، عمان ١٩٩٤م.

(٢) غازي السعدي: مصدر سابق، (ص ٧٨)، وما بعدها.

داود، وقد اتخذتها عائلة روتشيلد رمزًا في درعهم، ثم اتخذتها الحركة الصهيونية اليهودية رمزًا لها.

والملك داود من قبيلة يهودا، وهي إحدى أسباط إسرائيل الاثني عشر، وقد كونت مع قبيلة بنيامين (سبط بنيامين) المملكة في أورشليم، في حين أن الأسباط العشرة الأخرى انشقوا، وكونوا مملكة إسرائيل في السامرة بقيادة يربعام.

ومن المعروف أن نجمة داود توضع على شواهد القبور اليهودية، كما على كتب الصلوات وعلى الشالات، التي يلتحف بها اليهود، وبهذا أصبحت رمزًا في العلم الإسرائيلي الأزرق.

التوراة والتلمود مصادر اليهودية

إن التوراة عبارة عن التعاليم التي أنزلت على موسى، والتي تسمى بالألواح، ربما إشارة إلى كتابة هذه التعاليم على ألواح من الطين المفخور، وقيل: إن اليهود قد حفظوها في بداية الأمر في تابوت يتنقلون به معهم، وهذه التعاليم عبارة عن أسفار موسى الخمسة، وأضيف إليها فيما بعد سفر الأنبياء والمزامير، وسفر الأمثال، ونشيد الإنشاد، وبقية أسفار الحكمة، وتسمى جميع الأسفار عند اليهود التناخ، وعند النصارى بالعهد القديم.

وقد كتبت التوراة كما يذكر حوالي سنة ٨٠٠ قبل الميلاد، أما التلمود فهو عبارة عن شرح من قبل الرابان (رجال الدين) اليهود للتوراة، وينقسم إلى التلمود البابلي الذي كتب في بابل في العراق منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، والقسم الثاني: التلمود الأورشليمي الذي كتب في القدس، ولكن التلمود البابلي أوسع وأكثر تعاليمًا من الأورشليمي، وقد قسموا التلمود إلى قسمين، هما المشناة والجمارة.

واختلف علماء اليهود في طبيعة التوراة، فمنهم من يرى أنها وحي من الله إلى نبيه موسى، ولكن فيما بعد جرى عليها الكثير من الإضافات والحذف، ويرى آخرون أن نصوصها منزلةٌ في ألواح على نبي الله موسى.

وقد جاء بها لبني إسرائيل، وقد تكسرت تلك الألواح حينما التقى موسى بأخيه هارون غاضبًا مما جرى لبني اسرائيل من عبادة العجل في غيابه، فرجع موسى إلى الطور، وجاء بألواح أخرى. يقال: إن نصوصها اختلفت عن الأولى.

وقد نشأت في اليهودية عدة مدارس تختلف فيما بينها في التمسك بظاهر النص التلمودي، وأخرى سلكت مسلك التأويل والتفسير حسب أهوائها، وهناك مدارس تعد التوراة من صنع الإنسان (رجال الدين)، فقد جاء في قرارات مؤتمر بتسبرج اليهودي الإصلاحي سنة ١٨٨٥م: «إن الكتاب المقدس ليس من صنع الله، بل هو وثيقة من صنع الإنسان، أي أنه نتاج وعي الإنسان التاريخي، وليس مطلقًا خالصًا لا علاقة له بالتاريخ وينوء الإنسان بحمله».

وقد قام كثيرٌ من علماء اليهود الإصلاحيين بتطوير التعاليم الواردة في التوراة، مثال ذلك طريقة إقامة الصلاة، فقد أدخلت المدرسة الإصلاحية الألمانية على الصلاة اليهودية المزامير والموسيقى، وسمحوا بدخول المرأة إلى المعبد، وغيروا كثيرًا من النصوص الدالة على التعصب وشتم الآخر.

و قد تجرأ بعض الشيعة الاثني عشرية إلى القول بتحريف القرآن الكريم، مدعين الزيادة فيه أو النقص منه، وربما تعود هذه الجرأة إلى الاقتداء بما فعله اليهود بتوراتهم، وقد بسطنا هذا الموضوع في كتابنا (جذور التشيع)، وأوضحنا من قال من الشيعة الاثني عشرية بعدم حصول التحريف.

الأسباط الاثنا عشر

كان اليهود قديمًا منقسمين إلى اثني عشر قبيلة سامية، تسمت بأسماء أولاد الأنبياء، خاصةً أولاد يعقوب عليه السلام (إسرائيل)، وهم: روبين وشمعون ولاوى ويهودا ويساكر وزيلين ويوسف وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير.

واختص بيت لاوى بأعمال الكهانة في المعبد، وقسموا أرض كنعان (فلسطين) بعد احتلالها على هذه القبائل، وخاصة في عهد القضاة والملوك، ولكن مملكة إسرائيل

انقسمت إلى دولتين: يهودا والناصرة (إسرائيل)، فانقسمت هذه القبائل بين هاتين الدولتين. ويشير بعض الباحثين إلى التشابه العددي بين اثني عشر إمامًا من أئمة الشيعة الاثني عشرية، وعدد أولاد إسرائيل، أو بمعنى آخر بين عدد نسل الإمام علي من الأئمة وبني إسرائيل.

فهل كان ذلك محض مصادفة أم حسن اختيار من أوائل الشيعة؟

اللغة العبرية

استدعى اليهود اللغة العبرية من أجل تقوية ادعاءاتهم السياسية والدينية، وقد أثبت علماء اللغات أن حروف اللغة العبرية مأخوذة من حروف اللغة الآرامية، مع تعديلات عليها من اللغة الكنعانية، وقد كتب اليهود التلمود البابلي باللغة الآرامية، حيث كانت هي الشائعة، وبعدئذ استخدموا اللغة العبرية القديمة في أثناء وجودهم في أرض كنعان متأثرة باللغة العربية واستعارة من معانيها الكثيرة، ولكن الشتات اليهودي وخاصة في البلاد الأوروبية غَيّر من اللغة العبرية، فأدخل عليها مفردات من اللغات الأوروبية، وهكذا يتضح أن اللغة العبرية هي هجين مركب من اللغة الآرامية والعربية والكنعانية.

أما اللغة العبرية الحديثة المستعملة اليوم، فهي من ذلك الهجين الذي دخله كثير من المفردات الأوروبية، ومن هذا الاستعراض اللغوي يتضح أن النفسية اليهودية متقلبة المزاج، تدعي ميراث غيرها من الحضارات واللغات فتنسبه إليها، وهي في حقيقتها هجين مأخوذ من بقية الشعوب، وهو غير أصلي ولا نابع من حضارة يهودية، وهذا السلوك يستخدمه اليهود حتى اليوم، فيدعون أن الأزياء الفلسطينية وما هو موجود على أرض فلسطين من آثار، نسبوها لأجدادهم ظلمًا، وما ذلك إلا تعويض عن مركب النقص الحضاري، الذي لا جذور له عند الشعب اليهودي، فأنت تستطيع أن تتبع جذور الحضارة الهندية أو الفارسية أو الرومانية أو العربية الإسلامية، ولكن من العسير تتبع ومعرفة حضارة يهودية متسقة في التاريخ والفكر واللغة، فالباحثون بالفكر اليهودي يرجعونه إلى استعارة اليهود من الشعوب، التي سكنوا حولها خاصة شعب وادي الرافدين والفرس والكنعانيين والعمالقة

واليونان والرومان، وقد قام بعض الباحثين في مقارنة بين ما ورد في قانون حمورابي والمعتقدات اليهودية، فوجدوا تشابهًا كبيرًا بينهما.

ادعاء اليهود بأرض إسرائيل

يزعم اليهود أن الكنعانيين في فلسطين إنما هم أولاد حام بن نوح، وأن بني إسرائيل من نسل سام بن نوح، وأن وجود الكنعانيين ما هو إلا تدبير من الرب، لجعلهم حراسًا ليسلموا أرض الميعاد لبني إسرائيل، وهذا مبرر عجيب، ينم عن سلوك الكذب والافتراء، والنصوص المقدسة عندهم تقضي بتقسيم أرض إسرائيل على قبائلهم، وأن أورشليم (القدس) قدسها الرب بالهيكل على الأرض وموجودة أيضًا في السماء، ويرتبط اليهودي بهذه الأرض برباط مقدس، فحتى غبارها هو مطهر للذنوب، وأن اليهود خارج هذه الأرض هم عصاة للرب، ويعتقدون أن أرض إسرائيل تشمل البحار السبعة، وهي: بحيرة طبريا، وبحر سدوم (الميت)، وبحر إيلات، وبحر حليات، وبحر سيبكاي، وبحر اسياميا، والبحر الكبير المتوسط.

أما الأنهار الأربعة، فهي: نهر الأردن، واليرموك، وكراميون، وفيجاه أو بيجاه. ولا حدود لهذه الأرض، إنما حدودها تمتد مع امتداد كثرة سكانها من اليهود (انظر المزمور٢٤/ ٢)، ورد في سفر كتوبوت (١٢٢ب/ ٧٢٨) من التلمود «الغبار في أرض إسرائيل يؤدي إلى التوبة» وورد في المزمور ١٠٢/ ١٥ أن الربان (الكاهن) حيا بن غمدا كان يمرّغ نفسه في تراب فلسطين، وقد كونت الأساطير والخرافات التي سطرها رجال الدين اليهودي في التلمود خاصة ذات الأبعاد السياسية والجغرافية، تمحورت حول أورشليم القدس والهيكل، مما كان له الأثر الكبير في إسرائيل اليوم حين ترسم سياستها على الأرض ومباحثاتهم مع العرب والفلسطينيين، وقد ورد في سفر التكوين ٢٨/ ٣ «الأرض التي أنت مضطجع عليها، أعطيها لك ولنسلك»، وتزيد هذه الأساطير تفسير التوراة، ففي التنائيم يدعي بأن الرب قد طوى أرض كنعان وقدمها إلى إسرائيل، وهذه الأساطير وأمثالها كثيرة والتي يدور حول أرض الميعاد كان لها الأثر السياسي الكبير، حتى في وعد بلفور المشهور، وقد ورد في سفر التكوين١٢– ١ و٢ «وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت

أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلكم أمة عظيمة، وأبارك وأعظم اسمك وتكون بركة»، وفي الإصحاح ١١- ٨ و٩ يقول: «بالإيمان إبراهيم لما دعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيدًا أن يأخذه ميراثًا، فخرج وهو لا يعلم إلى أين؟ بالإيمان تغرّب في أرض الموعد، كأنها غريبة ساكنًا في خيام مع إسحاق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه»، وهذه النصوص لم تكتب لا في عهد إبراهيم وأولاده، ولا في عهد موسى والأسباط، وإنما كتبها الكهنة اليهود بعد الشتات، وبعد السبي البابلي، وذلك حوالي سنة ٧٠٠ قبل الميلاد، وبعد وفاة موسى بحوالي سنة ٦٠٠، حيث كانوا يُمنون أنفسهم بأرض فلسطين والرجوع إليها على ادعاء بأن الرب قد وعدهم إياها، وهذه مجرد خرافة كانت تدور في أذهان اليهود، سعوا فيما بعد لتحقيقها وفي سفر الخروج الإصحاح ٦- ٦- ٨ يقول: « قل لبني إسرائيل: أنا الرب، وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأنقذكم من عبوديتهم، وأخلّصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة، أتخذكم لي شعبًا وأكون لكم إلهًا، فتعلمون أني أنا الرب إلهكم، الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأعطيكم إيّاها ميراثًا أنا الرب». وفي سفر التكوين الإصحاح ١٨يقول: «وقال الرب لإبراهيم: أما أنت فتحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. ويختن منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم».

عقاب الرب لبني إسرائيل بسبب فسادهم

إن أول إشارة وردت في التاريخ الإنساني المتعلقة بنزول آدم وحواء من جنة عدن إلى الأرض وردت في اكتشاف صورة منحوتة على الصخر عند البابليين[1].

وعند اليهود واستنادًا إلى ما ورد في التوراة والتلمود: «فإن الله عندما خلق آدم يسر له زوجته حواء للعيش في جنة عدن، ولكن الشيطان الذي اعترض على خلق آدم طرد من رحمة الله، ففي المقابل أراد الشيطان إغواء آدم وحواء، ليتسبب في إخراجهما من الجنة، فحاول الدخول إليهما من باب الجنة، ولكنه منع من ذلك، فاحتال بأن حل في

---

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، (ص١٥٦- ١٥٩).

الحية التي دخلت إلى الجنة، فقام الشيطان بالإيحاء إلى حواء بأن تأكل من الشجرة المحرمة، فأكلت منها، وأعطت آدم ليأكل أيضًا، فغضب الرب على هذه المعصية، فأنزلهما من الجنة إلى الأرض».

والقرآن الكريم يحكي ما يقارب ذلك، إلا أنه لا يخص المعصية بحواء وحدها، بل بهما معًا.

وقد تناول الفلاسفة منذ القديم هذا الموضوع، وقسموا الناس فئتين: فئة تؤمن بوجود الخالق الذي خلق الانسان ووضع فيه نوازع الخير والشر، وتركه مريدًا لا مجبرًا. فأول معصية كان جزاؤها الإخراج من جنة الخلد إلى أرض الشقاء، حيث تمت فيها أول معصية القتل التي قام بها قابيل لأخيه هابيل، ويرى الفلاسفة أن كل قوم أو فرد يرى الخير أو الشر بمقياسه وميزانه الخاص، أما الفئة الثانية من البشر فهي التي رفضت الاعتراف بوجود خالق ووجود جنة ونار سيتم فيها الثواب والعقاب في يوم الحساب.

وبعض الفلاسفة وعلماء النفس يعتبرون الجنين في رحم أمه كأنه في جنة عدن، ولكن حينما تبدأ عضلات الرحم بالضغط عليه لإخراجه يبدأ بالبكاء، معتبرًا أن تلك عقوبة لا يعرف سببها، وعند الكبر يتمسك ويود الرجوع إلى جو يشبه الرحم في توفير السلام وجميع الحاجات، ويرون أن كثيرًا من الشعوب تعتقد بأن رجوع الجسد الإنساني إلى الأرض نوع من الاشتياق إلى الرحمة والرحم، وقد حاول الكاتب عباس إبراهيم مزهر تطبيق ما سلف من الناحية النفسية على اليهود بالنسبة إلى موضوع الخروج (من الجنة) كعقاب لهم، ثم توبتهم، وأن الله قد وعدهم بالرجوع إلى أرض الميعاد (الجنة)، فقد حلل وجود اليهود في أرض فلسطين بأنه يشبه الإقامة في الجنة، ولكن ذنوبهم الكثيرة وخاصة قتل الأنبياء وفعل الشر بمناسبات كثيرة، أشارت إليها نصوص التوراة، «فعلوا الشر بعيني الرب ولهذه الخطيئة سلط الرب عليهم آشور»، (الشعب الآشوري القادم من العراق)، حيث هُدم الهيكل وسبى اليهود، فأخرجهم من جنتهم حيث بدأت مدة الحنين في الشتات بالرجوع إلى أرض الميعاد (جنة عدن)، وبعد رجوعهم واستقرارهم نُعموا بالسلام تحت

الحكم الروماني، ولكنهم قتلوا الأنبياء الذين ظهروا في تلك الحقبة، مثل زكريا ويحيى، ثم آذوا مريم ورموها بأبشع الشرور، وساقوا نبي الله عيسى إلى الصلب، وهذه الشرور وغيرها سلطت عليهم الرومان في عهد (طيطوس)، فهدم أورشليم وطرد جميع اليهود من فلسطين فتشتتوا في الأرض مرة أخرى وأخذوا يحلمون بالرجوع إلى أرض الميعاد (الرحم أو الجنة)، إلى أن تعاهدت الصهيونية العالمية بتحقيق هذا الحلم وإقامة دولة اسرائيل[١].

وأورد الكاتب نص أشعيا ٦٠٥ / ١٠ «ويل لآشور، قضيب غضبي، والعصا في يدهم هي سخطي، على أمة منافقة أرسله، وعلى شعب سخطي أوصيه، ليغتنم غنيمة، وينهل نهبًا، ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة».

وفي أرميا /٢٧ /٩٠٨ «ها أنا ذا أرفع هذه المدينة- القدس- ليد ملك بابل، فيحرقها بالنار، وأجعل مدن يهوذا خربة بلا ساكنين».

وورد في حزقيال/ ٥/١٦٠٥ «وهكذا قال السيد الرب: هذه أورشليم.... فخالفت أحكامي، لأجل ذلك يأكل الآباء الأبناء في وسطك، والأبناء يأكلون آباءهم، وأجري أحكامًا، وأذري بقيتك كلّها في كل ريح، وأجعله خرابًا وعارًا بين الأمم التي حواليك أمام عيني كل عابر، فتكون عارًا وتأديبًا دهشًا للأمم التي حواليك.... أنا الرب تكلمت».

وورد أيضًا في أرميا/ ٢٣/٤٠٣٩ «لذلك ها أنا ذا أنساكم نسيانًا، وأرفعكم من أمام وجهي، أنتم والمدينة أورشليم، التي أعطيتكم وآباءكم إياها، وأجعل عليكم عارًا أبديًّا وخرابًا أبديًّا لا ينسى».

وكل هذه النصوص تلخص الحقيقة التاريخية، التي تدل على الفساد والشرور، التي فعلها اليهود في فلسطين، فاستحقوا بذلك غضب الرب، فسلط عليهم من طردهم إلى الشتات.

---

(١) عباس إبراهيم مزهر: زلزال في أرض الميعاد، (ص ٢٦٠)، بيروت سنة ٢٠١٢م، دار ومكتبة البصائر.

أصل الجنس اليهودي

تشير أبحاث علماء الاجتماع والأجناس وعلماء التاريخ من الشرقيين أو الغربيين إلى أن اليهود عبارة عن أجناس مختلفة، يتحدد جنسها بالزمن الذي ظهرت فيه، وبالمكان الذي تكونت فيه تلك المجموعات اليهودية، وعلى هذا الأساس يمكن استعراض الجنس اليهودي، مقسمًا حسب الزمان والمكان كما يأتي:

١. الذين عبروا نهر الفرات مع نبي الله إبراهيم متجهين إلى أرض كنعان في حدود سنة ٢٢٠٠ ق.م تقريبًا كانوا من الأكاديين من وادي الرافدين، وهؤلاء من الجنس السامي.

٢. اختلط أولئك الساميون بالكنعانيين سكنة أرض فلسطين وما حولها، وأصبحوا جنسًا ساميًا؛ لأن الكنعانيين من الأقوام السامية نزحت من الجزيرة العربية، (الألف الرابع قبل الميلاد)، وتتحدد هذه الحقبة تقريبًا ما بين ٢٢٠٠ق.م إلى ١٣٠٠ ق.م. فكانت حياتهم يغلب عليها البداوة والرعي والتنقل، وفي هذه الحقبة تكونت اللغة العبرية بينهم، وهي من أصول اللغة الآرامية، التي كانت لغة الأقوام الذين قدموا من وادي الرافدين إلى أرض كنعان، فامتزجت هذه اللغة باللغة الكنعانية المحلية، وأنتجت ما يسمى باللغة العبرية.

وغلب على هذا الجنس في آخر هذه المدة بنو إسرائيل من نسل يعقوب، وهم الذين هاجروا إلى مصر الفرعونية.

٣. الإسرائيليون الذين دخلوا مصر بعد نبي الله يوسف بن يعقوب اختلطوا بالمصريين الفراعنة، وعملوا في الفلاحة، واستغلهم الفراعنة عبيدًا وخدمًا أذلاء. ولكون الفراعنة المصريين من جنس سامي فيمكن القول باستمرارية الجنسية السامية، برغم الاختلاط بين بني إسرائيل والمصريين الفراعنة.

٤. مدة خروج بني إسرائيل من مصر سنة ١٣٥٠ ق.م. تقريبًا، وسكنهم في سيناء في هذه المدة اختلطوا مع المديانين، وتأثروا بهم، ولكون المديانيون شعبًا ساميًا أيضًا، فيمكن القول باحتفاظ المجموعة اليهودية بجنسها السامي حتى هذا التاريخ.

٥. زحف يهود بني إسرائيل على بلاد كنعان وحروبهم واستيلائهم على كثير من المدن، وأهمها أورشليم بقيادة وصي موسى يوشع بن نون في حدود سنة ١٣٠٠ ق. م. تقريبًا.
٦. منذ عهد الملوك سنة ١٠٩٥ ق.م. تقريبًا إلى سنة ٥٩٣ ق.م. تقريبًا انقسمت إسرائيل إلى دولتين: يهوذا والسامرة. ويمكن القول في بقاء غالبية اليهود في هذه المدة على جنسها السامي.
٧. مدة السبي البابلي وشتات اليهود ما بين ٥٩٣ ق.م. تقريبًا إلى ٧٠ ميلادية، حيث اختلط الإسرائيليون اليهود في هذه المدة بجنسين، وهما البابليون من الجنس السامي وبالفرس من الجنس الآري، ويمكن القول في هذه المدة بدخول كثير من الفرس للديانة اليهودية، خاصة في مدن الفرس التي استوطنها اليهود مثل مدينة مأخوزا ومدينة شكنزب.
٨. مدة إرجاع اليهود من العراق إلى فلسطين بقوة الملك الفارسي كورش سنة ٢٠٠ ق. م. إلى ٧٠ ميلادية تقريبًا، وفي هذه المدة أعاد اليهود بناء الهيكل، ويمكن القول: إن جنس الآري من الفرس المتهودين أدخلوا لأول مرة اختلاط الجنس الآري بالجنس السامي، وإن كان على شكل محدود.
٩. مدة الشتات لليهود وضياعهم في أصقاع الأرض، حيث يمكن تتبع أهم مجموعاتهم كما يأتي:

أ. **المجموعة التي سكنت يثرب**

هذه المجموعة عبارة عن قبائل مختلفة من بني إسرائيل، ومن أقوام اختلطت بهم من أجناس مختلفة، وقد جاؤوا إلى يثرب بعد الغزو البابلي لأرض فلسطين، كما تقدم إلى أن أخرجوا من يثرب بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ٨ هجرية، وهم بنو قينقاع داخل المدينة وبنو النظير وبنو قريظة خارج المدينة ويهود خيبر ووادي القرى، وغالبية هؤلاء من الجنس السامي الذي لا يبعد اختلاطه بالجنس الآري الفارسي كما تقدم، وقد دخل فيهم عرب من قبائل عربية شتى تحالفت معهم.

ب. **يهود اليمن**

هناك عدد من الآراء في أصل يهود اليمن، فمنهم من قال: إنهم جاؤوا مع

بلقيس ملكة سبأ من فلسطين في حدود ١٠٦٠ ق.م تقريبًا بعد زيارتها إلى الملك سليمان، ومنهم من قال: إنهم جاؤوا بعد هدم نبوخذ نصر للهيكل سنة ٥٩ ٣ ق.م. تقريبًا هاربين من الجيش الآشوري.

وهناك نظرية ثالثة تقول: إنهم جاءوا من فلسطين سنة ٧٠ ميلادية تقريبًا بعد غزو الرومان لفلسطين، وتشير الدراسات إلى أن ملك اليمن الحميري ذا نواس قد تهود، فانتشرت اليهودية في حِمْيَر، وتشير المصادر العربية إلى ما يسمى متهودة العرب في اليمن، فإذا أضفنا إلى حقيقة اختلاط الجنس الفارسي وحكم فارس لليمن قبل الإسلام أدركنا صعوبة احتفاظ يهود اليمن بجنسهم الأصلي السامي، إضافة إلى أن النفوذ الحبشي كان واضحًا على اليمن، ممثلًا بإسناد من الإمبراطورية الرومانية المسيحية، وقد أدى الصراع بين تلك الأطراف إلى ضعف العنصر اليهودي اليمني، خاصة في نجران بعد حادثة الأخدود المشهورة.

ج. **يهود الخزر**

أما يهود الخزر فقد أثبت العلماء أن أصلهم من جنسٍ قوقازي وتركي، وقد اعتنق ملك الخزر الديانة اليهودية في القرن الثامن الميلادي، واستمرت هذه المملكة اليهودية الخزرية إلى آخر القرن العاشر الميلادي، وقد علل بعض العلماء اعتناق هذه المملكة لليهودية لرغبتها في البقاء على الحياد بين ضغط الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الإسلامية، وكانت هذه المملكة تمتد من نهر الفولجا إلى بحر قزوين والبحر الأسود، فانتشر يهود الخزر في كل من لتوانيا وأوكرانيا والقرم والمجر وبولندا، حيث استولت الدولة الرومانية في القرن الثالث عشر على هذه المناطق.

ويؤكد العلماء أن غالبية يهود أوروبا هم من يهود الخزر الذين انتشروا في شرق أوروبا، وأن هؤلاء هم من جنسٍ آري لا علاقة له بالجنس اليهودي السامي، وهؤلاء اليهود يمثلون القوة الأساسية في يهود إسرائيل اليوم، ويسمونهم بالأشكيناز الذين يحكمون إسرائيل اليوم، خلافًا ليهود الشرق وإفريقيا (السفارديم)، الذين يعملون في الوظائف الدنيا.

د. **يهود إمارة حدياب شمال العراق**

وهي المسماة اليوم بالعمادية، وقد تأسست في القرن الأول الميلادي من قِبل بعض يهود بابل، وامتد نفوذها إلى نصيبين وحران وماردين وجزء من أرمينيا، حيث اعتنق ملك حدياب (إبراط) وأمه هيلانة الديانة اليهودية بتأثير من اليهود القادمين من بابل، وكانت هذه الإمارة تحت نفوذ الدولة البرثية الإيرانية ومركزها طيزفون، وامتد نفوذ الإمارة اليهودية ثمانين سنة، إلى أن غزاها الإمبراطور الروماني (تراجان ١١٥م -١١٦م ميلادية)، ويذكر العلماء أن سكنة هذه الإمارة هم من الأرمن الذين اعتنقوا اليهودية بسبب انتشارها في هذه المنطقة وفي هذه الحقبة، وتحول اليهود الأرمن هؤلاء إلى المسيحية وفي مدة متأخرة عاشوا في ظل الحكم الساساني الإيراني إلى ما قبل الفتح الإسلامي، وقد بقيت في هذه المنطقة شراذم من اليهود متفرقة حتى القرن الثاني عشر الميلادي، ويقر العلماء بأن غالبية هؤلاء اليهود كانوا من الجنس الأرمني الآري، ولا علاقة لهم بيهود الجنس السامي، واليهودية دخلت إليهم عن طريق التبشير من تجار يهود بابل.

هـ. **يهود مصر**

يشير المؤرخون إلى أنهم من أجناس شتى، فمنهم آدوميون وعموريون وبابليون وحيثيون وعمونيون دخل أكثرهم اليهودية عن طريق التبشير، لا عن طريق الرحم اليهودي، الذي يدعي به اليهود.

و. **يهود الفلاشة وشمال إفريقيا**

وهؤلاء اليهود من أجناس مختلفة ومختلطة فيما بينها، فمنهم من قبائل عربية، ومنهم من البربر، ومنهم من الأفارقة ذوي البشرة السمراء وشعر الرأس (الأكراد)، وقد نزحوا اليوم إلى إسرائيل يعملون في الأعمال الدنيا.

ز. **يهود إسبانيا**

يعدون في غالبيتهم من الجنس الإسباني المحلي، الذي اعتنق اليهودية عن طريق يهود المغرب من التجار والمهاجرين منذ القرن الخامس الميلادي، وقد

تعرض يهود الإسبان إلى الاضطهاد وإجبارهم على الدخول في النصرانية خاصة في عهد القوط المتعصبين إلى الكنيسة، ولما جاء الفتح الإسلامي إلى الأندلس اعتبر يهود الأندلس الفاتحين المسلمين منقذين لهم من اضطهاد نصارى الإسبان، وعلى أي حال فإن غالبية يهود إسبانيا هم من الجنس الآري الإسباني، واعتنقوا اليهودية عن طريق التبشير لا عن طريق الرحم، ومن الجدير بالذكر أنه بعد سقوط الحكم العربي الإسلامي في الأندلس، قام نصارى الإسبان بطرد اليهود مع العرب سوية، وقد ذهب غالبية يهود الإسبان هؤلاء إلى تركيا العثمانية، وسموا بيهود الدونمة[١].

اليهود في الجزيرة العربية قبل الإسلام

هنالك إشارة وحيدة في التوراة (الأسفار) أن قبيلة بني شمعون قد نزحوا من موطنهم إلى الجزيرة العربية، مرورًا بصحراء سيناء مختلطين بقبيلة معان، ويؤرخ بعضهم هذه الهجرة سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد على خلاف بين الباحثين، وذكر أن جماعة من اليهود بعد السبي البابلي من قبل ملك آشور في القرن الخامس قبل الميلاد نزحوا إلى الجزيرة العربية، واستوطنوا يثرب حيث تغلبوا على من فيها من العماليق، وحلوا محلهم في الزراعة، وكل ما ذكر على خلاف في تفاصيل في الروايات التي ذكرها المؤرخون، ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ اليوناني استرابو الذي رافق الجيش الروماني الفاتح لبلاد عسير قبل الإسلام ذكر من القبائل قبائل معان وعاصمتها قرن، وقبائل سبأ وعاصمتها مأرب، ودولة ثمنا، وكانت في جهة باب المندب، ومملكة حضرموت وعاصمتها شبوة، حيث كان في هذه المناطق تجمعات من بني إسرائيل هاجروا إليها في ظروف تاريخية مختلفة.

وفي سنة ٧٠ بعد الميلاد هاجمت الجيوش الرومانية مملكة يهوذا والسامرة، فهدموا أورشليم، وفر اليهود مهاجرين إلى أصقاع مختلفة، فمنهم من ذهب إلى العراق، ومنهم

(١) عباس إبراهيم مزهر، مصدر سابق، (ص ٣٩٣).

من ذهب إلى اليمن، ومنهم من ذهب إلى يثرب، حيث ذكر الطبري في تاريخه: أن بني قريظة وبني قينقاع وبني بهدل نزحوا من الشام إلى يثرب بعد ظلم الرومان لليهود[١].

ولكن اليعقوبي في تاريخه يذكر: أن يهود يثرب تسموا بأسماء الأماكن التي نزلوا فيها، وأن أغلبهم كانوا من أصول عربية، وليسوا من أصول يهودية، ويرى أن بني النضير هم فخذ من جذام فتهودوا ونزلوا جبلًا يدعى النضير، وكذا بنو قريظة نزلوا جبل قريظة[٢]، وقد أقاموا الحصون والآطام ليتحصنوا بها عن هجمات الأعداء، فمن هذه الحصون: حصن الأبلق لجد الشاعر السموءل ابن عادية، وحصن القمومي لبني أبي الحقيق، وحصون السلالم والوطيج وناعم لسعد بن معاذ، ويرى المؤرخ السمهودي في كتابه عن المدينة أن اليهود كانوا أكثر من عشرين قبيلة، تفرقوا في خيبر وفي وادي القرى، واشتغلوا في الزراعة، وصناعة السيوف والدروع، وصياغة الذهب، وتعاملوا بالربا، واتصلت تجارتهم بالشام واليمن، أما لغة الحديث بينهم فممتزجة بين العربية والعبرية، ومن أحبار اليهود الذين دخلوا الإسلام كعب الأحبار وعبدالله بن سلام.

علاقة العرب بيهود يثرب

تشير المصادر التاريخية إلى أن يهود يثرب قد نزلوها قبل غيرهم من العرب، ولكن بطن الأوس والخزرج، وهم من قبيلة الأزد اليمانية نزلوا على اليهود في يثرب بمجموعات متفرقة على مدى من الزمن، يبدو واسعًا. وقد قيل: إن سبب خروج الأوس والخزرج وهجرتهم من اليمن (مأرب) هو انهيار سد مأرب، وحدوث سيل العرم، الذي أشار إليه القرآن الكريم، وعلى أصح التحقيقات يبدو أن وقت هذه الهجرة كان قد بدأ قبل قرن من ظهور الإسلام، وتذكر الروايات أن الأزد الذين خرجوا من اليمن اتجه بعضهم إلى عمان، واتجه آخرون إلى بلاد الشام (الغساسنة) كما اتجه بعضهم إلى إمارة الحضر وإمارة المناذرة في العراق (مملكة الحيرة)، فكان لليهود في بداية الأمر السيادة على يثرب، ولكن شيئًا فشيئًا تمكن الأوس والخزرج من مزاحمة اليهود على أعمالهم ومكاسبهم.

---

(١) انظر: كتابنا أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة (يهود اليمن).

(٢) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، (ص ٩)، مطبعة الاعتماد بمصر ١٩١٤م.

ويذكر بعض المؤرخين أزمانًا من العداء بين الطرفين، منها ما ذكره السمهودي: أن الفطين (ملك اليهود) كان يدخل بالعروس الأخدود إلى زوجها إلى أن تمكن مالك بن عجلان من قتله، والذهاب إلى ابن جبيلة من ملوك غسان، شاكيًا مظالم اليهود لبني جنسه من الأزد، وقيل: إنه تم تدبير مكيدة لبعض رؤوس اليهود، الذين قدموا لزيارة ابن جبيلة، حيث قتلوا جميعًا، وبدأ نفوذ اليهود يضعف أمام الأوس والخزرج، حيث اضطر بعض اليهود إلى التحالف مع أحياء من الأوس والخزرج، ويبدو أن ملوك الغساسنة من آل جفنة (وهم من الأزد) راغبون في تنفيذ وكسر شوكة يهود يثرب، ليس فقط انتصارًا لبني قومهم من الأوس والخزرج، بل أيضًا انسجامًا مع رغبة الإمبراطورية الرومانية، وما تحمله من دوافع نصرانية ضد اليهود، وذكر السمهودي في كتابه عن تاريخ المدينة: أن مالك بن العجلان شكا إلى ملك اليمن (تُبَّع الأصغر) مظالم اليهود للعرب، وكان تُبَّع هذا تحت نفوذ ملك الحبشة النصراني، فتعهد تُبَّع بأن يذل اليهود.

والحقيقة أن اليمن في تلك الحقبة كان نهبًا بين السيادة الإيرانية اليهودية والسيادة الرومانية النصرانية، فقد انتشرت اليهودية في بلاد حِمْيَر، وقيل: إن الملك ذا نواس اعتنق اليهودية، وسار بجيشه إلى نجران، وعمل فيها المقتلة المشهورة للنصارى، وحرقهم في الأخدود.

وبعد هذه الحادثة قامت الحبشة بقيادة أبرهة للانتصار للنصرانية في نجران، وقتل اليهود فيها، ثم مسير أبرهة بجيشه لاحتلال مكة على ما هو مشهور.

وكانت العلاقة بين أبناء العمومة الأوس والخزرج جيدة، ولكنها تكدرت في حرب يوم بعاث (قبل خمس سنوات من الهجرة)، فقد حصل سوء تفاهم بين سيِّدين من الأوس والخزرج، فكان سيد الأوس أبو قيس ابن الأسلت الوائلي قد تحالف مع يهود بني قريظة وبني النضير، فخافت الخزرج من أن ينتصر اليهود للأوس، ولتطمينهم طلب الخزرج من اليهود تأمينًا من أبنائهم، فأرسل اليهود أربعين شابًّا تفرقوا في أحياء الخزرج بوصفهم رهائن، وهدد الخزرج اليهود بأن يتحالفوا مع بعض العرب المجاورين، كيدًا لحلف الأوس مع اليهود، وطالب الخزرج اليهود بترك منازلهم، وإلا قتلوا الرهائن، وطالبوا اليهود بأن

ينبذوا التحالف مع الأوس فامتنعوا عن ذلك، فقتل الخزرج أكثر الرهائن، إلا أن بعضهم قد أطلق ما تحت يده من الرهائن، فنشبت الحرب بين الأوس والخزرج، وانتصر بنو النضير وبنو قريظة للأوس، فكان يوم بعاث يوم انكسار الخزرج، وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم حاول بعض اليهود أن يحدث فتنة بين الأوس والخزرج، حينما ذكر يوم بعاث، وما دار حوله من أشعار، فتنادى القوم للحرب، لولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج إليهم وخطب فيهم موعظة هدأت النفوس الثائرة.

ومن الجدير بالذكر أن يهود بني قينقاع قد مالوا مع الخزرج يوم بعاث، فتولى بنو النضير وبنو قريظة تأديبهم والانتقام منهم.

وكان من نتائج هذه الحرب أن استقر رأي أكثر الأطراف من الأوس والخزرج واليهود على تنصيب عبدالله بن أُبَي ملكًا عليهم، لتمسكه بالحياد وإطفاء شرور الحرب، ولكن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب أوقفت هذا التوجه، فما كان من عبدالله بن أبَي إلا أن يكون على رأس المنافقين برغم دخوله الإسلام حاقدًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المهاجرين.

علاقة العرب بيهود الحجاز

إن وجود اليهود وخاصة في يثرب مدة طويلة وانتشار بعضهم للسكن في مكة وتيماء ووادي القرى مدة طويلة أحدثت علاقة بين الطرفين بالرغم من اختلاف الديانة الوثنية عن الديانة اليهودية، ويمكن تلمس هذه العلاقة بإيجاز بالنقاط الآتية:

١. ظهر بين اليهود كثير من الشعراء الذين شاركوا بشعرهم العربي في الأحداث والعلاقات بين الطرفين، سواء كانت في الاتجاه السلبي أو الإيجابي، ويشهد على هذا ما خلفه لنا شعر السموءل ابن عادية اليهودي، الذي كان يسكن قصر الأبلق في تيماء، وكذا شعر كعب بن الأشرف اليهودي في يثرب، وغيرهم كثير من شعراء اليهود.
٢. كان العرب وحتى المسلمين بعد الإسلام يعدون اليهود (أهل العلم الأول)، وينظرون إليهم نظرة احترام لما بأيديهم من كتاب سماوي، والقرآن الكريم

مليء بمواضع كثيرة في مدحهم وذمهم، وهذا يدل على علاقة فكرية كبيرة بين الطرفين.

٣. إن الطرفين كليهما من أصل سام، يجمعهم إبراهيم الخليل، فاليهود هم أولاد إسرائيل (يعقوب)، والعرب من أولاد إسماعيل، ولغة الطرفين متشابهة مع بعضها في التكوين، مما دفع بعضهم إلى القول بأن اللغة السامية (المفترضة) تجمع بين الطرفين.

٤. يقال: إن فكرة النسأة (الزيادة) الموجودة عند اليهود بإضافة سبعة شهور قمرية على تسع عشرة سنة قمرية، حتى تكون الجميع تسع عشرة سنة شمسية، فيقال: إن العرب أخذوا هذه الفكرة أيضًا لحساب تعداد سنواتهم، خاصة الأشهر المتعلقة بالأشهر الحرم، التي أثبتها القرآن الكريم بعد ظهور الإسلام ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ٣٦.

كما قيل: إن العرب قد استعاروا اسم يوم السبت من اليهود، وكذلك كانوا يسمون يوم الجمعة يوم عروبة، كما قيل: إن تقليد العرب في نفرة الحج كانوا ينتظرون الإشارة من صوفة، وتعني بالعبرية (الحارس) تؤقت لهم وقت النفرة من عرفات إلى مزدلفة قبل الإسلام، وأن هناك في اليهودية ما يشبه هذا العمل بالنسبة إلى توقيت بعض الشعائر اليهودية، كما قيل: إن (منى) كان اسمًا لإله الخمر عند اليهود، حيث ورد اسمه في سفر أشعيا.

علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بيهود يثرب

يمكن أن نختصر هذه العلاقة بالنقاط الآتية:

١. لم يكن في مكة حين البعثة من اليهود إلا أفرادًا يمرون لأغراض تجارية، وقد ذكر أن شاعر اليهود كعب بن الأشرف جاء إلى مكة يعزي قريشًا بشعره بعد انكسارهم في معركة بدر، كما ذكر أن بمكة عبدًا يهوديًّا اسمه عبدالدار بن حبر أسلم، فضربته قريش، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أعتقه هو وزوجته.

٢. بعد رفض قريش دعوة الرسول وكذلك رفض أهل الطائف لم يستجب من أهل مكة إلا قلة مضطهدة اضطرت للهجرة إلى الحبشة، ولكن قومًا من الخزرج قدموا من يثرب، فالتقى بهم الرسول صلى الله عليه وسلم في العقبة، فعرض عليهم الإسلام فوجدوا فيه بغيتهم واستعدادهم لاعتناقه (بيعة العقبة الاولى)، فيرى بعض الباحثين أن موافقة الخزرج للدخول في الإسلام رغبة منهم متأثرين بما سمعوه من يهود يثرب من تعاليمهم، ومن تنبئهم بظهور النبي الجديد، هذا من جهة ومن جهة أخرى أرادوا من يعضدهم بعد انكسارهم يوم بعاث.

وقد حاولت قريش استخدام يهود يثرب ضد دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن بيعة العقبة الثانية التي كان فيها بعض بطون الأوس قد فتحت الباب للإسلام للدخول في يثرب، مبشرًا به مصعب بن عمير قبل الهجرة، ومع أن بني قريظة كانوا قد تحالفوا مع الخزرج، ونالتهم الهزيمة يوم بعاث على يد الأوس وبني النضير.

وبعد الهجرة تحالف اليهود مع قريش ضد المسلمين في معركة الأحزاب، وكان أكثر يهود يثرب رافضين للإسلام، يقودهم كعب بن الأشرف من بني قريظة، وكذلك فعل ابن أُبَي، أما عبدالله بن سلام ومخيريق فقد كانوا من أقرب اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم إضافة إلى كعب الأحبار.

وبعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب كان يأمل دخول اليهود في الإسلام لأنهم أهل التوحيد، ويؤمنون بما جاء به موسى عليه السلام، وفي بادئ الأمر يبدو أن اليهود قد رحبوا بالنبي ودعوته طمعًا في استعلائهم على مكة، وأخذ مركزها التجاري؛ ولهذه المعطيات عقد معهم معاهدة ودية، كان أهم ما ورد فيها: «... وإن من تبعنا من اليهود فإن النصر والأسوة غير مظلومين ومتناصرين عليهم.... وإن اليهود ينفقون ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين....لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.... وإن عليهم النصر لمن داهم يثرب.... »[1].

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي (٢/٤٩-٥١) (طبع ليدن).

وينتظم اليهود في يثرب على شكل طوائف تتجمع حول الحوييلي: آطام في رؤوس الجبال، حيث يجمع فيها المحاصيل الزراعية والسلاح، وكل ما هو ثمين عند الطائفة ورئيسها، وفي أسفل الجبل تكون الزراعة والنشاط التجاري، فكانوا يلجؤون إلى الحصون والآطام إذا ما داهمهم العدو، ولم يكن اليهود على كلمة واحدة، بل كانوا متفرقي الأهواء والولاءات، مما صعب معه اندماجهم ودخولهم في الإسلام، بل مناصبة الإسلام العداء بعدئذٍ.

ويمكن تقسيم موقف اليهود في النهاية من المسلمين كما يأتي:

١. يهود بني قينقاع

كانوا يسكنون داخل المدينة وكان احتكاكهم مع المسلمين كثيرًا، فازدادت المناقشات الدينية بينهم، وقد سجل القرآن الكريم كثيرًا من هذه المناقشات وعنف اليهود على أسئلتهم التي قُصد بها إحراج الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ومن أمثلة ذلك تغيير القبلة في الصلاة، وكان الخزرج أشد الناس عداءً لليهود، وخاصة ما بَدَرَ من المنافقين الذين يقودهم عبدالله بن أبي، ولكن بعد انتصار المسلمين في معركة بَدْرٍ عرض المسلمون الإسلام على يهود يثرب (خاصة بنو قينقاع) أو الجلاء عنها، فرفض يهود بنو قينقاع الساكنين داخل يثرب دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الدخول في الإسلام، فقرر الرسول إجلاءهم عن المدينة، ولم ينتصر لهم اليهود الآخرون، بسبب أن بني قينقاع كانوا مع الخزرج يوم بعاث، كما ذكرنا سابقًا، في حين كان بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس، وكان يهود بني قينقاع يعتقدون أن الخزرج يمنعون المسلمين من قتالهم، ولكن الخزرج لزموا الصمت ما عدا عبدالله بن أبي الذي طالب الرسول صلى الله عليه وسلم بالإحسان إليهم؛ لأنهم من مواليه، فحاصر المسلمون بني قينقاع خمس عشرة ليلة، نزلوا بعدها على حكم الرسول في إجلائهم، فذهب أكثرهم إلى أذرعات في الشام[1].

---

(١) ابن هشام: السيرة، (ص ١١٤).

٢. يهود بني النضير

كانوا يسكنون خارج المدينة، وهم أهل نخيل وزرع، واتخذوا لهم آطامًا في التلال القريبة لتحميهم من الغزوات ولما جاءت قريش لمعركة أُحد خرج المسلمون لملاقاتهم، وفي الطريق رجع رأس المنافقين عبدالله بن أُبي في كثير من أتباعه من الخزرج، وكان المسلمون يأملون بأن يدخل اليهود وخاصة بنو النضير معهم لقتال قريش، ولكن المعاهدة بين الطرفين تنص على مناصرة المسلمين إذا هوجموا من عدو داخل المدينة، وكان كعب بن الأشرف زعيمًا لبني النضير، وكان يحمل العداء للرسول وللمسلمين، ويميل إلى قريش ضد المسلمين، فقد رثى قتلى بدر من المشركين، فدبر له المسلمون من يقتله في بيته، وقيل: إن المعاهدة مع بني النضير تقضي أن يقاتلوا قريشًا يوم أحد مع المسلمين، ولكنهم رفضوا بدعوى أنه كان يوم سبت لا يصح فيه القتال عندهم، إضافة إلى أنه قد ذُكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذهب مع بعض المسلمين إلى بني النضير طالبًا أن يدفعوا فدية أحد القتلى، تنفيذًا للمعاهدة معهم، وكان جالسًا تحت حائط فتآمر عليه بعضهم بإلقاء حجارة من فوق حائط وقتله، فلما عرف بهذه المؤامرة تركهم، فقرر المسلمون إجلاء بني النضير أيضًا، فحاصر المسلمون بني النضير.

وقيل: إن عبدالله بن أُبي وجماعته كاتبوا يهود بني النضير، ووعدوهم أن ينصروهم ضد المسلمين، ولكنهم لم يفعلوا، فطلب بنو النضير النجدة من يهود بني قريظة فردوا عليهم بالنفي؛ لأن بينهم وبين الرسول معاهدة تمنعهم من ذلك، فالتجأ بنو النضير إلى آطامهم وحصونهم، فقطع المسلمون بعض نخيلهم، وبعد الحصار نزل بنو النضير على حكم الرسول بإجلائهم وحقن دمائهم، وأن لهم ما تحمله إبلهم من متاع، فسار بعضهم إلى يهود خيبر، ورحل الأكثرية إلى الشام، وبهذا تشير سورة الحشر في القرآن الكريم إلى إجلاء بني النضير، ولم يدخل في الإسلام من بني النضير إلا اثنين، وهما (يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب)[١].

---

(١) الطبري: تاريخ، (١٥٨/٣).

٣. يهود بني قريظة

إن بعض أشراف بني النضير نزلوا على يهود خيبر، منهم (سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع)، ثم ذهب هؤلاء إلى قريش بمكة طالبين النصرة ضد المسلمين، ثم ذهب هؤلاء إلى قبيلة غطفان ليتحالفوا معهم ضد المسلمين، وأخبروهم بتحالفهم مع قريش؛ ففي شوال من السنة الخامسة للهجرة حصلت معركة الخندق التي حاصرت فيها عدة أحزاب المدينة مع قريش بعشرة آلاف وغطفان، ويهود بني قريظة ويهود خيبر، فحفر المسلمون الخندق حول المدينة، وأرسلوا من يخذل غطفان ويعدهم ببعض من تمور المدينة، وقام حيي بن أخطب زعيم بني قريظة بإقناع قومه بالانضمام إلى الأحزاب التي حاصرت المدينة، وأن ينبذوا المعاهدة التي كانت بينهم وبين المسلمين، برغم أنه في البداية كان رافضًا الحصار بحجة احترامه لما عاهد عليه المسلمين، فبعد انسحاب غطفان من حصار المدينة دبَّ الخلاف بين زعماء الأحزاب، فقد طالب بنو قريظة القرشيين برهائن من الرجال نظير دخولهم الحرب، وفي النهاية جاءت ريح باردة على الأحزاب فرقتهم وانخذل زعماؤهم، فرجعت قريش إلى مكة، وأخيرًا انضم يهود بني قريظة إلى الأحزاب المحاصرة للمدينة، ونقضوا المعاهدة التي كانت بينهم وبين المسلمين، فلما انفضَّت الأحزاب عن المدينة، ودب بينها الخلاف، ورجعت قريش إلى مكة تجهز المسلمون حالًا للمسير لحرب بني قريظة، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم للمحاربين: «لا تصلُّوا العصر إلا في بني قريظة»[1].

فحاصر المسلمون بني قريظة وهم في آطامهم خمسًا وعشرين ليلة، فلما أجهدهم الحصار نزلوا من آطامهم، واستسلموا للقتل يتقدمهم زعيمهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد، فقد كان هذا القتل من حكم سعد بن معاذ زعيم الأوس، برغم كونهم كانوا حلفاء للأوس يوم بعاث، فكانوا يأملون بأن يحكم عليهم بالجلاء، ولكن نتيجة خيانتهم لعهدهم حكم على مقاتليهم بالقتل -وسبي نسائهم- وأخذ أموالهم، وقد نصحهم زعيمهم كعب بن أسد الدخول في الإسلام، كي يحموا أنفسهم من القتل، ولكنهم رفضوا ذلك ما عدا أربعة منهم دخلوا الإسلام، وقد قسم الرسول صلى الله عليه وسلم أموال بني قريظة

(١) أخرجه البخاري (١٥/٢ رقم٩٤٦)، ومسلم (١٣٩١/٣ رقم١٧٧٠).

على المهاجرين؛ لأنهم في حاجة، واستبقى لبيت المال الكثير، وقد اصطفى من نساء بني قريظة ريحانة بنت زيد فتزوجها، وقد ماتت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد سجلت سورة الأحزاب في القرآن الكريم ما حصل لبني قريظة على يد المسلمين(١).

٤. يهود خيبر

أحس يهود خيبر أن الدائرة ستدور عليهم، خاصة وأنهم اشتركوا في تحريض قريش يوم الأحزاب، فكان زعيمهم سلام بن مشكم يجهز لمحاربة المسلمين، فبادر المسلمون بقتل زعماء يهود خيبر، وهما سلام بن أبي الحقيق واليسير بن رزام، وقد كان يهود خيبر قد اشتركوا مع الأحزاب في حصار المدينة ضد المسلمين، فلما أمن المسلمون من قريش بعد صلح الحديبية تجهزوا لمعركة خيبر في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وقد رفض يهود خيبر الدخول في الإسلام شأنهم شأن بقية اليهود، وقد شارط يهود خيبر قبيلة غطفان أن يدخلوا معهم ضد المسلمين شريطة نصف الثمار، فلما شاهدت غطفان جموع المسلمين المتجهة إلى خيبر أصابها الذعر والذلة، فرجعوا عن الحرب، وزحف المسلمون على حصون خيبر بدءًا من حصن نطاة، حيث دارت حوله أول معركة، توفي فيها زعيمهم اليهودي سلام بن مشكم، وقد كان مريضًا، وفتح المسلمون هذا الحصن، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والسلاح، ثم انتقلوا لحصار حصن ناعم، فقاتل اليهود بقيادة الحارث بن أبي زينب، حيث قُتل وفُتح الحصن بعد استعصائه يومًا على أبي بكر الصديق واستعصائه على عمر بن الخطاب ومن معه، وفي اليوم الثالث أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا فقاتل اليهود عند الحصن، بباب أخذه بيده لحماية نفسه من السهام والرماح هو ومن معه. وقيل: إن المسلمين حاولوا فتح باب الحصن، فأعانهم علي رضي الله عنه فخلعه، وألقى به وجعله قنطرة دخل منها المسلمون إلى داخل الحصن، وبعد فتح هذا الحصن توجه المسلمون لفتح حصن الصعب بن معاذ، وكان لهذا الحصن سور اعتلاه المسلمون بعد جهد، ثم توجهوا إلى حصن الزبير، وقد استعصى حصن معاذ في بداية الأمر، وأصاب المسلمون ضعف من قلة الطعام، حتى إنهم ذبحوا الخيل وأكلوها،

---

(١) ابن هشام: السيرة، (ص ٦٩)، البخاري: الصحيح، (٨٩/٢ رقم ٣٥٤)، وما بعدها.

ولكن بعد فتح حصن الصعب بن معاذ وجدوا فيه مياهًا وثمارًا كثيرة، كما استعصى فتح حصن الزبير لأن داخله مجرى ماء سري، فلما قطعه المسلمون خرج من في الحصن مستسلمين بعد الحصار.

ثم اتجه المسلمون لحصار آخر قلعة على جبل شمران، فحصلت مبارزة بين الفريقين انتهت بهزيمة اليهود وفتح الحصن، ثم اتجه المسلمون إلى حصن القموص فحاصروه عشرين يومًا انتهت باقتحامه، وترك المسلمون بقية الحصون الصغيرة في خيبر التي لا أهمية لها.

وكان في حصن القموص كثير من النساء اصطفى الرسول صلى الله عليه وسلم منهن صفية بنت حيي بن أخطب فتزوجها، وقد كانت زوجة الزعيم اليهودي كنانة بن الربيع.

وقيل: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد صالح من بقي من اليهود في حصونهم وآطامهم أملاً في قيامهم بزراعة تلك الأرض الخصبة التي تحتاج المدينة إلى ثمارها خاصة بعد كسر شوكة اليهود في حصونهم القوية في خيبر، فكان المسلمون يأخذون نصف ثمار تلك الأراضي من اليهود كل سنة، يرسل إليهم عبدالله بن رواحة لأخذ تلك الثمار، وأخيرًا أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بعض المقاتلين بقيادة محيصة بن مسعود لفتح أرض فدك، فصالح الرسول صلى الله عليه وسلم أهل فدك على نصف أرض فدك، فرجع المسلمون دون قتال، فقد كانت ثمار فدك توزع على آل الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأرض كانت من نصيبه، ولكن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ضم ملكيتها أبو بكر إلى بيت المال، واستمر في توزيع ثمارها على آل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يقبل أن توزع على ورثة النبي محتجًا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الأنبياء لا يورثون»[١] خلافًا لمطالبة فاطمة رضي الله عنها، حيث اعتقدت بأحقيتها ملكية فدك ميراثًا، وعند رجوع المسلمين عن طريق وادي القرى قاتلوا من فيها من اليهود وتصالحوا مع بعضهم على ثمار أراضيهم[٢].

(١) أخرجه البخاري (٧٩/٤ رقم٣٠٩٣)، ومسلم (١٣٨٠/٣ رقم١٧٥٩).

(٢) ابن هشام: السيرة، (٦٩/٢)، والواقدي (ص١٩١-١٩٣).

٥. يهود تيماء

ولما سمع يهود تيماء بما حصل لبقية اليهود في الحجاز آثروا أن يدفعوا الجزية للمسلمين، فبقوا على حالهم خاصة وأنهم كانوا قليلي العدد وضعيفي الشوكة[١].

وتذكر بعض المصادر رجوع بعض اليهود خاصة من بني قينقاع وخيبر ووادي القرى إلى أماكنهم، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب قام بإجلاء اليهود من جزيرة العرب، تنفيذًا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»[٢]، واستثنى عمر بعض الأسر اليهودية التي كانت تحمل مستندًا أو تعهدًا من الرسول صلى الله عليه وسلم بإقامتها. ويذكر أن يهودًا كانوا في وادي القرى حتى القرن الحادي عشر، وكذلك ذُكر وجود يهود في تيماء حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وليس بمستبعد أن تحتفظ بعض الأسر اليهودية بيهوديتها في أماكن بعيدة أو منزوية في الجزيرة العربية كنجران[٣].

٦. يهود العراق

نشير باختصار إلى أن اليهود نزحوا إلى العراق في أوقات تاريخية مختلفة، واستوطنوا بعض المدن، ونشير إلى تلك الأوقات كما يأتي:

١. يهود السبي الآشوري: وهم اليهود الذين سباهم الملك الآشوري سرجون حوالي سنة ٧٢٠ قبل الميلاد من المملكة اليهودية، المسماة بالسامرة، وجاء بهم إلى الشمال، فسكنوا العمادية ودهوك وزاخو وزيبار.
٢. يهود السبي البابلي: وهم اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر من مملكة يهوذا (أورشليم)، وجاء بهم في وسط العراق، وذلك على حقبتين سنة (٥٩٦ ق.م) وسنة (٥٨٦ ق.م)، وهؤلاء يمثلون الأكثرية، واشتغلوا بالزراعة، وبعد احتلال الفرس للعراق في عهد الملك كورش قام بإرجاع بعضهم إلى فلسطين.

---

(١) الواقدي (ص ٢٢٤)، وما بعدها، وابن هشام: تاريخ، (٣/١٢٢)، وما بعدها، وتاريخ الخميس، (٢/ ١٦).

(٢) أخرجه مالك (٢/٨٩٢ رقم١٥٨٤)، ومن طريقه البيهقي في سننه الكبرى (٩/٢٠٨ رقم١٩٢٢١).

(٣) تاريخ الخميس (٢/ ٦٤).

٣. متهودة العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية من قبائل شتى، وذلك قبل الفتح الإسلامي، وسكنوا مدينة عانة، وبعض المدن القريبة منها في غرب الفرات.

٤. يهود من قبائل عربية جاءت من الفتح الإسلامي للعراق، وأغلبها من قبائل يمانية، وفي خلافة الإمام علي في الكوفة قيل: إن جماعات يهودية استقبلت الإمام عليًّا فقطع لهم عهدًا على حريتهم الدينية، وقد قدر عدد اليهود آنذاك بـ ٩٠ ألف نسمة، وقد منح الخليفة علماء اليهود لقب (الغاووني) لمدارسهم في مدينة سورا و فومباديتا، وازدهرت أحوال اليهود، وشاركوا في جميع الأنشطة التجارية والعلمية، واهتموا بمعابدهم ومدارسهم، فكان لهم مثلًا حضور كثيف في الكرخ ببغداد، فقد ذكر أنه كان لهم في الكرخ وحده ٢٨ كنيسًا، وازدهرت أحوالهم أيام الرشيد والمأمون، ولكن المتوكل ضيق عليهم.

٥. اليهود في عهد المغول والتتار: ساءت أحوال اليهود عند سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ، مثلهم كبقية العراقيين، ولكن في عهد سلطان التتار أرغون تمتع اليهود بمميزات وحرية كبيرة بسبب اتخاذ السلطان الطبيب اليهودي سعد الدولة مستشارًا عنده، ثم عين السلطان سعد الدولة على خزينة الدولة المالية، كما عين أخاه أمين الدولة اليهودي واليًا على الموصل، كما عين أخاه فخر الدولة اليهودي أمينًا على مزارع العراق، فاتسع نفوذ اليهود إلى أن وصل إلى أوقاف المسلمين، مما سبب ثورة على اليهود، قتل فيها سعد الدولة وإخوته، وبعد تولي تيمور لنك السلطة في العراق تشتت نفوذ اليهود وضعف.

٦. اليهود في العهد العثماني: منذ احتلال العثمانيين للعراق في عهد السلطان سليمان القانوني، وإزالة آثار الحكم المغولي تمتع اليهود بحرية وعيش هادئ ليس فيه ما ينغص حياتهم؛ ولذا فقد جاء إلى العراق يهود جدد خاصة من أصقاع الدولة العثمانية، وحتى حينما احتل الصفويون العراق في عهد الشاه عباس الأول مالأ يهود العراق هذا الاحتلال، وسايروا نوازعه حتى تخلص العراق من نفوذ الصفويين في عهد السلطان مراد الرابع، وفي عهد السلطان عبدالمجيد تمتع اليهود بالمساواة وإلغاء الجزية المفروضة عليهم، وذلك سنة ١٨٥٦م وذلك بإصدار أمر سلطاني تبعه كثير من الإصلاحات في عموم العراق، وقد أنشأ

اليهود في هذه الحقبة، مدارس تُعنى بتدريس الشريعة الموسوية ببغداد، وتخريج علماء وكهنة للمعابد اليهودية، واستقبال كهنة اليهود القادمين من فلسطين، وقد تمتع اليهود في هذه الحقبة بالحرية الدينية، وكتابة شريعتهم باللغة العربية على خلاف يهود كردستان، الذين كانوا يكتبون بالسريانية.

وفي أواخر الدولة العثمانية مالأ يهود العراق لخدمة التجارة البريطانية وما تعلق منها بصلاتهم بالهند، فكانوا في خدمة أغراض شركة الهند الشرقية، التي انتهت جهودها بالاحتلال البريطاني للعراق[١] [٢].

أسماء اليهود الذين ادعوا دخولهم الإسلام

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حاول اليهود إيقاع الفتنة بين المسلمين، من ذلك ما ورد في شروع اليهودي شاس بن قيس بإلقاء أبيات من الشعر وردت في يوم بعاث، وهو اقتتال قديم في الجاهلية بين الأوس والخزرج، فتنادى الطرفان للقتال بسبب ذلك، فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجاءهم يتلو عليهم ما أنزل من القرآن: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٢.

ولما تبين لبعض اليهود انتصار الإسلام في المدينة أظهروا إسلامهم، وأخفوا يهوديتهم، فدخلوا في صفوف المنافقين، ذكر ابن إسحاق منهم: سعد بن حنيف، وزيد بن الصيت، ونعمان بن أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى. ذكر ابن إسحاق أن زيد بن الصيت قال: كيف لا يعلم هذا الرسول أين ضاعت ناقته؟ وهو يدعي بعلم السماء!!! فرد عليهم القرآن ما يدحض المنافقين.

---

(١) غادة حمدي عبدالسلام: اليهود في العراق، (ص ١١)، وما بعدها، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٢) يعقوب يوسف كورية: يهود العراق تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، (ص ٥)، وما بعدها، الأهلية للنشر، لبنان، ١٩٩٨م.

وحكى القرآن أسلوب هؤلاء في تعاملهم مع المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ آل عمران: ٧٢.

وفي رواية عن ابن عباس أن عبدالله بن الصيف وعدي بن زيد بن الحارث بن عوف قال بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشيةً، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعون عن دينهم. فأنزل الله فيهم: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ٧١.

الفرق اليهودية (ذات العلاقة بالتشيع) وأثرها في المجتمع الإسلامي

أولاً: السبئية

وهي المنسوبة لعبدالله بن سبأ اليهودي اليماني، فكان لهم تأثير كبير في نشر تعاليم السبئية اليهودية بين أصحاب الإمام علي، بعد مقتل عثمان رضي الله عنهم جميعًا، وقد فصل النوبختي مقالة ابن سبأ في كتابه فرق الشيعة، وذكر آراءه ضد الخلفاء الراشدين وادعاءه الوصية من النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي، وأن لعلي صفة من صفات الربوبية، وهذا موضوع مشهور، ومقالاته مبثوثة. (انظر: كتابنا جذور التشيع ص ١٥٩ وما بعدها).

ثانيًا: فرقة العيسوية

وهم المنسوبون إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني من يهود أصفهان، نشر دعوته في زمن الخليفة الأموي مروان بن محمد الملقب (بالحمار) آخر ملوك بني أمية، والتف حوله مجموعة كبيرة من اليهود، وزعموا أنه نبي، وأن له من المعجزات ما لا يستطيع الجيش الإسلامي محاربته، فكانوا فرقة من الباطنية، كان لهم أثر في التلبيس على المسلمين في تأويل وتفسير القرآن الكريم.

ثالثًا: فرقة الموشكانية

وهم فرقة باطنية ادعت بأن الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم بُعث إلى العرب عبدة الأصنام، ولم يبعث إلى اليهود؛ لأنهم أهل كتاب، فكانت هذه الفكرة مثار جدل بين

علماء المسلمين وغيرهم، مما يسبب الشبهات في المجتمع الإسلامي، خاصة بين العامة في المجتمع الأموي[١].

رابعًا: فرقة الديصانية

وهي فرقة باطنية منسوبة إلى ميمون بن ديصان المشهور بالقداح، ومن هذه الفرقة محمد بن الحسين دنوان، وقد ظهروا في زمن المأمون، وانتشرت دعوتهم زمن المعتصم، وذلك بعد خروجهم من سجن العراق، ومن أثر هذه الفرقة انتساب حمدان قرمط إليها، فكانت آثار القرامطة في المجتمع الإسلامي زمن العباسيين أمرًا مشهورًا[٢].

خامسًا: فرقة الراوندية

وهي المنسوبة إلى ابن الراوندي الملحد، قيل: إنه من اليهود، واشتهر بكتبه الملحدة، فقد ألف كتاب (التاج)، وكتاب (الفريد)، وأيضًا كتاب (الزمردة)، وكتاب (قضيب الذهب)، وكتاب (المرجان)، اعترض فيها على شريعة الإسلام وعلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبقية الرسل، ونادى بحكم العقل وسيادته، وجعله حاكمًا على الشرع، وقال: إذا كان الأمر كذلك فلا حاجة للرسل والأنبياء ولا للقرآن، وقيل: إنه عارض القرآن وإعجازه، فكتب كتابه (الدامغ) قيل: إنه وضعه لليهود، وخاصة ابن لغوي، وقد رد عليه أبو علي الجبائي والخياط (في كتابه الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد) قديمًا، وحديثًا رد عليه المرحوم محمد صادق الرفاعي في كتابه إعجاز القرآن، وقيل: إن ابن الراوندي كان يتكسب من كتاباته ضد الإسلام والمسلمين، من ذلك ما رواه أبو العباس الطبري أن ابن الراوندي ألف كتاب (البصيرة) بطلب من يهود السامرة نظير أربع مئة درهم، وطلب منهم زيادة وإلا قام بنقضه، فأسكتوه بمئة درهم[٣].

نتائج الصدام بين يهود يثرب والمسلمين

شرحنا سابقًا تطور العلاقة بين يهود الحجاز ودعوة الإسلام منذ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، التي انتهت بانكسار اليهود ومن كان يتابعهم من المنافقين، والسؤال المهم:

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، (٢/ ٤٦-٤٧).

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص ٢٨٢).

(٣) د. فرج الله عبدالباري: الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية، (ص ٤٦- ٤٨)، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.

هل اختفى الأثر اليهودي في المجتمع الإسلامي الجديد، أم تحول إلى حركة سرية اتخذت دخولها في الإسلام سلمًا وستارًا؟ فنحن نجد الجهود اليهودية تلتقي مع جهود المنافقين في عدة مناسبات تاريخية مهمة، يمكن تلخيصها والإشارة إليها كما يأتي:

١. مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تذكر المصادر أن الذي قام بقتل عمر بن الخطاب غدرًا هو فيروز المكنى بأبي لؤلؤة المجوسي، الذي كان مولى وعاملًا للمغيرة بن شعبة، حيث اشتكى لعمر من زيادة ما عليه من خراج مفروض، و لم ير عمر في شكواه من ظلم، وقد ورد في رواية الطبري: أن كعب الأحبار الذي أسلم وكان من علماء اليهود في يثرب قال لعمر: إني أجد مقتلك في التوراة، ليس بالاسم وإنما بالصفة. وأن كعبًا قد حذر عمر من أنه سيُقتل بعد ثلاثة أيام، وبرغم عدم التفات عمر لهذا فقد وقع اغتياله، ومهما يرد للباحث من شك في تفاصيل ما ذكر قبل الاغتيال وبعده، يبقى السؤال الملح: هل كان السبب الرئيس وراء اغتيال عمر سببًا شخصيًّا فقط من شكوى أبي لؤلؤة، أم أن الاغتيال في المدينة كان نتيجة لتلاقي الرغبات والجهود الخفية التي التقت فيها اليهودية والمجوسية من أن تنتقم بعد إخراج يهود الحجاز والمجوس من العراق والمنافقين من العرب ذوي الأهواء المعاكسة للدعوة الإسلامية الجديدة المنتصرة على دولتين كبيرتين، هما الدولة الساسانية والدولة البيزنطية، والقوة ممثلة برأس الخليفة الشهيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١].

٢. مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه

في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما سارت جيوش المسلمين إلى فتح العراق والشام ومصر، وكان عمر يمنع المهاجرين والأنصار من السكن في البلاد المفتوحة وترك المدينة، ولكن في عهد الخليفة عثمان سمح لهؤلاء بالتفرق في الأمصار، فضعفت قوة المسلمين في المدينة، وقويت شوكة مخالفيهم من بقايا اليهود والمنافقين، إضافةً إلى أن كثيرًا من العرب المتهودة في بعض القبائل العربية الذين دخلوا الإسلام متأخرًا كما هو الحال في يهود قبيلة حِمْيَر وقبيلة همدان القادمين إلى المدينة من الكوفة، وكذا من

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، (ص ١٧٥)، وما بعدها، مطبعة الاعتماد، ١٩٢٧م.

متهودة العرب من قبيلة تجيب وجذام وكندا القادمين إلى المدينة من الفسطاط، وغيرهم من متهودة العرب الذين لم يدخل الإسلام في قلوبهم، فكان واضحًا في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه تشكل معارضة سياسية قادها هؤلاء الذين سموهم المؤرخون بالسبئية، لغلبة أتباعهم لمقولة عبدالله بن سبأ ومن تابعه من متهودة العرب إلى أن أدى الحال إلى شغبهم على الخليفة عثمان، وتزوير الكتب عليه، وإثارة الفتن عليه في الكوفة ومصر خاصةً، إلى أن أنتجت هذه الفتنة مقتله شهيدًا في بيته وهو يقرأ القرآن، وقد منع رضي الله عنه الدفاع عنه خشية الاقتتال بين المسلمين في هذه الفتنة، ولا أدل على ذلك ما حدث بعد مقتله ومبايعة علي رضي الله عنه ومطالبة أولياء الدم الإمام علي بتسلم قتلة عثمان، الذين انضووا في جيشه فكان رده عليهم: (إن هؤلاء يملكوننا ولا نملكهم). ولم يستطع الإمام علي من تنقية جيشه منهم إلى أن جاءت حرب الجمل.

٣. حرب الجمل

بعد الخلاف الذي وقع بين المسلمين، قومٌ يطالبون بدم عثمان، وآخرون يطلبون التأجيل لعدم المقدرة على مقاتلة البغاة، وبرغم الصلح الذي جرى بين الفريقين، ولكن السبئية ومن تابعها من المنافقين لم توافق على ذلك، فأنشبت حرب البصرة في الليل المظلم، فكانت النتيجة وخيمة على المسلمين، حيث قتل فيها الكثير من القرشيين والمهاجرين، و كثير من الصحابة قد اعتزل الفريقين، ومن الواضح أن الدسائس اليهودية السبئية كانت عاملًا أساسيًّا في هذه الحرب لا يمكن فصلها عن بقية الأحداث السابقة كما أشرنا، ويتضح ذلك جليًّا في حرب صفين.

٤. حرب صفين

استمرت تلك الكتلة المحاربة في جيش الإمام علي الذين لم يستطع تنقية جيشه منهم، وعادوا ليتسببوا له بالمشكلات والخلافات بين المسلمين، وبالرغم من اتضاح انتصار الإمام علي في حرب صفين أول الأمر، إلا أن تلك الكتلة التي أشرنا إليها في جيشه قد أضرت به أيما ضرر، حيث أرغمته على قبول التحكيم، وبعد ظهور التحكيم في غير صالحها انفصلت تلك الكتلة عن الإمام علي وخالفته إلى درجة تكفيره (وهم الخوارج)،

فاضطر لمحاربتهم في موقعة النهروان، فتصدع بذلك جيشه وأصحابه مما أدى إلى مقتل الإمام علي.

٥. مقتل الإمام علي

اشتد الخلاف بين الإمام علي ومخالفيه من هذه الكتلة (الخوارج)، التي سميت بكل وضوح بالسبئية والخوارج، وبرغم ادعاء السبئية وأفكارها التي خصوا بها رفعة الإمام علي، مثل ادعائهم بتمتعه بصفات من الألوهية، وأنه وصيٌّ بالنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه باب العلم، وما إلى ذلك من دعاوى ذكرها النوبختي في كتابه فرق الشيعة، فقد أضرت السبئية بالإمام علي وبنيه، مضمرة انحراف قوة العرب المسلمين وإحلال اليهودية والمجوسية محلهم، إلى أن قام شقيهم عبدالرحمن بن ملجم، وكان في جيش الإمام علي فقتل الإمام فجرًا في مسجد الكوفة، وبعد مبايعة المسلمين لابنه الحسن تجهزوا لمحاربة مخالفيهم السابقين في صفين، ولكن مرةً أخرى قامت هذه الكتلة في جيش الحسن بإثارة الخلافات وتخذيل الآخرين عن القتال، فلما أحس الإمام الحسن بخذلانهم واتضح له حقيقة هذه الفئة، التي خذلت والده وخذلته هو الآخر، وافق رضي الله عنه على الصلح مع معاوية، فقام له شقيٌّ من جيشه من تلك الكتلة، اسمه سنان الجعفي فضربه، فشج جزءًا من جنبه وفخذه، ولم يتمكن من قتله، فبقي شهورًا في المدائن يداوي جرحه، وقد غضبت تلك الكتلة من صلح الحسن مع معاوية، وأشاعوا تسميته (بمذل المؤمنين)، كما تذكر مصادر الشيعة ذلك.

وعمومًا لا يمكن فصل الثورات والحركات التي حدثت في الدولة الأموية أو العباسية من آثار السبئية والخوارج، ويعود التاريخ نفسه في العصر الحديث إلى استفحال الخلاف نفسه وامتداده تاريخًا منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، مع الاختلاف في المعطيات والمبررات الفكرية والجغرافية.

وقد آثرنا أن نوجز للقارئ الكريم النتائج التي تداخلت فيها عوامل في التاريخ الإسلامي، مؤثرين توضيح كيد اليهود منذ القديم لمخالفيهم من المسلمين[١].

---

(١) الطبري: تاريخ، (٥٤٣/٣).

حقيقة السبئية

ظهرت مؤخرًا أبحاث تشكك بحقيقة شخصية عبدالله بن سبأ اليهودي اليماني، بدأها بعض المستشرقين، وتبعهم طه حسين، وتلقفها بعض الشيعة في العصر الحديث، أمثال مرتضى العسكري، ونحن لا يهمنا كثيرًا شخصًا واحدًا اسمه عبدالله بن سبأ، ولكن المهم وجود الأفكار السبئية وأثرها في المجتمع العربي والإسلامي، فقد سبق أن أوضحنا أثر يهود يثرب في المدينة، وبالرغم من إجلائهم عنها لم يسلم المجتمع الإسلامي من أفكارهم المنحرفة عن قواعد الإسلام، وقد أوضحنا فيما تقدم من سفكٍ للدماء ومقتل ثلاثة من الخلفاء الراشدين، والحروب التي حصلت في القرن الأول بين المسلمين أثر السبئية عمومًا فيها، فإذا علمنا أن أفكار السبئية التي نادت بألوهية الإمام علي، وأنه وصي النبي للخلافة بعده، وأنه سيرجع والمعجزات التي نسبت إليه، وجرت على يده من أمثال كونه معصومًا يعلم الغيب، ويبرئ الأكمه، ويحيي الموتى، وأنه في السحاب، الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه سيرجع وأفكار البداء والتقية وتفويض الخالق له إدارة الكون وللائمة، وما إلى ذلك من المقولات التي أصبحت معلومة أشارت إليها المصادر القديمة من مصادر الشيعة والسنة معًا بما لا يمكن لعاقل إنكاره، ويحق لنا أن نسأل: من هم أولئك الرجال الذين ادعوا بتلك الأفكار السبئية، وهل أن المصادر التاريخية عند الشيعة والسنة معًا تذكرهم بكل وضوح، وتنسب إليهم بعض تلك المقولات التي ذكرناها، فالجواب: نعم.

وقد انتشروا في المجتمع الإسلامي في القرن الأول، ولا أدل على ذلك إلا تتبع رجال مصطلح الحديث لهم، فقد وجدوا حتى بين رواة السنة، وقد استجلبت هذه الظاهرة الأستاذ سعدي الهاشمي، حيث استقصى واحدًا وعشرين راويًا من رواة السنة، الذين وردت أسماؤهم في الصحيحين أو في المجاميع الستة الأخرى، وإليك نموذجًا لأول شخص ذكر أنه قريب من البيت العلوي، مما يعني أن تلك البلوى وصلت شرورها إلى ذرية الإمام علي نفسه، وهو: عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي (ت ٩٨هـ) من المتأثرين ببعض أقوال السبئية، قال عنه بعض المحدثين: إنه يتبع أقوال السبئية، ومن المتأثرين بها[١]، وقد ذكرنا في كتابنا (جذور التشيع)، وكذلك في كتابنا (أثر الفكر اليهودي على

---

(١) د. حمدي عبدالعال: السبئيون منهجًا وغاية، (ص ٧٧) وما بعدها، دار القلم، الكويت، ١٩٨٥م.

غلاة الشيعة) أولئك الأشخاص وغيرهم، فإذا كانت أفكار السبئية أو بعضها قد تأثر بها بعض المحدثين أو الرواة من السنة، فكيف هو الحال في الأثر الذي تركه السبئية في بقية أفراد المجتمع الإسلامي في القرن الأول الهجري خاصة، ثم ما بعده[١].

ويمكن للقارئ أن يرجع إلى الفصل المتعلق بالجسور التي عبرت منها العناصر الأجنبية إلى التشيع.

أثر اليهود الاجتماعي على العرب في العصور الوسطى

تدعو تعاليم التوراة والتلمود اليهودي إلى الانعزال والعنصرية، وأنهم شعب الله المختار، ينفردون عن الآخرين في لغتهم وعبادتهم وطعامهم وثقافتهم، فكان لهذه التعاليم أثر كبير في طريقة عيش اليهود في المجتمعات العربية والإسلامية، فهم غالبًا ما يسكنون في أحياء خاصةً بهم أو فيها غلبة يهودية، وهذا ما كان عليه اليهود خاصةً في أوروبا (الجيتو)، خاصة في القرون الوسطى، مما تسبب في كراهيتهم وانعزالهم، خاصةً الفئات المتدينة منهم، وفي أوقات مختلفة تعرضوا للاضطهاد لأسباب سياسية، أغلبها تواطؤهم مع القوى المناوئة لمجتمعهم، مما يسبب لهم مزيدًا من العزلة والاضطهاد، ولكن اليهود في المجتمع الأوربي والإسلامي بشكل عام تمتعوا بالتسامح وقبولهم على ما فيهم من نقائص، وإلى الحد الذي تسمح به قواعد الشريعة الإسلامية المتعلقة بالعلاقة بين المسلم وأهل الكتاب، خاصةً في مسائل الزواج والعبادات... إلخ، وقد رصد المؤرخون علاقة اليهود بالمجتمع العربي والإسلامي، فأوضحوا نقاطًا كثيرة لالتقاء الطرفين في أكثر الأوقات التاريخية، واندماج اليهود في المجتمع العربي في نواح مختلفة سنستعرضها لاحقًا، وقد اعترف المؤرخ اليهودي مارك كوهين بأن اليهود والنصارى قد تمتعوا بحرية واسعة في المجتمع المصري إبَّان الحكم الفاطمي لمصر، وهنا نشير إلى التساؤل: هل في مذهب الشيعة الإسماعيلية نقاط التقاء سياسي باليهودية ضد المذاهب السنية؟

---

(١) ابن حجر العسقلاني: ميزان الاعتدال، (١٦/٦)، النوبختي: فرق الشيعة، (٤٨٣/٢).

وقد تمتع التاجر ابن عوكل والنهاري ابن النسيم والتستري بأموال وتجارة واسعة، وكان لهم تأثير اجتماعي كبير، فقد ذكر أن جد الرابي اليهودي بلطيال والمدعو شفطايا، هو الذي زود جيش السلطان الإسماعيلي العبيدي بالمؤن من المغرب، للاستيلاء على مصر في دولة المعز لدين الله الفاطمي، ويرى المؤرخ اليهودي إبراهام هالكنز: أن اليهود في البلاد العربية وخاصةً في القرون الوسطى اندمجوا في مجتمعهم، فلم يعيشوا في جيتو مغلق وإنما قد يسكنون في محلة غالبيتها يهود ويقبلون سكن الآخرين من المسلمين بينهم، بل ويقبلون أن تبنى مساجد في أحيائهم لصلاة المسلمين الذين يسكنون بينهم.

كما يشار إلى تمتع يهود المغرب بكثير من الحرية والاندماج في مجتمعهم، وقد شهد بعض مؤرخي اليهود إلى أن مدينة الفسطاط في مصر والقيروان في المغرب وغيرها من المدن لم تكن تحوي محلات خالصة لليهود، بل إن محلات اليهود التي سكنوها يغلب عليها العنصر اليهودي.

وفي بعض الأوقات التاريخية التي يحصل فيها غضب سياسي من المجتمع نتيجة لتواطؤ اليهود أو بعض ساستهم مع الأجنبي الخارجي، مما يدفع المجتمع إلى كراهيتهم، وربما ينالهم بعض الاضطهاد، فتعمد الدولة إلى حصرهم في مكانٍ واحد حماية لهم، كما قيل حصول ذلك في الملاح في مراكش وفي الحارة في تونس وقاعة اليهود في اليمن والمحلة في فاس.

ومن معالم اندماج اليهود بالمجتمع تأثر اليهود بأنواع الطعام واللباس، خاصة ملابس النساء اليهوديات التي تشبه ملابس النساء المسلمات، وقيل: إنهم أخذوا فكرة الفتوى الشرعية من المسلمين، كما تأثروا ببعض الفرق الصوفية، ولكن التأثيرات واضحة في مجال التجارة والعمل اليومي، وحمل أكثرهم أسماء عربية، أما في الثقافة والشعر وعلوم اللغة والآداب فقد برع كثير من اليهود فيها، وأصبحوا يعدون جزءًا من الثقافة العربية.

وقد برزت فرقة الهكالاة اليهودية في أوروبا في القرن السابع عشر الميلادي تدعو اليهود للاندماج في مجتمعاتهم، وتعارض تعاليم كهنة اليهود ورجال دينهم، التي تدعو

إلى العنصرية والانعزال، وهذه تعد رد فعل ضد أفكار الجيتو اليهودي في أوروبا إبَّان العصور الوسطى.

مدى اندماج اليهود في مصر

وجد اليهود في مصر إبَّان الفتح الإسلامي، فكانوا في كل من الإسكندرية ودمياط ومنطقة الدلتا عمومًا، ثم في الفسطاط والقاهرة بعد بنائها؛ فالفسطاط مدينة عسكرية بناها عمرو بن العاص سنة ٢١هـ ونزلتها قبائل عربية خاصة من اليمن وسكنها من متهودة العرب اليمنيين من تجيب وجذام وكندا، وتركَز اليهود فيها في حارة قصر الشمع، وعادة ما يهتم اليهود عند سكنهم في حارة معينة أن يبنوا فيها المعبد والمدراس والحمام وجزارة، وتشير المصادر العربية التي تكلمت عن عبدالله بن سبأ اليهودي، وأنه أقام مدة في الفسطاط في عهد الخليفة عثمان، وقام بتأجيج الخلاف والمعارضة ضد الخليفة عثمان، وما سمي بعدئذ بالحركة السبئية ضد الخليفة، والتي أنتجت مقتله رضي الله عنه.

وهذا ينبئ أن في الفسطاط من متهودة العرب من قبائل يمنية من تجيب وكندا وجذام، من دخلوا في الإسلام شكلًا، وظلوا على يهوديتهم سرًّا في هذه المدينة التي تعد معسكرًا لجيش المسلمين، ولا تشير المصادر إلى عدد اليهود في الفسطاط في القرون الأولى الهجرية، ولكن في أواخر العصر الفاطمي قدر الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الذي زار الفسطاط عدد اليهود بـ٧٠٠٠ شخص، وبعد ضعف أهمية الفسطاط اتسعت القاهرة فانتقل إليها كثير من اليهود، وخاصة من يهود السامرة ومن مذهب القرائين خاصة في عهد المماليك، ومن أشهر تجار اليهود في الفسطاط ابن عوكل، الذي كان له اتصال مباشر بقصر السلطان الفاطمي، وبحريمه الذي يبيع لهم الجواهر واللؤلؤ، أما حارات اليهود المشهورة في القاهرة، فهي المصاصة وحارة زويلة، وتثبت وثائق الجنيزة (وهي مجموعة الأوراق والرسائل ووثائق الملكية للأراضي والمساكن التي يملكها اليهود ومستندات الرهن والمداينات إلخ... المجموعة في مكتبات ومعاهد أوروبية عدة إلى اليوم) أن علاقة اليهود بالمجتمع العربي الإسلامي كانت دائمة الاتصال خاصة في مناحي العيش المشترك والتجارة، فبيوت كثير من اليهود ومعابدهم في حارات المسلمين، فقد ذُكر أنه

في عصر المماليك وفي القاهرة وجد منزل الصائغ اليهودي زين الدين الكافي بين منازل المسلمين، وهم علي الأنصاري، ومحمد الفراس، وذلك في حارة ابن سميح، كما وجد كنيس اليهود بجوار مسجد المسلمين في حارة درب خبيصة، وفي حارة ابن أبي الحداد كنيس يهودي بجوار مسجد للمسلمين، وتشير بعض وثائق الجنيزة إلى هبات ومبالغ مالية وأوقاف لمعابد اليهود ومدارسهم، فمثلًا تشير إحدى الوثائق إلى أن اليهودي محيسن قد تبرع بنصف داره لتوسعة الكنيس اليهودي في حي زويلة، وذكر عوبدايا في نهاية عصر المماليك: أن اليهود السامريين، كانوا أغنى اليهود في مصر، وأنهم يتولون الوظائف الكبرى والإدارة، وأن أحدهم كان يمتلك ٢٠٠،٠٠٠ قطعة ذهبية، وأنه وجد كثير من اليهود يعملون في الصيرفة، وحمل اليهود في مصر نساء ورجال أسماء العرب والمسلمين فقط، كان من الصعب التفرقة بين الطرفين.

إن أهم حارات سكن اليهود في كل من الفسطاط والقاهرة، هي: حي المصاصة، وحي قصر الشمع، وحي زويلة، وحي مهرة، وحي تجيب.

فإذا أخذنا حي قصر الشمع مثالاً على كثافة وجود اليهود، يذكر فيه دروب اليهود وأزقتهم، منها درب زقاق اليهود، وزقاق الترجمان (هو لليهودي ترجمان السلطان)، وفيه كنيس لليهود، وفيه زقاق الترمس، وزقاق أبي حديد اليهودي، وسوق بربر وزقاق الكنيس، ويبدو أن سكنة قصر الشمع هم من الطبقة اليهودية الثرية.

وقد وجد في هذا الحي ثمانية مساجد للمسلمين، مما يدل على امتزاج اليهود بغيرهم من السكان، وفي بقية حارات اليهود التي ذكرناها يتوافر فيها عادةً سقيفة للاجتماع، (لعل هذه السقيفة مأخوذة عن تقليد للقبائل اليمنية في بناء جبانات لكل قبيلة - انظر جبانات الكوفة في كتابنا (جذور التشيع)، وهذا يؤيد انتقال يهود اليمن إلى مصر مع الفاتحين)[1].

(١) دكتورة. زبيدة محمد عطا: اليهود في العالم العربي، (ص ٢٧)، وما بعدها، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣م.

فرق اليهود

١. السامريون

وهم أقدم فرقة يهودية، وأقلها عددًا، وكانوا في نابلس وما حولها، ويعتقدون بأنهم أصل الديانة الموسوية، كما يرون أن التوراة كتبت بلغتهم من ستة أسفار فقط، وهي التكوين والخروج واللاويين (الأحبار) والعدد وتثنية الاشتراع وسفر يشوع، أما بقية الأسفار وأعمال الرسل فيرون أنها باطلة، ضُمت إلى التوراة فيما بعد، وكذلك لا يعترفون بالتلمود، ويدعون أن الهيكل بني عندهم على جبل عريزيم، وأن جبل صهيون ليس مقدسًا، ويتوجهون بصلاتهم نحو موقع هيكلهم المزعوم.

٢. الصدوقيون

وهم المنسوبون إلى الكاهن صدوق في عهد الملك سليمان، حيث كان ذا مكانة عنده، وهم من أوائل القرن الأول من اليهود بعد الملك داود، وقد تأثروا فيما يبدو بفلسفة أبي قور اليوناني، فعندهم نوع من الإيمان بالماديات فقط، وإنكار لكثير من المسائل الروحانية، فهم ينكرون البعث والحساب، كما أنهم ينكرون وجود عوالم غيبية من ملائكة أو شياطين أو جن، وتعد من الفرق اليهودية البائدة.

٣. الفريسيون

وتعني باللغة الآرامية المنعزلون، ويدَّعون بأنهم هم الأولى على شريعة موسى، وأنهم يؤمنون بجميع ما ورد من أسفار في العهد القديم على خلاف الصدوقين، وهم يؤمنون بالبعث والحساب، وهم من الطوائف المتعصبة دينيًّا، ويدَّعون أنهم هم العلماء والأحبار وأن غيرهم جهلة، ويجمعون بين عقيدة القدر وإرادة الإنسان الحرة.

٤. القراؤون

وهذه الفرق تنسب إلى عنان بن داود الذي انصب اهتمامهم على قراءة نص التوراة فقط، وكذبوا ما ورد في التلمود وما ورد في المرويات الشفوية، حيث اهتموا بدراستها ونقدها، خاصة ما ورد من نصوص في التلمود والمشنا والجمارة، ولهذا السبب فقد نادى بقية اليهود بتكفير فرقة (القراؤون)، واعتبارهم ملاحدة لإنكارهم ما ورد في الكتب

المذكورة، واعتبروا متأثرين بأفكار الفيلسوف اليوناني أبي قريدس أو (أبي قور)، وذكر أن الفرقة كانت محل نقد من فرقة الربانيين خاصة، واتُّهمت باقترابها من المسلمين في العصر الأندلسي والعصر العباسي، حيث تحول كثير من أتباعها إلى الإسلام، ولا شك أن هذه النقطة تعزز فكرة مسألة تسرب الفكر اليهودي إلى المسلمين، وخاصة الشيعة كمسألة خلق القرآن، التي تسربت عن بحث خلق التوراة عند اليهود، والجدير بالذكر أن هذه الفرقة قد قاومت فكرة الصهيونية.

٥. الربانيون

وهي نسبة إلى كلمة الرابي، وهو رجل الدين اليهودي، حيث تتكرر هذه الكلمة في نصوص التلمود خاصة، وهم يؤمنون بجمع النصوص والأسفار الواردة في اليهودية، وهم الأكثرية بين اليهود، وعادةً ما يكون القضاة منهم، وكذلك مباشرتهم لعقود الزواج، واهتمامهم بشؤون اليهود العامة، وهم الذين قادوا الحركة الصهيونية والمنظرين لها، ولهذا فقد هاجموا فرقة القرائين.

٦. فرقة القبالة

وهم فرقة غنوصية، يؤمنون بأن العلم المتحصل هو فيض من نور الله الرباني، يقذف في القلوب والأفكار، وعندهم أن كل نص في التوراة له معنى ظاهر وباطن، ولهذا فقد برعوا في التأويل الباطني خاصة ما وجدوه من نصوص في سفر دانيال، ويذكر بعض الباحثين: أن هذه الفرقة مسلكها التفسير الباطني، قد تأثرت بالفلسفة اليونانية خاصة الأفلاطونية المحدثة، وانقسموا في اهتماماتهم إلى قسمين: قسم اهتم في المسائل العملية من صلاة وصيام. وآخرون اهتموا أكثر في المسائل الفكرية والاستغراق في التفسير الباطني، فقد ظهر بينهم التفسير الباطني للحروف والأعداد الواردة في النصوص التوراتية، وسوف نبحث أثر هذه الفرقة على بعض الفرق الصوفية وبعض من علماء الشيعة الذين سموا بالحرفيين، والذين ظهروا في الحلة إبَّان الحكم المغولي.

٧. يهود الدونمة

وكلمة دونمة فارسية، مكونة من كلمتين: الأولى: دو، تعني اثنين. والثانية تعني نمه، تعني مذهب أي اليهود ذوي المذهبين الإسلام واليهودية، و قد نزحوا إلى تركيا بعد سقوط

الأندلس، وقد ظهر بينهم في أزمير شبتاي زيوي الذي ادعى بظهوره كمسيح منتظر خاصة بين اليهود القاطنين في بولونيا الذين تعرضوا للاضطهاد، فظهرت حركة زيوي السياسية بين يهود الدونمة، فخشي السلطان العثماني محمد الرابع سنة (١٦٤٨م) أن تثير هذه الحركة فتنة في بلاده، فعزم على ضربها، فجاء من ينصح زيوي وأتباعه على إعلان إسلامهم ودخولهم في طاعة السلطان، وتم نفي زيوي إلى ألبانية وفيها توفي، وقد قيل: إن أصل أتاتورك من يهود الدونمة، ولا يختلف يهود الدونمة في تطبيقاتهم في العبادات والزواج عما ذكرناه عن بقية اليهود، وقد انقسموا إلى طائفتين: طائفة يهود شواع هيشل توريف في بولندا. والطائفة الفرانكية نسبة إلى يعقوب فرانيك، وقد تأثر بكثير من المبادئ المسيحية، ودخل أكثر أتباعها في المسيحية، ولهذا فقد اضطهدوا من قبل حاخامات بولندا.

٨. الإصلاحيون

وهي طائفة الهسكالاه التي ظهرت بين يهود أوروبا، إبَّان النهضة الصناعية الحديثة بعد القرن الثامن عشر، وخاصة في ألمانيا، وهذه الطائفة تدعو عدم انعزال اليهود، وأوجبت عليهم المشاركة في حركة مجتمعاتهم، التي هم فيها، وأن يقدموا انتماءهم الوطني على الانتماء الديني، فيصفون الفرد مثلًا بأنه مواطن بريطاني ودينه اليهودية. كما دعوا إلى التخفيف من الواجبات الدينية غير الثابتة خاصة التي اكتسبت بالعرف، ولكن الحركة الصهيونية استغلت هذه الطائفة على سعتها لمشروعها الصهيوني، فظهر من بينهم من نادى بإقامة إسرائيل والهجرة إلى فلسطين، وبقي قلة من الإصلاحيين المعادين للفكر الصهيوني، ولكنهم عادة يرمون بالمروق عن التعاليم اليهودي، أو ربما رموا بالاتجاه الليبرالي اليساري.

٩. فرقة ناطوري كارتا

وهى فرقة منسلخة عن اليهود الأرثوذكسية، وتنادي هذه الحركة بالرجوع إلى الأصول اليهودية الأولى، وتعادي الصهيونية، وقد تأسست في الستينيات تنادي بأن الإصلاح يتم عن طريق ظهور المسيح، فلا يجوز إقامة دولة اسرائيل قبل ذلك، ولا يجوز الخدمة في جيشها ولا الدراسة في مدارسها، ورفض مبادئ الصهيونية التوسيعية، خاصة الاستيلاء على أراضي الفلسطينيين ومصادرة بيوتهم؛ لأن ذلك اعتداء مخالف للشريعة اليهودية،

ويذكر أنهم يبلغون حوالي ٥٠٠ ألف اليوم ﰲ إسرائيل وخارجها، حيث منهم مجموعة كبيرة تسكن القدس (حي مئة بوابة- رمي شيريم)، ومنهم مجموعة ﰲ الولايات المتحدة على رأسهم الكاتب (نعوم تشومسكي)، الذي كتب الأفكار السياسية لهذه الفئة، وتنبأ بزوال إسرائيل قريبًا، ذكر بعضهم زوالها سنة (٢٠٢٢م)، ومن هذه الطائفة ﰲ إسرائيل عدة مجموعات، منها مجموعة موشيه هيرشيل، وهم أقرب الفئات للفلسطينيين.

١٠. اليهود الأرثوذكسية

تؤمن بجميع التراث اليهودي بشكله المتشدد الوارد ﰲ النصوص ويتشددون بالتمسك بالتلمود (الهالافاة) بالرغم من أن التلمود عبارة عن أقوال الكهنة القدماء الذين فسروا التوراة، وهؤلاء يمثلون غالبية اليهود اليوم، سواء ﰲ إسرائيل أو خارجها، ولكنهم يقبلون المنجزات الحديثة، ويدعون إلى استخدامها لمصلحة إسرائيل، كما يعتقدون بأن الدراسات الأكاديمية الحديثة إلى الأديان قد تقود إلى الكفر، ولهذا فإنهم يلتزمون بالطرق والوسائل القديمة لدراسة اليهودية ومحاربة فكرة اندماج اليهود الوطني ﰲ كيانات المجتمعات الأخرى كالمسيحة أو الإسلامية، وانقسموا إلى فئتين:

الأولى اليهودية الأرثوذكسية: وهم الفئة الأكثرية، منهم الحزب الديني القومي (المفدال)، الذي تأسس سنة ١٩٥٦م ﰲ مجموعتين متعصبتين، تحالف هذا الحزب مع حزب العمل حتى سنة ١٩٧٧م، حيث انتقل للتحالف من الليكود، فأصبح حزبًا يمينيًّا متطرفًا؛ ولذا كان يمسك بوزارة الداخلية ووزارة الأديان، وقد تبنى فكرة اغتصاب فلسطين كلها، وعدم الاعتراف بأي حق للفلسطينيين، وتفرع منها بعض الأحزاب، منها حزب تراث إسرائيل، والحزب الصهيوني الديني، وحزب المستوطنين (تكوما).

الثانية الفئة اليهودية الأرثوذكسية المتشددة (حريديم): وهي قليلة منعزلة، لا تعترف بالصهيونية، ولا يشاركون بقية اليهود بأنشطتهم، ويعدون حركة علمانية، وهم ينتظرون ظهور المسيح المخلص، الذي سيقود اليهود إلى أرض الميعاد، ويمثل هؤلاء حزب اغودات إسرائيل سنة ١٩٩٢م، وقد انشق حزب شاس سنة ١٩٨٣م عن هذه الفئة، وهو حزب متعصب، يمثل غالبًا اليهود الشرقيين من فئة اغودات إسرائيل.

١١. اليهود الأشكيناز

وهم يهود ألمانيا وفرنسا، وقد هاجروا إلى إسرائيل، يتكلمون اللغة العبرية اليديشية، التي سادت بينهم منذ سنة ١٢٥٠م في ألمانيا وفرنسا، وهي اللهجة السائدة في إسرائيل الآن.

١٢. يهود السفارديم

وهم في الأصل يهود إسبانيا والبرتغال، ثم اتسع المفهوم ليهود البحر الأبيض المتوسط، كانوا يتكلمون الوسطى (اللاويين) وهم الطائفة الثانية عددًا بعد الأشكيناز.

١٣. يهود الخزر

وهم القاطنون قديمًا في مملكة الخزر منذ القرن الثامن الميلادي، ويسمون أيضًا يهود بحر قزوين، وقد كونوا دولة يهودية امتدت إلى أكثر من قرنين من الزمن، وأغلبهم من العنصر التركي، في نظر المؤرخين أن تسعين بالمئة ٩٠٪ من يهود إسرائيل يعودون في الأصل إلى يهود الخزر، الذين اعتنقوا اليهودية منذ سنة ٧٤٠ ميلادية بعد تهود ملك الخزر، وقد سقطت مملكة الخزر في أول القرن الحادي عشر، وتوزع يهودها في أوروبا الشرقية وأمريكا، وهذا يدحض عنصرية الصهيونية التي تدعي بأن جميع اليهود من رحم يهودية، فيهود الخزر أغلبهم من عنصر تركي آري، تهودوا بعد أن كانوا على المسيحية.

١٤. يهود الفلاشا

وهم من إثيوبيا عنصرًا ولغة، حيث لا يعرفون العبرية، ويعترفون فقط بالعهد القديم دون بقية كتب اليهودية، ويحترمون الطقوس اليهودية من صلاة وعدم العمل يوم السبت، وينظر لهم في إسرائيل نظرة دونية إما لاعتبار بشرتهم، أو للاعتقاد بأنهم ليسوا يهودًا في الأصل، حيث إن كلمة الفلاشا تعني المنفيين أو الغرباء، ويعمل الفلاشا في إسرائيل بالأعمال الدونية، وينظر إليهم باحتقار، وبعضهم لا يعترف بيهوديتهم، واختلف المؤرخون في أصلهم، فبعضهم قال: إنهم من اليمن. وقيل: بل من مصر أو من أطراف الجزيرة العربية.

١٥. يهود السهندريم

وهم الصفوة من سبعين يهوديًّا من شيوخ إسرائيل الذين يدَّعون بأنهم قد رافقوا موسى إلى خيمة العهد، حيث يذكرهم سفر العدد الإصحاح ١١ (١٦-١٧) بكثير من التمجيد، حيث كانوا هم القضاة والمدبرون لشؤون بني إسرائيل.

١٦. مذهب القبالا في اليهودية

وهو مذهب نشأ في القرن الثالث عشر الميلادي في فرنسا وإسبانيا، فقد كتب موسى ابن شيم كتابه المسمى (زوهار) بتقبل الحكمة والمعرفة عن طريق التأمل في مقاصد النصوص الواردة في التوراة والتلمود، واستخلاص الحكمة المتوارية عن الأنظار، وهذا المذهب يلتقي مع الغنوصية التي ذكرناها سلفًا في المسيحية، وقد ورد في كتاب (زوهار) وصف الخالق بكائن متسام، وينبوع التجليات العشرة النورانية، التي منها العدل والإدراك والحكمة والرفق والفطنة؛ فالخالق عنده يستعصي فهمه على القدرات العقلية للإنسان في كونه غير محدود ولا نهائي، و مذهب القبالا ينحو منحىً روحيًّا، حيث يدعي بأن الفرد يستطيع عن طريق الحكمة والتأمل الوصول إلى ذات الخالق، وهذا المفهوم يقترب من فكرة الحلول، التي نادى بها كثير من المذاهب والديانات، ومنها الفرق الصوفية وفرق من الشيعة، كما هو مفصل في هذا الكتاب، وبسبب الأفكار الغامضة بمذهب القبالا اليهودي، وتكراره لفكرة النور الإلهي، الذي انبعث إلى الكائنات واختلافهم في الآثار الروحية التي تركها هذا النور على الإنسان، اعتبر هؤلاء الدارسون هذا المذهب مذهبًا باطنيًّا يلتقي مع المذاهب الباطنية في تفسيراتها الدينية لمظاهر الطبيعة والنشاط الإنساني، ويدعى أصحاب هذا المذهب بأنهم يهدفون إلى إصلاح العالم من الشرور وإيصال الفرد إلى السعادة المرجوة، وذلك قبل ظهور المسيح المنتظر[(١)].

١٧. طوائف الدارسين

ويسمون المدارشيم، وهم على أقسام:

(١) سهيل بشروئي ومراد مسعودي محمد: تراثنا الروحي، (ص ٤٤٠)، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢م. د. سعد المبارك الحسن محمد: أصول الديانة اليهودية وفروعها ودورها في تكوين عقائد الرافضة، (ص ٢٧)، وما بعدها، ط ٢، دار المنتقى، السودان، ٢٠١١م. صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، (١/ ١٦)، وما بعدها، ط٣، دار الجيل بيروت ١٩٩١م.

أ. همخلتا: وهم أصحاب القياس عند التفسير.
ب. سفرا: وهم جملة من الكهنة الكتّاب للتوراة.
ج. سفري: وهم مفسرو سفر العدد والتثنية من التوراة.
د. مدراش تخوما: وهم أصحاب المواعظ الدينية.
هـ. مدرا رياربوت: وهم مفسرو الأسفار الخمسة وما فيها من مواعظ.
و. مدراش ريا: وهم مفسرو بقية النصوص الواردة في غير أسفار التوراة.
ز. يلقوط شمعون: وهي مختارات قديمة من المواعظ والنصوص.

وقد أوردت عددًا من فرق اليهود القدماء منهم والمحدثين، لعل الباحثين اليوم يزيدون في دراستها، ويجدون مؤثراتها الفكرية على العرب والمسلمين عمومًا وعلى الشيعة الإمامية (موضع البحث)، فهناك كثير من الالتقاء الفكري بين بعض هذه الفرق والشيعة الإمامية، خاصة ما تعلق منها بانتظار نزول المسيح أو المهدي المنتظر، وما سيفعله كل منهم، حيث سنشير إلى ذلك في موضعه.

رموز اليهودية والصهيونية

١. المنارة: وهي تشبه الشمعدان، نصت التوراة على اتخاذها من ذهب، بصفتها مشعلاً يضيء الظلام، ويشعل بزيت الزيتون، ويكون لها رؤوس سبعة، وعادة توضع في المعابد، وتدل على يهودية حاملها.
٢. نجمة داود: وهي صورة النجمة ذات الرؤوس الستة، التي تنسب إلى نبي الله، ولتقديسها وضعتها إسرائيل في علمها، وقيل ترمز لدرع داود، ولعبادة النجوم قديمًا.
٣. اللون الأزرق: وقد ذُكرت في مواضيع كثيرة في التوراة، منها زرقة ماء البحر عند ذكر الأسماك، التي يجوز أكلها، والأخرى الملساء التي يحرم أكلها، وقد اتخذت إسرائيل علمها باللون الأزرق، وينص التوراة على اتخاذ أهداب زرق في الشال الذي يتخذ للصلاة.
٤. مزوزاه: عصاة الباب: وهي قطعة من الجلد، توضع على يمين الباب، يكتب عليها بالعبرية (حامي أبواب إسرائيل).

٥. التفيلين: وهما صندوقان صغيران من الجلد، يوضعان على الرأس أو في أصابع اليد عند الصلاة، ويكتب بداخلها أدعية.
٦. الطليت وتصيت تصيت: العباءة والشال والأهداب والطاقية، التي توضع غالبًا في الصلاة.
٧. لفائف الشريعة: وهي قطع من القماش أو الجلود أو الحرير، يكتب عليها التوراة، أو بعض أسفارها، فتوضع في المعابد أو المكاتب بصفتها مرجعًا للتلاوة.
٨. تابوت العهد: وهو تابوت من الخشب مغلق، وله أرجل مذهبة، أمر اليهود أن يحفظوا فيه وصايا الرب لموسى، وهم يحملونه ويتباركون به في حروبهم.
٩. لفائف البحر الميت: في سنة ١٩٤٧م عثر راعي الغنم محمد الديب في إحدى المغارات قرب أريحة على لفائف من الجلد، قام المستشرق الأمريكي جون تريفر بدراستها، فوجدها من أقدم ما كتب من نصوص التوراة، قبل الميلاد بقليل، فقام اليهود بالتفتيش في المنطقة وما حولها، فوجدوا إحدى عشرة مغارة، تحتوي على بعض تلك اللفائف.
١٠. الغوييم: يعد رمزًا لاسم غير اليهودي المحتقر، بسبب التمييز العنصري أو الديني، ويرد هذا الرمز في النصوص القديمة.
١١. الجيتو: وبسبب عيش اليهود في أحياء منعزلة عن غيرهم في أوروبا خاصة، بقصد أن يأخذوا حريتهم في ممارسة طقوسهم الدينية وأنشطتهم الاجتماعية، فيرى بعض الباحثين أن فكرة الصهيونية قد نبتت في الأحياء المتعصبة للعنصر اليهودي.
١٢. هرمجدون: وهو جبل في شمال فلسطين، يبعد عن القدس ٩٠ كيلو مترًا، يدعي اليهود بأنه ستقع فيه عند ظهور المسيح المنتظر حرب عظيمة بين اليهود وأعدائهم، فينتصر فيها المسيح وأتباعه الصهاينة المدعون لهذه الأقوال، ذكر منهم رونالد ريغان وبوش، وجملة من المسيحيين المتصهينين، الذين يعتقدون أن يهود إسرائيل سيمهدون لظهور المسيح، حيث يعم السلام والصلاح.

وعند الشيعة الإمامية رموز وألفاظ خاصة بفرقتهم: مثل التربة الحسينية ومثل ألفاظ: (المخالفون، الغاصبون، النواصب)، ولكل أحكام شرعية مفصلة في كتب الفقه عندهم.

الصهيونية

كلمة صهيون كلمة كنعانية، سُمي بها جبل مطل على القدس (أورشليم) أو (إيليا) التي بناها الكنعانيون العرب القادمون من الجزيرة العربية قبل الألف الرابع قبل الميلاد، فاليهود يعدون تاريخيًّا دخلاء نازحين إلى هذه المنطقة، تعرض اليهود إلى الشتات في جميع الأرض، ولكن يهود أوروبا تنبهوا قبل غيرهم من اليهود إلى وجوب طلب الحرية والنهضة، وتغيير ما هم عليه من سكن منعزل في مستعمرات الجيتو داخل البلاد الأوروبية، حيث تأثروا بالنهضة الصناعية والفكرية في أوروبا، فتولد بينهم حركات قومية تطالب بلم شتاتهم والنهوض بأحوالهم، وكان من أوائل المفكرين بهذا الاتجاه تيدور هرتزل، الذي كتب كتابًا سنة ١٨٩٧م اسمه (روما والقدس)، فقد دعا المؤتمر اليهودي العالمي الأول في مدينة (بازل) في سويسرا، و قد تسمى هذا المؤتمر بالمؤتمر الصهيوني الأول، حيث طرح فيه على اليهود إقامة وطن قومي لهم، وتسمية المؤتمر بالصهيوني يرمز إلى جبل صهيون المذكور إلى القدس وإلى فلسطين عامة، وهناك صهيونية مسيحية بروتستانية نشأت عن انشقاق بعض البروتستانت إلى فرقة سمت نفسها بالتطهيريين، فكانوا من أوائل المهاجرين إلى أمريكا، تبنوا التعصب الديني والتمسك بتعاليم العهد القديمة (اليهودية) والعهد الجديد (الأناجيل المسيحية).

وقد انشق الملك البريطاني هنري الثامن حوالي سنة ١٥٣٨م من الكاثوليكية إلى البروتستانتية، فنشأت الكنيسة الأنجليكانية ولم يتبعوا البابوية، وقاموا بنشر وطباعة التوراة وتوابعها، حيث أصبحت جزءًا من ديانتهم سموه بالعهد القديم، تفريقًا له عن العهد الجديد المقصود به الأناجيل المسيحية، وهؤلاء حينما اقتربوا من دراسة اليهودية وترجمة مصادرها كانوا من أوائل المناصرين إلى إقامة وطن قومي لليهود، منهم المستشار البريطاني في القصر الملكي هنري فنش، دعا صراحة لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وفي سنة ١٧٠٤م كتب ناتانيال كروش كتابه (رحلتان إلى القدس) دعا فيه إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، كما أن مثل هذه الدعوة قد جاءت في كتاب جان جاك روسو (أميل) الصادر سنة ١٧٦٢م، وفي بريطانيا سنة ١٧٤٠م نشر اللورد أشلي مقالة لمشروع إقامة وطن يهودي في فلسطين في جريدة التايمز (٨/١٨)، ولهذا

يبدو أن البروتستانت وخاصة من طائفة التطهريين من أوائل المتحمسين والمساعدين لليهود على إقامة وطن قومي في فلسطين، وذلك فيما يبدو بدوافع فكرية متأثرين بالفكر الديني، الذي سبق لنا توضيحه من جهة، وبما أصاب اليهود من شتات، وربما كان الغرض الخلاص من نفوذهم ومشكلاتهم في أوروبا، التي ظهرت في العديد من المناسبات، كان آخرها التحالف اليهودي ضد ألمانيا الهتلرية.

أنشأت الملكة فيكتوريا صندوق استكشاف فلسطين ورئاسة كنيسة كانتربري، وكان غرضه التمهيد للمشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين، وفي سنة ١٦٤٢م تم مناقشة أول رسالة جامعية عن حقوق اليهود في فلسطين، وذلك بتأثر من الاتجاهات المسيحية الصهيونية (المتطهرين)، وفي سنة ١٨٥٢م تم تعيين وردر غريسون الذي تحول من الطائفة المسيحية الصهيونية إلى اليهودية، تم تعيينه قنصلاً للولايات المتحدة في فلسطين، وأنشأ أول مستوطنة يهودية في فلسطين على حسابه الخاص، وفي سنة ١٨٤٠ قامت طائفة المورمين في أمريكا بإرسال أورسون عايد إلى فلسطين، للتمهيد إلى جمع شتات اليهود بتمويل من هذه الطائفة التي كانت منتشرة في ولاية يوتاه، وكان لها توجهات صهيونية، ومن أوائل من أعلن دعمه للمشروع الاستيطاني لليهود في فلسطين من رؤساء الولايات المتحدة هو الرئيس جون آدامز سنة (١٧٦٧- ١٨٤٨م)، وفي سنة (١٨٧٨م) ألف القس وليام بلاكستون كتابه (عيسى قادم)، وقد ترجم إلى عدة لغات، وفيه دعوة إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بدعوة نبوتهم بظهور المسيح المنتظر، ثم أسس في شيكاغو البعثة العبرية إلى فلسطين، وقد تحول اسمها الآن إلى (الزمالة اليسوعية الأمريكية).

معركة هرمجدون

اتسع نفوذ المسيحية اليمينية المتصهينة على يد الكثير من طائفة المتطهرين السابق ذكرهم، وبعد انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧م واحتلالها القدس، ظهرت بين هؤلاء الأمريكيين مقولة حصول معركة كبيرة في فلسطين، يظهر في قيادتها المسيح المنتظر، وعززوا فكرتهم بما ورد من نبوة في العهد القديم سفر دانيال الإصحاح ٧ (١٣) «وكنت أنظر في رؤياي ليلاً، فإذا بمثل ابن إنسان آتٍ عليَّ أمام السماء، فبلغ أعلى قديم الأيام

وقرب إلى أمامه، وأوتي سلطانًا ومجدًا وملكًا، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه، وسلطانه سلطان أبدي لا يزول، وملكه لا ينقرض».

وقد آمن بهذه كثير من الساسة والكتاب والإعلاميين، حيث دعوا إلى تأييد إسرائيل، ومدها بالمال والسلاح، كي يقربوا بزعمهم من ظهور المسيح المنتظر وحصول هذه المعركة العظيمة بين الأمم، التي ستنتصر فيها المسيحية المتصهينة، والتي بزعمهم تستخدم اليهود وعقيدتهم التوراتية لأغراضهم، ومن أشهر معتنقي هذه العقيدة والمساعدين لنتائجها: رونالد ريغان وبوش من الرؤساء، ومن رجال الدين بيلي غراهام وفرانكلين غراهام وبات روبرسون وجيري فالويل وجيري فاينز، وقد شجعوا في هذه الحقبة توطين يهود الاتحاد السوفيتي في إسرائيل. إن تشجيع أوروبا وأمريكا لليهود، وإقامة دولتهم التي قامت على اغتصاب أراضي وبيوت الفلسطينيين، وتعهدهم بأمن إسرائيل على حساب العرب والمسلمين، كل ذلك يجري بالظلم واغتصاب الحقوق، ومثل هذا العمل لا يحمل مقومات وجوده في المستقبل، وذلك بسبب تغيير القوى الفاعلة في المستقبل: و﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الروم: ٤، وسيكشف المستقبل نتيجة الصدام الذي سيحصل في هذه المنطقة، وما سيكون عليه موقف الشيعة الإمامية خاصة، ويستطيع القارئ الكريم التنبؤ مستندًا إلى بوادر الصدام الحاصل اليوم في الشام والعراق واليمن.

العنصرية اليهودية

بَنت اليهودية تعاليمها الدينية التي كتبها أحبارها على فكرة كون اليهود عنصرًا متميزًا، خلقه الله دون سائر البشر، له من الحقوق والمميزات ما ليس لغيره، فاليهود في تعاليمهم لهم الحق في القتل والإجرام ضد المخالفين، فقد ورد في العهد القديم سفر يشوع الإصحاح ٨ (٢٤- وما بعدها) ما يفيد بأن بني إسرائيل قد تعرضوا في الصحراء إلى القتل، ولكن يشوع بن نون قام بالاستيلاء على خصومهم وعلى مواشيهم، فجعل بلاد الأعداء خرابًا، فمر بنو إسرائيل بويلات ذاقوها على يد كثير من الشعوب، التي استوطنوا بلادهم، مما جعلهم يلتفون حول أنفسهم، وأن لا ينام ويستقر غيرهم، فنشأ مجتمعهم

الانعزالي على قتل الغير، وقد طبعوا هذا الاتجاه بوضوح في تعاليمهم الدينية، فقد ورد في التلمود: «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ويَحرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين»، وهذا واضح في مسلك اليهود الإسرائيليين، ومعاملتهم للفلسطينيين، واشتهار ذلك بما لا يحتاج إلى بيان أو برهان.

وتتكرر قسوة الشيعة ضد مخالفيهم بالحروب والقتل، كما أوضحنا ذلك في مسلكهم منذ القديم في بلاد الشام.

أثر اليهود في فرق الشيعة في العصر الحديث

فرقة البابية

أسسها (الميرزا) السيد محمد الشيرازي المولود سنة ١٨١٩م في شيراز، وكان على مذهب الشيعة الاثني عشرية، وعند بلوغه الخامسة والعشرين ادعى بأنه باب الله، وأنه يتلقى علومه من الإمام المهدي المنتظر، وكلمة الباب تتردد في كتب الشيعة القديمة، حيث تذكر روايات من أحاديث تذهب بأن الإمام علي هو باب الله، أو هو باب مدينة العلم، أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو مدينة العلم وعلي بابها، ولهذا سمي أتباع هذا الرجل بالبابية، ثم ادعى بعد ذلك أنه هو المهدي المنتظر، وصدَقه أتباعه لما لهذه العقيدة من رسوخ في مذهب الشيعة الاثني عشرية، وقد كثر أتباعه في إيران، فادعى أنه نبي مرسل بكتاب اسمه البيان، وادعى أن روح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قد حلت به وتأول لصالحه قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ الرحمن: ٣ - ٤، ثم تمادى في دعواه، فقال: إنه هو قيوم الأسماء، وأنه مرآة الله. وهذا يفسر ادعاءه بالألوهية، أو أن الله قد حل به، وقد تبرأ منه علماء الشيعة الاثني عشرية، وكفروه، وطالب بعضهم بقتله، إلا أن السلطان اقتنع بمقولة من قال: إنه مجنون. أو معتوه. فقام بسجنه، ولكن دعواه قد انتشرت فادعى البابية أن شريعة الإسلام والقرآن الكريم قد نُسخت بشريعة الباب، وفي سنة ١٨٤٨م تجمع دعاة رؤوس البابية في مؤتمر (بدشت) قرب مدينة ما زندران

تناقلوا فيه آراءهم، فنادوا بنسخ تعاليم الإسلام، والتحلل من الصلاة والصيام وقواعد الشريعة، ونادوا بإباحة المحرمات مثل ما نادت قبلهم المزدكية.

وقد أيد اليهود الحركة البابية هذه لأنها تلتقي مع أفكارهم المتعلقة بالتناسخ والحلول، التي أوضحناها في المباحث المتعلقة بالرجعة والسبئية وبعض الفرق الصوفية وفكرة المهدي المنتظر، فلا حاجة لترديدها هنا، وذُكر أن الذي أثر بأفكار الباب منذ نشأتها شخص روسي، أثار في فكره تلك التعاليم التي ادعاها الباب وأتباعه، وتلتقي هذه الأفكار بأفكار اليهودي كارل ماركس الذي كتب كتابه المشهور (رأس المال)، وكذلك تلتقي بفكرة الإباحية التي اشتهر بها كثير من الفرق المارقة في إيران، كما ذكر أن القنصل الروسي بإيران في وقت سجن الباب، تدخل لدى السلطان محاولاً إطلاق سراحه، وعملت روسيا ومن ورائها اليهود وقتها على حماية البابية، واستخدامها لأغراضهم السياسية ضد المسلمين[١].

وقد ادعى الباب: أن لا نبي بعده، فحصر النبوة بنفسه، وقيل: إنه كاتب الشيخ الآلوسي في بغداد موضحًا له دعواه، ولما تيقن من تنفيذ حكم الإعدام به، وهو في السجن قام بإرسال أوراقه ومقلمته، وما خلفه من متاع إلى تلميذه الميرزا حسين علي المازندراني (الذي لقب بعد ذلك ببهاء الله)، وكان من أتباع الباب، ومن تلاميذه المقربين يحيى بن علي المازندراني، الملقب بصبح أزل. فمن هنا انقسمت فرقة البابية إلى ثلاثة أقسام، خاصة بعد مؤتمر (بدشت) السابق الإشارة إليه:

١. فرقة تزعمها بهاء الله المذكور، وذهبت إلى طهران.
٢. وفرقة تزعمها من يدعي بالقدوس، ومعه امرأة نافذة من البابية، اسمها (قرة العين)، هؤلاء ذهبوا إلى مازندران.
٣. وأما الفرقة الثالثة هي الأصلية، فقد تزعمها من يدعى بباب الباب (البشرؤي)، وقد استوطنوا خراسان.

(١) د. فرج الله عبدالباري: مصدر سابق، (ص٥٣-٦٧-٦٨)، دار الآفاق العربية، ط١، سنة ٢٠٠٦ م، القاهرة.

فرقة البهائية

وهي فرقة منسلخة من البابية، حيث كان الميرزا حسين علي المازندراني تلميذًا من أتباع الباب، وقد ولد سنة ١٨١٧ م في قرية (نور) من قرى مازندران بإيران، وقد تشبعت آراؤه بالبابية منذ شبابه، ولكن حينما بلغ السابعة والعشرين من عمره حاول التسلق، وأخذ مركزًا متقدمًا في البابية، ولكن الباب صده عن ذلك، ولمَّا وجده ذا جراءة وخطورة قدم عليه أخاه (يحيى بن علي المازندراني)، الذي لقب فيما بعد (صبح الأزل)، وبعد إعدام الباب تسلم بهاء الله قيادة البابية، ودخل مع أخيه يحيى الملقب (بصبح الأزل) في صراع على الزعامة، ولكي لا يستفحل الخلاف بين الطرفين قام السلطان بنفي صبح الأزل وأتباعه إلى قبرص، ونفى بهاء الله وأتباعه إلى عكا بفلسطين، وذلك بالاتفاق بين السلطان ناصر الدين (حاكم إيران) والسلطان العثماني.

وفي بداية الأمر كانت آراء بهاء الدين مؤسسة في أصلها على أفكار الباب، ولكنه ادعى النبوة مخالفًا بذلك دعوة سيده الباب بأنه خاتم الأنبياء. وقد كتب بهاء الله إلى السلطان ناصر الدين بدعوة النبوة، وأنه أُرسل بنور رباني لهداية الخلق، وانتشرت هذه الدعوة في عكا، ولما حضرت الوفاة لبهاء الله أوصى لابنه عباس، وقد تضاربت الأقوال؛ فالبعض نقل بأن الباب قد أوصى بخلافته إلى تلميذه يحيى المازندراني، الذي لقبه بصبح الأزل، ولكن بهاء الله اختطف الزعامة، وعلى العموم هذه الفرق قد كفرت بعضها بعضًا، وادعت بأنها الوحيدة على الحق، وقد وجدت اليهودية والصهيونية مبتغاها في هذا المذهب، الذي يلتقي في أهدافه مع أهدافهم في تضليل المسلمين والإكثار من تفرقهم، وتطورت دعوة البهائية إلى فكرة التحلل من قيود وأحكام الشريعة الإسلامية، واعتبارها قد نسخت، وأضفوا على زعيم البهائية صفات الخالق، وأن نور الله وبهاءه قد حل به، ونادت البهائية بفكرة المساواة بين البشر، والمناداة بالحرية، ومنعت البهائية تعدد الزوجات، متأثرة بالعداوة الغربية، ومنع الطلاق إلا في حدود ضيقة جدًّا، وعدم الالتزام بالعدة المشروعة. وطورت البهائية ديانتها إلى ما يشبه الصوفية، والذكر الذي قد يصاحبه العزف الموسيقي، وقالوا: إن قبلتهم ليست إلى الكعبة، بل إلى الله حيثما يكون، وفسرها بعضهم مكان زعيمهم بهاء الله، ودعت البهائية إلى فكرة وحدة جميع الأديان، وأنهم يأخذون من كل دين أحسنه

وأيسره، وما اقترب على قبوله، وقد استمال مذهب البهائية كثيرًا من الناس، حيث ترى البهائية أنه لا ضير أن يكون المسلم بهائيًّا والمسيحي واليهودي والهندوكي كذلك، فاتسع أنصارهم من جميع الملل، وأصبحوا مذهبًا عالميًّا غير محدود.

جهود اليهود في إسقاط الخلافة العثمانية

كان اليهود في إسبانيا والأندلس مضطهدين من قبل نصارى الإسبان، وعندما فتح العرب الأندلس، وأقاموا فيها دولتهم اعتبر اليهود الفاتحين العرب منقذين لهم من ظلم الإسبان، ولهذا عاش اليهود في الأندلس أيام الفتح الإسلامي أحرارًا في ديانتهم، ولم يتعرض لهم العرب بأي سوء، مما جعل نصارى الإسبان حينما ضعف الحكم العربي في الأندلس ينقضون مرةً أخرى على اليهود والعرب معًا، وقد دفع هذا كثيرًا من اليهود إلى التحول إلى الديانة النصرانية، وربما كان كثيرًا منهم يخفي ديانته اليهودية تحت ستار التظاهر بالنصرانية، ولكن تنبه النصارى الإسبان أخيرًا إلى هذا السلوك اليهودي، فنكلوا بهم مما دفع الكثير منهم إلى الهجرة خارج إسبانيا، وقد وصل منهم حوالي ثلاث مئة ألف يهودي إلى تركيا في عهد السلطان مراد الثاني، وكان لتسامح المسلمين الأتراك أثر كبير في تقبل هؤلاء اليهود، الذين تركزوا خاصة في مدينة أزمير وأدرنه، ثم انتشروا في عموم تركيا، وسيطروا على التجارة وبعض مفاصل الدولة، خاصةً أولئك الذين دخلوا الإسلام، سواء عن قناعة أو عن تقية وتستر.

لقد كانت جهود اليهود في تركيا منصبة على ما يأتي:

١. التجنس بالجنسية الأجنبية خاصة الأوروبية، تجنبًا لأداء الخدمة العسكرية المفروضة آنذاك، والتمتع بحماية الدولة الأجنبية وسفارتها في الدولة العثمانية.

٢. تظاهر أغلب هؤلاء اليهود بدخولهم الإسلام، وعُرفوا عند الأتراك باسم يهود الدونمة، أي أصحاب الانتماء الثنائي: (اليهودية والإسلام)، وقد نشطوا في المجالات التجارية، إلى أن وصلوا عن طريقها إلى النفوذ السياسي، فتقلد كثير منهم مناصب في الحكومة العثمانية، ومن أشهر اليهود الذين دعوا إلى الإسلام، وأصبح لهم نفوذ تجاري على سبيل المثال (محمد أفندي، ولقبه قافوجي باشي

إطراق) الذي توفي سنة ١٩٧٥م كما أن زوجته سارة دخلت الإسلام وسميت فاطمة، وقد عُرف عند المسلمين الأتراك في أدرنة بتخفيه بالإسلام.

ومن السياسيين اليهود الذين أصبح لهم نفوذ كبير مدحت باشا، الذي أصبح صدرًا أعظم، وعينه السلطان على ولاية العراق، ثم بعد ذلك الشام، ولكن اُكتشفت خيانته في عهد السلطان عبدالحميد فحكم عليه بالإعدام، ثم خفف الإعدام إلى السجن.

٣. قام يهود الدونمة في تركيا بإنشاء الجمعيات الماسونية السرية، ثم أسسوا جمعيات علنية تلتقي مع أهداف اليهود الصهيونية، مثل جمعية تركيا الفتاة، التي جرَت كثيرًا من الساسة الأتراك الذين خدعوا بأهدافها الظاهرية المتعلقة بتحرير تركيا من سطوة الدين الإسلامي على المجتمع إلى أن وصل الحال إلى إعلان التمرد على السلطان العثماني والمجاهرة بتخلف الديانة الإسلامية، وأنها هي سبب خذلان الدولة العثمانية، وقد امتد نفوذهم الصهيوني إلى مصر، ومن هذه الجمعيات أيضًا جمعية الاتحاد والترقي ذات الأهداف الصهيونية، التي انضم إليها كثير من اليهود، بل إن مؤسسها هو اليهودي إبراهيم تيمو من يهود الألبان، وقد تحالفت في جهودها مع البريطانيين في إسقاط الخلافة العثمانية، وامتد نفوذها أيضًا إلى مصر بجهود من اللورد كرومر حاكم مصر إبَّان الاحتلال البريطاني.

٤. عمل يهود الدونمة في تركيا على إثارة الأقليات من غير الأتراك على السلطة العثمانية، وعمل الوقيعة بين السلطان العثماني وتلك الأقليات بادعاء أن تلك الأقليات كانت مسلوبة الإرادة ومضطهدة، ومن أهم الأمثلة التي تنسب لليهود في هذا المجال عمل الوقيعة بين السلطان عبدالعزيز والأرمن، التي تفاقمت جذورها بما لا يحمد عقباه من إثارة الأرمن ضد السلطة، واضطرار السلطة في وقتها بمعاقبة من استجاب من الأرمن بتلك الوقيعة، وقد اتهم اليهود الأرمن بالتجسس والتأهب لاغتيال السلطان، وتهريب الأموال خارج تركيا، وادعى اليهود أن الأرمن يُحضرون للقيام بثورة ضد السلطان، كما فعلوا الشيء نفسه مع العرب.

٥. طالب اليهود صراحةً السلطان أن يسمح لهم وليهود العالم بالهجرة والإقامة في فلسطين، بعد تخطيطهم الذي تم في مدينة بال سنة ١٨٩٧م بزعامة هرتزل، الذي التقى بالسلطان عبدالحميد، وقدم له إغراءات مالية كبيرة، ولكن السلطان رفض جميع ما طلبه هرتزل، وما عرضه من دفع خمسة ملايين ليرة ذهبية، وقد كرر عرضه ثلاث مرات على السلطان، كان آخرها سنة ١٩٠٣م، والسلطان يكرر عليه بأن فلسطين هي لجميع المسلمين، ولا سلطة له في بيعها، فكان نتيجة كل ذلك تآمر اليهود وإثارة الأقليات في البلقان والأرناؤوط والأرمن وغيرهم، ومحاولة اغتياله إلى أن توصل اليهود بدهائهم إلى استصدار قرار من مجلس الأعيان بعزل السلطان عبدالحميد، وقام بإبلاغ السلطان بهذا القرار اليهودي (عُمانوئيل قره صو)، وقد فصَل السلطان في رسالته إلى الشيخ أبي الشامات، كيف سعى اليهود في عزله، وإثارة القلاقل ضده، نتيجة رفضه لعروضهم (هو الشيخ محمود أبو الشامات شيخ الطريقة الشاذلية) حتى انتهى الأمر بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى، وانكسارها أمام الحلفاء، وتقسيمها في معاهدة سايس بيكو، وتولى مصطفى كمال أتاتورك تنفيذ المؤامرة في إسقاط الخلافة العثمانية، وإنشاء دولة تركية علمانية، كما هو معروف عن سيرة أتاتورك.

وقد اعترفت دائرة المعارف الماسونية بجهود أتاتورك المتعلقة بما يأتي: إبطال السلطنة، إلغاء الخلافة، إبطال المحاكم الشرعية، إلغاء دين الدولة الرسمي، إلغاء الأوقاف[١].

طقوس وعقائد لليهود

السحر والكهانة عند اليهود

إن السحر والكهانة كانت من ممارسات المجتمعات القديمة، تُستخدم برغم ادعاءاتها الباطلة لكي يوهم بها من يتطلع إلى كشف الأسرار ومعرفة المستقبل، ويبدو أنها كانت ممارسات شائعة في عهد الفراعنة وفي المجتمع الإسرائيلي اليهودي، برغم أن هذه الممارسة قد حرمتها نصوص التوراة في سفر تثنية الاشتراع. الإصحاح ١٨ الفقرات

(١) د. فرج الله: مصدر سابق، (ص ١٤٢)، وما بعدها.

(٩-١٨) «حتى إذا دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك إياها، فلا تتعلم أن تصنع مثل رجس تلك الأمم، لا يكن فيك مؤمن يحرق ابنه أو ابنته بالنار، ولا من يتعاطى عرافةً ولا منجمًا ولا متكهنًا ولا ساحرًا، ولا من يشعوذ، ولا من يستحضر الأشباح أو الأرواح، ولا يستشير الموتى، لأن كل من يصنع ذلك هو قبيحة عند الرب، وبسبب تلك القبائح سيطرد الرب إلهك تلك الأمم من أمامك، بل كن كاملًا لدى الرب إلهك؛ لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب، وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك، وأما أنت فلم يُجز لك الرب إلهك مثل ذلك».

كما أن التوراة ذكرت بأن الله قد أيَد موسى وهارون بمعجزة انقلاب عصاه إلى حية، أكلت جميع حيات سحرة فرعون؛ ففي سفر الخروج الإصحاح ٧ الفقرات (٨-١٣) ورد «.... فألقى هارون عصاه أمام فرعون وحاشيته فصارت تنينًا، فدعى فرعون أيضًا العلماء والعرافين، فصنع سحرة مصر كذلك بسحرهم، ألقى كل واحد عصاه فصارت العصي تنانين، فابتلعت عصا هارون عصيهم، فتقسى قلب فرعون ولم يسمع لهما، كما قال الرب».

كما تحكي التوراة: أن سلط الله على فرعون وقومه انقلاب مياههم إلى دماء، وانتشار الضفادع والبعوض والذباب، وموت المواشي، والقروح، كل ذلك بسبب عدم إيمان فرعون، ورفضه خروج بني إسرائيل من مصر، حيث ورد تفصيل ذلك في سفر الخروج الإصحاح الثامن.

وقد أثرت دعاوى السحر والكهانة والشعوذة على الكوفة قديمًا، وحصلت حوادث تم فيها معاقبة والي الكوفة (عبدالله القسري) لبعض المشعوذين، وهذا الموضوع يتكرر في مجتمعات الشيعة الجهلة إلى يومنا الحاضر، حيث يصدقون شيخ العرافين في قراءة الطالع، وربما مارسوا السحر لأغراض شتى، وسنشير للمصادر في موضعها القادم.

الصلاة عند اليهود

تسبق الصلاة غسل اليدين، أو ربما الاغتسال للجسد كله، وتؤدى الصلاة فرادًا في البيت، أو أي مكان، كما تؤدى جماعة في المعبد ثلاث مرات في اليوم: عند الفجر، وعند

الظهر، وفي المساء. ويُدعى للصلاة عن طريق البوق، وتؤدى الصلاة للرجال غالبًا واقفين أو جالسين أو ساجدين، ويجب تغطية الرأس، ووضع شال على الكتفين، كما يقوم بعضهم بوضع صندوق من الجلد صغير على الرأس أو على الكتف أو على إحدى الأصابع، يحتوي على التعاليم للرب يدعى (التفيلين) أن يقبل صلاته ودعاءه، وفي الصلاة يتم قراءة أدعية أو بعض نصوص من التوراة في الصلاة الجماعية في المعابد، وقد يتم فيها الأناشيد والمزامير، ومن الأدعية المشهورة عندهم في الصلاة: «الحمد لك، لأنك لم تجعلني وثنيًّا ولا عبدًا ولا امرأة»، كما ورد في التلمود الدعاء الآتي: «شكرًا للإله الذي جعلني إسرائيليًّا، والذي لم يجعلني امرأة، ولا خلقني فظًّا غليظ الطباع»[١].

ويقرأ في الصلاة نص الشماع أيضًا (السماع) ونصه: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» (تثنية -٦/٤)، وهو يشبه منطوق الشهادة عند المسلمين، ولكن الإله الواحد عند اليهود يعدونه إلههم دون بقية الشعوب في حين يرى المسلمون أن الله إله واحد لجميع الخلق.

ولعل صلاة الشيعة الاثني عشرية على التربة الحسينية لها علاقة بما نقلناه سابقًا من وضع الصندوق الصغير على جباههم، كما يتلون في صلاتهم أو بعدها أدعية فيها شتم الخلفاء الثلاثة ومخالفي الشيعة عمومًا.

الصيام عند اليهود

يتم الصيام عند اليهود في بعض الأيام، وذلك بسبب المناسبات التاريخية التي مروا بها، مثل صيام الغفران، واليوم العاشر من شهر تشري، وهو الشهر السابع من السنة العبرية، وكذلك صيام يوم الثامن عشر من شهر تموز يونيه، قيل: إنه يوم تحطم ألواح التوراة المقدسة، أو أنه يوم هدم الرومان أورشليم سنة ٧٠م، وكذلك صيام التاسع من شهر آب، وهو يوم هجوم الملك نبوخذ نصر على أورشليم، أو صيام يوم أستير، وهو اليوم

(١) أسعد السحمارني: ترجمان الأديان، (ص ٢٤٩ -٢٧١-٢٧٦-٢٨٦) دار النفائس، بيروت، ط/٢، ٢٠١٢م. ويراجع في هذا الموضوع ما كتبناه في كتابنا (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة) (ص ١٣- ٧٢)، كما يراجع كتابنا (جذور التشيع) من (ص١٢٠ تحت عنوان (علاقة العرب والشيعة باليهودية والديانات القديمة) إلى ص ١٩٨)، كما يراجع كتابنا (أثر العناصر الأجنبية في فكر بعض الشيعة الاثني عشرية) الفصل المتعلق بالمدارس اليهودية وكنائسهم.

الذي أنقذت فيه أستير اليهودية الشعب اليهودي من مكيدة وزير الملك الفارسي دارا، حيث كانت جميلة، تعرضت للملك فتزوجها، وطرد وزيره تحقيقًا لرغبتها، كما يوجد أيام صيام أخرى وردت في التلمود، كعشرة أيام قبل يوم الغفران، وأيام الخميس في السنة الكبيسة، وصيام العروسين قبل الزفاف، أو الصيام بمناسبة وفاة الوالدين[١].

وعند الشيعة الإمامية يسن الصيام في عدة مناسبات، ذكروها في كتب الفقه، أغلبها متعلقة بتواريخ أئمتهم، كما سنذكر ذلك في موضعه.

تقديس يوم السبت عند اليهود

يقدس اليهود يوم السبت، فلا يعملون فيه، ولا يشعلون نارًا، وقديمًا لا يحلون فيه حربًا، ويدَّعون أن الله قد استراح في هذا اليوم بعد أن خلق الكون في ستة أيام، فحريًّا بشعبه أن يفعل مثله، تعالى الله عن ذلك، حيث نفى سبحانه في القرآن الكريم أن يكون قد تعب، فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ ق: ٣٨، فكان اليهود غالبًا لا يسافرون في هذا اليوم، ولا يعقدون زواجًا، ولا يعقدون عقد إجارة، ولا يقبضون أو يدفعون مالًا في هذا اليوم، ولكن فيما بعد أحل لهم كهنتهم بعض هذه الأعمال لعدة مبررات، منها الدفاع عن النفس في الحرب، وقد بالغ بعض اليهود في تحريم العمل يوم السبت، فقد حكى لي أحد الرجال من نجد والساكنين في مدينة البصرة في العراق، حيث كان فيها كثير من اليهود قبل رحيلهم إلى إسرائيل، فقال: كنت في ضحى أحد أيام السبت ماشيًا في الطريق، فأشارت إليَّ امرأة بيدها: أن اتبعني. فتبعها إلى أن دخلت البيت، فدخل وراءها، فطلبت مني أن أفتح مصباح الكهرباء، و إشعال موقد النار. وقالت معتذرة: أنا يهودية، لا يحل لنا يوم السبت أن نشعل نارًا، ولا حتى نفتح نور المصباح. وشكرتني، وخرجت، ويبدو أنها قد اعتادت على مثل هذا الطلب كل سبت، وعلى رأس كل شهر قمري أهمية عندهم، حيث يقدسون هذا اليوم، ويجب على اليهودي التحري جيدًا عن أعماله، ويسمى عندهم عيد الهلال، وخاصة إذا وقع في رأس السنة اليهودية، والتي تبدأ في شهر

---

(١) حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي وأطواره ومذاهبه، (ص ١٩٠)، الإسكندرية، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧١م.

تشرين الأول أكتوبر، وفي اليوم الرابع منه يصومون تذكارًا لليوم السيئ الذي نَصب فيه نبوخذ نصر أحد ولاته على يهود فلسطين، وفيه يكثرون من الصلاة والطلب من الرب بتعجيل ظهور المسيح المخلص، وهذا اليوم يسمونه عيد الغفران، حيث يجب على كل يهودي أن يتوب فيه إلى اللّه، ومن الأيام المهمة عند اليهود عيد الفصح، وهو اليوم الذي تم فيه خروج اليهود من مصر، بعد أن تجهزوا لهذا الخروج، وأخذ ما تيسر من ذهب، وفيه تمت الوصية بأن يعملوا خبزهم فطيرًا، وهم على عجلة من أمرهم للخروج، حيث إن تخمير العجين سوف يؤخرهم، ولهذا ارتبط أكل الفطير بعيد الخروج.

ففي سفر الخروج الإصحاح ١٣ الفقرة ٣ وما بعدها: «فقال موسى للشعب: أذكر ذلك اليوم الذي خرجتم فيه من مصر، من دار العبودية، لأن الرب أخرجكم بيد قوية من هناك، فلا يؤكل خمير».

«اليوم الذي أنتم خارجون فيه هو في شهر أبيب، تقيم هذه العبادة في ذلك الشهر: سبعة أيام تأكل فطيرًا في اليوم السابع عيد للرب... وتخبر ابنك في ذلك اليوم، قائلاً: هذا لسبب ما صنع الرب إلى حين خرجت من... لأن الرب بيد قوية أخرجك من مصر». وقد ارتبط بهذا اليوم طقس الذبح، حيث ورد في الوصية بذبح كبش، وتلطيخ دمه على باب، فقد ورد في سفر الخروج الإصحاح ١٢ (٢٠-٢٢) «فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل، وقال لهم: اقتطعوا، وخذوا لكم غنمًا، بحسب عشائركم واذبحوا الفصح، ثم تأخذون باقة زوفى، وتغمسونها في الدم في الطست، وتمسون عارضة الباب وقائمته بالدم الذي في الطست، ولا يخرج أحد منكم من باب منزله إلى الصباح». وعند بعض فئات من اليهود المتعصبين ضد المسلمين أو المسيحيين قديمًا عمل فطيرة الخبز، معجونة بتلك الدماء، أو يستعاض عنها بدم غير يهودي يذبح إن أمكن، فقد ذكر نجيب الكيلاني في كتابه (دم لفطير صهيون) بيروت، دار النفائس، ط ٨، سنة ٢٠٠٢م. إن يهود باب توما بدمشق سنة ١٨٤٠م قام كل من سليمان الحلاق والثري داوود هراري والحاخام موسى أبو العافية والحاخام سلانيكي وآخرون بخطف الأب اليسوعي في ٢ ذي الحجة من تلك السنة، فذبحوه وعملوا فطيرة من دمه، فكشف مؤتمراتهم، وتمت محاكمتهم. وتتردد مثل هذه

القصة في مصادر كثيرة عن أطفال أُختطفوا من يهود، لهذا الغرض في كل من العراق واليمن، ومن الأيام المهمة عند اليهود يوم عيد المظلة، وهو يوم يدعون فيه بأن الخالق أراد أن يذكرهم بما مَنَّ عليهم من الخروج من مصر، وتخليصهم من ظلم فرعون، حيث إنهم لَمَا خرجوا إلى سيناء اتخذوا عشًا وأكواخًا تظلهم من حرارة الشمس، ففي هذا اليوم يطلب من اليهود ترك منازلهم والخروج إلى البر، وأن يعملوا أكواخًا من القصب، وما تيسر من الأشجار، تذكيرًا لهم بذلك اليوم، وأن يتعلموا على خشونة الحياة، ففي سفر الأحبار (اللاويين) الإصحاح ٢٣ (٣٩-٤٣) «تقيمون في الأكواخ سبعة أيام: فليقم في الأكواخ كل ابن البلد في إسرائيل، لكي تعلم أجيالكم أني في الأكواخ أسكنت بني إسرائيل، حيث أخرجتهم من أرض مصر أنا الرب إلهكم».

وقد تحولت هذه المناسبة إلى أن تكون يومًا لتخزين الحبوب والثمار في آخر الصيف، ومنها عندهم عيد الأسابيع، وهو بمناسبة تسلم النبي موسى للألواح، وقد أمروا في هذا العيد بعد أن يجمعوا غلالهم من الحقول، وأن يذبحوا بعضًا من الغنم أو البقر قربانًا إلى الله، ولإطعام الكهنة والمحتاجين، فقد ورد في سفر الأحبار (اللاويين) الإصحاح ٢٣ (١٥- وما بعدها) «.... وتدعون في ذلك اليوم عينه إلى محفل يكون لكم مقدسًا، فلا تعملوا فيه عمل خدمة فريضة أبدية في جميع مساكنكم مدى أجيالكم، وإذا حصدتم حصيد أرضكم فلا تذهب في الحصاد إلى أطراف حقلك ولقاط حصيدك، لا تلتقط، بل اترك ذلك للمساكين والنزيل أنا الرب إلهكم».

ويقع هذا اليوم في آخر يوم من شهر أيار مايو، ويهتم اليهود بمناسبات أخرى كيوم اليوبيل الفضي والذهبي والماسي، وكذلك مناسبة الهولوكوست، وهو يوم يزعمون فيه: أن هتلر زعيم ألمانيا أحرق الآلاف من اليهود، لتآمرهم ضده، وكذا يوم مناسبة الاستقلال، وهو يوم قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين المغتصبة سنة ١٩٤٨م.

وعند الشيعة الإمامية مناسبات وأيام في السنة أو في الشهر، تكون نحسة، لا يجوز فيها عقد الزواج، أو إبرام شأن مهم، كما أن مناسباتهم كثيرة، خاصة تلك المتعلقة بزيارة قبور أوليائهم.

الختان في اليهودية

الختان في اليهودية واجب ديني يُفرض على الصبي منذ يومه الثامن إلى ما قبل البلوغ، وقيل: إنها عادة أخذوها عن الفراعنة أو عن نبي الله إبراهيم، وغير المختون لا يجوز تزويجه ولا الأكل معه، وجاء في تعليل الختان: أن في هذا القطع قربة إلى الله تعالى، تشبه القربة من ذبح الماشية، كما عللت بأن في هذا الفعل طهارة من موضع تجمع النجاسة من البول، وقد ورد فعل الختان في سفر التكوين الإصحاح٣٤ (١٤-١٥).

وهنا نتساءل: هل أن الختان عند بعض الشيعة يفسر بدم الفداء عن الحسين رضي الله عنه، فعندهم التطبير لجبهة الوجه وجريان الدم فيه معنى التكفير عن رهق دم الحسين رضي الله عنه.

اللحوم والمأكولات

تتطلب اليهودية أن يذكر اسم الله عند ذبح الماشية من منحرها والقاعدة عندهم أن كل ماشية من ذوات الظلف المنقسم والمجترات يكون لحمها حلالًا، فالحصان لأن له ظلف واحد يحرم أكله، وكذلك الجمل؛ لأنه ليس له ظلف، ومثله يحرم الأرنب؛ لأن له أظافر وكذا له أنياب بالرغم من أن الجمل والأرنب من المجترات، ويحل أكل الطير إلا ما كان له أظافر ومنقار كاسر، كما يحرم عندهم أكل السباع المفترسة، ويحرم كذلك أكل الخنزير، فقد ورد في الإصحاح ١١ (١-١١) «.... كل مجتر من البهائم إياه تأكلون.......»، وكل ما ليست له زعانف وحراشف مما في البحار والأنهار فهي قبيحة لكم؛ فاليهود يحرمون أكل الأسماك الملساء: كسمك الجري في العراق، ويبدو أن الشيعة متأثرون باليهود في تحريم سمك الجري وأكل الأرنب، كما هو مشهور في كتب الفقه.

الطعام على روح الميت

ورث المجتمع اليهودي البابلي في العراق عادة أكل طعام معين على روح الميت بعد أيام من وفاته، وهذه العادة في الحقيقة كانت موجودة في الديانة البارسية (الفارسية المجوسية)، كما كانت متأصلة في مجتمع الصابئة في العراق، وإنه وإن كان اللوفاني غالبًا من فطائر الخبز ومشتقات الألبان عندهم، فإن هذه العادة وجدت في كثير من الديانات

والشعوب، وقد تعددت أسماؤها وكيفيتها إلى أن أصبحت في النصرانية، مثلًا دعاء يتلى قبل أكل كل وجبة طعام، (اقتداءً بالعشاء الرباني بالمسيح وتلاميذه)، وفيما يبدو فإن هذه العادة استعارها الشيعة خاصة في العراق وفارس، حينما يعدون هريسة الحسين، التي تعد يوم عاشوراء، وما يصاحبها من تلاوات وأدعية، ومباركة من يطبخها، ومن يضع حتى خوصةً تحت القدر الموقد لشعلها.

وقد فصلت الليدي دراور في كتابها عن الصابئة، هذه العادة القديمة في العراق، تحت مسميات مختلفة، ولكنها لم تربط هذه العادة بالهريسة عند الشيعة، ولا بعادة أكل وجبة من الطعام تسمى الأربعينية بعد وفاة الميت بأربعين يومًا، وهي عادة منتشرة بين شيعة العراق.

الربا في اليهودية

تُحرم اليهودية أخذ الربا (سعر الفائدة) في التعامل بين اليهود أنفسهم، ولكنها تجيز أخذ الربا من غير اليهودي، فقد ورد في سفر اللاويين الأحبار الإصحاح ٢٥ (٣٥-٣٦): «إذا أقرضت فضة لأحد من شعبي الفقير عندك، فلا تكن له كالمرابي، ولا تفرضوا عليه ربا»، أما حلية الربا وأخذها من غير اليهودي، فقد وردت في سفر تثنية الاشتراع الإصحاح ٢٣ (٢٠ -٢١): «لا تقرض أخاك بفائدة في فضة أو طعام أو شيء آخر مما يقرض بالفائدة، بل تقرض الغريب بالفائدة، وأما أخوك فلا تقرضه بالفائدة»؛ لأن الربا في الإسلام والمسيحية محرم، فقد تخصص منذ القديم بعض اليهود في مهنة صرف النقود وعملية الإقراض لأخذ الربا، وقد ذهب أحد الآراء إلى أن نشأة البنوك الربوية، إنما هي تطور من أعمال القروض بالربا، وضربوا لذلك مثالًا بأعمال أسرة المرابي اليهودي الألماني الأصل: روتشيلد. كان مع أبنائه وراء إقامة البنوك الربوية[١].

ولشيوع ممارسة اليهود لمهنة الصرافة والقروض الربوية، فقد ذكر لنا التاريخ: أن الوزير علي بن الفرات قام باقتراض مبلغ من صيارفة، وهما: يوسف بن فنجاس وهارون بن عمران اقترض عشرة آلاف دينار في أوائل القرن الرابع الهجري، وعند بعض

(١) أسعد السحمراني، مصدر سابق (ص ٣٠٥-٣٢٦ -٣٢٧-٣٤٠).

الشيعة الإمامية يحل لهم أكل أموال المخالفين (السنة) بأي وسيلة، كما هو منقول في بعض كتب الفقه المعززة بأحاديث منسوبة للأئمة كما سنشير إلى ذلك.

المرأة في اليهودية

المرأة في اليهودية في مرتبة أدنى من الرجل؛ ففي دعاء الصلاة عندهم: «الحمد لله الذي لم يخلقني امرأة»، والمرأة تقول: «مبارك أنت يا رب الذي خلقتني بحسب مشيئتك». وتنسب التوراة الخطيئة التي أخرجت آدم وحواء من الجنة إلى حواء، حيث أراد الشيطان غوايتها، فأراد الدخول عليهم في الجنة، فمُنع من ذلك فتجسد بصورة حية، أو أنه دخل في الحية، ثم دخل إلى الجنة واتجه إلى حواء، فوسوس لها أن تأكل من الشجرة المحرمة، فأخذت ثمرة منها فأكلت وأعطت آدم، فغضب الخالق عليهما، وأنزلهما إلى الأرض؛ ولذا فاليهودية تنسب لحواء بأنها قد تسببت في جميع شرور والألم على البشرية في الأرض، فقد ورد في سفر التكوين الأصحاح٣(٦ وما بعدها): «ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للأكل ومتعة للعيون، وأن الشجرة منية للتعقل، فأخذت من ثمرتها وأكلت، وأعطت أيضًا زوجها الذي معها فأكل... هل أكلت من الشجرة التي أمرتك ألا تأكل منها؟ فقال الإنسان: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت».

الزواج وسن البلوغ عند اليهود

يتحدد سن الزواج عند اليهود بسن البلوغ للأنثى سن الحيض وللصبي بلوغ الاحتلام، وفي بعض النصوص بلوغ البنت اثنتي عشرة سنة، والصبي ثلاث عشرة سنة، هذا في النصوص الدينية، ولكن في قوانين الأسرة يتحدد في الغالب بسن الثمانية عشرة، والزواج فرض على كل يهودي، ويجب أن يكون الطرفان يهوديين، ومن نصوص التوراة يفهم بأن الزواج يتم عن طريق شراء المرأة بمبلغ معين، تطور إلى ما سُمي بالدوطة، فقد ورد في سفر راعوت الإصحاح (١٠-٤): «وأما راعوت الموابية امرأة محلون، فأنتم شهودي على أني اشتريتها أيضًا امرأة لي».

والحقيقة أن القانون الروماني الذي عاش في ظله اليهود يعد أن الزواج بشراء المرأة قسمًا من الأقسام المشروعة للزواج، إضافة إلى الزواج الاختياري الذي يتم عن

طريق الخطبة، وقد تطورت قوانين الأسرة عند اليهود في العصر الحديث، فعند يهود لبنان ينص قانونهم على أن أركان الزواج ثلاثة، وهي: الأول: تسمية المرأة على الرجل، وتقديسها عليه بقبولها بخاتم يعطيه إليها، يدًا بيد بحضرة شاهدين شرعيين، قائلًا لها بالعبرية: تقدست لي زوجة بهذا الخاتم أو بكذا، وإن كان شيئًا آخر. والثاني: العقد شرعي مكتوب. والثالث: الصلاة الدينية صلاة البركة بحضرة عشرة رجال على الأقل.

وتعدد الزوجات أمر مباح في اليهودية، ولم يرد له حدٌّ عددي في النصوص، لا من التوراة، ولا من التلمود، ولكن في القرون الوسطى في حدود القرن الخامس عشر، أفتى بعض كهنة اليهود بتحريم تعدد الزوجات، ويبدو أنهم تأثروا بالمجتمع المسيحي الأوروبي، الذي يشنع على تعدد الزوجات، أما يهود الشرق فقد ظلوا يمارسون تعدد الزوجات، والطلاق أمر مباح في اليهودية بيد الرجل، ولا يحتاج إلى مبررات، كما أن المرأة اليهودية في الأنظمة الحديثة يحق لها طلب الانفصال عن زوجها إذا أثبتت الضرر من سوء معاملة، وإذا توفي الزوج فإن أحد إخوته يتزوج زوجته، فإذا ولدت ابنًا سُمي باسم الزوج الميت، وذلك إحياءً لذكراه، وإذا الأخ الشقيق رفض الزواج، فإنه يتعرض للعقوبة.

وينسب الولد لأبيه اليهودي، أما إذا كان الأب غير يهودي، فإنه ينسب لأمه، فالقاعدة عندهم أن اليهودي هو من خرج من رحم يهودية.

ويجب على المطلقة أن تعتد اثنين وتسعين يومًا، والحامل عدتها أن تضع حملها، وترضع طفلها سنتين قبل أن تتزوج مرةً ثانية. وحضانة البنت من حق المطلقة إلى أن تتزوج هذه البنت، أما الولد فحضانته من حق المطلقة، حتى يبلغ ست سنين فتنقل الحضانة إلى الرجل[١].

ومن المحتمل أن زواج المتعة عند الشيعة الاثني عشرية من مؤثرات الديانة اليهودية، خاصةً ممارسات اليهود للزواج المؤقت في العراق وإيران قديمًا، فقد ورد في التلمود البابلي نصان يدلان على ممارسة الكاهن اليهودي الزواج لليلة واحدة، خاصة عندما ينوي السفر

(١) الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٤٦-٤٧).

أو يكون في سفر: «إن الراب نحمان حينما يأتي إلى شكنزب كان يعلن: من ترغب أن تكون لي ليوم واحد...»، والنص الثاني متعلق براب آخر، الذي اعتاد أن يزور مدينة دار شير كان يقول بين النساء «... من تود أن تكون لي ليوم واحد»، وبالرغم من اعتراض بقية الكهنة فيما بعد على هذه الممارسة، فالذي يبدو أنها كانت شائعة في تلك المدن الفارسية التي كان يقطنها اليهود.

وهذا الميراث من الحضارات القديمة استمرت جذوره وتطبيقاته في عصور مختلفة، إلى أن ورثها الشيعة الاثنا عشرية، ووضعوا لهذه الممارسة قواعد شرعية، ساعدهم على ذلك ممارسات العرب في الجاهلية، لما يقرب من هذا النوع من الزواج كالاتصال بصاحبات الرايات بمكة (البغاء)، ونكاح تعدد الأزواج، كما يشير إلى ذلك حديث السيدة عائشة رضي الله عنها في الصحيحين.

والمتعة عند الشيعة الإمامية لا ميراث فيها، ويثبت فيها نسب الولد، وعدتها نصف عدة المرأة في الزواج الدائم، ولا تحديد للعدد فيها... انظر: كتابنا (الزواج المؤقت)، وانظر أيضًا: (التلمود البابلي).

دفن الموتى وقبورهم

لليهود أساليب ومعتقدات في كيفية دفن موتاهم، ووضعهم في القبور، وقد يطول شرحها، ولكن ما هو جدير بالإشارة إلى أن هناك تشابهًا بين اليهودية والشيعة فيما يتعلق بعادة زيارة القبور في يوم العيد، وتلاوة الأدعية والبكاء حولها، وهذه العادة منتشرة أيضًا بين بعض السنة في العراق. والصفة الثانية: أن اليهود يحرصون على دفن الميت في أرض إسرائيل، فإن لم يتمكنوا من ذلك يقومون بذر بعض تراب إسرائيل على رأس الميت قبل دفنه، وعند الشيعة من الأفضل أن يتم الدفن في النجف قريبًا من قبر الإمام علي وقبر الحسين في كربلاء، وتدور حول المدافن وترابها جملة من الموروثات والأحاديث المنسوبة إلى الأئمة منها شفاعة الإمام وإدخال الميت إلى الجنة[١].

---

(١) الليدي دراور: الصابئة المندائيون، ترجمة: نعيم بدوي، وغضبان رومي، (ص ٣١٥)، ط٣، بغداد، ١٩٨٧م، بغداد.

الأعياد والمواسم اليهودية

كثيرةٌ هي الأعياد والمواسم الدينية عند اليهود، ولكن نشير إلى أقربها تأثيرًا في المجتمع العربي والإسلامي، ومجتمع الشيعة خاصةً، منها عيد رأس السنة (روش هاشاناه)، ويقع في اليوم الأول والثاني من شهر تشرين الأول، ويعتقد أنه بمناسبة خلق الله للعالم وسيكون يوم الحساب أيضًا، ومنها عيد الغفران، ويقع في اليوم التاسع من شهر تشرين اليهودي، ويصوم فيه اليهود، ولا يخرجون من بيوتهم، وهو بمناسبة الخروج من مصر.

ومنها عيد المظلة الذي يعمد فيه اليهود إلى أرض الخلاء، فيبيتون تحت مظلات من القش والأشجار، تذكيرًا لهم بمناسبة إقامتهم وانتشارهم في صحراء سيناء، واتخاذهم المظلات حيث تذكرهم بشظف العيش، وما حصل لهم من متاعب، ويقع في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين اليهودي (أكتوبر).

ومنها عيد الأنوار (الحانوكاه)، ويقع في اليوم الخامس والعشرين من شهر كسلو اليهودي (كانون الأول)، وهو بمناسبة دخول يهوذا إلى أورشليم، وإعادة الشعائر اليهودية في الهيكل، كما يدعون بأنه سمي بعيد الأنوار؛ لأن معجزةً حدثت في إضاءة المعبد ليهوذا، بزيت كان لا يكفي إلا ليوم واحد، بينما استمر الزيت مشتعلاً ثمانية أيام إضافية، وقد رمزوا لهذه الأنوار بشمعدان له تسعة رؤوس، تضيء الشموع على عدد تلك الأيام، وتبنت الصهيونية هذا العيد في إسرائيل، وأضافت إليه العديد من الاحتفالات، ومنها عيد البوريم أو المساخر، ويقع في الرابع عشر من آذار مارس، وهو بمناسبة الاحتفال باليوم الذي أنقذت فيها الفتاة اليهودية إستير من مؤامرة، لذبح يهود فارس، من قبل وزير الشاه كورش، حيث قيل: إنها أغوته حين تمشط شعرها أمامه.

ولكثرة ما يشرب فيه من خمر، سماه العرب بفارس والعراق بيوم المساخر، لما يسخر به من أحوال المخمورين.

ومنها عيد الفصح (بيساح)، ويرمز إلى خبز الفطير الذي حمله اليهود، مسرعين حين الخروج من مصر، ولم يتمكنوا من تخميره، وفي هذا العيد يذبحون فيه حملًا أو شاةً

أو جديًا، ويضعونه أمام بيوتهم ليأخذه الفقراء. وكلمة الفصح بالعبرية تعني العبور، رمزًا لعبور اليهود البحر مع نبي الله موسى، ونجاتهم من جيش فرعون، ومن يأكل خبزًا مخمرًا في هذا اليوم يعد عاصيًا ومخالفًا لدينه، وقد اتهم اليهود وخاصةً في الشام بعجن خبز الفطير بدم شخص مسيحي، وجرى بسبب ذلك دعاوى قضائية، تم فيها تدوين من قتل وأخذ دمه لهذا الغرض.

ومنها عيد الحصاد الذي يقع في آخر مايو بمناسبة نضوج أول الثمار، التي كانت تُهدى إلى المعبد، بالإضافة إلى مناسبة نزول التوراة، وتسلم نبي الله موسى الألواح في جبل سيناء، وعبَر عنه بعض أحبارهم بأنه مناسبة زواج الله للشعب اليهودي.

ومناسبة تسمى تيشاع بآب، وهو يوم حزين بسبب سقوط أورشليم وهدمها، وفي هذه المناسبة يكرر اليهود أحزانهم بسقوط بيتار سنة ١٣٥ ميلادية، وخروج اليهود من إسبانيا سنة ١٤٩٢ميلادية.

ومناسبات الشيعة الإمامية الدينية لا تنقطع خلال السنة، التي غالبًا ما تتمحور حول قبور أوليائهم.

إقامة الدولة عند اليهود

انقسم اليهود إلى قسمين: قسم ينادي بإقامة إسرائيل من أجل جمع اليهود من الشتات في ظل دولة تحميهم، مما مروا به من ويلات في أصقاع العالم، وهؤلاء هم اليهود الصهاينة المعبرون عن أكثرية اليهود، منهم المتدينون المعتدلون، ومنهم اليهود غير المتدينين، ولكنهم جميعًا يلتقون بوجوب إقامة دولة إسرائيل، وتعضيدها والإسهام في بنائها.

والقسم الثاني سموا أغودات إسرائيل، فكانت تحت اسم حزب الحريدي، وهم من المتدينين الغلاة، الذين يعتقدون أن إقامة الدولة لا تتم إلا بعد ظهور أو قدوم المسيح المنتظر، واعتبروا إقامة دولة إسرائيل مأزقًا ضد اليهود، وقد اقترحوا سابقًا إطالة مدة الانتداب البريطاني لفلسطين، أو تكوين كانتونات يهودية بين عرب فلسطين، بعض هؤلاء

لم يهاجروا إلى إسرائيل، ولكن الكثير منهم قد هاجر، ولكنهم لم يتحمسوا إلى تحمل المسؤولية السياسية.

ومن الجدير بالذكر: أن كثيرًا من الشيعة الإمامية يرون أنهم يجب أن يكونوا في انتظار خروج المهدي، وإقامة الدولة حينها كما يقيم صلاة الجمعة، ولعل هذا التفكير قد استعاروه من فرقة اليهود المذكورة أعلاه.

إقامة الدولة عند الشيعة

نشأ التشيع في ظل الدولة الإسلامية، كما نشأ أفراد الشيعة ضمن المجتمع العربي والإسلامي، وبعد إخفاق الثورات الشيعية والعلوية في الدولة الأموية والعباسية بدأ بعض مفكري الشيعة بالتفكير في إقامة دولة لهم، تحميهم وتمكنهم من إقامة عقائدهم بحرية، فبدأ بعض النجاح يحصل في تحقيق هذا الهدف لبعض من الشيعة في القرن الثالث الهجري، حيث أقيمت دويلة صغيرة في بلاد الديلم شمال غرب إيران على يد الأطروش، وقد تبنت المذهب الزيدي الذي انسلخ منه بنو بويه، فأقاموا دولة شيعية اثني عشرية في إيران والعراق، حيث انقلبوا من مذهبهم الزيدي إلى المذهب الاثني عشري، بسبب أن الزيدية وخاصةً في بغداد حين دخول معز الدولة البويهي بجيشه إليها، قالوا له: إن الحكم للداعي الزيدي، وليس لبني بويه. فتحول البويهيون إلى المذهب الاثني عشري؛ لأن إمامه غائب يسمح لبني بويه بالحكم، كما أن الشيعة الإسماعيلية نجحوا في إقامة دولتهم في مصر والمغرب العربي، وحكمت إلى ما يقرب من مئتي سنة، وأغلب الشيعة الاثني عشرية يؤيدون إقامة الدولة المذهبية، كما حصل الآن في إيران، ولكن بعض العلماء من الاثني عشرية قد خالفوا في إقامة الدولة المذهبية، وأن ذلك موكول فقط للإمام الثاني عشر عند ظهوره، حيث يقيم دولته على الأسس التي شروحها، وغالبيتهم من المتدينين المتشددين، الذين يأخذون بظواهر النصوص الواردة في المذهب، فقبل ظهور الإمام عندهم لا تصح الجمعة ولا الجماعة ولا إقامة الحدود، ولا أي عمل من الأعمال التي تقتضيها السيادة.

فيا ترى هل أن هذه المقارنة بين الفئتين من اليهود وهذه الفئة من الشيعة توصل المتأمل -وخاصة من الشيعة- إلى النظر في مصير إسرائيل مستقبلًا، وماذا ستكون عليه

حال اليهود في إسرائيل بعد نهضة العرب والمسلمين عامةً، وتغلبهم على المصاعب التي وضعها أعداؤهم.

وهل أن ما يجري اليوم من خلاف وعداء ودماء بين الشيعة ومخالفيهم يدفع المتأمل إلى ما سيكون من رد فعل في المستقبل ضد الشيعة الذين ينادون بإقامة دولة مذهبية شيعية.

تحليل النفسية اليهودية منذ نشأتها إلى الشتات

لمعرفة النفسية اليهودية لابد من الرجوع إلى الجذور التاريخية في نشأة اليهود، فيرى بعض المؤرخين أن قبيلة تارح الأكادية من جنوب العراق نزحت سنة (٢٢٠٠ق.م) بقيادة رئيسها آزر، الذي كان يمتهن صناعة الأصنام من الخزف، حيث اعترض عليه ابنه إبراهيم، فخالف أباه في عبادة الأصنام، وكذا عبادة الشمس التي كان يعبدها الآشوريون والبابليون قديمًا، فقام إبراهيم ومن آمن معه عابرًا نهر الفرات (وهم يتحدثون بالآرامية) متجهًا بهم إلى أرض الشام وفلسطين، وهذه المرحلة هي مرحلة تكون الشعب العبري واللغة العبرية التي تميزت عن بقية اللغات السامية (وهي مزيج من الآرامية والكنعانية)، ومر العبرانيون بمرحلة البداوة والتنقل والاعتماد على الحياة الرعوية؛ فالكبش يمثل أساس الحياة للمجموعات العبرية، وفي هذه الحقبة التاريخية دخل العبرانيون بصراعات مع الكنعانيين والعمالقة -الذين نزحوا من الجزيرة العربية في حدود الألف الرابع قبل الميلاد- أصحاب الأرض في فلسطين، وتمخض هذا الصراع عن ظهور الإسرائيليين منهم، وهم من نسل يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، ورحيلهم إلى مصر واستيطانهم فيها، والعمل بها كفلاحين استخدمهم فرعون مصر لأغراضه السياسية، التي كانوا يعدونها من الظلم، حتى تمخض عن ذلك خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى (في حدود سنة ١٣٥٠ ق.م)، وعبورهم البحر إلى صحراء سيناء ودخولهم مرحلة التيه وعبادة العجل بدل عبادة الكبش (الأيل) الذي كان يعبده أجدادهم العبرانيون بصفته إلهًا مقدسًا، واعتمد الباحثون للدلالة على ذلك بتسميات عدة مواضع في فلسطين، منها بيت الإله المعبود، مثل بيت إيل المسماة إلى اليوم في فلسطين المحتلة، وكذا تسمية القدس بإيلاء، كما وردت في العهدة العمرية، وبعد مرحلة التيه دخل اليهود

الإسرائيليون في حرب مع الكنعانيين أصحاب الأرض الأصلية، وأسسوا بعد ذلك مملكتين يهوديتين: إحداهما في القدس (يهوذا)، والأخرى في السامرة (الخليل) (في حدود الألف الأول قبل الميلاد) وفي حدود سنة ٧٠٠ ق.م كتب كهنتهم التوراة، ثم جاء على مملكة يهوذا جيش نبوخذ نصر الذي هدم القدس والهيكل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، وسبى اليهود وقادهم إلى بابل في العراق خدمًا وفلاحين، وفي هذه الحقبة كتب اليهود التلمود البابلي ما يقارب من سنة ٣٢٠ قبل الميلاد، وحتى بعد إرجاعهم إلى القدس من قبل ملك الفرس كورش، ومساعدتهم في بناء الهيكل مرة أخرى، إلا أن جيوش الرومان اجتاحتهم سنة ٧٠ ميلادية، وتشتت اليهود في الأرض وهدموا الهيكل.

إن هذا الموجز التاريخي لحياة هذا الشعب يلقي الضوء على نفسية الفرد اليهودي المتمسك بتعاليم التوراة والتلمود، التي يمكن أن نلخصها بالمشاعر النفسية الآتية:

أولًا: الشعور باليتم

بالرغم من أن الديانة اليهودية ديانة توحيد للخالق، واعتراف بنبوة موسى، وإصرارهم بأنهم شعب الله المختار من دون بقية شعوب الأرض، لكن أحداث التاريخ التي مرت عليهم في صحراء سيناء وعبادتهم للعجل أفقدتهم الصلة بالخالق الواحد، وعزز ذلك غياب موسى بعد وفاته (في حدود ١٣٠٠ق.م) فأصبحت شخصية الإسرائيلي اليهودي تشعر بنوع من اليتم والانقطاع عن المدد السماوي، وأن الله قد غضب عليهم فأوقعهم في تيه وضياع ثم شتات (دياسبورا)، وسلط عليهم الأمم من حولهم، فبعد سلطة فرعون دخلوا في صراع مع أهل أصحاب الأرض من العماليق والكنعانيين و المديانيين، ثم تسلط الآشوريون عليهم، ثم تسلط الرومان عليهم، فهذا العزف الضاغط على الشخصية اليهودية أنتجت في داخلها نوعًا من اليتم، وأن الله قد تخلى عن شعبه، فلم يعد لهم وطن يضمهم، بل استمروا تائهين في أصقاع الأرض.

ثانيًا: الشعور بعدم الانتماء

إن الأحداث التاريخية التي مرت على الشخصية اليهودية، جعلت منها شخصية ضعيفة مهزوزة، تعتمد في الغالب على قوى الآخرين، وليس لديها مانع من القيام بخدمات

العمالة والتجسس، وهذا واضح من سلوكهم في خدمة الدولة الفارسية ضد الآشوريين، حيث مكنوا الفرس من غزو العراق ودخول الملك كورش الفارسي إلى العراق والشام، كما استخدمهم الفرس عيونًا وجواسيس ضد الدولة الرومانية، وتتجدد هذه الشخصية في سلوكها التاريخي إلى يومنا هذا، ولا أدل على ذلك من غضب الألمان على اليهود الذين طعنوا ألمانيا من الخلف، فكانوا طابورًا خامسًا في الحرب كما هو معلوم.

ثالثًا: المكر والخداع

إن تعرض الشخصية اليهودية إلى الضغط النفسي دفعه إلى سلوك المكر والخديعة، إلى درجة أن تأتي بعض نصوص التوراة بحيلة المكر على المخالفين، وأخذ الربا منهم، وكذا التبرير لنقض العهود والمواثيق مع غيرهم من الشعوب.

رابعًا: الشعور بالعدوانية والتصلب

حينما يكون اليهودي تحت سلطة غيره يكون طيعًا مستجيبًا بخبث للضغط الذي حوله، ولكن بمجرد أن تكون له القوة والسيطرة يكون ذا شخصية عدوانية ضد الآخرين من الشعوب، مستجلبًا ومبررًا جميع المظالم، التي مرت على أجداده القدماء، فلا مجال للرحمة والغفران، وهذا السلوك بات واضحًا لا يحتاج إلى دليل، حيث يتكرر ذلك مع الفلسطينيين العرب كل يوم.

خامسًا: عدم الانتماء الوطني

لم يستقر لليهود وطن في أرض تاريخية محددة، بل تنقلها في الأرض بين أمم وشعوب مختلفة مما جعل شخصيتهم لا تنتمي إلى أرض يدافعون عنها، فالأرض هي الأم الحنون التي ترضع الفرد من خيراتها، ومن دونها لا يمكن له العيش أو يتولد لديه شعور بالانتماء، وهذا ما جعل شخصية اليهودي غير مستقرة في وطن معين، بل هو في ترحال مستمر حسب أوضاعه السياسية والمعاشية.

سادسًا: الشعور بعدم وضوح الإله المعبود

عبد الإسرائيليون في أثناء وجودهم في مصر الفرعونية الثور، فحالما خرجوا من مصر وغاب عنهم موسى رجعوا إلى عبادة الثور، وتجددت عبادة العجل في حياة الإسرائيليين،

حتى بعد دعوة أنبيائهم للتوحيد، من ذلك ما ذكر من عودة يربعام بن سليمان إلى عبادة العجل هو وأصحابه في السامرة[١].

وقد عبد إهاب الملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾البقرة: ٩٣، ويروي العهد القديم كذلك أن موسى عليه السلام عمل حية من نحاس، وأن بني إسرائيل عبدوها بعد ذلك، وكانت الأفعى تعد حيوانًا مقدسًا؛ لأنها تمثل عندهم الحكمة والدهاء والانسياب وتغيير الثوب.

وتشير التوراة إلى أن إله اليهود يهوه يتسم بصفات التجسيم والتشبيه، فهو يسير أمامهم كعمود سحاب، وأن تحت رجليه عقيق شفاف، وإلههم يهوه أمرهم بسرقة ذهب جيرانهم المصريين قبل الخروج.

ويأمرهم يهوه بأن لا يقطعوا على أنفسهم عهدًا لمخالفيهم، وألا تأخذهم الشفقة في الحرب، وأن الرب يهوه ندم على ما فعله من شر في شعبه[٢]، واعتقاد اليهودية بالآخرة والبعث اعتقاد سطحي، ليس له ذكر في معتقداتهم.

وعمومًا فإن الشخصية اليهودية في معتقدها عن إله الكون مضطربة، نتيجة الاعتقاد بصفات إلههم يهوه الواردة في التوراة، التي تسمح لهم بالاقتداء بصفات يهوه الواردة.

والعلماء الذين درسوا الشعب العبراني يميلون إلى أن أجدادهم قد عبدوا الكبش (الأيل كما أشرنا سابقًا).

سابعًا: النكوص إلى التوراة والتلمود

إن المشاعر النفسية اليهودية التي وصفت بالسلبية، كما أوردناها سابقًا ألجأتهم أن يعوضوا تلك المشاعر السلبية بنكوصهم إلى نصوص التوراة والتلمود، وما فيها من

(١) الأستاذ الدكتور. سعدي الهاشمي: الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، ط١، ١٩٩٢م.

(٢) د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: إثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، (ص١٨).

خرافات ومعجزات، كتبها رجال دينهم مختلطة بأقوال نبيهم موسى، حيث حوت تلك النصوص القليل من الأوامر والنواهي الدينية، التي ورثوها عن أنبيائهم، ولكنهم حين التدوين أضافوا إليها ما لديهم من أفكار وأعراف ومعتقدات، حملوها قديمًا من الفراعنة والآشوريين والفرس، وما في بلاد كنعان من عادات وأعراف وقصص خرافية ومعجزات لا يصدقها العقل.

ثامنًا: دعوة أرض الميعاد

فبسبب كثرة الشتات وضياع بني إسرائيل، وُلِّد لديهم شعور بأن ربهم قد وعدهم بأرض يستقرون بها بعد الشتات، وابتدع رجال دينهم بأن الله قد وعد شعبه المختار بوطنٍ يلجؤون إليه.

تاسعًا: الادعاء بأنهم شعب الله المختار

فقد صدَقوا النصوص والأوهام التي بثها رجال دينهم، بأن الله قد اختارهم من دون الشعوب الأخرى، وهذا الادعاء دفعهم إلى الشعور بالتعالي والاستكبار على الشعوب الأخرى واحتقارها، والتعامل معها بشدةٍ وعنف لا مجال فيه للرحمة والغفران، ونصوص التوراة والتلمود مليئة بهذه المعاني الخاطئة.

عاشرًا: المبررات النفسية

تحفل نصوص التوراة والتلمود بالكثير من المبررات والتفسيرات، التي تحاول إقناع اليهودي بسلوك معين فمثلًا سلوك العدوانية في النفسية اليهودية طبعها بتكرار قتل أنبيائهم، فقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، التي أيدها التاريخ بتسببهم بمجادلة قتل وموت (رفع عيسى ابن مريم عليه السلام) وقتلهم زكريا ويحيى، وسعيهم إلى بيلاطس الحاكم الروماني في فلسطين إلى الاعتداء على المسيح، كما هو معلوم، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم بمبررات غير صحيحة، وأنهم بالعكس ضحايا العدوان للشعوب التي حولهم.

الحادي عشر: ظهور الحركة الصهيونية

إن المبررات النفسية التي أوضحناها سابقًا دفعت اليهود وبعض زعمائهم إلى تكوين الحركة الصهيونية، من أجل إقامة وطن لليهود، كما تزعم المبررات السابقة، حيث نشأ عن ذلك اعتداء الصهيونية على أرض فلسطين، مبررين عدوانهم بأنها الأرض التي

وعدهم إياها إلههم، وأنهم هم المظلومون، وفي عملهم هذا دفاع عن أنفسهم وحماية لها كما يدعون، وهم بهذا يعدون العربي الفلسطيني هو المعتدي، الذي لا بد من رد عدوانه بجميع الأساليب الممكنة، والتحالف مع كل شيطان ضده، واستخدام جميع أدوات القتل المحرمة ضده؛ لأنه هو المعتدي.

تشابه تحليل النفسية اليهودية والشيعية

في دراستنا لتاريخ التشيع وما خلفه من ميراث فكري وعقائدي نجد تشابهًا في تحليل النفسية اليهودية والشيعية، نختصرها بالنقاط الآتية:

١. الشعور باليتم

إن الذي يقرأ في نصوص الأحاديث الواردة في بحار الأنوار[١] يستشف من بعض أقوال الرواة لإمامهم، بأن ظهرهم انقطع لكثرة ما يسمونهم بالرافضة، وقد عقد المجلسي فصلًا في صفات المؤمن، وجميعها تشف باليتم والانعزال والمرض، انظر: كتابنا (جذور التشيع).

٢. الشعور بضعف الانتماء

إن معاداة الشيعة للخلافة الإسلامية عمومًا عكست في نفسيتهم عدم الانتماء لمجموع الأمة، ساعد في ذلك اختلاف أجناس الشيعة من شعوبٍ من العجم وقليلٍ من العرب نسبيًّا، مما وَلّد انشطارًا داخل نفسية الشيعي العربي أو الفارسي أو التركماني أو الطاجيكي...... إلخ، فعدم التجانس هذا أضعف رغبتهم في الانتماء لأمة العرب والمسلمين، فقد يتغلب الانتماء الفارسي أو غيره حسب الظروف السياسية، وأحيل القارئ إلى ما كتبه نبيل الحيدري في كتابه (التشيع العربي والتشيع الفارسي).

٣. صفة المكر والخداع

وهي صفة يلجأ إليها الفرد الشيعي في أوقات الضعف حماية لنفسه وماله، ونصوص الأحاديث مليئة في إعطاء مبررات المكر والخديعة للمخالفين كاستخدام التقية، بل إن

---

(١) بحار الأنوار أحد كتب الحديث المشهورة لدى الشيعة الاثني عشرية، جمعه محمد باقر المجلسي (١٠٣٧ - ١١١١هـ) في زمن الدولة الصفوية، ويعد أكبر كتب الحديث، حيث يتكون من ١١٠ مجلدات.

استخدام الكذب ومبرراته أمر شائع في كتب الشيعة، حيث يعمدون إلى مغالطة القارئ والتدليس عليه كذبًا وادعائهم بوجود نصوص تبرر عقيدتهم في الإمامة مثلًا والوصية، بل يدلسون كذلك في أسماء كتاب التاريخ كالطبري... .

٤. الشعور بالعدوانية والتسلط

حالما ينتصر الشيعة في زمنٍ معين تجدهم يتسلطون بقسوة ضد مخالفيهم بسبب شعور كبير بالألم والانتقام، واستجلاب الدواعي التاريخية بالرغم من بعدها، كرمي خصومهم بأنهم أولاد يزيد بن معاوية أو أنهم قتلة الحسين، أو سلوك طريق الاغتيالات، كما سبق ذكر ذلك في الشام على يد العلويين والحشاشين.

٥. عدم المواطنة

لكثرة فشل الثورات الشيعية منذ العهد الأموي والعباسي، فإن الفرد الشيعي يضعف عنده الشعور بالانتماء للوطن؛ لأن الوطن في رأيه يخذله بقمع تلك الثورات المتكررة، والضغط السياسي على أئمتهم وزعمائهم، وهذا واضحٌ لا يحتاج إلى دليل، مما يمكن أعداء الإسلام من الدخول لهذه الثغرة واستخدمها قديمًا وحديثًا، ونحيل القارئ إلى ما كتبناه عن تحالف الشيعة مع أعداء الأمة من الصليبيين والتتار والمجوس والنصارى.... إلخ.

٦. ضعف فكرة توحيد الخالق

سبق أن بحثنا عن تصورات الشيعة عن الخالق وصفاته، وتأثرهم بأفكار مجوسية ويهودية ونصرانية، شرحناها سابقًا أضعفت نفسية الفرد الشيعي باتصاله بالله الواحد الذي لا شريك له، وقد ساعدت نصوص الأحاديث عندهم على تشتيت أذهانهم، حيث تعطي هذه النصوص صفات الألوهية للأئمة، فتدخلهم في الشرك وضعف التوحيد.

٧. نكوصهم إلى المراجع الدينية

تسبب ضعف نفسية الفرد الشيعي إلى نكوصه واعتماده ورجوعه إلى مرجع ينتمي إليه، ويطيعه طاعةً عمياء دون الرجوع إلى تحكيم العقل، وعادة ما يكون ذلك عند سيادة الجهل بينهم، وما نكوص فرقة الأخبارية من الشيعة الاثني عشرية إلى تصديق جميع

الأخبار والنصوص الواردة في الأحاديث إلا مظهرًا من مظاهر الهروب من حكم العقل إلى جهالة النص وتصديق المعجزات على التفصيل الذي شرحناه.

٨. الشيعة والشتات

من الثابت تاريخيًّا أن بعد كل ثورة من ثورات الشيعة الفاشلة في العهد الأموي والعباسي أن يهرب الثوار بعيدًا عن مركز الخلافة، فيسكنون بعيدًا في أطراف الدولة الإسلامية، وفي جبالها طلبًا للحماية، فمنذ القديم هرب جماعة الزيدية (ثورة الإمام زيد بن علي في الكوفة، فتوزعوا في جبال الديلم، وكونوا في القرن الثاني دويلة صغيرة في شمال غرب إيران بقيادة الأطروش، وكذا انتشروا في بلاد اليمن وجبالها من أمثال الزيدية الجارودية المسماة اليوم بالحوثيين، وكذا في ثوراتهم في العصر العباسي كثورة عبدالله بن الحر الذي اتجه أصحابه إلى بلاد المغرب العربي، وكذا الحال في مجموعات الشيعة في جبل عامل وغيرها من جبال العلويين في الشام وتركيا، وهذا الشتات يشبه إلى حد كبير شتات اليهود في أصقاع الأرض، مما تسبب في نشوء فرق كثيرة للشيعة، وانقطاعها عن الفكر الإسلامي لمجموع الأمة، فسهل دخول العناصر والأفكار الأجنبية على تلك الفرق.

٩. رغبة الشيعة في إقامة دولة

وهذه الرغبة قد عكستها كثير من النصوص الواردة في أحاديثهم، متجسدة بظهور المهدي المنتظر، ورغبتهم حينها من رجعة الأموات من مخالفيهم بقصد الانتقام منهم، وقد نجح الشيعة بإقامة دول لم تستمر طويلاً بسبب أن أسباب إقامتها لا تدوم لمناقضة أفكارهم وسلوكهم لطبيعة البشر؛ فالدولة الفاطمية بمصر وبالرغم من أنها عجزت عن تأصيل المذهب في نفس المصري، فقد سقطت بعد قرنين من الزمن، وكذا الحال في دولة البويهيين، التي لم تستمر أكثر من قرن، وكذا الحال في الدولة الصفوية.

١٠. ادعاء الشيعة بأن الله قد اختارهم

وقد سبق أن شرحنا ذلك الاعتقاد، وادعاءهم بأن الله قد خلقهم وأئمتهم من نور ومن طينة مختلفة عن بقية الناس.

الفصل السادس

الديانة النصرانية

في كتابنا (جذور التشيع) ألقينا الضوء على أثر الديانة النصرانية على العرب، فأوضحنا موجزًا عن ديانة العرب في الجزيرة العربية، وانتشار النصرانية في البحرين، وقبائل عبد قيس وبكر بن وائل في حضرموت وفي قبيلة همدان، وانتشار المسيحية في بعض الإمارات العربية القديمة: كالرها والحضر والغساسنة والمناذرة وميسان، والنصرانية في الحيرة، وجملة من بعض القبائل العربية التي تأثرت بالنصرانية: كقبيلة تغلب، وبعض من عبس، وبعض من بني عجل، وبعض من تميم، وبعض من كعب بن عامر بن صعصعة، وبعض من بني جفنة، وبعض من بطون قضاعة، وبعض من كندة، وبعض من لخم وعاملة، وبعض من قوم جعف، وبعض من قوم النخع.

كما أوضحنا الأديرة في العراق والحيرة، وذكرنا موجزًا عن أثر النصرانية في التشيع، بوصفها فكرة تحمل ذنوب الأمة، واستعارة فكرة المعجزات عن المسيح ومريم.

كما ذكرنا بعضًا من رجال العرب النصارى الذين تشيعوا، كما تعرضنا إلى بعض الرواة من الشيعة، الذين كان لهم اتصال بأهل الكتاب، كما أشرنا في ثنايا الكتاب إلى معتقدات كثيرة للشيعة ذات علاقة بالنصرانية[1].

طبيعة السيد المسيح في النصرانية

تعتقد المسيحية أن الله قد مسح عيسى ابن مريم بزيت الزيتون المقدس، ويبدو أن مسح الأطفال أو المواليد بالزيت عادة قديمة في المنطقة، إضافة إلى ذلك تعتقد المسيحية أن نبي الله عيسى مُسِحَ بالماء المقدس عن طريق تعميده بنهر الأردن، وتعده ثاني الأقانيم الثلاثة: (الأب، الابن، الروح القدس).

---

(١) د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: جذور التشيع وأسبابها، العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠١٢ م.

واختلفت المسيحية في طبيعة المسيح، فذهب بعضهم إلى تأليهه، وذهب آخرون إلى أنه ابن الله أو كلمته، ورأي ثالث يقول: إن المسيح ذو طبيعة آدمية، ولكن الله حل به (اللاهوت يحل في الناسوت)، كما ذهب إلى أن المسيح ذو طبيعة بشرية خالصة، يأكل وينام، ويفرح ويغضب، ويحب ويكره، ويسير على قدميه بين الناس.

إن أول فكرة ولدت في لاهوتية المسيح جاءت في إنجيل يوحنا، وهذا بلا شك المفهوم الذي فهمه كاتبه يوحنا، الذي يعد أحد تلاميذ المسيح، وإن كان متأخرًا زمنًا، وهذا بخلاف الأناجيل الثلاثة.

وكلام رجال الدين المسيحيين حول طبيعة المسيح جاءت متأخرة في القرن الرابع للميلاد، وذلك في الخلاف الذي نشأ في الإسكندرية بين اثنين من الأساقفة، وهما: أريوس وإثناسيوس، فالأول ذهب إلى أن المسيح هو كلمة الله الأزلية، وبهذا أعطاه صفة الألوهية، أما الثاني فقد قال: إن المسيح كلمة الله المخلوقة.

ولأهمية هذا الموضوع في نظر الإمبراطور قسطنطين، فقد جمع القساوسة في مجمع نيقيا في تركيا، وكان الاختلاف بينهم سائدًا، ويرى الدارسون أن فكرة التثليث في المسيحية (الاب- الابن- الروح القدس) لم تظهر إلا في القرن الثاني الميلادي على يد ترتليان (١٩٠م)، ولم ترد في العهد الجديد، وأنه هو الذي اخترع فكرة (سر) (الثالوث) (الجوهر).

وعلى هذا فإن أول من أورد فكرة ألوهية المسيح هو يوحنا الزيد من بني صيدا في الجليل، الذي كتب إنجيله في آخر القرن الأول الميلادي، وهو عبارة عن واحد وعشرين إصحاحًا.

وجمعت الأناجيل الأربعة، وأضيف إليها إنجيل برنابا مع مجموعة رسائل الرسل، فيكون العهد الجديد مكونًا من ٢٧ سفرًا؛ ولذا يتبين بأن مصادر المسيحية كتبت من رجال مختلفين، وبلغات عدة، وفي أوقات تاريخية مختلفة فيما بينها، ولهذا فغالبية الفكر المسيحي تطور على يد رجال الدين والكنائس ومجامع الدين المسيحي المختلفة؛ ولهذا

فقد تعددت الطوائف المسيحية حسب اعتقاداتها، واختلفت أيضًا كنائسها ومدارسها، وفي سنة ١٠٤٥م انقسمت الكنيسة إلى كاثوليكية ومركزها روما، وكنيسة أرثوذكسية ومركزها القسطنطينية (إسطنبول اليوم)، وذلك تبعًا للانقسام السياسي الذي أنتج الإمبراطورية الرومانية الغربية والإمبراطورية الرومانية الشرقية.

واستتبع ذلك انقسام في العقيدة المتعلقة بطبيعة المسيح، ففي الكاثوليكية: الروح القدس تنبثق من الأب والابن، وفي الأرثوذكسية فإن الروح القدس تنبثق من الأب فقط(١).

رأي الكاثوليكية في طبيعة المسيح

يرى غالبيتهم أن للمسيح طبيعة إلهية اعتمادًا على إنجيل يوحنا، ولكنه صار جسدًا حتى يتمكن من تكليم الناس ومخالطتهم، ولكي يعرفه البشر عن قرب، ولكي ينتقل المسيح من صفة الألوهية بأن يتجسد كبشر، قالوا: إنه ابن الله. بمعنى انسلاخ جزء من الإله؛ لأن يكون ابنًا للخالق، ويكون له جسد ليتحقق منه إيصال الرسائل الإلهية إلى البشر.

والكاثوليكية تعتقد أن روح القدس تنبثق من الأب والابن معًا، وقد أصبحت في روما، وأنشأ كنيستها في الفاتيكان أحد حَواريي المسيح الاثنا عشر، والمدعو بطرس، وعلى رأسها اليوم البابا، الذي يعد عندهم خليفة للمسيح، وإرادته لا تقبل المناقشة(٢).

رأي الكنيسة الأرثوذكسية

ومركزها القسطنطنية، قديمًا انشقت عن الكاثوليكية، وقالت: إن الروح القدس تنبثق من الأب فقط، وانتشر أتباعها في تركيا قديمًا واليونان وأوروبا الشرقية وروسيا، وقد انقسمت الكنيسة الأرثوذكسية إلى عدة كنائس، وهي:

---

(١) د. أسعد السحمراني: ترجمان الأديان، (ص٣٤١)، دار النفائس، بيروت ٢٠١٢م. سهيل بشروئي ومراد مسعودي: تراثنا الروحي، (ص٤٧٨)، دار الساقي، بيروت ٢٠١٢م.

(٢) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص٣٥٦). تراثنا الروحي، مصدر سابق، (ص٤٧٦).

١. الكنيسة القبطية: أسسها مرقس في القاهرة سنة ٤٥١م، وانتقلت رئاستها إلى الإسكندرية، ولكن بعضًا من الأقباط تحول إلى الكاثوليكية، وبعضهم إلى البروتستانتية.

٢. الكنيسة السريانية: نشأت في تركيا والهند والشام عام ٤٥١م، وانتقل بعض أتباعها إلى الكاثوليكية بسبب المؤثرات الأوروبية[١].

٣. الكنيسة الأرمنية: تأسست عام ٣٠١م، وانتقل بعض أتباعها إلى الكاثوليكية، وقد توزع الأرمن في البلاد الإسلامية كالشام ولبنان ومصر والعراق.

رأي الكنيسة البروتستانتية

وهى منبثقة عن الكاثوليكية بواسطة مارتن لوثر سنة ١٤٨٣م، ثم بواسطة حنا كالفن سنة ١٥٠٩م، ومنهم الكنيسة الإنغليكانية في بريطانيان، وهي لا تؤمن بهيمنة رجال الدين، وقاومت محاكم التفتيش ومسألة بيع الغفران، ونادت بالرجوع للعهد القديم (التوراة)، وتنتشر في شمال أمريكا وأوروبا خاصة في ألمانيا[٢].

فكرة تحمل المسيح ذنوب البشر (الفداء)

يرتبط مقتل المسيح في الفكر المسيحي في الصليب، حيث تم في نظرتهم ربطه إلى صليب وقتله من قبل الحاكم الروماني بيلاطس، وبتحريض من اليهود، ويرون أن المسيح برغم صفته الألوهية، ومقدرته على تلافي الصلب، لكنه قدم نفسه فداءً للبشرية وللمؤمنين خاصة، ليحررهم من ذنوبهم، ويتحملها عنهم طائعًا[٣].

وارتبطت فكرة الفداء في المسيحية في الصليب، وأصبح شعارًا لجميع الفرق المسيحية، وفي اعتقادهم أن تقدم المسيح طائعًا أن يصلب في مقابل طلبه من الإله أن يشفع ويتوب عن ذنوب أتباعه.

---

(١) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص٣٥٧)، تراثنا الروحي، مصدر سابق، (ص ٤٨٠).

(٢) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص ٣٥٨)، تراثنا الروحي، مصدر سابق، (ص ٤٨٠).

(٣) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص ٣٦٣)، تراثنا الروحي، مصدر سابق، (ص ٤٨٦– ٤٨٧).

وفكرة الشفاعة هذه صاحبة فكرة الفداء، وانتقلت إلى كثير من الفرق الإسلامية، وخاصة فرق الشيعة التي اعتقدت بتقدم الحسين بن علي إلى القتل بالرغم من علمه بأنه وأتباعه قلة، لا يستطيعون الرد، فإنه بفعل ذلك كالمسيح في تقدمه للصلب، وسيأتي ذلك في موضعه، وارتبطت فكرة صلب المسيح بالعشاء الرباني، الذي أكله مع تلاميذه، حيث يعد في المسيحية أحد الأسرار المسمى (الأفخارستيا)، وتطورت إلى صلاة الشكر لله على ما وهب من طعام يستقيم به سر الحياة، وهذه الوليمة تطورت عند طوائف الصوفية بشكل كبير، حيث ترافق الوليمة احتفالاتهم.

أما عند الشيعة فتطورت بأشكال مختلفة، أوضحها وليمة العاشر من محرم (هريسة الحسين)، التي تؤكل بمشاعر مشابهة لمشاعر المسيحيين، حينما يأكلون العشاء الرباني؛ والمسيح يتقدم بشجاعة نحو الصليب، وكذا عند الشيعة يتقدم الحسين إلى الشهادة في سبيل المبدأ، ولتطهير أتباعه من تخاذلهم في نصرة الحق[(١)].

فكرة الرجعة في المسيحية

تؤمن المسيحية بأن المسيح بعد صلبه ودفنه ارتفع إلى السماء، ورجع إلى تلاميذه، وقال لهم: ها أنا ذا جسوني، وفي إنجيل يوحنا ذكر: أن المسيح كان يعلم أنه سيصلب. وفي إنجيل مرقص: أن المسيح تعشى مع تلاميذه خبزًا ونبيذًا، ثم باركهم وانتقل إلى السماء بعد صلبه[(٢)].

مسحه المرضى

ورد في العهد الجديد: أن يسوع أوصى تلاميذه بأن يقوم بمسح المرضى بزيت الزيتون لغرض الشفاء، فأضحى المسح على المرضى الذي يقوم به الكهنة ورجال الدين طقسًا كنسيًّا، يلجأ المرضى إلى الكنيسة طالبين من رجل الدين المسيحي: أن يقوم بمسحهم

---

(١) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص ٣٦٤)، تراثنا الروحي، المصدرالسابق، (ص٤٨٧).

(٢) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص٣٧٠)، تراثنا الروحي، مصدر سابق، (ص٤٩٥).

بالزيت، ويكون عادة في كل كنيسة زيت يعد لهذا الغرض، وقد يلجأ حتى المرضى من غير المسيحيين إلى طلب المسح، خاصة من تلك الأمراض التي أعيت الأطباء عن شفائها[١].

وهذا التقليد انتقل إلى طوائف من الصوفية والشيعة يمارسه أيضًا رجال الدين لتلك الطوائف، وقد تفضي هذه الممارسات إلى أفعال غير أخلاقية.

رجال الدين والكهنة في المسيحية

إن المسيح لم يوصف بأنه كاهن، ولا ادعى الكهانة لنفسه، حسب المصادر المسيحية، بل ربما كان ينظر إليه كهنة اليهود بنوع من الازدراء (سبط لاوي)، لكن المسيحية فيما بعد تطورت أفكارها بواسطة رجال الدين، نتيجة كتاباتهم وشروحهم، لما نقل إليهم من نصوص مقدسة، افترقوا فيها طوائف مختلفة، أضحى بعدها لرجل الدين قوة في المجتمع في السياسة، وزادت قوتهم بجمع الأموال بطرق مختلفة، أخصها النسبة التي يدفعها الفرد إلى الكنيسة سنويًّا، وبمرور الزمن أصبح رجال الدين على درجات من حيث العلم الديني والنفوذ الكنسي، حتى استقرت الدرجات من أعلى الهرم البابا- الأسقف- الشماس، وتختلف كل طائفة أو كنيسة في مسمياتها أو عدد درجاتها، والكاهن في المسيحية يعد شخصية مقدسة بصفته خليفة ليسوع وأمينًا على إيصال تعاليم يسوع إلى الناس.

ولرجال الدين في المسيحية سواء داخل الكنيسة أو خارجها وظائف كهنوتية، يقومون بها لرعاية أتباعهم: كزيارة المرضى ومسحهم، وتجهيز الموتى، وإقامة الصلوات، وضرب الناقوس، إلخ من الوظائف المعروفة؛ ولذا ففي بعض المجتمعات تعلق الناس بهؤلاء الكهان، وكونوا حولهم قصصًا ومعجزات أدت إلى القول بقداستهم وعصمتهم، وهذا المفهوم انتقل إلى طوائف من الصوفية والشيعة، فكوَّن أولئك حول رجال دينهم ما تكوَّن في المسيحية حول كهانها، كما سنرى ذلك مفصلاً في موضعه[٢].

---

(١) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص ٣٧٨)، وما بعدها.

(٢) سهيل بشروئي ومراد مسعودي: تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة، (ص ٤٦٣)، وما بعدها.

الغنوصية في الفكر المسيحي

نتيجة لمناقشة النصوص الواردة في العهد الجديد ظهرت مدرسة في المسيحية تفسر تلك النصوص: إما على غير معناها الظاهري، وإما لإيجاد مفهوم جديد، بسبب أن النص في الأصل مبهم، فمثلاً تأولوا عن المراد في الأصل الوارد في الإنجيل، والذي يذكر أن المسيح قال: «من أجل هذا أوكلهم بأمثال؛ لأنهم مبصرون لا يبصرون، وسامعون لا يسمعون، ولا يفهمون».

واعتبرتهم الكنيسة في بداية ظهورهم طائفة خارجة عن الدين المسيحي، تقول بما لم يقله السيد المسيح، ويبدو أن هذه الطائفة التي ظهرت في القرن الثاني الميلادي نشأت تحت مؤثرات الفلسفة اليونانية[١].

(١) تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة، مصدر سابق، (ص٤٨٠). جغرافية المعتقدات والديانات، مصدر سابق، (ص ٢٦٠). ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص٣٥٠).

الباب الثاني

الجسور التي عبرت منها الديانات والفلسفات القديمة إلى التشيع

الفصل الاول

استيطان العرب للبلاد المفتوحة

في عهد الخلفاء الراشدين تم فتح العراق والشام ومصر وبلاد فارس، فأقام بعض الفاتحين في هذه البلاد، ولما كان القليل منهم ذا ميول علوية، يفضلون الإمام عليًّا، وهذه الحقبة اتسمت فقط بالتشيع السياسي للإمام علي، دون ظهور أي معالم من عقائد الشيعة إلا القليل منها، وهؤلاء وإن كانوا قلة فقد كان لهم بعض الأثر على سكان البلاد المفتوحة، حيث يمثلون أوائل انتقال التشيع السياسي العربي الأصل إلى البلاد المفتوحة، ولأهمية ذلك يمكن تتبع هؤلاء وأثرهم على النحو الآتي:

أولًا: في البصرة

من أوائل من ذكر من المتشيعين للإمام علي، عبدالرحمن بن الأشعث الكندي، وقد كان أبوه قبله من رجال الإمام علي، وهو الأشعث بن قيس رئيس قبيلة كندة، الذي اشترك في حرب صفين مع الإمام علي، وله مواقف مشهورة، وقد جاء عبدالرحمن بن الأشعث من الكوفة إلى البصرة قائمًا بحركته ضد الأمويين؛ وتمثل قبيلة الأزد تجمعًا كبيرًا في البصرة، ومنهم بنو ضمرة الذين خرج منهم محمد بن نصير النميري البصري، وقيل: إن النميري لا علاقة له بالأزد، بل هو من موالي بني صعصعة، وكان للنميري شأن كبير في التشيع، وسوف نفرد له مقالة في موضعها؛ والبلعميون في محلة بني تميم لهم شأن في التشيع، فمنهم البلعمي أحد وزراء الدولة السامانية، وهو جد بني نوبخت من الشيعة، وإليهم ينسب النوبختي صاحب كتاب فرق الشيعة، وهو من أوائل الكتب المهمة في الفرق ومقالاتها وأسباب انقسامها، ومن البلعميين هؤلاء، محمد بن جمهور العمي (نسبة إلى العميون) البصري، وإليه تنسب فرقة الغرابية الشيعية من الغلاة، وكان شيخًا لإسحاق الأحمر من مؤسسي فرقة الغرابية في المدائن، حيث جاءت إليها من البصرة، وقيل: إنه من سلالة الأشتر النخعي في الكوفة، ومن رجال الإمام علي المشهورين، وهو كذلك شيخ لفرقة العزاقرة الشيعية من الشلمغانية في البصرة، ومن البيوت المشهورة في البصرة

الربعيين الساكنين في محلة عبد قيس، وكان زعماء هؤلاء من فرقة الجارودية الشيعية، (منهم الحوثيون في اليمن الآن)، وكانت علاقتهم بالفرس وثيقة لارتباطهم بالمرزبان في الأهوار، وقد ذكر الإصطخري بأن المرزبان كان والد لزوجة الحسين بن علي، كما ذكر الإصطخري أن لهم صلة نسب بالصحابي سلمان الفارسي، وذكر أن زيدًا رئيسًا لبني عبدة من بني صرحان، كان أحد تلامذة سلمان الفارسي، كما ذكر أيضًا أن رئيس قبيلة عبد قيس جاء من البحرين، وهو الجارود الذي أسلم على يد سلمان الفارسي، وقد نشأت فرقة السليمانية بين عبد قيس في البصرة، وانتقلت أفكارها إلى المدائن، وهي تنسب نفسها إلى سلمان الفارسي، ومن الذين عرفوا بالتشيع المغالي عبدالله بن وهب السمداني سنة ٣٦ هـ، وقد رحل بعد ذلك إلى المدائن، وتصفه المصادر بأنه سبئي متطرف، وقيل: إن من آثار التشيع في البصرة هي انتقال التشيع الإسماعيلي إلى نجران والأحساء عن طريق رحلات قبيلة كندة، وفيما بعد انتقل هذا الأثر الشيعي البصري إلى خراسان وهراة ومرو وماهان، حيث استوطنت هذه المناطق من قبل قبائل عربية بصرية، ومن المعلوم أن أفكار الديانات السابقة في كل هذه المناطق عبرت إلى الشيعة بوسائل مختلفة، فهذه المدن كانت هي الجسور التي أمدت أولئك القوم بالفكر السبئي[١] [٢].

أثر محمد بن نصير النميري في نقل الفكر الأجنبي إلى الشيعة (٢٦٠هـ)

ذكر عنه النوبختي في كتابه فرق الشيعة أنه كان من أصحاب الإمام الحسن العسكري، وكما ذكر النوبختي أن النميري هذا قد ادعى النبوة، وقيل: إن فرقة النصيرية من الشيعة تنسب إليه، ومن الذين تأثروا بأفكاره محمد بن جندب والحسين بن حمدان الخصيبي، ومن الأفكار التي نسبت إلى النميري هذا أن روح الله قد حلت به، وذكر عنه أنه يعتقد بألوهية الإمام الحسن العسكري، وأنه قال بإباحة المحارم، ونسب له النوبختي القول بحلية نكاح الغلمان، كما نسب إلى فرقة النصيرية، ونسبت إليه القول بتناسخ الأرواح والألوهية للأنبياء والأئمة، وأنه يؤمن بتناسخ الأرواح، وهي فكرة مأخوذة من

(١) ماسنيون: خطط البصرة.

(٢) المجلسي: البحار، (١٣/٢٢).

الديانة الفارسية القديمة، حيث تدخل أرواح الموتى بدورات من السنين معذبة أو فرحة، ونسب إلى النصيرية عبادة السماء والقمر والنجوم، وأنها متجسدة في حقيقة الإمام علي، وسنتعرض إلى نشأة مذهب النصيرية في الشام وأثر النميري وأتباعه في نقل بعض الأفكار الزرادشتية من إيران إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط. خاصةً في كل من اللاذقية وأنطاكية وصور وصيدا إلخ[١].

ثانيًا: في الكوفة

تنقل كتب الشيعة القديمة أساطير كثيرة عن الكوفة وأرضها بوصفها أرضًا مقدسة للأنبياء؛ ذكر منهم إبراهيم ودانيال ونوح والخضر وغيرهم، ولكن أهم تجمع للشيعة كان من قبل الأشاعرة من مدحج القبيلة اليمنية، وقد هرب كثيرون منهم بعد فشل ثورة عبدالرحمن بن الأشعث في الكوفة على الدولة الأموية فاستوطنوا في العديد من مدن فارس، وخاصة مدينة قم، فنزل أشاعرة الكوفة على بني عمهم من المرازمة الأشاعرة، فكان المرازمة من الشيعة المعتدلين، ولكن غالبية أشاعرة الكوفة كانوا من الغلاة، فحصل بين الفريقين اختلاف وتصادم نتج عنه طرد أولئك الأشاعرة المغالين إلى خارج قم، فذهب بعضهم إلى كاشان وتفرق الآخرون بفارس، بعد أن نبتت جذور تشيعهم في الكوفة من قبل الغلاة من السبئية، وخاصة بعد مقتل الإمام علي رضي الله عنه، وقد تعالت أصوات القبائل اليمنية مطالبة بتسويتها في قسمة الفيء مع من يسمون بأهل العالية من قريش والأنصار، وقد ذكر أن الأشتر النخعي كان من أوائل المعارضين والمطالبين بحصة أكبر من سواد العراق، حيث كان القرشيون يحتجون بأن سواد العراق بستان قريش. من الجدير بالذكر أن الإمام عليًّا في خلافته قد ساوى في توزيع الفيء على المقاتلين، ولكن بعد مقتله أرجع الأمويين سياسة التقسيم حسب الأسبقية في الإسلام، فالأوائل من المهاجرين والأنصار لهم الحصة الأكبر[٢].

---

(١) فتحي الزغبي: غلاة الشيعة، (ص ١٣٤-٢٦٠- ٢٦٢).

(٢) ياقوت الحموي، (٥٤٤/١)، (٤٨٠/٢)، (٧١/٣)، (٣٣١/٤)، (٧٨٣/٤). الطبري: تاريخ، (٨٥٤/١-٨٥٥)، فتوح البلدان، (ص٢٨١)، أحمد صالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام، (ص٢٧- ٢٩).

ما يدور في جبانات الكوفة

يبدو أن بعض أفكار التشيع قد نبتت في جبانات الكوفة، وذلك فيما يدور من صراعات كلامية في أحقية الإمام علي في الخلافة، وفيما حصل من مقتل الخليفة عثمان، ثم حرب الجمل وصفين والمخالفين من موقف معاوية من كل ذلك، ففي رواية أبي مخنف أن حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخُزاعي وعبدالله بن وهب جاؤوا عليًّا وسألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر بن الخطاب فانتهرهم وأسكتهم، وتشير بعض المصادر إلى شرطة الخميس، وعلى رأسهم الأصبغ بن نباتة؛ فتذكر إحدى الروايات عن الزهري أن شرطة الخميس كانوا بإمرة قيس بن سعد بن عبادة، حيث كانت لهم خصوصية في القتال مع علي رضي الله عنه يوم صفين، حيث عاهدوه ولزموه، وبعد مقتل الإمام بويع ابنه الحسن، وبعد الخلاف الذي دب بين القبائل لم يبق مع الحسن إلا القليل، ثم أظهرت بعض القبائل عدم رضاها عن تنازل الحسن لمعاوية، ووصل الحال لبعض الشيعة أن لقبوا الحسن (مذل المؤمنين)، وقد تمخض عدم الرضا بحركة حجر بن عدي الكندي ضد أمير الكوفة[1].

الكوفة مركز من مراكز التشيع

تمثل الكوفة أهم مركز من مراكز انتشار التشيع، تمثل ذلك في العديد من الحركات والثورات العلوية والشيعة ضد الدولة الأموية والدولة العباسية، بدءًا بحركة التوابين بعد مقتل الحسين، ثم حركة عبدالرحمن بن الأشعث، ثم ثورة المختار بن عبيدالله الثقفي، وثورة زيد بن علي بن الحسين، وغيرها من الثورات، وأن أكثر الذين شغبوا على والي الكوفة سعيد بن العاص كانوا من قبائل يمنية، وبالرغم من أن الوالي شتت رؤساءهم خارج الكوفة، إلا أن هؤلاء الرؤساء كان لهم أثر في انتشار التشيع، فكانت الكوفة تمثل لهم رأس الحربة للمعارضة السياسية منذ زمن الخليفة عثمان، نتج عن ذلك وضع الصراع في الكوفة والعراق عمومًا بين القرشيين والأنصار من جهة، والقبائل اليمنية من جهة أخرى، وقد انتشر التشيع السياسي في الكوفة بين عموم الناس، بل انتقل أثره إلى رواة الحديث في

---

(١) د. الجعيط: الكوفة، (ص٤٠٩)، الطبري: تاريخ، (٩١/٦)، ابن الأثير: الكامل، (٤٠٤/٣)، د. إبراهيم بيضون: اتجاهات المعارضة في الكوفة، (ص١٨-٢٢)، حركة المختار، هند أبو شعرة، (ص ٣٤)، وما بعدها.

كتب الثقات من السنة، ذلك ما روي أن عمرو بن ثابت البكري الكوفي (١٧٣هـ) وهو من التابعين، ومن موالي قبيلة عجل. قال عنه أحمد بن حَنْبَل، كان يشتم عثمان رضي الله عنه وترك ابن المبارك حديثه، وقال عنه الساج: إنه مذموم، وإنه كان ينال من عثمان، كما ورد عن عمرو بن ثابت أنه كان يعتقد بردة الصحابة وكفرهم إلا أربعة، وقيل إلا خمسة. ومن الرواة الذين ورد عنهم في الكوفة إسماعيل بن خليفة العبس (١٦٩هـ)، روى عنه الثوري ووكيع، وكذلك ورد اسم يونس الثوري قال عنه البخاري: إنه منكر الحديث. وقال عنه أحمد بن حنبل: إنه كان خبيث الرأي، وإنه متأثر برأي ابن سبأ. وشيوع أفكار السبئية في الكوفة واضحة، حتى عمت بلواها إلى بعض الرواة والمحدثين، حيث ورد في كتب الرجال أن من أسباب رد حديث الرواة أن ذلك الراوي كان يؤمن برجعة الإمام علي إلى الدنيا.

وما نقلناه أعلاه نموذجًا وأمثلة من أفكار رجال كانوا غالبًا من الموالي، ومن أصول غير عربية أو كانوا عربًا متأثرين بالأفكار الأجنبية، حيث تبنوها واتخذوها معتقدًا تكون على إثرها الكثير من الفرق والمقالات، وهذا أحد مقاصد هذا الكتاب: أن تلك كانت الجسور الأولى التي انتقلت منها الأفكار اليهودية والمجوسية والنصرانية. إضافة إلى أن التشيع منذ أوائل تكوينه كان العامل الاقتصادي أحد أسبابه، فقد كان أهل العالية من القرشيين والأنصار يتسلمون حصة أكبر من العطاء، وهذه السياسة يبدو أنها شكلت بعض الأسباب التي استغلها الشيعة السبئية من القبائل اليمنية، حيث كان دخولها إلى الإسلام متأخرًا.

وأهم المساجد التي كان يعظمها الشيعة في الكوفة هي: مسجد السهلة، ومسجد جعفي، ومسجد الحمراء، وهو لغير العرب (الموالي غير العرب)، وقد اتخذت القبائل اليمنية في الكوفة لها جبانات، وهي أماكن تتجمع فيها القبيلة لتنفيذ أغراضها الخاصة، وتبدو أنها تقليد نقلته معها من اليمن، ومن غير المستبعد أن الحسينيات المنتشرة عند الشيعة خاصة في العراق هي تطور عن تلك الجبانات التي تعد من المراكز لنشر التشيع وأفكاره[1].

---

(١) محمد بن يحيى بن أبي بكر الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل عثمان، (ص ٤٧)، وما بعدها، دار الثقافة ١٩٨٥. محمد مال الله: ابن تيمية: العصبية القبلية والإمام المظلوم (ص ١٢٣)، وما بعدها. عثمان بن عفان. الطبري: تاريخ، (٥٠٥/٤)، الجعيط: الكوفة، (ص ٤١٦)، ماسنيون: خطط الكوفة.

ثالثًا: انتقال أوائل الشيعة إلى بعض البلاد المفتوحة

(أ) العرب في أذربيجان

سكن بعض العرب أذربيجان في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد فتح العرب حصنين مشهورين: أحدهما في مراغة، والآخر في أردبيل. واستوطن كثير من العرب هاتين المدينتين، وكان أكثرهم من قبائل يمنية، خاصة من قبيلة كندة وقلة من بني وائل، ويعود السبب في ذلك إلى كون الأشعث بن قيس الكندي واليًا على أذربيجان، (عينه الإمام علي في خلافته) في هذه الحقبة، ومن المعلوم أن الحسن بن علي بن أبي طالب كان قد تزوج ابنة الأشعث، وبطول إقامة هؤلاء العرب في هذه المنطقة فيما بعد أصبح الجميع ناطقين بالفارسية منذ القرن الثالث الهجري، بل ربما أصبحت ثقافتهم فارسية، فقد ذكر أن محمد بن بعيث من بني وائل كان شاعرًا بالفارسية، ومنذ مطلع القرن الثالث الهجري كان في أذربيجان، وخاصة بلاد الديلم وهم شيعية زيدية. وفي القرن السابع الهجري اعتنق بعض الأتراك من القرى هذا المذهب، واستوطنوا هذه المنطقة قادمين من صحاري بلاد المغول.

(ب) العرب في قم وكاشان

يعود وجود العرب في قم وكاشان إلى زمن الفتح الإسلامي حيث سكنت هذه المناطق بعض القبائل العربية، خاصة من مذحج والقادمين من الكوفة بالعراق، وبعد ثورة عبدالرحمن ابن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي في الكوفة سنة ٨٠ هـ على الدولة الأموية كان شيعة العراق والكوفة خاصة هم عمود هذه الثورة، وقد ناصر هذه الثورة كثير من الفقهاء، حيث لم يتضح بعد مذهب التشيع، ولم تتشكل مبادئه وعقائده، وكان أهم المناصرين الشيعة لهذه الثورة كميل بن زياد النخعي، وهو من رجال الإمام علي بن أبي طالب، واستمرت هذه الثورة أكثر من سنتين في العراق إلى أن تصدى لها الحجاج بن يوسف، وهزم جيش ابن الأشعث في معركة الجماجم قرب الكوفة، وتشتت جيش ابن الأشعث، وهرب بعضهم إلى إيران، ولكنهم تركزوا في قم، وكان أغلبهم من النخع والأشعريين. يقول ياقوت الحموي:

إن قم استخدمها العرب أيام الحجاج سنه ٨٣ هـ وأهلها شيعة إمامية[١]، وقد عرف شيعة قم وكاشان بأنهم من غلاة الشيعة، وأنهم عاشوا في ظل التقية قرونًا يكتمون مذهبهم. ونقل عن جلال الدين الرومي في كتابه المثنوي: أنك إن كنت في مدينة كاشان، وكان اسمك عمر فلن تجد خبازًا واحدًا يبيعك الرغيف[٢].

وفي سنة ١٥٠١م. استقبل سكان قم وكاشان الجيش الصفوي بالأفراح والأهازيج، وأقاموا الاحتفالات، ونشطوا مع القزلباش في تعقب أهل السنة لإجبارهم على البراءة من الصحابة، أو أن يقتلوا، ولم تسلم حتى مدينة سمنان من بطش الشاه إسماعيل بالرغم من أن أهلها زيدية.

رابعًا: الشيعة العرب في الشام

بعد ثورات العلويين والشيعة أيام الدولة الأموية والدولة العباسية هرب كثير من شيعة الكوفة، خاصة إلى المناطق النائية عن مركز الدولة، فكان منهم في جبل عامل بلبنان وفي حلب والإسكندرون، وكان أكثرهم من غلاة الشيعة المطلوبين للدولة، وذكر بعضهم أن منهم من كان من القرامطة والإسماعيلية[٣].

وكان يسود في الشام المذهب الحنبلي؛ ولذا نشأ التشيع في الشام سريًّا ومغاليًا. وقد اُتُّهم شيعة الشام بمساعدتهم للصليبين، وتعرضوا لنقمة المجتمع الحنبلي خاصة، وقد أعدم الشيخ شهاب الدين السهرودي بالشام في ظل تلك الأجواء.

كما اُتُّهم شيعة الشام بمساعدة المغول في احتلالهم البلاد، وفي كتابات الشيخ ابن تيمية رد فعل كبير ضد الشيعة عمومًا، يوضح الخلافات القائمة في ذلك الوقت. ونتيجة ذلك أخذ كثير من الشيعة في الهرب إلى أماكن بعيدة في الجبال، وخاصة تلك التي يسكنها المسيحيون، مثل جبل عامل بلبنان، وبعد إخضاع العثمانيين الشام قام السلطان سليم بتهجير كثير من شيعة الشام، وخاصة حلب إلى الجانب الأوروبي من الدولة العثمانية،

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٣٩٧/٤)، أمير حسين خانجي: إيران الصفوية، (ص١٤٤).

(٢) صالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام، (ص٣٠- ٣٥)، ط٢، ١٩٨٣م، بيروت.

(٣) أمير حسين خانجي: مصدر سابق، (ص ٣٣٥).

وهؤلاء وجدوها فرصة فيما بعد من أجل الذهاب إلى الدولة الصفوية المناصرة للتشيّع، ويرى الدكتور أمير حسين خانجي في كتابه إيران الصفوية[١] أن جميع فقهاء إيران منذ البداية وحتى القرن الحادي عشر الهجري كلهم كانوا من العرب، وعلى الأخص من القبائل اليمانية، فأغلبهم جاء من العراق وما نسب إلى طوس وطبرس، إلا لأنهم سكنوا تلك المناطق، ويرى أن ابن بابويه القمي صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه) عربي من أهل الكوفة، وأن محمد بن يعقوب الكليني صاحب كتاب الكافي عربي الأصل عراقي، بل لم يذهب إلى إيران، وكذلك الشيخ الطوسي محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب التهذيب وكتب أخرى كثيرة في المذهب، وكذلك الطبرسي صاحب التفسير المشهور كلهم عرب لم يكن أي منهم إيرانيًّا، وكذلك يرى أن علماء شيعة الإسماعيلية هم عرب، أمثال ناصر خسرو القبادياني، وحسن الصبَّاح عربي، من قبيلة حمير اليمنية، الذين كانوا في الكوفة، ويرى في المقابل أن أكثر علماء الإسلام المشهورين بإنتاجهم الفقهي والحديث والفلسفة هم من الإيرانيين (غير الشيعة).

وعلماء الشيعة في العراق كانوا عربًا أمثال الشريف المرتضى والشيخ المفيد (محمد ابن محمد بن المعلم ٤١٣هـ) فهو من قبيلة حارثة اليمنية، وكذلك هو الذي أصل المذهب الاثني عشري هو وتلميذه الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، والشيخ المفيد جيء به إلى اصطخر منفيًّا من الأمير الديلمي بهاء الدولة، ولكنه رجع إلى بغداد بعدئذ.

وفي خوزستان كان شيعة عرب إمامية معتدلون يسمون بالمشعشعين، وقد جاؤوا من مدينة واسط بالعراق أوائل الحكم الصفوي، وسكنوا أول الوقت (الهويزة)، ولكونهم معتدلين فقد آذاهم الشاه إسماعيل بقزلباشه وبطش بهم، وينقل خانجي عن (حسن روميلو) أنه قبل العصر الصفوي لم يسكن في إيران أي مؤلف كتاب شيعي، ويرى أن أول كتاب فقه عرفه الشيعة في إيران هو (قواعد الإسلام) لابن المطهر الحلي، الذي كتب في العراق، ونقل إلى إيران وكان يعلمه للشيعة القاضي نصير الله زيتوني، وقام فيما بعد الفقهاء العرب الشيعة القادمون من لبنان بتدريس الكتاب للشيعة الإيرانيين. وكان أول

(١) مصدر سابق، (ص ٣٣٨).

هؤلاء العلماء هو علي بن عبدالعالي الكركي من مدينة الكرك جنوب لبنان، فقد بدا يكتب ويفتي للقزلباش بتعهد طهماسب بمساعدة نعمة الله الحلي والشيخ إبراهيم القطيفي القادم من الأحساء[١].

وتولى كل فَقِيه شيعي عربي قادم من هذه الأماكن رئاسة جماعة من جماعات البراءة، التي كانت تدخل تحت حماية أحد القزلباش، ودخل هؤلاء العلماء في منافسة بينهم على الأموال المنهوبة أصلًا من السنة، وانتهت المؤسسة الدينية بانتصار الكركي، وهرب القطيفي إلى الأحساء ونعمة الله إلى الحلة، وانتصر جناح العلماء اللبنانيين، واختفى الشيخ الكركي عند الشاه طهماسب الشاب الصغير (ولي الإمام الغائب)، فكان أول تأصيل فقهي في إيران يُمنح للشاه. ولقي بهذا خطوة عند طهماسب، وأضحى رأيه لا يرد، ومن هنا راج سوق فقهاء الشيعة اللبنانيين، ويرى الدكتور خانجي أن الشيخ الكركي هو الذي أفهم القزلباش والشاه طهماسب الشاب الصغير أن السلطة الحقيقة هي للإمام الغائب، وما الشاه إلا متلقي لتلك السلطة من الإمام الغائب، وهكذا جعل الشاه الشيخ الكركي منبعًا لمشروعية حكمه، ومن هنا ولأول مرة في التشيع ابتدع مقام المرجعية وتطورت فيما بعد؛ ولذا فإن فكرة ولاية الفقيه كان الشيخ الكركي أول مبتدعيها في جسم التشيع، وقد أشرت إلى ذلك في كتابي (جذور التشيع).

كما قام الكركي بتأسيس مدارس للمذهب، وأخذ أطفال السنة والأيتام لتدريسهم التشيع الصفوي.

و من هنا وجب على كل شيعي أن يقلد مرجعًا دينيًّا، وأن يتبعه ولا يخرج عليه، وهذا البلاء نزل في عقل التشيع الإيراني بالذات في هذه المدة، وألغي العقل وحل محله تصديق الخرافات والأكاذيب، التي امتلأت بها مؤلفات الشيعة الإيرانيين خاصة في تلك الحقبة، ولقد حلت الحسينيات محل الزوايا الصوفية القديمة، ومحل المساجد التي هدمها وتركها القزلباش، والتي لم يعد الإيراني يصلي بها خشية رميه بالتسنن. وقيل: إن الكركي أفتى

---

(١) أمير حسين خانجي، (ص ٣٤١).

بأن جميع المساجد التي بناها السنة لم تكن على القبلة الصحيحة؛ ولذا يجب هدمها وبناؤها من جديد[١].

انتقال علماء شيعة جبل عامل إلى إيران

يرى بعض علماء الشيعة أن التشيع في الشام قديمًا يرجع إلى زمن نفي أبي ذر الغفاري إلى الربذة على اعتبار أن أبا ذر من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه، أو إلى زمن الصحابي سلمان الفارسي، ومروره بدمشق زائرًا الصحابي أبي الدرداء في بيروت، والحقيقة أن التشيع لم تتضح معالمه، إلا بعد مقتل الإمام الحسين رضي الله عنه[٢].

ويبدو أن التشيع الواضح الذي ترك بعض الأثر في المذهب الشيعي وهو الدليل القاطع كان إبَّان انتشار التشيع في العالم العربي زمن البويهيين حكام إيران والعراق. فقد امتد تأثير شيعة العراق في هذا الوقت إلى مدينة صور بلبنان، وكان ذلك في نهاية القرن الخامس الهجري. ثم القرن السادس والسابع بدأ تقاطر الشيعة إلى صور وطرابلس والكرك وجبل عامل، وأضحى علماء فيها يفد إليهم طلاب العلم من إيران والعراق وغيرهما، ولكن المنطقة هذه كانت تحت النفوذ الفاطمي الشيعي الإسماعيلي، وهو منافس للتشيّع الإمامي الاثني عشري، الذي كان يرعاه البويهيين في العراق وإيران، وبعض مناطق نفوذهم الأخرى. كما نشير إلى نفوذ الدولة الأيوبية، التي مركزها حلب في هذه المدة، وهي تتبنى التشيع الفاطمي الإسماعيلي والتشيع الاثني عشري معًا، ولكن شعبها أكثرهم من أهل السنة. ولكنها واقعة بين النفوذين.

من أوائل علماء جبل عامل في القرن السابع الهجري الشيخ نظير الدين العاملي، وكان له تلاميذ ومريدون، وهذا يدل على وجود بعض الشيعة في جبل عامل منذ ذلك الوقت، وقد رحل من علماء جبل عامل وجزيل وجباع وما حولها إلى العراق، طلبًا للعلم خاصة إلى النجف، بعد أن أسس فيها الطوسي علمه ومدرسته، فكان إسماعيل بن الحسين الجزيني العاملي (٥٨٠هـ) من أوائل من رحل إلى العراق طلبًا للعلم. وبعد أن انتقل إلى

(١) مصدر سابق، (ص ٣٤٩).

(٢) علي مروة: التشيع بين جبل عامل وإيران، (ص ٤٣-٤٧).

العراق نقل التشيع العاملي إلى الحلة بمساعدة من الزيديين، مثل كثير من طلبة العلم في جبل عامل، وما حولها يدرسون في الحلة عن مشايخها، منهم جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي العاملي، وكان في الحلة يومها الشيخ فخر الدين المطهر العلامة (٧٧١هـ)، وممن رحل أيضًا الشهيد الأول محمد مكي، ومنذ سقوط بغداد على يد هولاكو إلى بداية القرن التاسع الهجري أصيب التشيع وغيره بانتكاسة، عاد بعدها إلى الانتعاش، خاصة في الحلة؛ ومن بين الرحلات العلمية من قبل طلبة جبل عامل، وما حولهم لم تكن فقط إلى العراق، بل كانت أيضًا إلى الهند خاصة حيدرأباد، وإلى مصر منهم الشهيد الثاني الشيخ صفي الدين العاملي زار مصر سنة ٩٤٢هـ، وأخذ عن بعض علمائها.

وعمومًا فإن التشيع قد تأصّل في جبل عامل، وانتشر فيما حول المنطقة خاصة كرك نوح، الذي ينسب لها الشيخ الكركي، وبسيطرة الصفويين على حكم إيران، ومن بداية حكم الشاه إسماعيل الصفوي بدأت رحلات شيوخ جبل عامل ولبنان تتوالى على إيران بتشجيع من الصفويين، حيث كان أتباعهم القزلباش من العناصر التركية لا يفقهون كثيرًا في المذهب الاثني عشري غير ما تعلموه في الغلو وسب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، وكراهية سنة إيران وإجبارهم على التشيع بحد السيف، ومن أوائل من ذهب في جبل عامل إلى إيران الشيخ حسني عبدالصمد العاملي شيخه الشهيد الثاني زين العاملي، حيث لم يحتمل العثمانيون آراء بعض الشيعة المتطرفة أو المغالية، حيث قُتل بعضهم أمثال المدعو بالشهيد الأول، حيث قد عملت العلاقات المتوترة بين العثمانيين (الذين يحكمون الشام) والصفويين الذين يحكمون إيران عملها في هذه الفتن.

ولكن أهم من رحل من جبل عامل إلى إيران في عهد الشاه إسماعيل وبدعوة منه، هو الشيخ علي بن حسين بن عبدالعالي الكركي بعد إقامته بالعراق. وقد أغدق عليه الشاه المال الكثير، لإنفاقه في نشر المذهب، وتدريس طلبة العلم. وبعد وفاة الشاه إسماعيل بقي الكركي مكرمًا من ابنه الشاه طهماسب الأول، فعينه حاكمًا في الأمور الشرعية لجميع البلاد وكتب له بذلك فرمانًا، وقيل: إن الكركي كان وراء العمل في تغيير القبلة، التي كانت عليها مساجد إيران، حيث حرفت إلى اليسار على عدة أسس ودعاوى، منها ما قيل: إنها توافق الاتجاه للحجر الأسود، وقيل: إن ذلك جرى بعد تحقيق من علماء الهيئة، وقيل:

وهو الأول، ربما لمخالفة ما كان عليه سنة إيران، حيث عمد الصفويون وبمساعدة من علماء الشيعة أمثال الكركي وغيره، ممن قدموا من العراق والشام، وهم ضد أهل السنة والعثمانيين مخالفة أهل السنة في إيران لمحو آثارهم كما قدمنا... ونقل عن الشيخ نعمة الله الجزائري (وهو من علماء الشيعة الصفويين): أن الشاه طهماسب كان يعد الشيخ الكركي نائبًا للإمام الغائب، وأنه كان يقول له: أنت الحاكم الحقيقي ونحن أتباعك.

وبعد أن جاء علماء الشيعة من جبل عامل قام الصفويون بمزيد من التقتيل لعلماء السنة، حيث عمدوا إلى قتل الشيخ أحمد بن يحيى بن سعد التفتازاني سنة ٩١٦هـ من علماء السنة.

وقد قيل: إن الكركي كان حينها في معية الشاه طهماسب، وأنه تأسف على مقتل التفتازاني، وقال: إنه كان راغبًا في محاورته، وعمومًا فإن للكركي تأثيرًا كبيرًا لما تركه من تلاميذ أصبحوا مؤثرين في التشيع الصفوي، منهم عبدالنبي الجزائري الشيخ الشهير بابن خاتون، وأثر الكركي على التشيع نتج عنه تركيز التشيع في إيران، وصعود الشيعة إلى درجة المغالاة في المذهب وكراهية السنة.

ومن غلاة علماء الشيعة في العصر الصفوي:

* بهاء الدين العاملي الجبعي.
* عبدالنبي الجزائري.
* نعمة الله الجزائري.
* الميرزا حبيب الله الكركي العاملي (ت١٠٩٥).
* محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١٠٣٣).
* الأغادين الخوانساري المحقق.
* محمد باقر المجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار.

كان لعلماء جبل عامل الشيعة المهاجرين إلى إيران الصفوية خدمة كبيرة للصفويين وللمذهب، ولكنهم مع الأسف شارك أكثرهم في الغلو وسكتوا أو حرض بعضهم على إيذاء السنة وإجبارهم على التشيع في تلك الحقبة، وما ذكرنا من جملة العلماء إنما هم

النموذج، ولمن أراد التقصي والتفصيل مراجعة كتاب علي مروة عن تاريخ الشيعة في جبل عامل، وهجرتهم إلى إيران الصفوية.

وعمومًا فإن جبل عامل وما حوله من الشيعة الاثني عشرية الذين يسمون في لبنان بالمتاولة مروا خلال مدة النفوذ العثماني على هذه المنطقة بمشكلات وأحداث حربية طائفية، دفعتهم في بعض الأحيان للتحالف مع الجيش الفرنسي أيام نابليون بونابرت ومرة أخرى مع مسيحيي المنطقة، الذين هم الآخرون تحالفوا مع الفرنسيين.

وكان الجو العام في جبل عامل دافعًا لعلماء الشيعة للهجرة إلى الشام والعراق، وكان حكم الصفويين لإيران واستقراره فيما بعد ومعادات الجميع للدولة العثمانية سببًا لرحيل كثير من شيعة جبل عامل وعلمائها إلى شتى المدن الإيرانية واستيطانهم[١] فيها، وعموما فإن أهم الآثار الفكرية الناتجة عن أعمال الشيعة العرب في إيران إبَّان تلك الحقبة تتلخص فيما يأتي:

> كان مذهب الإخباريين من الشيعة الاثني عشرية قد انتشر بواسطة الشيخ أحمد الأحسائي وتلاميذه في العراق، خاصة وهم في منهجهم يوثقون جميع الأخبار الواردة في كتب الحديث، ولا يطعنون فيها، ومثلما وصل هذا التيار إلى إيران في خفية الصفويين كان انتصارًا في النهاية للأصوليين من علماء الشيعة والعلماء العرب كانوا في غالبيتهم يقودون هذا الاتجاه - منهم يعتمدون قواعد فقه الأصول في تحقيق النصوص إلى الذي يقبله عليهم تفكيرهم، فقد لا يوثقون أخبارًا وردت من كذابين، أو من لا يوثق بدينهم، أو لأي سبب آخر يقدح في شخصهم أو علمهم. وهذا الفريق كان قديمًا قد نشأ على يد الشيخ المفيد والطوسي والسيد المرتضى. أفاد هذا الاتجاه متأثرًا بما عليه أهل السنة من أصول مفيدة تطورت منذ عهد الشافعي، كما لا يخفى أثر المدرسة المعتزلية على هذا التوجه عند الشيعة عمومًا. كان

(١) علي الزين: فصول من تاريخ الشيعة في لبنان، عرض بدر الدين عباس، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ١٤١٢هـ.

الأصوليون الشيعة هم أدوات تطور الفقه، ففي هذه المقولة تطور عندهم وجوب الاجتهاد وترك التقليد، (الذي لا يميل إليه الإخباريون). وسبب هذا التوجه ظهر فيما بعد بين العلماء الأصوليين الشيعة أن الذي يتصدى للاجتهاد يجب أن يكون من أعلم العلماء، وأن الجميع قد شهدوا له بذلك، وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ظهر هذا المفهوم، ونتج عنه أن المتصف بتلك الصفة يستحق أن يكون نائبًا عن الإمام الغائب، وأن اجتهاده ورأيه هو من رأي الإمام الغائب. وهذا العالم هو الذي يستحق أن يقلد، ومن هنا نشأ ما يسمى عند الشيعة بالمرجعية الدينية، وأصبح لكل قوم اتجاه ومرجع يعتمدون تقليده، ودفع الزكاة والخمس له أو لنائبه، ولم يكن مثل ذلك واضحًا فيما قبل[١].

وعن القول بالمرجعية وتقليدها أنتجت خاصة عند المُلا أحمد النراقي (ت١٢٤٥هـ) ما يسمى فيما بعد بوضوح ولاية الفقيه، حيث إن هذا المرجع يجب أن يكون وليًّا ونائبًا عن الإمام الغائب، وأعطوا تلك الولاية قدسية، بحيث تحل محل الإمام الغائب في الحكم، وهذا مفهوم سياسي يهدد السلطان لم يظهر من قبل[٢].

إن آل بويه قد كانوا زيدية، انقلبوا بعد ذلك عند احتلالهم بغداد إلى إمامية اثني عشرية؛ لأن إمام هؤلاء غائب يمكِّنهم من الحكم بخلاف الشيعة الزيدية، الذين أفهموا عضد الدولة عند دخوله: إن الحكم للداعي الزيدي وليس له[٣]، وقد تطورت هذه الفكرة إلى نظرية عند الخميني، ظهرت بشكل تطبيقي لا نظري في ظل حكومة الثورة الإسلامية في إيران[٤] [٥].

---

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، (١٨١/٣)، وما بعدها، القرطبي: تفسير (٨٢/١)، الشهرستاني: الملل، (١٨٤/١).

(٢) النجاشي: رجال، (ص٣٣٨).

(٣) المفيد: الإرشاد، (ص٤١٣).

(٤) أحمد كاظمي موسوي: ظهور مرجعية التقليد في المذهب الشيعي الاثني عشري أو الاجتهاد، العدد الرابع ١٩٩٨م بيروت.

(٥) نعمة الله الجزائري: الأنوار النعمانية، (٢٥٦/٢).

الفصل الثاني

الممالك والإمارات العربية والمعابد فيها

إن مملكة الغساسنة والمناذرة والحيرة وإمارات كل من ميسان والحضر والرها والبحرين كلها كانت حواضر عربية، امتزجت فيها عناصر من الفكر الفارسي واليهودي والنصراني قبل الإسلام والعرب، الذين كانوا يسكنونها أو أولئك القادمون من الجزيرة العربية إلى هذه الجهات، وإن كانت أكثر ديانتهم وثنية، إلا أن الكثير منهم قد تأثر بهذه الأقاليم، وما تمثله من اتجاهات سياسية للدولة الساسانية أو الدولة الرومانية[١].

ففي مملكة تدمر وفي عهد الملكة الزباء ذكر أنها سمحت للجاليات اليهودية بالإقامة في تدمر، ومن المحتمل أن يستتبع هذه الإقامة أن يقوم اليهود ببناء معابدهم، بل ذكر أن الزباء نفسها اعتنقت اليهودية، ولكن أصبحت تدمر مركزًا من مراكز النصرانية.

مملكة الغساسنة

نشأت مملكة الغساسنة برعاية من الدولة الرومانية، وكان من أهم الأغراض السياسية للدولة الرومانية هو أن يقوم الغساسنة بصد هجمات عرب الشمال عن الحدود البيزنطية، والوقوف ضد نفوذ الدولة الفارسية، خاصة تلك المتمثّلة بدولة المناذرة في الحيرة، إن أهمية هذه المملكة وما تمثله من امتزاج النفوذ الروماني النصراني ونفوذ القبائل العربية وخاصة قبيلة الأزد. ومن أوائل ملوك الغساسنة الذين اعتنقوا النصرانية الحارث بن جبلة، وكذا اعتنق بعده ابنه النعمان الديانة النصرانية، وأصبحت مدينة بصرى في عهده مدينة ذات نفوذ، ومركزًا للنصرانية، حيث بنيت فيها كاتدرائية سنة ٥١٢م، وكان لبني مازن من العرب بيعة نصرانية في الحيرة، وهم من الأزد من بني عمرو

---

(١) د. حامد عوض الله: ممالك بني إسماعيل، (ص٢٣)، وما بعدها بيروت ١٩٨٣م. سعد بن عبدالرحمن الجريد: القبائل العربية في بلاد الشام وعلاقتها بالدولة الإسلامية، رسالة ماجستير كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام، سنة ١٤٠٦هـ، (ص ٢٢٩- ٢٣٦).

ابن مازن من الغساسنة، وذكرت الروايات أن الفاتحين العرب للشام واجهوا في قتالهم عربًا من الغساسنة متحالفين مع الروم، وقد هربوا إلى بيزنطة بقيادة جبلة بن الأيهم الغساني، وقيل: إن جبلة بن الأيهم قد حرض هرقل ملك الروم على دس السم لعمر بن الخطاب، وفي فتح الشام كانت العرب المُتنصّرة من قبائل بهراء ولخم وقبائل بلي وجذام في صفوف الرومان، ولكنهم هزموا، كما شارك هؤلاء -خاصة قبيلة بلي- ضد المسلمين في غزوة مؤتة سنة ٦٢٩م، وكذلك في فتح المسلمين لأنطاكية وحين هرب هرقل، فتبعه كثير من متنصرة العرب من أياد وغسان وتنوخ، فتتبعهم القائد المسلم ميسرة بن العبس، ثم سانده القائد المسلم الآخر مالك الأشتر[١].

ومن هذه المعلومات يتضح للقارئ الكريم أن هذه المنطقة وما احتوته من قبائل عربية كانت بكل وضوح جسرًا عبرت منه عناصر أجنبية شتى خاصة من النصرانية واليونانية واليهودية، كما سنرى تفصيل في موضعه.

إمارة الحضر

وتقع في وادي الثرثار شمال العراق، وهي إمارة عربية قديمة، نشأت قبل الميلاد، ثم أصبحت منطقة صراع بين النفوذ الفارسي والنفوذ الروماني، وتشير آثارها إلى وجود معبد الشمس وعبادة اللات، وكان ذلك حتى بعد انتشار الديانة النصرانية في هذه المنطقة، فإن الغالبية قد تنصروا، وفيهم قبائل عربية معروفة في نصرانيتها قبل الإسلام[٢].

إمارة الرها

وهي مدينة قديمة، تقع قرب حران، نشأت في القرن الثاني قبل الميلاد، وكان أمراؤها من العرب- أخصهم اللخميون، ومن أشهر ملوك الرها ابن مالك، واللغة السائدة كانت السريانية، التي أصبحت لغة الديانة النصرانية، وتدور روايات عن ملكهم أنه أرسل رسالة إلى السيد المسيح، يدعوه فيها إلى الرها بعيدًا عن اضطهاد اليهود، وقيل: إن أحد تلاميذ

(١) محمد بيومي: تاريخ العرب القديم، (٤٠٢/٢)، وما بعدها. سعد الجريد: القبائل العربية في بلاد الشام وعلاقتها بالدولة الإسلامية، مصدر سابق، (٢٢٩- ٢٣٦).

(٢) محمد بيومى مهران: تاريخ العرب القديم، (٤٨٥/٢)، وما بعدها.

المسيح (مارادي) جاء إليه وعلى يده دخل الملك إلى النصرانية، وقد تعرضت هذه الإمارة إلى مضايقات وغزو من الرومان[١].

مملكة المناذرة في الحيرة

وكانت الحيرة قريبًا من الكوفة نشأت قبل الميلاد، فسكنها قبائل عربية، أخصها كان تنوخ من قضاعة، ومن أشهر ملوكهم النعمان بن امرئ القيس باني قصر الخورنق الباقية بعض آثاره، وفي عهد ملكهم المنذر بن النعمان كان جيش الحيرة يتكون من عرب وفرس، وقد قام هذا الملك بتربية بهران ابن ملك الفرس يزدجرد، فكانت هذه المملكة تحت النفوذ الفارسي، ومن أهم مقاصدها الدفاع عن الدولة الساسانية ضد الغزاة العرب على أطراف الدولة الفارسية، وفي حقبة ملك الحيرة المنذر شاع مذهب مزدك الفيلسوف الفارسي، وفي عهد الملك الفارسي قباذ سيطر على ملوك الحيرة ونصب ملوكًا من قبيلة كندة، وقد سخَّر الفرس كثيرًا من العرب لأغراضهم السياسية خاصة ما ذكر عن بعض قبيلة أسد وبعض من قبيلة غطفان حتى قيل: إن بعضًا من القبائل العربية كانت تقاتل مع الفرس عند فتح العراق.

كانت الديانة الأولى للحيرة ديانة وثنية كعبادة الشمس والمشتري، أو ما ذكر من عبادات طوطمية لحيوانات أو أوثان، ولكن بعد سيادة الرومان وانتشار النصرانية، حدث في الحيرة انقسام في النفوذ الديني بين الزرادشتية الفارسية والديانة النصرانية، وتذكر الروايات انتشار البيَع والأديرة في الحيرة، وأحصى بعض الباحثين ٣٦ ديرًا في الحيرة كان الشعراء يلتجئون إلى هذه الأديرة طلبًا للخلوة، وقد ذكر أن بعضًا من القبائل العربية قد تنصرت، منهم من تميم، وبعض من ربيعة، وبعض من أياد، وبعض من بكر، وبعض من تغلب، وبعض من النمر، وبعض من عبد قيس.

وتنقل المصادر العربية أن والي العراق الحجاج بن يوسف حينما ضاق ذرعًا بأهل الكوفة، قال: «إنها أصبحت ملجًا حقيرًا لليهود والنصارى»[٢].

---

(١) محمد بيومي: مصدر سابق، (ص٤٨٧)، وما بعدها.

(٢) عارف عبدالغني: تاريخ الحيرة، (ص ٤٧٨)، الجعيط: الكوفة، (ص ٢٥).

ومن هنا يتضح كيفية انتقال الأفكار المجوسية واليهودية والنصرانية إلى العرب واعتبار الحيرة أحد الجسور التي عبرت منها تلك العناصر من الحيرة إلى الكوفة، فقد ورثت الكوفة حضارة الحيرة، بل حتى أحجار بيوت الحيرة نقلت لبناء الكوفة[١].

(١) الطبري: تاريخ، (٦: ص)، الجعيط: الكوفة، (ص ٢٧٢).

الفصل الثالث

الموالي والحركات الشعوبية

الموالي

نتج عن الفتح الإسلامي تقسيم الفيء بين المقاتلين من البلاد التي فتحت عنوة، ومن جملة الفيء السبي من رجال ونساء، فكان المقاتل العربي يكسب المئات من السبي، فيبيع من لا يحتاج له، ويستبقي في خدمته من هو في حاجته، فيصبح من مواليه، ويعطيه اسمه واسم قبيلته، ولما كثر الموالي في المجتمع العربي بدأت تظهر بالتدريج مظاهر التغير في الفكر في المجتمع العربي، خاصة نهاية الدولة الأموية، وعلى مر الزمن للدولة العباسية. وأول ظهور لقوة الموالي السياسية يلحظها الباحث في ثورة المختار بن عبيدالله الثقفي، الذي ثار في الكوفة مطالبًا بدم الحسين رضي الله عنه، ومدعيًا في البداية نيابته عن الإمام محمد بن علي ابن الحنفية، ثم ادعاءه بأفكار السبئية المعروفة آنذاك في الكوفة، واستخدم أحد مواليه المدعو كيسان، الذي فيما يبدو نسبت فرقة الكيسانية الغالية من الشيعة إليه. فلأول مرة اشترك الموالي في الثورة ضد الحكم العربي، فانخرطوا مع جيش المختار يدورون على بيوت من اشترك في مقتل الحسين، فيقتلونه بداره، فقويت شوكتهم، وأخرجوا كرسيًّا وادعوا أنه منبر للإمام علي في مسجد الكوفة، وأنهم يتبركون به انتصارًا ضد أعدائهم، وتشبُّهًا بتابوت بني إسرائيل، الذين كانوا يحملونه معهم في قتالهم.

إن غالبية هؤلاء الموالي كانوا من الفرس، وقد انضم إلى حركة المختار إبراهيم ابن الأشتر النخعي وكثير من القبائل اليمنية، واتسمت هذه الحركة بأفكار الشيعة، حيث نادت بإمامة محمد ابن الحنفية، ودارت حوله كثير من الأفكار الغالية، وقد فشلت هذه الحركة، وضربها جيش مصعب بن الزبير القادم من البصرة، بقيادة المهلب بن أبى صفرة (من قبيلة الأزد).

إن من أهم أسباب اشتراك الموالي في ثورة المختار هو شعورهم بأنهم مغلوبون على أمرهم ماديًّا وفكريًّا، وتذكر الروايات أن لعباد بن زيد وهو من الأشراف ما يقرب من

ألفين من الموالي قاتلوا مع المختار، كما ذكر أن لجرير بن عبدالله البجلي وهو شيخ قبيلة بجيلة مواليَ كثيرين في الأنبار، وقد اعتنق كثير من هؤلاء الموالي أفكار السبئية من الشيعة، وأدخلوا عليها زيادات وحججًا يقتضيها الصراع السياسي، فشاعت بينهم أفكار الغلاة المتعلقة بالإمامة والعصمة والرجعة، وما إليها من تلك الأفكار، وقد تطورت تحت تأثير ديانة الموالي المجوسية، فأضحى الموالي وبعض أسيادهم من العرب تحت تأثير هذه الأفكار، فكانوا حقيقةً الجسر الذي عبرت منه الأفكار الزرادشتية والمانوية والبابكية خاصة في العهد العباسي، وعلى يد الحركات الشعوبية التي رفعت بوضوح أفكارها الشعوبية في المجتمع العربي والإسلامي[١].

وارتفع شأن الموالي في الدولة العباسية إلى أن وصلوا إلى منصب الوزارة كالبرامكة والطاهر، وبلغ نفوذهم درجة أوغرت صدور الخلفاء فنكلوا بهم، ولقد أدوا دورًا بارزًا في العلوم والثقافة العربية والإسلامية، فكان منهم الفقهاء والعلماء والفلاسفة والشعراء، وامتزجوا في المجتمع، فأصبحوا بشكل عام متجانسين مع الآخرين، وهذا في الحقيقة شأن غالبيتهم، ولكن القلة منهم وممن لم يحسن إسلامهم ضمروا نوايا عدوانية، فانخرط بعضهم في الحركات والفرق المعادية، ومنها فرق الشيعة الكثيرة التي أوضحها لنا مؤرخ الشيعة النوبختي في كتابه المعروف (فرق الشيعة)، حيث أوضح مقالاتهم ورؤساءهم -ونحن في هذا البحث نلقي الضوء على هذه الفئة- التي تعد الجسر الذي انتقلت منه الديانة المجوسية خاصة ما له علاقة بمقالات الزرادشية المانوية أو البابكية.

الحركات الشعوبية

إن مصدر الموالي في المجتمع العربي والإسلامي بعد الفتح كان من مصدرين؛ الأرقاء الذين كانوا موضعًا للأسر في أثناء الحروب، والقسم الثاني غير العرب، الذين يدفعون الجزية، ويبقون على دينهم، ولهم حقوقهم الشرعية المعروفة، وغالبًا ما يتخذ الموالي لهم أسماء عربية أو أسماء أسيادهم، وقد دخل أكثر الموالي في الإسلام وحسن إسلامهم، وأدوا للعلوم والثقافة الإسلامية دورًا مشهودًا، لكن قلة من هؤلاء اتخذت حقد العرب لها

---

(١) الطبري: تاريخ، (/ ١٩٦- ٢٢٣)، هند أبو الشعر: حركة المختار، (ص٤٦٧)، النوبختي: فرق الشيعة، (ص٦٩)، الكشي: رجال، (ص١١٧).

منهجًا، وقد ظهر ذلك في بعض كتبهم وإشعارهم، وقد سميت هذه الظاهرة بالحركة الشعوبية، التي تضمر الكراهية للعرب المسلمين، وتنقد الأعراف العربية، وتشيع رغبتها في الرجوع إلى دياناتها وأفكارها القديمة، فقد رُمِيَ كثير من الشعراء والكتَّاب الموالي بالزندقة، وانضوى كثير منهم في الحركات السياسية ضد الدولة الإسلامية.

فكتابات ابن المقفع وشعر بشار بن برد وأبي نواس ومهيار الديلمي مليئة بالسخرية من العرب، ومظهرة لأفكار فرقهم آنذاك، ومن هؤلاء أيضًا أبو عثمان سعيد بن حميد الذي ألف كتابًا في فضائل الإيرانيين، وقد حبسه متهمًا بالزندقة المعتصم، ومنهم أيضًا أبوعبيدة معمر بن المثنى، فقد كان أبوه يهوديًّا، وكان يكذب ويدس في كتابه أفكارًا يهودية؛ والذي يطّلع على كتب الرجال عند الشيعة: كرجال الكشي ورجال الطوسي وغيرهم يدرك أن غالبية رواة الشيعة هم من الموالي، والذي يقرأ كتاب تفسير القرآن للقمي يدرك بوضوح تلك الروايات المرتبطة بالفكر اليهودي، ومن أراد المزيد فليراجع كتابنا (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة). وقد علا شأن الموالي الفرس في الدولة العباسية، وشغلوا منصب الوزارة، وأصبح منهم ولاة وقادة جيوش، وحينما غزا البويهيون بغداد سنة ٣٤٥هـ ارتفع شأن الموالي الشيعة في العراق وإيران، وكان الفرس البويهيون على الديانة المجوسية، ثم اعتنقوا المذهب الزيدي، وعند دخولهم بغداد انقلبوا إلى شيعة إمامية؛ لأن الزيديين ببغداد طالبوا بإقامة السلطان للداعي الزيدي، فكان من السهل تحولهم إلى الشيعة الاثني عشرية؛ لأن إمامهم كان غائبًا في سردابه، فانتعش التشيع الاثني عشري في إيران والعراق، ووصل أثره إلى الحمدانيين في الشام، أما في مصر فكانت الدولة الفاطمية على مذهب الشيعة الإسماعيلية، كل ذلك نتيجة سياسية لتخلف العنصر العربي المسلم وضعفه، وسيادة العناصر الفارسية متسربلة ومتخفية وراء التشيع.

ففي العهد البويهي شاعت الأفكار المجوسية، ولم يتدخل البويهيون لمنعها، فقد ذكر أن رجلًا ادعى أن روح الإمام علي قد حلت به، كما ادعت إحدى النساء أن روح فاطمة عليها السلام قد حلت بها، وآخر ادعى أن روح الملك جبرائيل قد حلت به، فقد أطلق معز

الدولة ببغداد سراح هؤلاء المدعين بدعوى أنهم من الشيعة آل البيت، وأدخل البويهيون لأول مرة مواكب عزاء الحسين بمناسبة عاشوراء[١].

روايات عند الشيعة تؤكد اتجاهها إلى الشعوبية

نقل المجلسي من كتاب الاختصاص للشيخ المفيد عن الإمام الصادق ما مفاده أن المؤمن (الشيعي) هاشمي؛ لأنه هشّم الضلال، وهو قرشي؛ لأنه أقر بالشيء، ونحن الشيء، وهو نبطي؛ لأنه استنبط الأشياء، وهو عربي؛ لأنه عرب عنا أهل البيت[٢]، وهو أعجمي؛ لأنه أعجم من الدلام، وهو فارسي؛ لأنه تفرّس في الأسماء، ولو كان الإيمان منوطًا بالثريا لتناوله أبناء فارس، وفي رواية عن أبي يحيى الواسطي توضيح لنقاش دار بين أحد الشيعة والإمام الصادق، مشتكيًا من التسمية بالموالي، فرد عليه الإمام بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال: «أنا مولى لمن لا مولى له»[٣]، ونقل المجلسي رواية عن الصادق أن الله (يعذب العرب بالمعصية)، ونقل المجلسي أيضًا أن الصادق قال تفسيرًا للآية القرآنية ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ محمد: ٣٨، يقصد بغيركم أيها العرب (وقد استبدل بهم خيرًا منهم وهم الموالي) ونسب المجلسي رواية عن الصادق، يوضح فيها فضيلة العجم على العرب: «لو أن القرآن نزل بلغة العجم لم يصدقه العرب، ولكن العجم صدقوا القرآن العربي».

ونقل رواية عن الصادق[٤] «نحن العرب وشيعتنا الموالي، وسائر الناس همج»، ونسب الشيخ المفيد رواية عن الإمام علي أنه قال: «من أحبنا فهو الرضي، ومن أبغضنا فهو العلج، أما إنه لا يخرج منهم أحد مع القائم (المهدي)» يقصد أنه لا يخرج أحد من العرب

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، (٧٢/١)، المسعودي: مروج الذهب، (١٠٢/٩)، ابن مسكويه: تجارب الأمم، (٢٠٧/٢)، فلهوزن: أحزاب المعارضة.

(٢) المجلسي: البحار، (١١٥/١٥). المجلسي: بحار الأنوار (١٥/ ١٧-١٨).

(٣) كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له». قال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد وابن ماجه.

(٤) وانظر أيضا القسم الأول (ص ٤٥- ٤٨)، والقسم الثالث (ص١٤١)، وانظر: (٢١٠/١٦)، و(١٣/ ١٨٦ -٢١٥)، من البحار.

عند خروج المهدي. ونقل أيضًا أن الإمام عليه صحيفة اسمها العبيطة «وأن فيها قبيلة من بهرجة ما لها في دين الله من سبيل».

إن هذه الروايات التي أوردها المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) لا تحتاج إلى كثير من التعليق والدلالة على شيوع أفكار الشعوبية ضد المسلمين العرب، وقد اقتصرنا على ذلك، فهنالك كثير من الروايات المبثوثة في كتب الحديث عند الشيعة، تحذر من العرب وتذكر مثالبهم، مما يدل بوضوح أن التشيع غالبيته تطور فيما بعد بأيادٍ غير عربية، بعد أن كان في ظهوره مجرد منحى سياسي لبعض العرب.

الفصل الرابع

الحركات الفارسية المارقة

١. الراوندية

وهي نسبة إلى ابن الراوندي، وأصل عقيدتها منتحلة من الديانة المزدكية الفارسية، وقيل: إن أبا مسلم الخراساني هو الذي عين ابن الراوندي للدعاية إلى أحقية الخلافة لآل البيت، وادعت الراوندية صفة الألوهية للخليفة المنصور، ويتضح من تاريخ الراوندية تحالف الشيعة الغلاة مع الحركة العباسية في أول نشأتها بفارس، و ادعت الراوندية أيضًا بفكرة الحلول الإلهي وفكرة التناسخ، وقد ادعى بعض الراوندية أن روح المسيح قد حلت بالإمام علي، ثم انتقلت إلى الأئمة ونادوا بحلية النساء كما في المزدكية، وقد قضى عليهم المنصور بمساعدة معن بن زائدة[١].

٢. البابكية

وهي المنسوبة إلى بابك الخرمي، وكان من موالي الشبل بن المنفي الأزدي في أذربيجان، وانضوى تحت نفوذ جاويدان، وتزوج امرأته واستولى على ماله، فورث نفوذًا بين أتباعه الذين اتسع نفوذهم في السلب والنهب وقطع الطريق، فثار ضد المأمون والمعتصم، وقد شهد المؤرخ الشيعي النوبختي في كتابه فرق الشيعة بأنهم من الشيعة الغلاة الخارجين عن الإسلام، لما ادعوه من عقائد فاسدة. وأهم عقائد البابكية الخرمية هي فكرة الحلول الإلهي، وأن النبوة لا تنقطع، ويَرَوْن أن بابك نبي يوحى إليه، ولا يؤمنون بجنةٍ ولا نار ولا بيوم حساب، كما يستحلون المحرمات من النساء المحارم والغلمان، ونادوا بدين اللذة متأثرين بالديانة الفارسية القديمة[٢].

---

(١) الطبري: تاريخ، (٧/٨٣)، (٧/٤٨٠- ٤٩٠).

(٢) المسعودي: تاريخ، (٣/٢٢٠)، (٣/٣٠٦).

٣. حركة سنباذ

وأغلب من انضم إلى هذه الحركة هم من الخرمية وبقاياهم، قيل: إنهم يعتقدون بعدم وجود جنة ولا نار، وأمر سنباذ أصحابه بالتوجه في الصلاة إلى الشمس أو النار، والتوجه إلى هدم الكعبة[(١)].

٤. حركة المازيار

وقد أسلم المازيار على يد المأمون، وولاه طبرستان، وأعلن المازيار حركته ضد المعتصم، ونادى بآراء المزدكية، فقضى عليه المعتصم[(٢)].

٥. حركة إسحاق الترك

وهو من أتباع أبي مسلم الخراساني، وادعى بعد مقتل أبي مسلم أنه سيرجع، وينادي بشريعة زرادشت، وتذكر المصادر التاريخية أن أفكار هذه الجماعة زرادشتية، قد استمر أثرها في مدينة بلخ وما حولها حتى القرن الرابع الهجري.

٦. طائفة المغيرية

وهم أتباع المغيرة بن سعيد العجلي (١٢٠هـ).

٧. طائفة البيانية

وهم أتباع بيان بن سمعان التميمي النهدي (١١٩هـ)، حيث زعم أيضًا بصفة الألوهية لعلي بن أبى طالب.

٨. فرقة الجناحية

وهم أتباع عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، وهم القائلون بأن روح الله قد حلت بآدم، ثم في الأنبياء بعده، حتى انتهت إلى علي بن أبي طالب وأولاده، ثم إلى عبدالله بن معاوية.

---

(١) الطبري: تاريخ، (٩/٩٨).

(٢) ا. د. محمد عبدالعزيز بن أحمد العلي: عقيدة الحلول والتناسخ: عرضًا ونقدًا، (١١٤- ٢٩٦)، دار الصميعي للنشر، ط١، الرياض سنة ١٤٣٠هـ.

٩. فرقة النصيرية

وهم أتباع النصير النميري القائلين: إن روح الله قد حلت بمحمد وفاطمة وعلي والحسن والحسين، ثم حلت بالنميري نفسه.

١٠. فرقة الحلمانية

وهم أتباع أبي حلمان الدمشقي الفارسي، الذي نشأ في الشام، ونشر القول بفكرة الحلول.

١١. فرقة الرزامية

وهم أتباع رزام بن رزم من أهل خرسان، ونسبت أيضًا فكرة الحلول إلى فرق إسلامية كثيرة ضالة، مثل الشعيرية أتباع محمد بن موسى الشعيري. والعذاقرة أتباع أبي جعفر علي الشلغماني (٣٢٢هـ). وكذلك فرقة الخطابية أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد (١٤٣هـ)، حيث زعموا بألوهية علي بن أبي طالب وجعفر الصادق. ومنهم فرقة المفوضية: القائلون: إن الله قد فوض تدبير الكون إلى الأئمة (أئمة الشيعة). ومنهم الإسحاقية وهم أتباع زيد بن الحارث (٢٧٢هـ).

ومؤرخو الفرق أدخلوا بعض القائلين في الحلول في حديثهم عن الفرق الإسلامية الضالة، كفرقة الدروز وفرقة الإسماعيلية الفاطمية.

وخلاصة الكلام: إن أكثر القائلين بفكرة الحلول هؤلاء هم من الشيعة الغلاة، وبعض فرق الصوفية، الذين سنفصل الحديث عنهم في محله، ونسب القول بالحلول أيضًا إلى فرقة الجهمية، وهم أتباع الجهم بن صفوان (١٢٨هـ)، وينسب القول بالحلول لبعض الجهمية، ومن القائلين بفكرة الحلول بعض الطوائف المنسلخة عن الشيعة الاثني عشرية: كالبابية والقاديانية[١].

١٢. حركة فريد

ثار بنيسابور سنة ١٢٩هـ، ونادى بأفكار زرادشت وإنه خليفته مرسل من السماء، وفرض على أصحابه التوجه إلى الشمس بسبع صلوات، وتأثر بأفكاره أشنان الذي نشرها

(١) ابن النديم: الفهرست، (ص٣٤٤).

في مدينة بادغيش، والتي استمرت آثارها حتى القرن الرابع الهجري، كما يشير إلى ذلك ابن النديم في كتابه الفهرست[1].

١٣. حركة المقنع

ظهرت هذه الحركة في خراسان ضد الخليفة المهدي، وقد نادى وادعى بفكرة التناسخ والحلول، كما في الزرادشتية، وادعى أيضًا أنه سيرجع بعد موته، وأسقط عن أتباعه فرائض الإسلام، وأباح دماء المسلمين، واستحل النساء وشرب الخمر، وقد طال أثر هذه الحركة حتى قضى عليها الخليفة المهدي.

إن هذه الحركات التي نشأت منذ أوائل الدولة العباسية، واتسمت بالعنف والثورة ضد العرب والإسلام، وذلك بما حملته ونادت به من أفكار وعناصر مجوسية على اختلاف أنواعها من زرادشتية وبابكية ومانوية، واستمر أثرها حتى القرن الرابع الهجري، كما شهد بذلك ابن النديم في القرن الرابع، حينما استولى البويهيون على الحكم بفارس وبغداد.

لقد كانت هذه الأفكار ممهدةً بسيادة مذهب الشيعة، الذي فرضه البويهيون، ومن هنا ندرك أهمية هذا الجسر الذي عبرت منه عناصر الديانة الفارسية القديمة إلى التشيع، وخاصةً المغالي، والسبب الذي دعانا إلى الإشارة لهذه الحركات، التي قام بها غير العرب من العجم الموالي، وإشارتنا لبعض أفكارها هو امتداد آثارها إلى روايات الحديث عند الشيعة الاثني عشرية، بالرغم من أنهم يتبرؤون منها، والتي يجدها القارئ مبثوثة في ثنايا كتاب الكافي للكليني، أو في كتاب بحار الأنوار للمجلسي، وغيرها من كتب الحديث، ولم يستطع علماء الشيعة الاثني عشرية من تنقية هذه الكتب من تلك الأفكار، التي أصبحت وبالًا على المذهب.

ولهذا أوردنا تلك الحركات بوصفها جسرًا عبرت منه كثير من العناصر الفارسية والهندية القديمة إلى التشيع مع أن الشيعة الاثني عشرية، يتبرؤون من هذه الحركات ومن أفكارها.

---

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص ٢٤٤)، ابن الأثير: الكامل، (٣٨/٦).

القرامطة

نشأتهم

وينسبون إلى حمدان قرمط، وهو من أهل الكوفة، كان صوفيًّا في نشأته، ثم تأثر بمذهب المباركية الباطنية، كما يقول الغزالي، ثم التقى بحسين الأهوازي وكيل عبدالله بن ميمون القداح المشهور الداعية الإسماعيلي الباطني، وأصبح للقرمطي أعوان من أصحابه، وافقوه على الاعتقاد بالأفكار الباطنية، ووقع تحت تأثير ابن ميمون القداح، فبث القرمطي دعوة القداح في كلواذي، كما يقول الغزالي سنة ٢٦١هـ، وبعد موت القداح أصبح القرمطي رئيسًا لهذه الفرقة الغالية، وقد انضوى تحتها كلٌّ من حمدان مهروية وجلندي الرازي وعكرمة البابلي وإسحاق السوداني وعطية الديني، وهؤلاء جميعًا موالٍ من أصول فارسية، تشربت بهم العقائد والأفكار من الديانات المجوسية، وكانت دعوتهم الأولى لإمامة محمد ابن إسماعيل بن جعفر.

وذكر ابن النديم أن عبدان أحد رجال القرمطي هو الذي تولى الكتابة وتوضيح أفكار الدعوة القرمطية، وقد راسل القرمطي صاحب الزنج في البصرة، ولكن لفشل ثورة الزنج انقطع الاتصال فيما بينهما، ويذكر النوبختي في كتابه فرق الشيعة: أن أفكار القرمطي استجاب لها بعض العرب في الكوفة، ولكن في الواقع بعد انتشار دعوة القرامطة بالسيف، واشتداد الوهن إبَّان القرن الرابع الهجري التقت جهودهم الشيعية الباطنية بتسامح الحكم البويهي الشيعي معهم.

تفرقت القرامطة إلى ثلاث قوى من ناحية الرقعة الجغرافية، فحمدان قرمط في أرض السواد. والجنابي في البحرين وفارس. وأبو حاتم البوازي في القطيف والبصرة، وأضحت الحركة القرمطية عبارة عن عصابات كبيرة للسلب والنهب، ففي سنة ٣١٧هـ هاجم القرامطة بقيادة أبي سعيد الجنابي مكة، وقتلوا من وقف أمامهم، فنهبوا كسوة الكعبة، وطالبوا بإقفال الحج والعمرة؛ لأن ذلك في رأيهم مجرد عبادة للأحجار، وأخذوا الحجر الأسود إلى الأحساء، ولم يرجع الحجر الأسود إلا بعد أكثر من عشرين سنة وبواسطة فيما يبدو من الدولة الفاطمية. وذكر أن القرامطة يتدرجون بدعوتهم على مراتب، بحيث لا يفاجئون المدعو بالمرحلة الأخيرة من أفكارهم، فيبدؤون أولًا بإثارة الشك

والتأويلات المختلفة، ثم إنه لا بد من إمام جلي يهتدى إليه بشكل قاطع للإجابة على تلك التأويلات، والثالثة يصرحون بأن الأئمة في الأصل سبعة: أولهم محمد بن إسماعيل بن جعفر، والرابعة أن كل نبي ينسخ شريعة ما قبله، وأن الإمام محمد بن إسماعيل قد نسخ شريعة من قبله (محمد عليه الصلاة والسلام)، والخامسة أن الإمام له اثنا عشر نقيبًا على عدد شهور السنة يجب إطاعتهم، والسادسة يؤولون له مختلف الشرائع والأديان، حيث يسهل خروجه عما يدين به، والسابعة يوضحون له بأن الصانع في الكون اثنان قريبًا من الديانة الإثنينية (النور والظلام) (أوهرا ومزدا) في الديانة الفارسية، والمرحلة الثامنة أن أحد الصناع (الآلهة) لا بد أن يكون أسبق في الوجود، بحيث يقضي على الآخر (وهذا هو الفكر المجوسي نفسه)، والتاسعة تكون بسلخ الرجل من جميع معتقداته ودينه، فيكون أقرب إلى الديانة المانوية، التي تستحل المحرمات، ولا تعترف بالشرائع والديانات[١].

أفكار القرامطة

١- النبوة

مع اعتقاد القرامطة بولاية الإمام علي بن أبي طالب إلا أنهم يَرَوْن أن شريعة الإسلام قد نسخت، وأن نبيهم محمد بن إسماعيل بن جعفر هو المهدي المنتظر، وأنه لم يمت، وأن الأنبياء بعده يقومون مقامه، وهم علي بن فضل، وأبي سعيد الجنابي.

٢- الحلول

يدعي القرامطة أن الإله قد حل برجالهم، وخاصة من يزعمون أنهم أنبياء: كابن الفضل والجنابي، ويهدفون بذلك إلى وجوب طاعتهم.

٣- التأويل

يأخذ التأويل الباطني مساحة كبيرة في أفكار القرامطة؛ وذلك لأنهم يحتاجون إليه في تشكيك من يدعونه إلى مذهبهم، فكلما كثر التأويل للنص كثر معه الخروج عن النص

(١) محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦م، (ص ١٥- ٣٥)، وما بعدها.

والعمل به، وهي الغاية التي يبتغيها هذا المذهب، فزعموا مثلًا أن معنى الصلاة هي موالاة إمامهم، والحج زيارته، والصوم هو الإمساك عن إفشاء أسرارهم.

٤ـ شيوعية المال والنساء

اعتقد القرامطة شيوعية المال والنساء، فلا ملكية لأحد يدَّعيها، واستحلوا المحرمات على مقولة: إن الناس يتقاتلون على المال والنساء والأراضي، فإذا أشيع المال والنساء والأراضي، فقد منعنا الاقتتال بينهم، وهذا هو عين ما ذهبت إليه المزدكية والمانوية من ديانات الفرس، وقد كتبنا عن القرامطة لنوضح آراءهم التي شاعت بين المسلمين خاصة في العراق وإيران، ودلالة ذلك شيوع الأفكار المجوسية في هذه المنطقة خاصة في القرنين الثالث والرابع الهجري، فجعلتها في متناول كثير من الأدعياء والفرق، التي انتشرت في المنطقة، وخاصة ما يتعلق منها بمذهب الشيعة، الذي ورث كثيرًا من هذه الأفكار.

ومما يؤسف له أن بعضًا من الأبحاث أظهرت القرامطة بمظهر الحركة الثورية المجددة بالفكر العربي، في مقاربةٍ بينها وبين الأفكار الشيوعية والعلمانية. في حين أنها حركة هدامة للفكر العربي الإسلامي[١].

ومن هنا يتضح أن بعض أفكار القرامطة خاصة ما يتعلق منها بالتأويل الباطني، وصفات الأئمة، وفكرة الحلول الإلهي، كانت جسرًا عبرت منه تلك العناصر الأجنبية على الفكر الشيعي، وكان لها تأثير تاريخي وميراث، يظهر ويخبو على الشيعة في تلك المنطقة، بالرغم من أن علماء الشيعة يتبرؤون من القرامطة ومن أفكارهم.

(١) من هذه الأبحاث ما كتبه الدكتور عبدالجبار ناجي في مجلة الآداب، الصادرة من جامعة البصرة.

الفصل الخامس

رواة من السنة تأثروا بالتشيع

إن كتب رجال الحديث السنة تذكر أن لبعض الرواة أفكارًا شيعية، وما ذلك إلا أثر من آثار انتقال التشيع إلى هؤلاء الرواة من السنة، التي نعدها أحد الجسور التي عبرت منها العناصر الأجنبية إلى الشيعة، وإن كانوا قلة من رجال الحديث السنة، ونحن هنا نضرب أمثلة على ذلك:

١. رواة ورد عنهم شتم الخليفة عثمان والشيخين، منهم

١. تليد بن سليمان المحاربي الكوفي (ت ١٩٠هـ): أورد الخطيب البغدادي: أن يحيى بن معين يرد حديث تليد هذا؛ لأنه كذاب، ويشتم عثمان. ونقل عن أحمد ابن حَنْبَل: أن تليد فيه تشيع. وقد ضعفه النسائي والدارقطني، وهذا الراوي توثقه مصادر الشيعة، ومنها كتاب الرجال للطوسي[١].

٢. يونس بن خباب الأسدي الكوفي: قال عنه يحيى وسعيد القطان: إنه كان كذابًا. وقال عنه يحيى بن معين:إنه كان يشتم عثمان. وروى كثيرًا من المنكرات[٢].

٣. أبو إسرائيل إسماعيل بن خليفة العبسي (ت ١٦٩هـ): قال عنه الجوزجاني: إنه مفترٍ وزائغ. وقال عنه ابن مهدي: إنه كان يشتم عثمان. وذكر ابن حبان أنه رافضي شتامٌ تالف[٣].

٤. أبو حمزة الثمالي، واسمه ثابت بن أبي صفية (ت١٥٠هـ): قيل: إنه من الموالي. أله ابن أبي صفرة، (وهو من قبيلة الأزد، وكان واليًا، وقائدًا لجيش الأمويين في

(١) العسقلاني: تهذيب التهذيب، (١/ ٢١٢- ٥٠٩).

(٢) الكشي: رجال، (ص ٢٠٦).

(٣) الطوسي: رجال، (ص).؟؟؟؟؟؟

خرسان)، وقال عنه أهل الحديث: إنه ليس بثقة. وقال عنه ابن حبان: إنه غالٍ في تشيعه. وقيل: إنه يقع في عثمان. وأكثر كتب الشيعة توثقه، لكن الكشي ذمه[١].

٥. أبو المقداد العجلي، واسمه عمرو بن ثابت بن هرمز البكري (ت١٧٢هجرية): وقال عنه أبو زرعة: إنه واهي الحديث، وإنه شديد التشيع. وقال أحمد بن حنبل: إنه يشتم عثمان. ومن المناكير التي رواها قوله: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ارتد الناس إلا أربعة. وكان يسب الصحابة[٢]، وتوثقه أكثرية كتب الشيعة، ما عدا ابن الغضائري.

٢. ثانيًا: رواة ورد عنهم القول بفكرة الرجعة

ويقصد بها الشيعة رجوع بعض الأموات إلى الدنيا، ليقتص منهم الإمام علي قبل يوم القيامة، منهم:

١. الأصبغ بن نباتة الكوفي: الذي كان على شرطة الخميس زمن خلافة علي[٣].
٢. رشيد الهجري الرياشي (ت ١٢٨هـ): وهو من أصحاب الإمام علي، وقد ادعى برجعة الإمام علي[٤]، وقال عنه ابن حبان: إنه يؤمن بالرجعة، وأن عليًا هو دابة الأرض، المذكورة في القرآن، وورد أنه كان يعتقد بحياة الإمام علي بعد موته، وأنه قد زاره، وسلم عليه، وسمع تنفسه.
٣. داود بن يزيد بن عبدالرحمن الأزدي الزعافري الكوفي الأعرج (ت ١٥١هـ): وقال عنه ابن حبان: إنه يؤمن بالرجعة.
٤. المغيرة بن سعيد العجلي الكوفي (ت ١٢٠هـ): وتذكر المصادر أنه لم يكن عربيًا، وإنما كان مولى لخالد القسري، وقال عنه ابن حبان: إنه زوَّر على الإمام علي وعلى آل البيت أحاديث منكرة. وتذكر المصادر أنه على علم بالديانات القديمة

(١) د. سعد الهاشمي: الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، (ص ٢١٢)، وما بعدها، ط ١٩٩٢م.
(٢) د. سعد الهاشمي: مصدر سابق، (ص٤٠– ٤٢)، وما بعدها.
(٣) مصدر سابق، (ص٤٨)، ميزان الاعتدال، (٥٢/٢).
(٤) سعد الهاشمي: مصدر سابق، (ص١٠٢)، عن تهذيب التهذيب (٢/ ٤٨).

خاصة المانوية والمندائية الصابئة، وذكر العقيلي أنه كان يؤمن بالرجعة، ونسبت له بعض الروايات: أنه يعتقد بألوهية الإمام علي وتكفير الصحابة.

٥. جعفر بن يزيد الجعفي الكوفي[١]: فأغلب كتب الشيعة توثقه، وذكر يحيى بن معين أنه كان كذابًا. وقال عنه العجلي: إنه كان غاليًا في التشيع، وكان يدلس ويؤمن بالرجعة. ومنهم أيضًا الحارث بن حصيرة الأزدي الكوفي (ت ١٤٦هـ)، وقال عنه محمد بن عبدالسلام الأسدي: إنه يؤمن بالرجعة. وقال عنه الدارقطني: إنه كان غاليًا في التشيع[٢]. أما عن مصادر الشيعة، فأغلبها توثقه، وأنه يؤمن بالرجعة.

٦. عثمان بن عُمير البجلي الثقفي الكوفي الأعمى (ت ١٥٠هـ): قال عنه الحاكم: إنه زائغ. وقال عنه عدي بن عدي: إنه كان غاليًا في التشيع، ويؤمن بالرجعة[٣].

٧. عمرو بن جابر الحضرمي: قال عنه أحمد بن حَنْبَل: إنه كان يكذب. وقال عنه الجوزجاني: إنه غير ثقة. وقال الأزدي: إنه كان كذابًا.

٨. زياد بن المنذر النهدي، ولقبه أبي جارود (ت ١٥٠هـ): قال عنه ابن حبان: إنه كان يضع الحديث في مثالب وعيوب الصحابة. ونسب له النوبختي أنه يؤمن بتناسخ الأرواح[٤].

٩. محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي (ت ٣٢٦هـ): قال عنه الحافظ أبو الحسن بن حمّاد الكوفي: (كان يؤمن بالرجعة).

إن جميع هؤلاء الرواة كان لهم شيوخ رووا عنهم، وكذلك كان لهم أتباع وتلاميذ، نقلوا رواياتهم، وكل ذلك مفصل في كتب رجال الحديث عند السنة، وتركنا الإسهاب في تفصيل ما ذكره المحدثون عنهم، واقتصرنا على الغاية من بحثنا في كون هؤلاء جسرًا، عبرت منه تعاليم الديانات القديمة إلى الشيعة، ولم تسلم كتب حديث السنة من رواياتهم[٥].

(١) الطوسي: اختيار معرفة الرجال، (ص١٢)، المجلسي: رجال، (ص ٩٣).
(٢) سعد الهاشمي: مصدر سابق، (١٥٤- ١٥٨).
(٣) مسند أحمد (٢/ ٣١٢).
(٤) الاثنا عشر رجلًا: ابن حصيرة (ص ٣٢٥- ٣٣٩).
(٥) ابن حصيرة: الاثنا عشر رجلاً، (ص ٣٢٥- ٣٣٩).

٣. ثالثًا: الرواة في كتب السنة المغالون في التشيع

١. حية العرني: هو أبو قدامة: حية بن جوين بن علي بن عبد نهم (ت ٧٦هـ)؛ قال عنه البخاري: إنه سيئ المذهب. وقال عنه مؤرخ الرجال: إنه من أصحاب الإمام علي، وشهد معه جميع حروبه.

٢. إسماعيل السدي: هو أبو محمد إسماعيل بن عبدالرحمن بن كريمة السدي (ت ١٢٧هـ) وصفه المؤرخون بأنه شتام، يشتم أبا بكر وعمر بن الخطاب.

٣. سالم بن أبي حفصة: هو أبو يونس سالم بن حفصة البجلي من أهل الكوفة (ت ١٤٠هـ)، وأجمع المؤرخون أنه كان ينتقد أبا بكر وعمر بن الخطاب.

٤. الحارث بن حصيرة: هو أبو النعمان بن حَصِيرة الأزدي من أهل الكوفة (توفي بين ١٤١-١٥٠هـ) قال عنه المؤرخون: كان يؤمن بالرجعة.

٥. عمرو بن شمر: هو أبو عبدالله عمرو بن شمر الجعفي، من أهل الكوفة (ت١٥٧هـ) اتفق المؤرخون على أنه كان يشتم الصحابة.

٦. عمرو بن حمّاد القناد: هو أبو محمد عمرو حمّاد بن طلحة القناد، وهو من أهل الكوفة (ت٢٢٢هـ) أجمع العلماء وقالوا عنه: إنه رمي بالرفض، وله مقالة سيئة بالخليفة عثمان رضي الله عنه.

٧. عبدالرحمن بن صالح: هو أبو صالح عبدالرحمن بن صالح الأزدي العتكي من أهل الكوفة (ت٢٣٥هـ) ذكر العلماء تشيعه، وقالوا عنه: إنه رجل سوء[١].

٨. إسماعيل الفزاري: هو أبو محمد إسماعيل بن موسى الفزاري من أهل الكوفة (ت ٢٤٥هـ)، وذكر العلماء أنه كان يشتم السلف.

٤. رابعًا: أخباريون في كتب السنة مغالون بالتشيع

١. سليم بن قيس: هو أبو صادق بن قيس الهلالي (ت ٨٥هـ)، وذكر العلماء أنه أورد في كتابه سب الصحابة والطعن فيهم.

---

(١) المجلسي: البحار، (٢٥/٣٥١)، المامقاني: المقال، (١/٤٣١).

٢. الأصبغ بن نباتة: هو أبو القاسم الأصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي المجاشعي من أهل الكوفة (ت ١٠١- ١١٠هـ) قال العلماء وأجمعوا عليه أنه كان يقول بالرجعة لعلي رضي الله عنه، وعاصر مقتل الحسين[١].

٣. جابر الجعفي: هو أبو جابر عبدالله بن يزيد بن الحارث بن يغوث من أهل الكوفة (ت ١٢٨هـ)، فقد قال العلماء: إنه كان كذابًا، ويشتم الصحابة، وأجمعوا عليه بأنه يؤمن بالرجعة.

٤. محمد بن السائب الكلبي: هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي من أهل الكوفة (ت ١٤٦هـ)، اجتمع العلماء بأقوالهم عليه بأنه كان كذابًا وساقطًا، وأنه سبئي من أصحاب عبدالله بن سبأ، واتُّهم بالكذب والرفض.

٥. أبو مخنف: هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي من أهل الكوفة (ت ١٥٧هـ) أجمع العلماء عليه بأنه كذاب.

٦. أبان بن عثمان: هو أبو عبدالله أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤي من أهل الكوفة (ت ٢٠٠هـ) قال عنه العلماء: إنه كان كثير الفاحشة والكذب.

٧. هشام بن محمد الكلبي: هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي من أهل الكوفة (ت ٢٠٤هـ) أكد العلماء أنه ليس بثقة.

٨. محمد بن أبي عُمير: هو أبو أحمد محمد بن أبي عُمير زياد بن عيسى الأزدي من أهل الكوفة (ت ٢١٧هـ) قال عنه العلماء: إنه كان وجهًا من وجوه الرافضة.

٩. النوفلي: هو أبو الحسن علي محمد بن سليمان بن عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب من أهل الكوفة (ت ٢٠٤هـ)، قال عنه العلماء: إنه كان يشتم الصحابة.

١٠. نصير بن مزاحم: هو أبو الفضل بن مزاحم المنقري من أهل الكوفة (ت ٢١٢هـ) قال عنه العلماء: إنه كان زائغًا عن الحق.

---

(١) يمكنك الرجوع إلى الاثني عشر رجلاً من رواة الحديث، الذين ورد عنهم بعض أفكار الغلاة (ص ٣٤٠-٣٤٨).

١١. محمد بن حبيب: هو أبو جعفر بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ) ذكر العلماء وأجمعوا عليه أنه كان دائمًا يشتم ويعيب عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١].

١٢. الرواجني: هو أبو سعيد عُبّاد بن يعقوب الأسدي من أهل الكوفة (ت ٢٥٠هـ) فقد قال العلماء عنه: إنه من رؤوس المبتدعة.

١٣. الثقفي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي من أهل الكوفة (ت ٢٨٣هـ).

١٤. عبدالرحمن بن خراش: هو أبو محمد بن عبدالرحمن بن يوسف بن سعيد خراش مروزي الأصل (ت ٢٨٣هـ).

١٥. محمد بن زكريا الغلابي: هو أبو عبدالله بن زكريا دينار من أهل البصرة (ت ٢٩٨هـ).

١٦. المنذر القابوس: هو أبو القاسم المنذر بن محمد بن المنذر بن سعيد بن أبي الجهم القابوسي (توفي في أوائل القرن الهجري)

١٧. أحمد الجوهري: هو أبو بكر بن عبدالعزيز الجوهري من أهل الكوفة (توفي في أوائل القرن الهجري)

١٨. ابن عمار الثقفي: هو أبو العباس أحمد بن عُبَيْدالله بن عمار الثقفي (ت ٣١٤هـ) قالوا عنه العلماء: إنه كان كثير السخط وهو من رؤوس الشيعة.

١٩. ابن أبي الثلج: هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الثلج عبدالله بن إسماعيل الكاتب (ت ٣٢٢هـ) أجمع العلماء أنه من رجال الشيعة الموثوقين عند الشيعة.

٢٠. الجلودي: هو أبو أحمد عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي من أهل البصرة (ت ٣٣٢هـ) ذكروا العلماء أنه مصدر ثقة عند الشيعة.

---

(١) عبدالعزيز محمد نور ولي: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، (ص١١٠)، ط١، دار الخضيري للنشر، المدينة المنورة، ١٩٩٦م.

٢١. ابن بابويه القمي: هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسي بن بابويه من أهل قم (ت ٣٨١هـ) ذكر العلماء: أنه من رجال الشيعة الموثوقين عندهم[١].

٢٢. المفيد أبوعبدالله محمد بن محمد بن نعمان الحارثي، المشهور بابن المعلم من أهل بغداد (ت ٤١٣هـ) قال عنه العلماء: إنه من مصادر الثقات عند الشيعة، وأنه من رؤوس الشيعة.

٢٣. ابن رستم الطبري هو محمد جرير بن رستم أبو جعفر الطبري (ت ٣٢٩هـ) قال العلماء: إنه كان من رؤوس الشيعة[٢] وهو غير الطبري صاحب التاريخ المشهور، وكثيرًا ما يدلس بعض الشيعة، فيخلط في الرواية بين الاثنين.

٥. خامسًا: رواة من غلاة الشيعة

منهم فرات بن الأحنف بن مشرح بن أبي بحر الهلالي، نقل ابن حبان عن أبي نمير أن فرات يقول: إن علي بن أبي طالب في السحاب، وأنه غالٍ في تشيعه.

ومنهم أبو القاسم نصر بن الصباح البلخي، قالت عنه مصادر السنة والشيعة: إنه من الطيارة، ويقصد بها غالبًا الرمي بالغلو في التشيع.

ومنهم: علي بن حسكة القمي. قالت عنه مصادر الشيعة كالكشي والطوسي في رجالهما: إنه من الغلاة. ووصمه أئمة الشيعة بالغلو.

ومنهم القاسم اليقطيني الشعراني القمي مولى أسد: قال عنه الطوسي: إنه غال. وقال عنه الكشي: إنه يدعي الباب (باب الله)، وأنه نبي[٣].

---

(١) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، (١/ ٣٧٢).

(٢) ابن حجر: مصدر سابق.

(٣) سعد الهاشمي: مصدر سابق، (٢٠١-٢٠٦).

ومنهم رشيد الطائي الهاجري الطائي: نقل عنه أنه ادعى أن عليًّا قد علمه علم البلايا والمنايا، وأنه معصوم، وأنه كان يدعي معرفة سر آل محمد صلى الله عليه وسلم الذي به يكلم الموتى(١)، وادعى تكليم الإمام علي في قبره، وأنه يؤمن بالرجعة(٢).

ومنهم المغيرة بن سعيد (ت ١٢٠هـ)، وقد لعنه الإمام الصادق؛ لأنه يتردد على امرأة يهودية في الكوفة، وهو علم مشهور بالغلو عند السنة والشيعة، إلى درجة ورد اللعن في حقه من بعض الأئمة، فقد ادعى النبوة بالكوفة، كما ادعى برجعة الإمام علي، وادعى بأن الإمام عليًّا يحيي الموتى(٣).

ومنهم بيان بن سمعان النهدي الكوفي (ت ١٢٠هـ)، ادعى أن الإمام عليًّا إله، اتحد ناسوته (جسمه) بالجزء الإلهي، وأن عليًّا يعلم الغيب(٤).

ومنهم جابر بن يزيد الجعفي(٥) ادعى أن النبي أوصى لعلي بالإمامة ومن بعده لأبنائه، كما ادعى بالرجعة، وأن عليًّا والأئمة معصومون، وأن عليًّا دابة الأرض، وادعى أن عليًّا والأئمة يعلمون لغة الطير والحيوان(٦). وأوردت بعض المصادر أنه يعتقد تحريف القرآن.

إن هؤلاء مجرد نماذج من رواة الشيعة الغلاة، الذين وصمتهم مصادر الشيعة نفسها باللغو، ونسبت إليهم أقوالًا منكرة، ومع ذلك مع الأسف نجد رواياتهم هم وأمثالهم مبثوثة في كتب الحديث عند الشيعة الإمامية، والحقيقة التي تعكسها كتب الرجال عند الشيعة: أن أكثرية الرواة مطعون فيهم بقليل أو كثير، ويدل على ذلك ما ورد من معلومات في كتاب كسر الصنم للبرقعي، الذي أورد فيه أسماء الرواة الواردة في كتاب الكافي للكليني. كما أرجو من القارئ أن يرجع إلى الجدول البياني الذي وضعت فيه أكثرية رواة الشيعة

(١) النجاشي: رجال، (ص ٤٢)، سعد الهاشمي: مصدر سابق:٢٢٠، سعد الهاشمي: مصدر سابق: ٢٢٨ وما بعدها.
(٢) رجال (ص ٤٩).
(٣) النوبختي: فرق الشيعة، (ص ٨٥ –٨٧)، الكشي: رجال، (؟؟؟؟؟؟؟؟؟)، الطبري: تاريخ، (١٢٩/٧)، البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص ٥٩).
(٤) النوبختي: فرق الشيعة، (ص ٥١)، البغدادي: الفرق بين الفرق (ص ٣٣٧).
(٥) النعماني: الغيبة، (ص ٩٢–٩٦).
(٦) المفيد: الإرشاد، (ص ٥٢٦).

المشهورين، فذكرت من طعن بهم من محدثي الشيعة، وسبب الطعن، وعلى أي حال، فإن العبرة التي نخرج منها في هذا البحث: أن هؤلاء كانوا أهم الجسور التي عبرت منها عناصر الديانات القديمة من مجوسية ويهودية ونصرانية.

والحقيقة أنه ليس عبدالله بن سبأ وحده الذي نقل الأفكار اليهودية إلى التشيع، وإنما جملة قوم سمتهم المصادر لكثرتهم بالسبئية، من أمثال المغيرة بن سعيد الذي شهد الإمام الصادق أن المغيرة كان يتردد على بيت يهودية في الكوفة، وبطبيعة الحال فيما يبدو أنه يأخذ عنها مبادئ وأفكار يهودية، يستخدمها ويدسها كأقوال وأحاديث تروى عن أئمة الشيعة، ومن هؤلاء أيضًا: هشام بن الحكم الذي أدخل على التشيع أفكار التجسيم وتشبيه الإله، وقال بفكرة اللاهوت والناسوت، وأنه يزعم أن الله نور يتلألأ، ويرى عصمة الأئمة، وسايره على أفكاره يونس بن عبدالرحمن القمي، وأبو جعفر القمي، وأبو جعفر الأجود، ومحمد بن النعمان صاحب الطاق، ومحمد بن جعفر بن محمد الأسدي الكوفي، وهارون بن سعدان، وعلي بن ميثم التمار. وهذه الأفكار مأخوذة عن اليهودية والنصرانية، وما أوردناه من أسماء هؤلاء الرجال من رواة الحديث والأخباريين نقلوا الأخبار والحوادث التاريخية، وهؤلاء يمثلون في غالبيتهم القرن الأول الهجري، ويعدون دليلًا ماديًّا صارخًا على وجود السبئية واتساع أفكارها، التي تسربت حتى إلى كتب حديث السنة، وهذا أكبر دليل يرد به على منكري عبدالله بن سبأ والسبئية عمومًا.

رواة يكذبون على أئمتهم

وقد بلغ من أثر رواة الشيعة أنهم يكذبون على أئمتهم، وأن ينقلوا أفكارهم المجوسية واليهودية، فيدعون أن الإمام قد قالها، وقد كثر ذلك في مراكز التشيع كالكوفة والمدائن وقم، ومن كثرة هذه الأكاذيب فقد بلغت كثيرًا من الأئمة فأنكروها، وكذبوا رواتها، فمن هؤلاء الكذبة زرارة بن أعين، وهو مولى كوفي كان جده سنسن راهبًا نصرانيًّا في بلاد الروم، قال عنه: إن له كتابًا في الاستطاعة والجبر والعهود، وأن لبيت زرارة أثرًا علميًّا كبيرًا على التشيع، روى زرارة أكثر من ألفي حديث، وكان زرارة يتردد على الإمام الصادق

في وقت الحج، ويبدو أن الإمام اكتشف أكاذيبه فضاق به ذرعًا، فقال عنه: إنه وأصحابه أشر من اليهود والنصارى، ونصح بتركه وتجنبه، فزاد زرارة أكاذيبه على الصادق[١].

وقد طعن زرارة بعلم الإمام الصادق المتعلق بالاستطاعة (الواردة عن الحج في الكتاب)، فلما علم الإمام الصادق بذلك قال: «لعن الله زرارة» كررها ثلاث مرات، كما أورد بذلك الكشي في رجاله. وقد ورد أن الإمام الصادق خاطب أبا الصباح قائلًا: هلك زرارة وبريد ومحمد بن مسلم وإسماعيل الجعفي، روى الكشي بسنده أن زرارة سأل الإمام الصادق عن التشهد، فلما كان جواب الإمام لم يعجبه، قال: «ضرطت في لحيته، وقلت له: لا يفلح أبدًا»، ويبدو أن أفكار الإمام الصادق عن زرارة قد شملت جميع آل أعين من بيت زرارة المشهور في الكوفة، كما نقل الكشي أن آل أعين جميعًا وآخرين من رواة قد تأثروا بآرائهم في الكوفة والإمام بعيد عنهم في المدينة، ومن الواضح أن زرارة وآل أعين وأصحابهم جميعًا يمثلون الأفكار النصرانية الرائجة في ذلك الوقت، والمتداولة في علم الكلام، وهذا يعبر بوضوح كيف أن هؤلاء الكذبة كانوا أحد الجسور التي عبرت منها عناصر الديانة النصرانية إلى الشيعة الإمامية خاصة، وأن روايات زرارة وأصحابه مبثوثة في كتاب الكافي للكليني، وكتاب التهذيب، والاستبصار للطوسي، وكتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي، فقد بلغت ألفين من هذه الأحاديث، ومع هذا الطعن الوارد في حقه من الإمام الصادق، ولكن بعضًا منهم يوثقون زرارة، منهم: النجاشي في رجاله، ويذكره الطوسي دون أي طعن[٢].

ومنهم أبو الخطاب محمد بن أبي زينب المقلاص الأجدع الأسدي، كان يحمل أسئلة الشيعة في الكوفة إلى الإمام الصادق في المدينة، وبعد مدة اكتشفوا أنه يبدلها بأفكار ومخاريق لم يقلها الصادق، ولكنها انتشرت في الكوفة، ووثق بعضهم به حتى كوَّن فرقة مشهورة سميت بالخطابية[٣].

---

(١) الكشي: رجال، (ص ١٦).

(٢) الكشي: رجال، (ص ٤٥ - ١٥٩)، والطوسي: الفهرست، (ص ١٤١).

(٣) النوبختي: فرق الشيعة، (ص ٦٣).

ونقل إنكار الإمام الصادق على أبي الخطاب، وأنه يماشي السفلة، وادعى أبو الخطاب أن الإمام الصادق قد عينه وصيًّا على الشيعة، ثم ادعى النبوة، وأنه مرسل من الله، وأنه من الملائكة المقربين، وقد دمغ الإمام الصادق أبا الخطاب بالكذب، وشبهه بابن سبأ، الذي يكذب على الإمام علي، وذكر الإمام الصادق أنه بيت علم صادقين، ولكن جملةً من الرجال كانوا يكذبون على أئمة آل البيت، ذكر منهم المختار بن عبيدالله وأبا عبدالله الحارث الشامي وبيان والمغيرة بن سعيد وبزيغًا والسري ومعمرًا وبشارًا الشعيري وحمزة الزيدي وصائدًا الهندي.

ويبدو أن هؤلاء يمثلون نماذج وأمثلة من الكذبة، ومن أمثالهم الكثير الذي لم تحصيه مصادر الشيعة لسبب أو لآخر.

وممن أوردت المصادر الشيعية تكذيب الإمام لهم: جابر بن عبدالله الجعفي[١]، قيل عنه: إنه روى سبعين ألف حديث عن الباقر، وروى أكثر من ذلك عن الصادق، وكل هذا العدد من الأحاديث، فإن الإمام الصادق ينفي دخول جابر عليه مطلقًا، وأنه رآه مرة واحدة عند أبيه الباقر.

فيا ترى كيف تم له أن يروي ذلك العدد الكثير، وهذا موضع تساءل الكشي عنه في رجاله[٢]، قال عنه الإمام أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر.

إن هؤلاء النجاشيين كانوا مصدرًا من مصادر المؤرخين، الذين كتبوا عن تاريخ العرب والإسلام، ذكرناهم لتوضيح أنهم كانوا أحد الجسور التي عبرت منها عناصر الديانات الأجنبية إلى كتب التاريخ، وإلى مصادر الشيعة خاصة.

---

(١) النجاشي: رجال، (ص ١٠٠).

(٢) الكشي: رجال، (ص ٤٥ – ١٥٩)، والطوسي: الفهرست، (ص ١٤١).

الفصل السادس

بيوت العبادة والكنائس

الكنائس الكلدانية

١. الكنيسة الكلدانية في البصرة في محلة الباشا.

٢. الكنيسة الكلدانية البطريقية ببغداد.

٣. الكنيسة الكلدانية في الموصل في محلة راس الكور.

٤. الكنيسة الكلدانية في كركوك.

كنائس الطائفة اللاتينية

١. الكنيسة اللاتينية في بيروت.

٢. الكنيسة اللاتينية في القدس الشريف.

٣. الكنيسة اللاتينية في بيت لحم.

٤. الكنيسة اللاتينية في يافا في دير تراسانطة.

٥. الكنيسة اللاتينية في يافا المعروفة باسم فريردي لادوقترين.

٦. الكنيسة اللاتينية في باب الخليل في القدس الشريف المعروفة باسم الوردية.

٧. الكنيسة اللاتينية سورديشارينه في بيت لحم.

٨. الكنيسة اللاتينية باسم أوغستين دي لاسومبسيون.

٩. الكنيسة اللاتينية المعروفة بالدومنيكان بالقرب من سُوَر القدس الشريف.

١٠. الكنيسة اللاتينية المعروفة بدام دي نازارت في الناصرة.

١١. الكنيسة اللاتينية المعروفة بالرهان في حيفا.

١٢. الكنيسة اللاتينية للرهبان الكبوشيين في الاسكندرون.

١٣. الكنيسة اللاتينية في مرعش.

١٤. الكنيسة اللاتينية المعروفة باسم دير اللاتينية.

١٥. الكنيسة راهبات لازاريست اللاتينية في محلة القرانتينة في بيروت.

١٦. الكنيسة اللاتينية في الحصن في سنجق حوران.

١٧. الكنيسة اللاتينية المعروفة باسم ماري دورة يا زايس في القدس الشريف.
١٨. الكنيسة اللاتينية في الناصرة.
١٩. الكنيسة اللاتينية في قرية قناعية في حلب المعروفة باسم الرجال الفرانسيكان.
٢٠. الكنيسة اللاتينية المعروفة عمواس في القدس الشريف.
٢١. الكنيسة اللاتينية المعروفة باسم سام جوزيف دي لاباريسيون في حلب.
٢٢. الكنيسة اللاتينية للراهبات قلوريس في الناصرة في عكا.
٢٣. الكنيسة اللاتينية في القدس الشريف المعروفة باسم سوردوس شارل بورو.
٢٤. الكنيسة اللاتينية باسم الرهبان الفرانسيكان في قرية دير مجلي.
٢٥. الكنيسة اللاتينية ديكتنفرانس فرانسة دي لابريمتيق اوبسروانس في القدس.
٢٦. الكنيسة اللاتينية باسم سُوَر روسن جوزف دي لاباريسيون في عكا.
٢٧. كنيسة ودير باسم دي لاشارينه ودير باسم لازاريست في باب الخليل في القدس الشريف.
٢٨. كنيسة لاتينية في قرية في دمشق.
٢٩. دير في عينتاب.
٣٠. دير في الناصرة.
٣١. دير في قصبة حيفا.
٣٢. دير في القاصرة.
٣٣. كنيسة في جبل صهيون.
٣٤. دير في حيفا باسم المحرقة.

كنائس من الطائفة المارونية

١. كنيسة مارونية في قرية عتينيت في سنجق الشام.
٢. كنيسة مارونية في حلب.
٣. كنيسة مارونية في حيفا.
٤. كنيسة مارونية في ميناء طرابلس الشام.
٥. كنيسة مارونية في حيفا أيضًا.
٦. كنيسة مارونية في قرية دير الأحمر في بعلبك.
٧. كنيسة مارونية داخل دير قنوبيس في طرابلس الشام.

٨. كنيسة مارونية في يافا.
٩. كنيسة مارونية في قرية عبيل في قضاء صور.
١٠. كنيسة مارونية في صور.
١١. كنيسة في صور أيضًا.
١٢. كنيسة مارونية في بيروت.
١٣. كنيسة مارونية في قرية بيروت.
١٤. كنيسة مارونية في اللاذقية.

كنائس الطوائف الأرمنية

١. طائفة الأرمن الأرثوذوكس.
أ. كنيسة في الإسكندرون.
ب. كنيسة في قصبة عينتاب.
ج. كنيسة في جبل صهيون المعروفة باسم حبس المسيح.
د. كنيسة مريم العذراء في أورفة.
هـ. كنيسة أرمينية في بغداد.
و. كنيسة سورب كبفورق في قصبة مرعش.
٢. طائفة الأرمن البروستانت.
أ. كنيسة في قصبة عينتاب.
ب. كنيسة سرور قريقويو ساورليح في قصبة عينتاب.
ج. كنيسة محلة شكر درة في مرعش.
د. كنيسة في حلب.
هـ. كنيسة عينتاب ومدرستها.
و. بناء مدرسة لطائفة الأرمن البروتستانت في قرية اكبارك صلحاء او شاغي داخل سنجق البركة.
٣. طائفة الأرمن الكاثوليك.
أ. كنيسة في القدس الشريف.
ب. دير وكنيسة في داخل سنجق القدس.

ج. كنيسة ودار ضيافة في القدس.

د. كنيسة بين زاويتي الطريقة القادرية والطريقة النقشبندية في القدس الشريف.

طائفة البروتستانت و الإرساليات البروتستانية

١. كنيسة بروتستانية باسم اقلاءن خارج القدس الشريف.
٢. بناء مدرسة بروتستانتية في الناصرة في سفا عمرو.
٣. بناء كنيسة ومدرسة في قصبة بقاع العزيز.
٤. كنيسة في قرية بيت جالا التابعة لسنجق القدس الشريف.
٥. بناء مستشفى بروتستانتية في بيت لحم في القدس الشريف.
٦. بناء كنيسة في بيت لحم بروتستانية بالقدس.
٧. إقامة مستشفى للعلاج بالمجان في قصبة صبريا التابعة لسنجق عكا.
٨. دار ومعبد ودار آخر لسكن الرهبان في القدس للبروتستانتية.
٩. بناء كنيسة ومستشفى في حيفا للبروتستانت.
١٠. بناء دار في محلة خرط الزيتون للبروتستانتية.
١١. بناء مستشفى ودار باسم جورج ميشيناري سوسياتى في محلة كرم العصبي في نابلس.
١٢. بناء مستشفى تابعة للبروتستانت في الحي اليهودي في صفد.
١٣. بناء مدرستين للبروتستانت في القدس الشريف.
١٤. بناء دار ومدرسة تابعة للبروتستانت في قرية بيت ساحور في القدس.
١٥. بناء كنيسة خارج قصبة يافا.
١٦. بناء مستشفى تابعة للبروتستانت في محلة زيتون في غزة.
١٧. إقامة مستشفى في حي دوار مريسة.
١٨. بناء كنيسة وإقامة دار للبروتستانت في القدس.
١٩. إقامة مدرسة للبروتستانت في محلة الحصن.
٢٠. بناء مستشفى للبروتستانت في قرية بيت جالا في القدس.
٢١. بناء مستشفى للبروتستانت في قصبة الناصرة.
٢٢. إقامة مستشفى للبروتستانت في محلة الساعي في البصرة.

٢٣. كنيسة بروتستانتية في قصبة يافا.
٢٤. كنيسة بروتستانتية في العزوان في قصبة صفد.
٢٥. إقامة معبد ومدرسة تابعة للبروتستانت في القدس.
٢٦. مدرسة ودار تابعة للبروتستانت في قرية دير الغزال في قضاء بعلبك.
٢٧. كنيسة في القدس الشريف للبروتستانت.
٢٨. إقامة كنيسة ومدرسة في قرية سنجكة (داخل ولاية وان)، وتم نقلها إلى قرية بيبادي في قضاء العمادية داخل ولاية الموصل.
٢٩. إقامة مستشفى تابعة للبروتستانت في محلة بتاوين ببغداد.
٣٠. بناء كنيسة في محلة زيتون في بيروت تابعة للبروتستانت.
٣١. بناء مدرسة للبروتستانت في طرابلس الشام.
٣٢. بناء جمعية الإنجيل المقدس بالقدس الشريف للبروتستانت بالمنطقة المعروفة باسم مورستان.
٣٣. بناء مستشفى للبروتستانت في محلة دركزنلي.
٣٤. كنيسة بروتستانتية في قرية راشيا الفخار في قضاء حاصبيا بولاية سورية.

طائفة الروم الأرثوذوكس

١. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قصبة إنطاكية المعروفة باسم وست باولو وتبرو.
٢. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قضاء عجلون.
٣. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قضاء في قرية الحصن بالقدس.
٤. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قرية الحصن أيضًا.
٥. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قرية معلول في الناصر في عكا.
٦. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قرية بيرة في القدس.
٧. إقامة كنيسة في قرية أريحا بالقدس تابعة للروم الأرثوذوكس.
٨. إقامة كنيسة في قرية عين كارم بالقدس الشريف تابعة للروم الأرثوذوكس.
٩. كنيسة الأرثوذوكس في قرية فحيص داخل سنجق البلقا بالقدس.
١٠. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قرية كفركنا في الناصرة.
١١. كنيسة الروم الأرثوذوكس المعروفة باسم مريم العذراء في قرية إداب.
١٢. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قصبة نابلس ودير أيضًا.

١٣. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قرية كفر مشنكة في راشيا.
١٤. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قرية داخل قصبة حمص.
١٥. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قضاء دوما داخل الشام.
١٦. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قرية رعين في قضاء بعلبك.
١٧. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قرية راما في قضاء عكا.
١٨. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قرية مادبا في قضاء السلط.
١٩. كنيسة للروم الأرثوذوكس في بيت ساحور في القدس الشريف.
٢٠. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قصبة الرملة داخل يافا.
٢١. مدرسة وكنيسة داخل مدينة بيروت تابعة للروم الأرثوذوكس.
٢٢. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قرية جديدة تابعة لسنجق عكا.
٢٣. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قرية بصة تابعة لسنجق عكا.
٢٤. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قرية بلاط في قضاء مرجعيون.
٢٥. كنسية الروم الأرثوذوكس المعروفة باسم بشاري في قصبة الناصرة بسنجق عكا.
٢٦. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قرية المجيدي في قضاء الناصرة.
٢٧. كنيسة الروم الأرثوذوكس في الموصل.
٢٨. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قرية فحيص.
٢٩. مدرسة الروم الأرثوذوكس في حي الأشرفية ببيروت.
٣٠. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قرية بلاط بنابلس.
٣١. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قرية إربد في قضاء عجلون في سنجق حوران.
٣٢. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قرية حريث حذور التابعة لقضاء المحمدية.
٣٣. كنيسة الروم الأرثوذوكس ودار أيضًا ومستشفى أيضًا باسم سن جورج في شارع بكر في بيروت.
٣٤. مستشفى للروم الأرثوذوكس في بيروت.
٣٥. كنيسة للروم الأرثوذوكس في قصبة حيفا.
٣٦. كنيستي الروم الأرثوذوكس المعروفة باسم سن جاور جيوسفى محلة الشرقية ببيروت، وباسم مارم في زقاق مقبرة الروم في محلة الشرقية.
٣٧. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قرية ترشيحا في صفد.

٣٨. كنيسة الروم الأرثوذوكس في القدس الشريف.
٣٩. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قصبة السلط.
٤٠. كنيسة الروم الأرثوذوكس في محلة دحداح ببيروت.
٤١. كنيسة الروم الأرثوذوكس في محلة الدركة ببيروت.
٤٢. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قرية تيما في قضاء البقاع.
٤٣. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قصبة الكرك.
٤٤. كنيستي الروم الأرثوذوكس في قرية طورزيتا والثانية في قرية عين كارم في القدس.
٤٥. كنيسة الروم الأرثوذوكس في محل كرمة خارج قصبة يافا.
٤٦. كنيسة الروم الأرثوذوكس في القدس الشريف.
٤٧. كنيسة الروم الأرثوذوكس في قصبة خليل الرحمن في سنجق القدس.

طائفة الروم الكاثوليك

١. كنيسة الروم الكاثوليك في محلة الإسلام.
٢. كنيسة الروم الكاثوليك في محلة العزيزية داخل حلب.
٣. كنيسة الروم الكاثوليك في قاع راشيا.
٤. كنيسة الروم الكاثوليك في بعلبك.
٥. دار للغرباء للروم الكاثوليك في خارج قصبة حيفا.
٦. كنيسة الروم الكاثوليك في قصبة الناصرة.
٧. كنيسة الروم الكاثوليك في حي المصيطبة في بيروت.
٨. كنيسة الروم الكاثوليك بقضاء مرجعيون.
٩. كنيسة الروم الكاثوليك في قرية الشيخ محمد التابعة لقصبة عكا بسنجق عكا.
١٠. كنيسة الروم الكاثوليك في قصبة الأسكندرون.
١١. كنيسة الروم الكاثوليك في قرية راشيا الفخار تابعة لقضاء حاصبيا.
١٢. كنيسة الروم الكاثوليك في قصبة صيدا.
١٣. كنيسة الروم الكاثوليك في صفدا البطيخ في قضاء مرجعيون.
١٤. كنيسة الروم الكاثوليك في محل الزيادة في محلة عفية الصّباغ في القدس.
١٥. كنيسة الروم الكاثوليك في قرية رعاية تابعة لقضاء مرجعيون.
١٦. كنيسة الروم الكاثوليك في قرية مينارة بقضاء عكا.

١٧. كنيسة الروم الكاثوليك في قرية دير ميماس.
١٨. كنيسة الروم الكاثوليك في قصبة شفا في عكا.
١٩. كنيسة الروم الكاثوليك في قصبة صور في ولاية بيروت.
٢٠. كنيسة الروم الكاثوليك في قصبة الأسكندرون.
٢١. كنيسة الروم الكاثوليك في قرية تبنين في قضاء صور.
٢٢. كنيسة الروم الكاثوليك قانا من قضاء صور.
٢٣. كنيسة الروم الكاثوليك في قرية طوعان لقضاء الناصرة.
٢٤. كنيسة الروم الكاثوليك في ولاية يافا لقضاء الناصرة.
٢٥. كنيسة الروم الكاثوليك في ولاية بيروت في قرية صفد.
٢٦. كنيسة الروم الكاثوليك في ولاية بيروت في قرية حسن.
٢٧. كنيسة الروم الكاثوليك في قرية جياع.
٢٨. كنيسة الروم الكاثوليك في قرية كفركنا لقضاء الناصرة.
٢٩. كنيسة الروم الكاثوليك في قرية شعب سنجق عكا.
٣٠. كنيسة الروم الكاثوليك في دير دفنًا من صور بولاية بيروت.
٣١. بناء مدرسة ببيروت تابعة لكنيسة الروم الكاثوليك.

طائفة السريان الأرثوذوكس

١. كنيسة السريان الأرثوذوكس في محلة النجارين بالموصل.
٢. كنيسة السريان الأرثوذكس في قصبة قنطا مركز قضاء وادي الدليم بولاية اليتم سوريا.
٣. كنيسة السريان الأرثوذوكس في قرية زيدل بقضاء حمص.

طائفة السريان الكاثوليك

١. مدرسة. للسريان الكاثوليك في الشام.
٢. كنيسة السريان في قرية زيدل في حُمص.
٣. كنيسة السريان الكاثوليك في محلة الباشا في البصرة.
٤. كنيسة الكاثوليك في محلة محمدية بقصبة حُمص.
٥. كنيسة الكاثوليك ودير أيضًا داخل القدس الشريف.

الطائفة اليهودية

١. بناء مستشفى روتشيلد في القدس لليهود.
٢. مدرسة لتعليم الموسويات قصبة القدس على شرط ألا تقبل طلبة مسلمين.
٣. مستشفى لعلاج فقراء الملة الموسوية في صفد.
٤. معابد في عاقر وعيون فارة ومليس في يافا.
٥. معبد في محلة فشل ببغداد.
٦. معبد في حي التكية ببغداد.
٧. كنيس في محلة مينة الحصن في بيروت(١).

هذا ما أحصيناه من كنائس في العهد العثماني في بقعة محدودة من العالم العربي، أوردناها على سبيل المثال لا الحصر.

أثر الكنائس النصرانية على العرب

الكنائس النصرانية في الشام

ونعني بالشام معناها الجغرافي الواسع والقديم، ويرتبط انتشار النصرانية في الشام بالاحتلال الروماني واعتناق الإمبراطور قسطنطين للمسيحية أواخر القرن الأول الميلادي، فقد نشر الرومان معهم المسيحية بشكل رسمي، فأقاموا الكنائس والأديرة لتقوم بنشر المسيحية، فكانت اللغة السريانية والعربية غالبًا هي لغة الكتاب الديني في الشام في هذه المدة، وعادة ما يشار إلى يوحنا الدمشقي من أوائل من كتب بالسريانية والعربية عن النصرانية(٢).

كما عكس الشعر العربي التراث النصراني في هذه الحقبة والمنطقة، وربما كان محفوظًا ومتداولاً دون أن يكون مكتوبًا، وفي الكنائس والأديرة كانت تتلى الصلوات المسيحية باللغة العربية، فيسمعها ساكن الأديرة والكنائس حتى من البدو، فيتناقلون المعاني والثقافة السائدة، وقبل الإسلام أصبح بين العرب نساك وقصاص، يقصون ما في

---

(١) عبدالرحمن أبو حسين صالح سعداوي: الكنائس العربية في السجل الكنسي، جمع وترجمة وتحقيق / ١٨٦٩- ١٩٢٢، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية.

(٢) يوحنا الدمشقي: كتاب اسمه (منهل المعرفة) استقى منه أوائل الصوفية المسلمون كثيرًا.

العهد القديم والجديد (التوراة والإنجيل)، وذكر منهم تميم بن أوس الداري، وأخاه نعيم الداري، والأسود بن سريع بن حمير بن عبادة بن النزال التميمي، ومن أوائل العرب الذين نقلوا علوم أهل الكتاب، التي نقلها العرب المسيحيون إلى الفكر الإسلامي، وبعض الأفكار الواردة فيما يسمى علوم في العلوم الإسلامية (بعلم الكلام) كصفات الخالق، وما تفرع منها: الميعاد والحساب والعقاب ويوم القيامة.

إلا أن أهم تأثيرات النصرانية على الفكر العربي والإسلامي هو قيام علماء النصرانية بنقل الفلسفة الهيلينية اليونانية، التي أثرت كثيرًا في مؤلفات فلاسفة المسلمين كالكندي والفارابي وابن سينا، فقد أضحت النصرانية الجسر الذي عبرت منه الفلسفة اليونانية إلى العرب المسلمين، وهذا الجانب الفلسفي الروحي فيما يسمى في النصرانية بعلم الإلهيات هو الذي أثر كثيرًا في الطرق الصوفية الإسلامية التي وردت كثيرًا من الفكر النصراني ذي الأصول اليونانية، ومن الفرق الصوفية انتقلت هذه الأفكار إلى الشيعة، كما سنرى ذلك، وبتطور الزمن اتسعت موضوعات علم الكلام وغيره من العلوم المتشابهة بين المسيحية والمسلمين كموضوعات: الإيمان والإرادة والتثليث والتوحيد وأزلية الكلمة والتجسيد والفداء والخير والشر والجبر والقدر وخلق القرآن وخلق التوراة والإنجيل. ومن أهم رجال الدين العرب المسيحيين الذين كان لهم أثر وكتابات باللغة العربية، أو قاموا بالترجمة من السريانية غير من ذكرناهم آنفًا منهم الجاثليق أبو الفرج بن عبدالله بن الطيب، ومنهم إسطفان الرملي، ومنهم ثيوودر أبو قرة، ومنهم أيضًا إيليا النصيبى وحنين بن إسحاق، وقسطا بن فوقا البعلبكي، وَعبدالمسيح الكندي كاتب يحيى بن عدي، حتى إن بعضهم كان يجادل بعض شيوخ الإسلام، كما هو في رسالة عبدالمسيح بن إسحاق الكندي إلى الشيخ عبدالله الهاشمي[1].

أما أسماء الكنائس النصرانية في الشام فقد ذكرناها سابقًا، وأهمها:

١. كنسية أنطاكية للروم الأرثوذوكس.

٢. كنائس مدينة عابود: عابود قرية صغيرة قرب رام الله في فلسطين، فعلى سبيل المثال في خارج هذه القرية وداخلها الكنائس الآتية:

---

(١) الأب ميشال نجم: تاريخ أنطاكية للروم الأرثوذوكس (آية خصوصية)، (ص ١٦٤) جامعة البلمد ١٩٩٩م.

أ. كنسية القديسة مريم العذراء.

ب. كنيسة القديس عوبديا.

ج. كنيسة القديس ثيودوروس.

د. كنيسة القديسة أنطاسيا.

هـ. كنيسة ودير القديسة بربارة.

و. كنيسة الشعيرة.

ز. كنيسة الميسة.

ح. دير سمعان.

ط. دير مارالياس (الكوكب)[١].

فإذا كان مثل هذا العدد من الكنائس في هذه القرية الصغيرة في الشام (فلسطين)، فما بالك بالمدن والقرى الأخرى، مع ملاحظة أن الكاتب قد تتبع الكنائس والأديرة المفقودة قديمًا في هذه القرية، وبناء الكنائس في الدولة الإسلامية مستمر، ويختلف حسب العصور، فبعضها يبنى بترخيص رسمي، وبعضها الآخر دون ترخيص.

وقد تتبع الكاتبان عبدالرحيم أبو حسين وصالح سعداوي في كتابهما (الكنائس العربية في السجل الكنسي العثماني) تسجيل الدولة العثمانية للكنائس، وصدور تراخيص بنائها[٢].

أما الأديرة النصرانية فهى كثيرة لا تحصى، سواء داخل المدن والقرى والجبال، أو تلك التي تقع في طرق السفر، والتي تمثل خانات لنزول المسافرين، حيث القسس يقدمون للمسافرين الطعام والمأوى وللشعراء الشراب، وعلى سبيل المثال فقد قام السيد حبيب زياد بالكتابة وإحصاء الأديرة، التي كانت في الشام والعراق ومصر، والسلاطين الذين زاروها مثل:

(١) إبراهيم نيروز: كشف المفقود من كنائس عابود، (ص ٩)، وما بعدها، منشورات بيت المقدس.

(٢) عبدالرحيم أبوحسين وصالح سعداوي: الكنائس العربية في السجل الكنسي العثماني، انظر: (ص ٣٥٥) التي توضح صدور تراخيص رسمية عثمانية، ببناء كُنُس يهودية أيضًا.

١. دير مران بدمشق: استوطنه يزيد بن معاوية.
٢. دير أبا صليبا بدمشق: تردد عليه كثيرًا الوليد بن معاوية وبعض الخلفاء العباسيين.
٣. دير يوحنا: تردد عليه الوليد بن زيد أيضًا.
٤. دير الرصافة: تردد عليه هشام بن عبد الملك.
٥. دير السوسي ببغداد: تردد عليه ابن المعتز.
٦. دير عبدون: زاره العديد من الملوك والخلفاء.
٧. دير مرمار (مارمار): زاره ابن المعز والخليفة المأمون.
٨. دير زكي بالرقة: زاره العديد من الملوك.
٩. دير مرتومان (مار يوتان) بالأنبار: زاره خلفاء عدة.
١٠. دير مرمروثا في حلب، نزل به سيف الدولة الحمداني.
١١. دير باعربا قرب الموصل، نزل به سيف الدولة.
١٢. دير الأعلى بالموصل، نزله كثير من الولاة.
١٣. دير القصير بمصر: زاره أحمد بن طولون والأمير تميم بن المعز الفاطمي[١].

وقد أحصى الكاتب حبيب زيات في كتابه الديارات النصرانية في العصر الإسلامي حوالي أربعة وأربعين ديرًا، ووصف ما كان يدور فيها من صلوات وتلاوة، ومن خدمات تقدم للنزلاء من طعام وشراب، وذكر أديرة مخصوصة للنساء، وما يتم زراعته خارج الدير من محاصيل تستخدم لإطعام سكانها، وكذلك ما يتم من معازف وضرب للنواقيس وتغزل بغلمان وراهبات الدير.

وقد استل يوحنا الحبيب صادر الأنطوني من الجزء الثاني مما كتبه ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، حيث أحصى ووصف أكثر من مئة دير، نقل ما كتبه ياقوت عن كل دير اسمه وموقعه وما يدور حوله أو فيه من أحداث أو أنشطة فكرية لعلماء وشعراء من الفئات[٢].

---

(١) حبيب زيات: الديارات النصرانية في الإسلام، (ص ٣٥)، ط ٣، دار المشرق.

(٢) يوحنا الحبيب صادر الأنطوني: الديارات في معجم البلدان ياقوت الحموي، بيروت، ١٩٨٦م، دار صادر.

إن أثر الكنائس والأديرة التي كانت منتشرة في بلاد العرب والمسلمين كبير على الفكر العربي، خاصة ما تعلق بالديانة النصرانية، التي تتحدث عن صفة المسيح، وهل له صفة إلهية، أو أن الله قد حل به، وما إلى ذلك من أفكار انتقلت إلى بعض الطوائف المسلمة الصوفية وإلى الشيعة، الذين استعاروا صفات المسيح ومريم، لكل من علي وفاطمة والحسين، وسنقوم بتفصيل هذا الأثر المهم فيما بعد، وما الغرض من إيراد هذا الكم الكبير من الكنائس والأديرة المنتشرة قديمًا في حارات سكن العرب والمسلمين، إلا إلقاء الضوء على حجم هذا الجسر الكبير، الذي عبرت منه أفكار الديانة النصرانية إلى الشيعة، كما سنرى ذلك في موضعه مفصلًا.

أثر علماء اليهود العرب في المجتمع العربي

بين اليهود العرب من اهتم بالأمور العلمية من ثقافة وشعر وتاريخ وعلوم رياضية، وكان التوجه واضحًا أيام ازدهار الحضارة الإسلامية، ومؤلفاتهم كانت بالعربية والقليل باللغة العبرية أو السريانية قديمًا، وبلا شك فإن مؤلفاتهم أثرت وشاركت في بناء الفكر العربي سلبًا أو إيجابًا، والكثير من هؤلاء اليهود قد دخلوا الإسلام، فأصبح أثرهم مضاعفًا.

وفي العصر الحديث دفعت هذه الظاهرة انتباه الكاتب اليهودي شموئيل موريه في فلسطين، فألف فهرسًا لمؤلفات اليهود العرب خاصة تلك الموجودة في القدس ومكتباتها، وفي الجامعة العبرية، وكان كتابه بعنوان (فهرس المطبوعات العربية التي ألفها أو نشرها الأدباء والعلماء اليهود) بعناية معهد بن تسيفي لدراسة الجاليات اليهودية في الشرق، التابع لمؤسسة ياد إسحاق بن تسيفي والجامعة العبرية- القدس ١٩٧٣م، وأهم محتويات تلك المؤلفات تخص موضوعات أدبية وتاريخ اليهود تجارة واقتصادًا وتراجمًا وسيرًا لعلماء يهود، وتعليم اللغة العربية والعبرية، وشؤون الطوائف اليهودية في البلاد العربية والصهيونية، والصهاينة العرب في إسرائيل (القراؤون - طائفة يهودية)، وكتب في الديانة اليهودية ومؤلفات ليهود أسلموا، وهذا يعكس بعض الأثر اليهودي في المجتمع العربي في زمن متأخر وقصير، فكيف بأثرهم التاريخي الطويل بين العرب.

المدارس اليهودية

المدارس اليهودية: يتمتع اليهود في العراق بالحرية منذ مطلع القرن التاسع عشر، وكان لهم قوة تجارية ومالية خاصة ببغداد والبصرة وأربيل، وأنتج هذا نفوذًا سياسيًّا اعتمد عليه البريطانيون عند احتلال العراق بقيادة مود سنة ١٩٢٠م إلى ١٩٢٤م، وهذا النفوذ مكن اليهود من إنشاء مدارس يهودية عدة في العراق منها، أولاً:

١. في العهد العثماني

١. مدرسة (الإليانس) الابتدائية والمتوسطة للبنين في بغداد، وكان يدرس في هذه المدرسة التوراة والتلمود واللغة العبرية والفرنسية، وتضم المدرسة كنيسًا يهوديًّا للعبادة، وكان عدد الطلاب عام ١٩٤٩م- ٩٨٠ تلميذًا في الابتدائي والمتوسط، وقد تخرج معظم أبناء اليهود ببغداد من هذه المدرسة.

٢. مدرسة مدراش تلمود وتوراة: وقد تأسست ببغداد سنة ١٨٣٢م، وقد اعتنت بالتعليم الديني والثقافة اليهودية، وقد بلغ عدد طلابها سنة ١٩٤٩م ما يقرب من ١٣٠٠ طالب.

٣. مدرسة لورا خضوري الابتدائية والمتوسطة للبنات: وقد تأسست سنة ١٨٩٣م، وقد بلغ عدد طالباتها وطلابها سنة ١٩٥٠م ما يقرب من ١٣٨٨ فردًا.

٤. مدرسة رفقة نورائيل الابتدائية للبنات: وقد تأسست عام ١٩٠٢م، وبلغ طلابها ١٩٢٠م ما يقرب من ٣٣٩ تلميذًا.

٥. مدرسة مدراش مندالي للبنين: وقد تأسست سنة ١٩٠٧م، وبلغ عدد طلابها سنة ١٩٤٩م حوالي ٨٧٠ طالبًا.

٦. مدرسة راحيل سمحون الابتدائية: وقد تأسست عام ١٩٠٩م من قبل جمعية التعاون اليهودية، وفي طابقها الأسفل تأسس كنيس يهودي، وكان عدد طلابها سنة. ١٩٤٩م ما يقرب من ٦٦٩ فردًا.

٧. فرع مدرسة الإليانس في البصرة: وقد تأسست سنة ١٩٠٣م، وبلغ عدد طلابها سنة ١٩١٠م ما يقرب من ٢٨٥ طالبًا.

٨. فرع مدرسة الإليانس في الموصل. الذي تأسس عام ١٩٠٧م، وبلغ عدد طلابها عام ١٩١٠م حوالي ٢٠٤ طلاب.
٩. فرع مدرسة الإليانس في الحلة: الذي تأسس سنة ١٩٠٧م، وبلغ عدد طلابها عام ١٩١٠م ما يقرب من ١٧٥ طالبًا.
١٠. فرع مدرسة الإليانس في العمارة: وقد تأسست عام ١٩١٠م، وبلغ عدد طلابها في العام الدراسي حوالي ١٧٨ طالبًا.
١١. فرع مدرسة الإليانس بمدينة خانقين: وتأسست عام ١٩١٣م، وقد بلغ عدد طلابها حوالي ٧٠ طالبًا[١].

٢. في العهد الانتداب البريطاني

وفي عهد الانتداب البريطاني للعراق نشط اليهود خاصة ببغداد والبصرة بتأسيس مدارس يهودية عدة، منها:

١. المدرسة الوطنية الابتدائية للبنين: وقد تأسست عام ١٩٢٣م، وقد بلغ طلابها سنة ١٩٤٩م من ٥٤٨ تلميذًا، وكان مديرها اليهودي عزرا حداد.
٢. مدرسة نؤم وطوبة نورائيل الابتدائية للبنات: وقد تأسست عام ١٩٢٤م، وبلغ عدد طلابها في العام ١٩٤٩م ما يقرب من ٣٦٦ طالبة.
٣. مدرسة برديس هيلديم (فردوس الأولاد) الابتدائية: وقد تأسست عام ١٩٢٤م أسسها أهرون ساسون، وقامت هذه المدرسة دون ترخيص، وكانت تنادي علنًا بالتعاليم الصهيونية المعروفة، وتدرس باللغة العبرية، وبلغ عدد طلابها ٣١٦ طالبًا.
٤. مدرسة شماش الإعدادية للبنين: تأسست عام ١٩٢٨م، وقام بتأسيسها يعقوب شلومو شماش بمساعدة من اليهود البريطانيين، وكانت تدرس اللغة العبرية والإنجليزية، وشهادتها مقبولة من جامعة لندن، وبلغ عدد طلابها سنة ١٩٤٩م ٤٤٧ طالبًا.

---

(١) وبعد الإسلام احتلت إيران العراق في مناسبات كثيرة، أهمها في العهد البويهي، ثم في العهد الصفوي، ثم في العهود المتأخرة.

٥. مدرسة مسعودة سلمان الابتدائية للبنين: تأسست في سنة ١٩٣٠م، وكان بها كنيس يهودي وبلغ عدد طلابها عام ١٩٤٩م ما يقرب من ٣٩٣ طالبًا. ومؤسستها هي اليهودية مسعودة سلمان.

٣. في العهد الملكي

منذ تأسيس الدولة العراقية والعهد الملكي فيها نشط اليهود في العراق، وأسسوا مدارس كثيرة فيها:

١. مدرسة منشي طالح الابتدائية للبنين: تأسست سنة ١٩٣٥م للطلاب الفقراء، وبُنِيَ فيها كنيس يهودي، واشترط مؤسسها تدريس الديانة اليهودية، وقد بلغ عدد طلابها سنة ١٩٤٩م ما يقرب من ١١٧٧ طالبًا.
٢. المدرسة الثانوية الأهلية المسائية للبنات: وقد تأسست عام ١٩٤١م، وبلغ عدد طلابها في العام ١٩٤٩م ما يقرب من ٣٠٩ طالبات.
٣. مدرسة فرنك عيني المتوسطة: تأسست عام ١٩٤١م على يد الثري اليهودي فرنك، وبلغ عدد طلابها في العام ١٩٤٩م حوالي ٥٢٣ طالبًا.
٤. المدرسة الإعدادية الأهلية المسائية للبنين: تأسست عام ١٩٤٤م، وبلغ عدد طلابها سنة ١٩٤٩م ما يقرب من ١١٥ طالبًا.
٥. مدرسة مسعودة يوسف شمطوب الابتدائية للبنين، ومؤسستها هي مسعودة يوسف شمطوب، وكان يوجد بها كنيس لليهودية، وبلغ عدد طلابها سنة ١٩٤٩م حوالي ٤٥٢ تلميذًا.
٦. مدرسة مثير إبراهيم طريق للبنات: تأسست عام ١٩٤٦م على يد مديرها مثير إبراهيم طريق، وبلغ عدد طلابها عام ١٩٤٩م ما يقرب من ٤٣٥ طالبة.
٧. المدرسة المتوسطة الأهلية للبنين: وقد تأسست عام ١٩٤٨م، وبلغ عدد طلابها في سنة ١٩٤٩م ٢٢٨ طالبًا.
٨. المدرسة المتوسطة الأهلية المسائية للبنين: وقد تأسست في عام ١٩٤٨م، وبلغ عدد طلابها سنة ١٩٤٩م ما يقرب من ٢٠٤ طلاب.

٩. مدرسة مناحيم طالح دانيا للبنات الابتدائية: قد تأسست على يد مناحيم دانيال اليهودي، وبلغ عدد طالباتها سنة ١٩٤٩م حوالي ٤٦٠ تلميذة.
١٠. مدرسة حسقيل مناحيم المهنية للبنات: وقد تأسست عام ١٩٤٧م عَلى يد عزرا مناحيم دانيال، وقد بلغ عدد طالباتها سنة ١٩٤٩م ما يقرب من ١٢١ طالبة.

إن هذا العدد الكبير من المدارس اليهودية في إقليم محدد من ديار العرب والمسلمين يعكس الأثر القديم والحديث لليهودية على المجتمع العربي والإسلامي، وإنه إن لم يكن بأيدينا إحصاء للمدارس اليهودية القديمة في ديار العرب قبل الإسلام أو بعده، لكن ما أوردناه من إحصائيات يعكس الأثر القديم؛ ذلك أن الحاضر هو امتداد للماضي، يستشف منه الآثار التي تركتها الديانة اليهودية في المجتمعات العربية والإسلامية، حيث يدور النقاش في التاريخ اليهودي وطبيعة الأنبياء وصفات الخالق، وهل التوراة مخلوقة أم هي أزلية مع الخالق، والكلام عن أنبياء بني إسرائيل وما إلى ذلك من أفكار وتعاليم يهودية عبرت إلى الفكر الشيعي بطريقة أو بأخرى سواء عن طريق المدارس الصوفية أو بشكل مباشر من يهود دخلوا الإسلام، كما سنرى ذلك مفصلًا في موضعه.

مدارس أسسها اليهود للطلبة المسلمين والنصارى

لقد فتح اليهود بعض المدارس لمزج الطلبة اليهود والمسلمين والنصارى في بغداد، ومن هذه المدارس: مدرسة الإليانس (الاتحاد)، وكان الطلبة الإيرانيون في العراق في تلك المدة يقبلون على الدراسة في هذه المدارس، لشعورهم بأنهم أقرب لليهود من العرب، وكان لمدارس الإليانس هذه فروع في البصرة والعمارة والموصل، وقد خدمت المدارس الحركة الصهيونية كذلك المصالح البريطانية والفرنسية على السواء.

مناهج الدراسة في المدارس اليهودية

إن أهم أهداف هذه المدارس هو تعليم ونشر التعاليم اليهودية، حسب ما جاءت في شروح التوراة والتلمود وتعاليم الرابان، ويتيح ذلك أيضًا تدريس التاريخ اليهودي منذ مراحله الأولى، وخاصة ما يتعلق منها بمدينة أورشليم والسبي البابلي، وموقف العرب

من اليهود قبل الإسلام وبعده، وكيف هب ملك الفرس لمناصرة يهود العراق (يهود بابل)، وإرجاعهم إلى أورشليم، وكل هذه التعاليم قصد بها الإساءة للعرب والمسلمين خاصة، حينما طردوا اليهود من يثرِب ونجران.

المدارس الإيرانية في العراق

تتابع الاحتلال الفارسي للعراق منذ القديم، ففي عهد الملك كورش احتل بابل ٥٣٩ ق.م. وأرجع اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر ملك بابل من أورشليم واستخدمهم عبيدًا وفلاحين في العراق بعد أن هدم أورشليم (القدس)، وتتابع احتلال الفرس للعراق حينما تضعف الدولة المركزية، فقد احتلوا العراق في العهد الأخميني والسلجوقي والفرشي والساساني[١] فاستوطن كثير من الفرس العراق، وتجرأ الساسانيون إلى اتخاذ المدائن عاصمة لهم إلى أن جاء الفتح الإسلامي للعراق فَطَهَّر المنطقة من النفوذ الفارسي، ونشر العرب المسلمون رسالة الإسلام إلى إيران وبلاد ما وراء النهر فحسن إسلام إكثرية الإيرانيين، ولكن قلة من المجوس استمروا على عقائدهم القديمة وإن أضمروا الإسلام؛ فكان هؤلاء شوكة ضد الدولة العربية الإسلامية حيث انخرطوا في الحركات السرية والشعوبية فكانوا معول هدم.

ونحاول في هذه العجالة إلقاء الضوء على المدارس الإيرانية في العراق، وذلك:

١. في العهد العثماني

١. مدرسة الإخوة الابتدائية للبنين: وقد تأسست في الكاظمية، وقد بلغ عدد طلابها ٦٥١ طالبًا.

٢. المدرسة الحسينية الابتدائية المتوسطة المختلطة: وقد تأسست في كربلاء عام ١٩٠٨م. وكان عدد طالباتها يقل ويزداد حسب النفوذ السياسي لإيران على العراق.

---

(١) د. فاضل البراك: المدارس اليهودية والإيرانية في العراق، (ص ٩٣)، وما بعدها.

٣. المدرسة العلوية الابتدائية المختلطة والمتوسطة للبنين في النجف: وقد تأسست عام ١٩٠٩م من قبل الهيئة العلمية في النجف، وقد بلغ عدد طلابها أقصى مداه سنة ١٩٧١م ما يقرب من ١١٤٨ طالبًا.
٤. مدرسة الشرافة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية للبنين في بغداد: تأسست ببغداد سنة ١٩١٣م، وفي سنة ١٩٥١م أخذت بناية المدرسة اليهودية المسماة مدرسة شماش اليهودية السابق ذكرها، وبلغ عدد طلابها سنة ١٩٥٧م ما يقرب من ٤٠٤ طلاب[١] [٢].

٢. المدارس الإيرانية في عهد الانتداب البريطاني والعهد الملكي

١. مدرسة بهلوي الابتدائية للبنين في البصرة: تأسست عام ١٩٢٠م، وبلغ عدد طلابها ٢٥٦ طالبًا عام ١٩٧٠م.
٢. مدرسة شهر بانو الابتدائية للبنات في الكاظمية: فتحت عام ١٩٥٧م من غير موافقة رسمية إلى أن تمت الموافقة على تأسيس مدرستين: شهر بانو، وثريا عام ١٩٦٠م، وبلغ عدد طلابها ٤٠٩ طلاب في ١٩٦٧م.
٣. مدرسة ثريا الابتدائية للبنات ببغداد: تأسست عام ١٩٥٧م، وبلغ عدد طالباتها سنة ١٩٦٥م ما يقرب من ٢٢٠ طالبة.

واستمرت إيران بتأسيس كثير من المدارس في العراق، حتى بلغ عددها سنة ١٩٨٠م اثنتا عشرة مدرسة، كانت ببغداد والكاظمية وكربلاء والنجف والبصرة، وبلغ مجموع طلابها سنة ١٩٦٧م ما يقرب من ٤٦٧٧ طالبًا وطالبة كلها تدرس المناهج الإيرانية والعلوم الدينية عند الشيعة بما فيها عقائد الشيعة وتاريخها، ويقوم على ذلك مدرسون ترسلهم

---

(١) د. فاضل البراك: المدارس اليهودية والإيرانية في العراق، (ص ٦١)، وما بعدها، بغداد، ١٩٨٤م. عالية أحمد سوسة: حول النشاط الصهيوني في العراق في الثلاثينيات، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٧٩م، (ص ٨١)، وما بعدها.

(٢) عالية أحمد سوسة: حول النشاط الصهيوني في العراق في الثلاثينيات، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٧٩م، (ص ٨١)، وما بعدها. يوسف غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، (ص ٣٠٣)، وما بعدها، ط ٤، الفرات للنشر التوزيع، بيروت، ٢٠٠٩م.

إيران إلى العراق أو تختار من شيوخ الشيعة العراقيين، وبلغ نفوذ هذه المدارس شأنًا كبيرًا، خاصة في أوقات ضعف الحكومات العراقية.

فقد حصل في بعض السنين أن ينظِّم طلبة هذه المدارس مظاهرات يدورن فيها في الشوارع رافعين الأعلام الإيرانية، ومنادين بأفكار مذهبية، وكانت هذه المدارس تخضع لتوجيهات الملحق الثقافي الإيراني في السفارة.

ومن آثار هذه المدارس أن تخرَّج منها العديد من الإيرانيين، الذين اكتسبوا الجنسية العراقية فيها، فاستوطنوا العراق وأصبحوا حملة للأفكار الشعوبية، وأفكار الشيعة الغالية، بسبب التعليم الديني والمذهبي، الذي تلقوه في هذه المدارس التي لم تلتزم بالمنهج الوطني العراقي، ويجري تمويل هذه المدارس من قبل الحكومة الإيرانية، بالإضافة إلى تبرعات التجار من أصول إيرانية، وكذلك بما يجمع من أخماس وزكاة، حسبما يقضي مذهب الشيعة.

ولا يخفى أن هذه المدارس ومناهجها والقائمين عليها تحمل نوايا توسعية إيرانية، وبسط النفوذ، وتقويته في المنطقة العربية، وقد استخدمت إيران مع الأسف مذهب التشيع، والكثير من حملته إلى غايتها السياسية التوسعية، فتحالفت مع الكثير من القوى المذهبية والحزبية لهذا الغرض، وأمدتهم بالمال والرجال وحتى السلاح.

وهذا التأثير المتأخر تأريخيًّا يلقي الضوء على تأثيراته في العصور السابقة.

الفصل السابع

تحالفات الشيعة مع القوى الأخرى

تحالف اليهود الإيرانيون مع الشيعة ضد الأمة من خلال الأحزاب في العراق.

١. منذ تأسيس الحزب الشيوعي العراقي: انخرط فيه كثير من اليهود، وعراقيون شيعة من أصول إيرانية من هؤلاء (سلام عادل).
٢. الحزب الديموقراطي الكردستاني: وقد انخرط في هذا الحزب كثير من الأكراد من أصول إيرانية كان لهم أثر في إبعاد الشعب الكردي عن مؤازرة إخوانهم العرب، ومالوا إلى التوجهات الشيوعية.

استخدام الفرس والروم للشيعة لأغراضهم السياسية

منذ القديم كان الفرس يحاولون احتلال العراق واستيطانه كلما ضعف النفوذ العربي فيه إلى أن جاء الفتح الإسلامي فاكتسح النفوذ الفارسي، وأقام دولة الإسلام، ودخل أكثريتهم في الإسلام، ولكن بعضًا من الفرس الذين أغاظهم هذا الفتح، ولم يدخل الإسلام في قلوبهم، قام هؤلاء بالكيد للعرب وللمسلمين، عن طريق مشاركتهم في الحركات السرية الهدامة ضد الدولة الإسلامية، وقد بدأت هذه التوجهات منذ زمن الفتح الإسلامي، فقد عمل الهرمزان قائد الفرس المندحر على تدبير اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بواسطة (أبو لؤلؤة المجوسي)، كما ذكر أن قائد الفرس (زادويه) هو الذي قام بتحريض الخوارج على قتل الإمام علي رضي الله عنه في مسجد الكوفة على يد عبدالرحمن بن ملجم.

ولم تنته مؤامرات المجوس، فقد شاركوا في كثير من الحركات والعصيان الذي تم في الدولة الأموية، ولكن يتضح دورهم القبيح بما قام به أبو مسلم الخراساني في الثورة ضد الأمويين متسترًا بدعوته للعلويين والعباسيين في خراسان، وقد حاول أبو مسلم الخراساني الانفصال عن الدولة العباسية لإقامة دولة فارسية، فقام هو وجماعته باغتيال القادة

العرب في خراسان، منهم سليمان بن كثير الخُزاعي، وعلي بن جديع الأزدي، بالرغم من أن هؤلاء كانوا يمثلون الثورة العباسية، وقد دفعت الحال بالخليفة المنصور إلى أن يسير جيشًا إلى خراسان، وقَتل أبي مسلم الخراساني، وبعد مقتله حدث رد فعل المجوس، والادعاء بأنه لم يمت، وأنه سيرجع للانتقام، وبشرت بهذه الدعوة حركات مجوسية ثارت ضد الدولة العباسية، منهم المقنع وسنباذ وإسحاق الترك، وبقية قادة الحركات الهدامة، التي سبق الحديث عنها، وتوسعت هذه الادعاءات إلى درجة القول بألوهية أبي مسلم، ونسبوا له المعجزات، إلى أن سميت هذه الحركة بالمسلمية، نسبة إلى إبي مسلم الخراساني، وكان من ادعاءاتها الانتصار لآل البيت؛ فاصطبغت دعوتهم بالتشيع، وتستروا بالإسلام ظاهرًا، وقد فصل مؤرخو الفرق: كالنوبختي والبغدادي والشهرستاني مقالاتهم، وبالرغم من أن البرامكة قد أدوا خدمات جلية للدولة العباسية، إلا أن في نهاية الأمر تكشف للخليفة العباسي أمرهم، فقد كانوا يتحالفون سرًّا مع المجوس الفرس من جهة، ومع الشيعة والعلويين من جهة أخرى ضد الخلافة العباسية، مما دفع الخليفة إلى محاكمتهم ونكبتهم.

ونجح الفرس في غزو العراق ودخول بغداد على يد معز الدولة البويهي، القادم بجيشه من بلاد الديلم في إيران، فكانت الدولة البويهية تحمل العقيدة الشيعية، حيث أخضعت إيران والعراق للتشيّع.

فتحالف الشيعة مع الأسف مع تلك العناصر الفارسية المجوسية، فانتشرت عقيدة التشيع في القرن الرابع الهجري في البلاد العربية، حاملة معها جذور المجوسية الفارسية القديمة.

كما تحالف الشيعة بقيادة ابن العلقمي وزير الخليفة العباسي مع الغزاة التتار القادمين إلى بغداد بقيادة هولاكو، وبتحريض ومساعدة من العالم الشيعي نصير الدين الطوسي المشهور بالخواجة، والذي رافق هولاكو وسهل له الاتصال بابن العلقمي. حيث ذكر أن ابن العلقمي قد راسل هولاكو، وعرض عليه المساعدة في فتح بغداد للتتار، فكانت أكبر مأساة للعرب والمسلمين، حيث أعمل التتار القتل بأهل العراق بسبب هذه الخيانة، كما تحالف الشيعة مع الأسف مع الغزاة الصفويين للعراق في عهد الشاه إسماعيل الصفوي عام ١٥٠٨- ١٥٣٤ميلادية.

ويلاحظ المؤرخ أن الدولة العثمانية كلما انشغلت في حروبها بأوروبا، وضعف حكمها للعراق يقوم الصفويون بغزو العراق، ونشر التشيع، وقد وجدوا من بعض الشيعة آذانًا صاغية، فتحالفوا مع هذا العنصر الإيراني ضد إخوانهم العرب، وعلى طول الزمن تتكرر الساحة العراقية للنفوذ الفارسي، فينتعش بذلك التشيع ويضطهد أكثرية السكان مخالفي الشيعة. حصل هذا عدة مرات، منها في عهد نادر شاه عام ١٧٣٢- ١٧٤٧ ميلادية.

وتعد حركة البابية والبهائية امتدادًا للحركات المجوسية القديمة، من ادعاء الألوهية والحلول والتناسخ، فتأثر كثير من الإيرانيين والشيعة العراقيين بهذه الحركة، حيث أوجدت لها مركزًا في العراق، التقت فيه مع الأفكار اليهودية التوراتية، كما شهد بذلك المستشرق المجري اليهودي جولد تزيهر، وانخرط في هذه الحركة الهدامة كثير من الماسونية، وسخّروها لأغراضهم، كما دخل فيها أيضًا كثير من يهود إيران والعراق، حيث التقوا على الأهداف المطلوبة نفسها ضد العرب والإسلام عمومًا.

كما نشير إلى تحالف كثير من علماء الشيعة، وخاصة في إيران مع الحركة الماسونية، وذلك من خلال محفل (يقظة إيران) وذلك سنة ١٩١٤م، وقد فضح مؤلف كتاب الماسونية في إيران (محمد حسين ميمندع) كثيرًا من شيوخ وعلماء شيعة إيرانيين وعرب في العراق ولبنان، ممن انخرطوا في الماسونية، وفي العراق -أيام الانتداب البريطاني واحتلال العراق- عمدت السلطات البريطانية إلى تقريب اليهود والإيرانيين في المناصب وتهيئة الظروف المادية لهم، وهذه صورة متأخرة في العصر الحديث من تحالف اليهود الإيراني الشيعي.

واستخدمت الماسونية وأعداء الإسلام وأولئك الشيوخ المنخرطون في هذا المجال إلى إثارة النعرات الطائفية، وتنفيذ أغراض أعداء الإسلام، ودائمًا يمثل بعض علماء الشيعة في النجف وكربلاء في سوريا وفي لبنان التحالف مع النفوذ الإيراني، وتستخدم إيران دعوة التشيع لآل البيت مدخلًا لنفوذها في هذه المناطق، ونشيد هنا بأن كثيرًا من علماء شيعة العراق ولبنان والشام، قد خرجوا عن هذه السياسة، بل تحالفوا سرًّا سياسيًّا مع إخوانهم العرب ضد النفوذ الإيراني.

موقف الشيعة واليهود والنصارى من حكم المغول

بعد استقرار الأمر لهولاكو في بغداد استقدم من الموصل سعد الدولة الذي كان يتقن اللغة المغولية، وصار له نفوذ ببغداد، فأضحى هو الحاكم، وكان ذَا ميول شيعية، فقد زار ضريح موسى بن جعفر، ووزع الهبات على الشيعة الذين حوله، وذلك سنة ٦٨٨هـ، والمهم في الأمر أن في عهده ليس فقط المغول وحدهم قد علا شأنهم، وإنما ارتفع شأن اليهود والنصارى في العراق وخاصة ببغداد، وذلك بتعضيد من سعد الدولة، مما أثار حفيظة الناس عليه، فثاروا عليه وقتلوه بعد سنين، كما نُقم الناس على سعد الدولة في عهده سنة ٦٨٣هـ. وقد شجع عز الدولة ابن كمونة اليهودي بتأليف كتاب في النبوات[1]. الذي احتوى على أفكار أغضبت عموم الناس، وفي عهد الحاكم المغولي غازان استوزر فضل الله رشيد الدين، الذي كان يهوديًّا سابقًا، وذلك سنة ٦٩٣هـ، فكان موهوبًا بمعرفة الطب واللغة، مثل سعد الدولة وابن كمونة اليهودي، وقد استخدمه اليهود بشكلٍ واسع، وقد اهتم الأمير غازان بأمور العلويين والشيعة عمومًا، فقام بتعيين حكام على العراق من العلويين، وقد زار غازان العراق عدة مرات، كان يزور فيها المشاهد الشيعية في النجف وكربلاء والحلة، في عهد االحكم المغولي لإيران والعراق، وانتعش التشيع وكثرت الأوقاف على المدارس الشيعية وعلى العلويين، وقد انتعش التشيع في هذه الحقبة في العراق، وخاصة في الحلة، وفي هذه المدة كتب العالم الشيعي المعروف بابن المطهر الحلي كتبه المعروفة، خاصة كتابه المشهور بمنهاج الكرامة.

وعمومًا فقد وجد التشيع في المغول الحرية الواسعة في التأليف والنشاط الزائد، وساعدهم في ذلك توجه المغول وعلى رأسهم هولاكو في اتخاذ نصير الدين الطوسي وزيرًا له، فقد كان الطوسي من كبار علماء الشيعة وساساتها، وقد انقلب على الإسماعيلية، وتحالف مع هولاكو المغولي ليحقق نصرة المذهب الشيعي الاثني عشري، ومن مظاهر امتداد التحالف اليهودي الإيراني (المجوسي) في العصر الحديث ضد المصالح العربية ما يأتي:

---

(١) د. كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، ط٢ (٢/٧١- ٨٩)، وما بعدها.

١. عمدت إسرائيل إلى ضرب المفاعل النووي العراقي.
٢. تحالف اليهود (إسرائيل) وإيران في الحرب ضد العراق مدة ما يقرب من ٨ سنوات، وذلك من أجل تعطيل تقدم العراق.
٣. اعتراف رافسنجاني بأن إيران قد تسلمت أسلحة ومعدات بلغت قيمتها أكثر من أربع مئة مليون دولار من إسرائيل.
٤. تحطم الطائرة الأرجنتينية في ١٨ تموز ١٩٨١م في الأجواء السوفيتية في أثناء قيامها بنقل أسلحة من تل أبيب إلى طهران.
٥. غزو إيران للعراق بتاريخ ١٩٩١-١٩٩٢م معتمدًا على مجموعة من الأحزاب الشيعية الموالية لها، وفشل هذا الغزو، وهو ما سمي (بحركة الغوغاء).
٦. تحالف إيران المجوسية مع أمريكا في ضرب أفغانستان ومشاركة الشيعة الأفغان الموجودين على الحدود الإيرانية بمساعدة أمريكا في حربها.
٧. ترحيب إيران وتسهيلها لأمريكا لغزو العراق سنة ٢٠٠٣م، وفتوى المرجع الشيعي علي السيستاني إلى الشيعة بعدم مقاتلة الغزاة أو التعرض لهم، وفي المقابل قامت أمريكا بتسليم مقدرات العراق إلى إيران وإلى الشيعة، وقد تم هذا بمساعدة ومباركة من الصهيونية والمتحالفين معها من أكراد الشمال.
٨. تحالف إيران المجوسية مع شيعة العراق وبعض من شيعة لبنان في الحرب ضد الشعب السوري منتصرة للحكم الشيعي العلوي في دمشق.
٩. تحريض إيران للأقليات الشيعية في كل من البحرين والسعودية واليمن وبقية الأقطار العربية، للوقوف ضد الحكومات الشرعية، واستخدام إيران التشيع وسيلة لتوسيع نفوذها السياسي في المنطقة العربية[١].
١٠. تدخل إيران في اليمن، ومساعدتها للحوثيين بالسلاح والتدريب.

النصيرية المجوسية وعلاقتها بالنصرانية

سبق الحديث عن شخصية (محمد بن نصير الدين النميري) الفارسي الأصل، وقد سميت فرقة النصيرية باسمه لما تميزت به من أفكار مجوسية، مأخوذة عن المزدكية

(١) د. فاضل البراك: المدارس اليهودية والإيرانية في العراق، (ص ٩٦). فاروق عمر فوزي: أبو مسلم الخراساني، (ص ٤٢)، سنة ١٩٧٩م. أبو حامد الغزالي: فضائح الباطنية، (ص ٥٠)، وما بعدها. الخطيب البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص ٢٧٠)، وما بعدها.

والمانوية، وقد شهد الأب لامانس على إشاعة النصيرية في الشام والمبادئ المجوسية، والمناداة بتحليل المحرمات من نساء وخلافه، قال عنهم: إنهم لا يصومون ولا يصلون ولا يتطهرون: كالمسلمين، ويتخذون الأعياد المجوسية لهم عادة، وفي حقبة الحروب الصليبة تأثر النصيريون في الشام بالنصارى وبالحملات الصليبية، والتقت أفكارهم الشيعية المتعلقة بألوهية الإمام علي ومعجزات الأئمة، بما يدعيه النصارى من صفة الألوهية للمسيح ابن مريم، وادعت النصيرية بفكرة التثليث، وهى (معنى، واسم، وباب) كما هو عند النصارى، وينتشر النصيريون على سواحل البحر الأبيض المتوسط في كل من سوريا وتركيا ولبنان، وقد كتب عنهم الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه (تعاليم الديانة النصيرية).

كما تأثر النصيريون بأعياد النصارى، حيث يحتفلون بعيد الميلاد وغيره من الأعياد، ويتسمى كثير من النصيرية بأسماء النصارى: ك (يوحنا- ومتا)، وتشبه صلاتهم صلاة النصارى.

وقد تحالف النصيريون الشيعة مع الحملات الصليبية التي اجتاحت الشام، فكان أولها حصار الصليبيين لمدينة أنطاكية، فكان النصيريون في صفوف الصليبيين، وتمثلت خيانة النصيرية بقيام فيروز النصيري بتسليم أحد أبراج أنطاكية بالقيام بفتح الباب للصليبيين الذين دخلوا المدينة فأعملوا السيف بأهلها.

وقد عزز ابن تيمية حقيقة تحالف الشيعة النصيرية مع الصليبين ليس فقط في أنطاكية، بل على طول ثغور البحر الأبيض المتوسط[1]، وقد أوضح ابن تيمية خطورة استخدام النصيرية لحراسة ثغور المسلمين بعد ثبات خيانتهم.

وقد شهد المؤرخ النصراني فليب حتي بتحالف كثير من الفرق الباطنية مع الغزاة التتار، الذين وصلوا في غزوهم إلى بلاد الشام، ولم تكتف الشيعة النصيرية بتحريف عقائد الإسلام، بل تحالفت مع أعدائه، وكان هذا شأن جميع الحركات الباطنية التي

---

(١) ابن تيمية: فتاوى ابن تيمية، (٣٥/ ١٥٠- ١٥١).

استغلها أعداء الإسلام على طول التاريخ. واليوم نشاهد تحالف كثير من الشيعة النصيرية في الشام مع الشيعة الاثني عشرية القادمين من العراق وإيران في حرب الشام[(١)].

تأثر الشيعة النصيرية بالمجوسية والنصرانية

إن مؤسس مذهب النصيرية من الشيعة هو: محمد بن نصير النميري، وهو مولى من أصل فارسي، خلط مذهبه الإسلامي الذي دخل فيه بمذهب المجوسية؛ لأنها كانت ديانة أجداده وديانة المنطقة التي نشأ فيها، كما خلط مذهبه بعناصر من الديانة المسيحية، بسبب مؤثرات الموقع الجغرافي الذي نشأ فيه هذا المذهب، وهي سواحل البحر الأبيض المتوسط وجبالها، التي كانت قديمًا تحت النفوذ الروماني المسيحي، ومؤثرات الديانة المجوسية تتمثل في:

١. الأعياد المجوسية وهي:
   أ. عيد النيروز (عيد الربيع).
   ب. عيد المهرجان.
   ج. عيد السدق.
   د. عيد الشكر.
   هـ. عيد الفرودجان.
   و. عيد ركوب الكوسنج.
٢. التناسخ أو ما يسمونه التقمص[(٢)].
٣. استحلال المحارم: وقد تنبه المستشرق الأب لامانس، فأشار إلى هذه الحقيقة عند الشيعة من النصيرية، والواقع أنها من مؤثرات الديانة الفارسية المزدكية، حيث نادى مزدك باستحلال الزواج بالمحارم، وهذه الفكرة قد اعتنقها كثير من مذاهب الشيعة الغلاة المتأثرين بالمجوسية، وأما مظاهر تأثر الشيعة النصيرية بالمسيحية، فتتلخص في الآتي:

---

(١) عبدالرحمن بدوي: تعاليم الديانة النصيرية، (٢/٤٨٤).

(٢) المجلسي: البحار، (١٣/١٣٠)، (١٣/٢٣٧- ٢٤٤)، وما بعدها. و(١٤/٢١٢)، والكشي: رجال (ص ٢٢٥) (ص ٢٦٦)، النجاشي: رجال، (ص ٢٥٦).

أ. يصل حد تقديس الإمام عند النصيرية بالألوهية، فهم يضفون على الإمام علي صفات الله سبحانه وتعالى، شأنهم شأن المسيحية في نظرها إلى المسيح.

ب. كما هو اعتقاد المسيحية بفكرة التثليث (الله- عيسى- مريم) يعتقد النصيرية أيضًا بفكرة الأقانيم الثلاثة، وهي عندهم علي بن أبي طالب، ومحمد بن عبدالله، وسلمان الفارسي، ويرمز لهم في كتبهم (ع- م- س)، وعند بعض مذاهب الشيعة الغلاة يكون التثليث عندهم بـ (الله- علي- فاطمة)، أو يضع بعضهم اسم الحسين. وقد أحصى الدكتور عبدالرحمن بدوى كثيرًا من الأفكار المسيحية، التي تبنتها الشيعة النصيرية، منها: إقامة القداس، وتقديم القربان، ودعاء النور، وتقديس الخمر والكأس، وغيرها[١].

ج. إقامة عيد رأس السنة، كما يفعل المسيحيون، وعيد الصليب وعيد الغطاس وعيد السعف وعيد العنصرة وعيد القديسة بربارة وعيد الزيتونة وعيد مريم المجدلانية وعيد البشارة وعيد الفصح.

د. يسمون أولادهم بأسماء مسيحية، مثل: متى ويوحنا وهيلانة وكاترينا.

هـ. لا يصلون في مساجد المسلمين، وإنما في بيوتهم، أو إقامة صلاة جماعية في أحد البيوت تشابه في أقامتها القداس للمسيحيين[٢].

وقد نشر المؤلف يوسف إبراهيم الشيخ عيد ثلاثة نماذج من القداس الوعظي عندهم، وللشيعة النصيرية دور بارز في إعانة الصليبيين في حروبهم ضد المسلمين، وقد سبق الإشارة إلى ذلك، وسوف نفصل الأمر بما يأتي:

تحالف الشيعة الفاطمية مع الصليبيين

قام الوزير الفاطمي في مصر والمدعو الأفضل بن بدر الجمالي بالاتصال بالصليبيين وتدبير المكايد ضد السلاجقة، الذين حاربوا الصليبيين، وكان غرضه اقتسام الشام مع

(١) د. عبدالقادر بن محمد عدا صوف: دراسات مهنية لبعض فرق الرافضة والباطنية، (ص ١٣٣)، وما بعدها، ط١، دار أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٥م.

(٢) يوسف إبراهيم الشيخ عيد: أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبين، (ص ٢٤٧-٢٥٣)، ط١، عمان، دار المعالي، ١٩٩٨م.

الصليبيين، وهذا الوضع دفع دولة المماليك بقيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي إلى قتالهم، وإزالة نفوذهم من مصر عام ٥٦٧هـ، ويذكر المؤرخ ابن تغري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة ١٢٨/٥) أن الجيش الفاطمي بدل أن يهاجم الصليبيين في سواحل صور وما حولها قام بمهاجمة الجيش السلجوقي (السني) في صور، واستولى عليها، وفي النهاية تخلى الجيش الفاطمي عن صور إلى الصليبيين فاحتلوها سنة ٥١٨هـ[١].

وأمام تخاذل الخلافة الفاطمية ضد الصليبيين بدأ المصريون في التململ مما دفع بعض وزراء الخلافة الفاطمية وقوادها مثل صلاح الدين الأيوبي إلى التجهيز لقتال الصليبيين، ولكن في كل مرة يدبر لهم الاغتيال، حتى أدت حادثة هرب الوزير رضوان ابن الولخشمي الذي لجأ إلى عماد الدين زنكي في الشام، والذي جهز حملة ضد الفاطميين بمصر، وقام الفاطميّون بمراسلة الصليبيين والاستنجاد بهم ضد المماليك إلى أن استقر الأمر للمماليك بقيادة صلاح الدين، حيث أسقطوا الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ[٢].

الحشاشون النزارية

وهي حركة منسلخة عن الدولة الفاطمية بمصر، حيث قام ابن المستنصر بالله الفاطمي بمعاداة الدولة الفاطمية، وتأسيس دولة فاطمية أخرى في الإسكندرية سنة ٤٨٧هـ، ولكنه لم ينجح في مسعاه، وإنما نجح قائده حسن الصباح بالذهاب إلى إيران وتأسيس دولة الحشاشين الإسماعيلية الفاطمية على بحر قزوين وفي قلعة ألموت الحصينة، حيث نجح في بسط نفوذه والقضاء على النفوذ السلجوقي السني في المنطقة، وانتقل نفوذ الحشاشين إلى بلاد الشام أيام الحروب الصليبية، وقد دخلت هذه الفرقة بتعاليم سرية، وصنفت أتباعها حسب المراتب الآتية:

١. مرتبة شيخ الجبل.
٢. مرتبة كبار الدعاة.
٣. مرتبة الدعاة.

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، (١٨٢/٥).
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (١٠/ ٥٨٩- ٥٩٠) و(١١/ ٢٩٩).

٤. مرتبة الرفاق.
٥. الفداوية أو الفدائيون.
٦. اللاصقون.
٧. المستجيبون.

واتبعوا حيلًا للدعوة لمذهبهم تتدرج بالمراحل الآتية، كما يقول الغزالي:

١. الرزق والتفرس.
٢. حيلة التأنيس.
٣. حيلة التشكيك.
٤. حيلة التعليق.
٥. حيلة الربطة.
٦. حيلة التدليس.
٧. حيلة التلبيس.
٨. حيلة الخلع والسلخ.

واستغل حسن الصباح فكرة كونه وكيلاً عن الإمام المستور، وأنه مبلغ الإمام المعصوم ومُؤول لنصوص القرآن ومعانيه، وانتهت دولة الحشاشين باكتساح جيوش التتار سنة ٦٥٤هـ[(١)].

ولكن أثر الحشاشين النزاريين استمر في الشام من سنة ٤٩٩هـ وذلك بقيادة الحكيم المنجم وأبي طاهر الصائد، واستعان بهم الملك رضوان في حلب لقتل مناوئيه وبسط نفوذه، فانتشر في الشام مذهب الباطنية، وأفسدوا على الناس عقيدتهم الإسلامية، واستولوا على كثير من قطاع الشام، واتخذوا أسلوب القتل والتنكيل بخصومهم منهجًا، وخاصة قتل قادة المسلمين السنة الذين نادوا بتوحيد الجهود ضد الحملات الصليبية، فكان هؤلاء عونًا للصليبيين ضد المجاهدين، فقتلوا مثلاً والي الموصل في صلاة الجمعة في المسجد الجامع، كما غدروا بحاكم دمشق. وقد انتعشت الدعوة الإسماعيلية الباطنية في الشام على يد سنان راشد الدين، الذي ارتبط بأفكار الحشاشين، وذلك سنة ٥٥٨هـ، ونادى

(١) يوسف إبراهيم الشيخ عيد: أثر الحركات الباطنية، (ص ٥٨-٦٣).

سنان بفكرة تناسخ الأرواح[١]، كما تدعيها فرقة النصيرية المنتشرة في هذه المنطقة في ذلك الوقت، قد وصف الرحالة ابن جبير سنة ٥٨٠هـ هذه المنطقة، وما كان عليه الناس من تأليه سنان خاصة في مناطق جبل لبنان، كما حاول سنان اغتيال صلاح الدين بسبب تطهير الشام من الإسماعيلية والباطنية، حتى سحرهم وطوعهم للقتال ضد الصليبيين، واكتسحت بلاد الشام جيوش المغول، فضعفت الإسماعيلية الباطنية، وسقطت قلاع الشام بيد المغول إلى أن تقابلت جيوشهم مع جيش المماليك القادم من مصر، حيث دُحِرَ المغول في موقعة عين جالوت عن طريق قائد المماليك سيف الدين قطز، وذلك سنة ٦٥٨هـ[٢].

وتحولت الحركة الإسماعيلية الباطنية في الشام إلى فكرة سرية لأصحابها بعد اضمحلال قوتها السياسية، خاصة في جبال الشام وحصونها، ونريد أن نوضح للقارئ الكريم كيف أن المعتقدات المجوسية الفارسية القديمة انتقلت على يد الحشاشين النزارية من إيران على بحر قزوين إلى الشام على البحر الأبيض المتوسط، والتقت مع الأفكار النصيرية المشابهة لها، فاستوطنت سرًّا كثيرًا من مدن سواحل البحر الأبيض المتوسط والجبال والقلاع المحاذية لسواحل هذا البحر، ويمكن للقارئ الكريم أن يتقصى أثر هذه الحركات والأفكار الغالية التي عبرت على العرب والمسلمين من المجوس واليهود والنصارى، ففي سواحل تركيا مرسين وأنطاكية، وحيفا ويافا في فلسطين، وفي الشام في اللاذقية وبانياس وفي لبنان صيدا وصور وجبل عامل والبقاع، حيث يتضح للقارئ أن أثر تلك الأفكار قائم حتى اليوم يستخدم من قبل المصالح الأجنبية لإثارة الاقتتال بين العرب المسلمين أنفسهم، كما هو حاصل في سوريا اليوم.

وقد ارتبط نشاط حركة الحشاشين في الشام باليهود القاطنين بالمنطقة، فقد أصبح جزءًا من هذه الحركة، فقد ذكر الرحالة اليهودي بنيامين الذي زار الشام سنة ٥٦٩هـ أنه كان يقيم بين الإسماعيلية في الشام حوالي أربعة آلاف يهودي، يسكنون الجبال مثلهم

---

(١) أبو حامد الغزالي: فضائح الباطنية، (ص ٢١-٣٢).

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص: ٢٩٨).

يرافقونهم في غزواتهم وحروبهم، وذكر أن هؤلاء اليهود أشداء، ويتبعون رأس الجالوت اليهودي ببغداد(١).

ونقل الكاتب يوسف إبراهيم الشيخ عيد أن كتاب الرسائل الباطنية الموجهة إلى ملك الصليبيين في بيت المقدس بشأن الانتقال معهم للزحف على مصر كان يهوديًّا(٢)، واعتمدت هذه الحركة الباطنية على اغتيال الزعماء والعلماء والوعاظ في كل من إيران والشام، كما هو مشهور عنها في التاريخ، ولا تزال مع الأسف هذه المنطقة تزخر بالحركات الباطنية السرية والاغتيالات التي تعتمد هذا الأسلوب.

وقد ذكر مؤلف كتاب أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين أن حوالي ٤٢ شخصية سياسية غالبًا من درجة الخليفة والوزراء فما دون اغتيلوا في هذه المدة القصيرة.

ويتبرأ علماء الشيعة الاثني عشرية من فرق النصيرية والحشاشين، وربما ما يسمون أيضًا بالعلويين في الشام، ولكن تأثير مقالاتهم وأفكارهم على التشيع الاثني عشري واضح، ليس فقط بتسرب أفكارهم إلى كتب الشيعة الاثني عشرية، بل تعداه إلى التحالفات السياسية والحروب العملية، كما هو حاصل اليوم ضد السنة في الشام والعراق، ولكن نشيد برأي بعض علماء الشيعة المخالفين لهذا الاتجاه، والذين سنعرض أسماءهم وأفكارهم في إصلاح التشيع في الباب الأخير من هذا الكتاب.

تحالف شيعة إيران وبعض الفرق الصوفية

وقع كثير من شيعة إيران تحت تأثير الحركات الصوفية التي ظهرت في العالم الإسلامي إبَّان القرن الخامس عشر الميلادي، وازداد هذا التوجه في القرون المتلاحقة، خاصة في العصر المغولي والصفوي لعوامل عدة:

أولها: أن أصول وقواعد الشيعة التي استعرضناها سابقًا أصبحت محل نقد شديد بشكلها الأصولي، الذي يحمله عادة علماء الشيعة ومجتهدوهم، والانخراط في الصوفية

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، (١/ ١٧٥)، ابن الأثير: الكامل، (١١/ ٣٤٦).

(٢) يوسف إبراهيم الشيخ عيد: أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، (ص ٣٠١).

يجنب الفرد شدة التقيد بالأصول من جهة، ويمنحه الراحة في الإيمان بالنسمات الروحية الغيبية، التي لا يختلف الشيعة والصوفيون حولها، على الرغم من أن علماء الشيعة منذ القديم قد ناصبوا التصوف العداء[١].

لكن التصوف والتشيع يلتقيان في منبع واحد، فكلاهما يقدسان الإمام عليًّا في صورة الزاهد في الدنيا وكرمه، ولما يدعون علمه بالأسرار الإلهية، ولما يشع له من نور ويقين انتقل منه إلى الأئمة المعروفين بعده، وتتناقل كل مصادر الشيعة ما يسمى بأصحاب الكساء، الذين بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم كساءه، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين. واتخذ ذلك علامة وإشارة إلى انتقال البركة والعلوم والأسرار اللدنية إليهم، وقد انتقل هذا التقليد عند أكثر الفرق الصوفية، حيث يبسط الشيخ صاحب الطريقة جبته أو كساءه على مريده علامةً على رضاه، وأنه أصبح جديرًا بأن يسر إليهم العلوم الباطنية، التي قد لا يحتملها من لم يصل إلى هذه الدرجة من (الكشف).

إن كثيرًا من سنة إيران وجدوا في التصوف ما يخفف عنهم الضغط المذهبي الذي كان يمارسه الشيعة الصفويون لإجبارهم على الدخول في مذهب التشيع، فحيدر أمولي من الشيعة (١٣٥٨م) من الصوفيين الإيرانيين المتأثرين بعقيدة الصفوي ابن عربي الأندلسي (ت١٢٤٠م) بالشام.

فأدخل بذلك في التشيع بعض آراء ابن عربي، وقد شهدت الحقبة الأولى اختلاط التصوف الشيعي بالسني، ليس على يد حيدر أمولي (١٣٥٨م) فقط، إنما أيضًا على يد نجم الدين كبري مؤسس الطريقة الكبروية الفارسية في القرن الثامن عشر، وكذلك محمد نور بقش (ت٨٦٩ هـ)، الذي ادعى انتقال التصوف وسماته من الإمام علي إلى الأئمة الاثني عشر، ثم ادعى أنه المهدي المنتظر، واستند بعض الصوفية الشيعية بحديث منسوب للإمام جعفر الصادق: «إن الله قد جعلنا أتباعه».

صوفية إيرانية محدثة

ذكر الأستاذ الفرنسي أيان ريشار في كتابه (الإسلام الشيعي) أنه دُعيَ إلى بيت الصوفيين

(١) أغلب علماء الشيعة الأصوليين ساروا في نهجهم ضد التصوف. انظر العلاقة بين التشيع والتصوف، لكامل الشيبي.

(خانقاه نعمة الله) وكان من الحاضرين في المجلس شاهبور بختريار (رئيس وزراء سابق بإيران)، ومذيعة راديو إيران منذ عهد الشاه، وزوجة أحد قواد الجيش الإيراني (في عهد الشاه)، وابنته التي تولت العزف على القيثار، وشاعر معروف من حزب توده الشيوعي، وأستاذ جامعي معروف أيضًا كما يقول، وفي القاعة شباب كثير تولوا خدمة الجميع، وبدأت الجلسة بالترديد الجماعي «لا إله إلا الله»، وبين مدة وأخرى يصيح الجميع «يا علي»، كما ذكر أن هناك تلاوات وطقوسًا لها بعض السرية لا يعرفها مثله من الأجانب أو لا يصرح بها هؤلاء، وقد ذكر أن هذه الطائفة المسماة (نعمة الله) بزعامة نور بقش تنشر مجلة (الصوفي) بالفارسية والإنجليزية، ولهم أربعة عشر مركزًا في أوروبا الغربية وأمريكا.

ولاحظ الكاتب سرعة انتشار هذه الطائفة، وتوسع مراكزها، وعزا ذلك إلى كثرة الإيرانيين في هذه البقاع واحتياجهم ربما إلى النفحات الروحية في بلاد الغرب.

ولقد ذكر أن الدكتور نور بقش كان طبيبًا نفسانيًّا ولد سنة ١٩٢٦م في كرمان، وكان مشرفًا على قسم الأمراض النفسية في جامعة طهران، ثم اتجه إلى أعمال التصوف، فكتب بعض المقالات والكتب وانتشرت أفكاره المبنية على آراء سابقيه من صوفية إيران، خاصة كتاب (أخبار العاشقين) لروزبهاري (من شيراز) وكتابات شاه نعمة الله أحد أولياء الصوفية في كرمان المتوفى سنة ١٤٣١م.

ويذكر الكاتب أن سلطات الثورة الإيرانية دعت الدكتور نور بقش إلى الرجوع إلى إيران، ولكنه يصر على البقاء في المنفى بالرغم من وجود الكثير من أتباعه في إيران نفسها.

ومن آرائه أنه يرى أن الصوفية للحب بين جميع البشر، ولكنه يهزأ بديانة بعض رجال الدين الشيعة، الذين يصفهم بالدجالين والنفعيين، الذين لا إدراك لهم للحياة الروحية للمسلم.

وقد أغلقت هذه الطائفة مركزها الصوفي طواعية بطهران، لعدم انسجامها مع التوجهات العامة لرجال الثورة الإيرانية حين ذاك.

لقد عملت التوجهات الصوفية في إيران خاصة منذ القديم على التقريب بين الشيعة والسنة، خاصة أولئك الذين لديهم تعلق شديد بالأئمة، وقد أشار الأستاذ الفرنسي موليه إلى هذه الحقيقة في دراسته عن فرقة الكبروية[١] التي ظهرت في القرن الثامن والتاسع الهجريين، ولكن مما أفشل هذا التوجه في إيران قيام الأسرة الصوفية بالاستيلاء على السلطة، وفرض تشيع قسري متزمت على الجميع مع أنهم في الأصل حركة صوفية (فرقة القزلباش) أي أصحاب التشيع المغالي جدًّا، مما جعل الأتراك الذين كانوا في صراع سياسي وحربي مع الصفويين يعلنون كفر القزلباش، وقد تمثل ذلك في فتوى قاضي القضاة في الدولة العثمانية الشيخ أبو السعود.

وهذا يفسر حقيقة الأسباب التي دفعت الصفويين إلى قمع الحركات الصوفية، وتبنيهم توجهات مذهب رجال الدين الإمامية الشيعية، وهذا التوجه عكسه محمد باقر المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) الذي كتبه في ظل الدولة الصفوية وتحت توجهاتها السياسية ضد الصوفية وضد المذهب السني على السواء.

وقد انتعشت الحركة الصوفية في إيران بعد الصفويين شيئًا قليلاً خاصة في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، فكان من مظاهر الانتعاش حركة نعمة الله في كرمان، وذلك بفضل المعصوم علي شاه الآتي لإيران من الهند، وقد جابهت هذه الحركة معارضة من رجال الدين الإمامي خاصة هجوم الشيخ محمد علي بهبهائي (ت ١٨٠٣م) على هذه الحركة ومقتل زعيمها المعصوم، ثم جاءت حقبة انتعاش حينما تولى السلطة في إيران الأسرة القاجارية (١٧٧٩م- ١٩٢٥م)، فقد استخدموا الحركات الصوفية لإضعاف سلطة رجال الدين الإمامي المتشددين في أفكارهم وتطرفهم ضد خصومهم خاصة السنة، حيث كان القاجارية يهدفون الى ضم تأييد السنة لسلطانهم، وتوحيد الجميع تحت طاعتهم، ومثل هذا التوجه كان واضحًا في سيرة السلطان محمد شاه (١٨٣٤- ١٨٤٨م) الذي أضحى عنده الدراويش وأصحاب الخرافات بمنزلة سياسية، فاختار منهم الوزيرالأول نعمة الله الحاج ميرزا، حيث كان أستاذه ومربيه، فأحيا نفوذ الصوفية في البلاط الإيراني،

(١) نسبة إلى مؤسسها نجم الدين كبرى الذي ظهر قبل الصفويين بقليل، وقد أنتجت هذه الطريقة بعد مؤسسها رجلًا آخر، له أهمية في تاريخ الصفوية في إيران، وهو محمد نور بقش (٨٦٩هـ)، الذي ادعى أنه المهدي، وأنه الإمام المنتظر.

وضعف توجه رجال الدين من فقهاء الشيعة، وهكذا أصبحت حتى أيامنا هذه الحركة الصوفية مؤسسة معارضة في طبيعتها لتوجهات الفقهاء وعلماء الشيعة (الاثني عشرية)، والهدف نفسه فيما يبدو أنشأ الأمير القاجاري ظهر الدولة (ت ١٩٢٤م) جماعة الإخوة الصوفية، ولكن أصبحت محفلًا ماسونيًّا كما أراد لها ظهر الدولة، وقد بقيت إلى ما قبل الثورة الإيرانية ومقرها في شارع الفردوس في طهران، ويبدو أن الماسونية تلبست لبوس الدراويش والصوفية تحت غطاء هذه الحركة لتحقيق أغراضها[1].

ومن الحركات الصوفية في إيران الحديثة فرقة أوفيس التي نشأت في الخمسينيات بجهود الشيخ محمد الأنقى، ويبدو أن كثيرًا من أهل السنة في إيران منذ العهد الصفوي يهربون من غلو الشيعة الإمامية الديني نحو الحركات الصوفية التي قد يَرَوْن فيها مبررًا للتخفيف عما في نفوسهم من ضغوط نفسية ومذهبية أو اتخاذ التصوف مجرد ستار لنشاطهم الديني السني الذي لا يلاقي سوى القمع من سادة المذهب الاثني عشري في إيران.

وبعد الثورة الإيرانية أقدم النظام على غلق أماكن الفرق الصوفية في إيران، ومازلنا نرى أن علماء وفقهاء الثورة من رجال الدين الإمامية يفضلون الكلام عما يدعونه بالعرفان بدلًا من الكلام عن التصوف، ولا يزال هؤلاء يستعملون في أدبياتهم للهجوم على الصوفية ما كتبه كيوان القزويني المتوفى عام ١٩٣٩م، وقد كان صاحب طريقة صوفية مدةً طويلة، ولكنه انقلب على التصوف، فألف ما يقرب من عشرين كتابًا ضد الصوفية وأهلها، وكان نقده صادرًا من الداخل أي من داخل ما عرفه ودرسه في الحلقات الصوفية من تنظيم ومراسم وحيل، للتمويه على السذج وضعاف العقول.

ولقد صرح بعض فقهاء الإمامية المحدثين بصراحة أن الصوفية لا تمت إلى التشيع بصلة، وإنما صلتها بالبراهمة الهنود وعقائد الصابئة والنصارى، ودلل آغا محمد باقر الدواني بأن الصوفية الأوائل مثل الحسن البصري كانوا أعداء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأما رؤساء الصوفية فيما بعد فقال عنهم: إنهم كلهم من السنة كمعروف

---

(١) أيان ريشار، مصدر سابق (ص ٨٨).

الكرخي وشقيق البلخي وأبي يزيد البسطامي ومنصور الحلاج، فلا صلة لهم كما يقول بأئمتنا، وقال: إن ما يدعون من وصولهم إلى مرتبة الحلول بذات الله، فإنما ذلك بتأثير تعاطي الحشيش والقنب الهندي[١].

التقاء شيعة إيران الإمامية مع الفلسفة

إن أغلب فقهاء الشيعة الإمامية في إيران يناصبون الفلسفة العداء، بوصفها فلسفة وافدة من خارج المفهوم الصحيح للإسلام، وأن أغلبها مستقاة أو متأثرة بالفلسفة الإغريقية مع بعض التعديلات، التي اقتضتها ضرورة المسايرة مع العقيدة الإسلامية، هذا بالرغم من كون أكثر فلاسفة الإسلام ينتمون إلى العنصر الإيراني أكثر منه إلى العنصر العربي، لكن التعميم السابق ليس على إطلاقه، حيث وجد كثير من فقهاء الإمامية في الفلسفة ما يسعفهم في تبرير عقائدهم وأفكارهم المذهبية، ولم يجدوا حرجًا في الاشتغال بالفلسفة من باب العلم والانتفاع، لا التقليد والاتباع.

ففي كثير من المدارس الدينية في قم ومشهد، بل في العراق أيضًا في النجف خاصة تدريس كتب أرسطو وابن سينا، ويستشهدون أو يقارنون بآراء فلاسفة إيران في العصور المتأخرة، مثل آراء الملا صدرا وغيره، خاصة في المباحث المتعلقة بالوجود ومعرفة الخالق سبحانه، وقد يستبدلون كلمة فلسفة بكلمة عرفان أو تأمل، ومع ذلك فإن المُلا صدرا -وهو من فلاسفة القرن الثاني عشر في إيران- لم يسلم من النقد وملاحظات الفقهاء، حتى اضطروه إلى ترك التعليم عشر سنوات كان فيها منعزلًا، وقد أضاف المُلا صدرا لمدرسته الفلسفية في إيران بعدًا جديدًا لتقريب الفلسفة من الفكر الإسلامي عمومًا والشيعي على الخصوص، وذلك بطريقته التوفيقية بين استلهام المعرفة الباطنية والمعرفة الظاهرية للنص، خاصة فيما يتصل بمباحث الإلهيات كوجود الخالق ومعرفته عن طريق النور الذي يقذف في القلب بدل المعرفة الفكرية الصرفة أو طريق الوحي (النص).

ولقد أوجد شهاب الدين يحيى السهروردي طريقة توفيقية بين الفكر السني والفكر الشيعي المنتشر في إيران في وقته بين الفلسفة الإشراقية التي جاء بها قبله ابن سينا،

---

(١) آغا محمد باقر الدواني: كتابه عن وحيد بهبهائي، (ص ١٩٤)، وانظر: أيان ريشار، مصدر سابق.

كما أدت طريقته التوفيقية هذه إلى التسامح في فهم عناصر الفكر الزرادشتي الضارب بجذوره في إيران، ولهذا فقد ضاق ذرعًا بآرائه أئمة الإسلام عمومًا، فنادوا بإعدامه بوصفه مارقًا عن تعاليم الدين، فأعدم في مدينة حلب بالشام سنة ١١٩١هـ زمن صلاح الدين الأيوبي[١].

ومن آرائه المتأثرة بالفلسفة عمومًا والفلسفة اليونانية (الشرقية) قوله: إن المعرفة الإشراقية وحدها هي مفتاح المعرفة، حيث إن الخيال الناشط يدرك عالم المثال المتوسط، والمنتقى بين إدراك عالم الظلمة (العالم المادي)، فالعالم الروحي النوراني يدرك بالبعد الباطني للوحي النبوي، ويدرك من خلاله معرفة القطب، وأنه من انقطاع النبوة بوفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فإن امتداد معرفة القطب لا تنتهي، وهذه الفكرة استعارها فقهاء الإمامية للاحتجاج بكون الإمامة تعد امتدادًا للنبوة، وإن كانت على درجة مختلفة، وأن الأئمة الاثني عشر هم أقطاب الأرض، وأن الأرض لا يمكن أن تخلو من إمام ظاهر أو باطن، وأن الإمام لو افتقد لساخت الأرض بهم يعرف الحق والخلق معًا.

ومن أهم من تأثر بالسهروردي من فلاسفة إيران في العصر الحديث هو المُلا صدرا الدين الشيرازي المشهور بالملا صدرا (ت١٦٤١هـ)، وأهم الأفكار التي تأثر بها نظرية المعرفة الحضورية القائلة: إنه كلما اشتد الحضور اشتد معه فعل الوجود، حتى لما بعد الموت، وقد كتب بهذا المعنى رحلات من العالم المخلوق نحو الله بهدف المحبة لله، وعودة إلى العالم المخلوق، ومعرفة النفس الإنسانية والاعتراف بأن ما من شيء يوجد غير الله، ثم يحاول المُلاءمة بين الفكر الشيعي الفقهي المتعلق بالبعث وبين وضع الجسد في عالم البرزخ، الذي هو جسد مثالي اكتسبته النفس من خلال وجودها على الأرض، وكثير من مفكري إيران قد تأثروا بآراء كل من السهروردي وملا صدرا، مثل هادي السبزواري (ت ١٨٧٨م)، ثم ظهر بعدهم أجيال من المفكرين الذين ينتمون إلى التفكير المادي أكثر منه إلى التفكير الإسلامي، وذلك تحت مؤثرات الفلسفة الغربية الحديثة.

---

(١) تم إعدامه في ظروف مأساوية. فقد كان الجو في الشام أيامها في حالة حرب مع الصليبيين، وكان الشيعة يتهمون بتقاعسهم بقتال الصليبيين، وربما اتهم بعضهم بموالاتهم، فبعد انتصار صلاح الدين أعدم الكثير ممن دارت حولهم الشبهات، أو ثبتت موالاتهم فكريًا أو تسامهم، ومنهم السهروردي.

وقد قام السيد دي غوبينو بترجمة كتاب ديكارت (جدال حول الطريقة) إلى اللغة الفارسية بمساعدة من أحد حاخامات همدان اليهود.

وبعد فتح باب الترجمة للكتب الفلسفية الماركسية والماسونية التي اطلع عليها رجال الدين في إيران، ودخلوا مع أفكارهم في سجال كما هو الشأن في بقية العالم الإسلامي، وبعض منهم تأثر أو قام بتقديم تلك الفلسفات بأشكال محايدة، أو قارن بينها وبين الفكر الشيعي المطروح حديثًا في إيران، ومن هؤلاء الشيخ محمد حسين الطبطبائي (ت١٩٨٢م)، الذي خَلفه الخميني سنة ١٩٥٠م على التدريس في قم، ونشر كثيرًا من المؤلفات التي قدم فيها فلسفة المُلا صدرا مقارنة بالفلسفات المادية أو الواقعية أو ذات المصادر الخارجية وغيرها، ويعد آية الله المرتضى من تلاميذه الطبطبائي والمتأثرين بكتاباته، وقد اغتيل سنة ١٩٧١م، وقد كان أستاذًا للفلسفة في كلية الشريعة بطهران، وقد اتهم أعداء الثورة الإيرانية باغتياله[١].

ومن المعاصرين الذين شغلوا بتحقيق وتقديم أعمال فلاسفة إيران الشيخ جلال الدين أشطباني، وكان أحد تلاميذه الخميني، ولكنه آثر العزلة العلمية في مشهد، وقد تعاون مع المستشرق الفرنسي هنري كوربان على ترجمة حياة كثير من فلاسفة شيعة إيران منذ القرن السابع حتى العصر الحديث.

وممن تأثر بالفلسفة الغربية من علماء الفلسفة الإيرانية السيد أحمد فرديد المولود سنة (١٩٢٠م)، حيث أقام بفرنسا وألمانيا، وتأثر بفلسفة هيجل، لكن يبقي نزوعه إلى الفلسفة الإسلامية هو الأصل في تدريسه الفلسفة في جامعة طهران،كما يذكر اسم داريوش شايفان التأثر بفلسفة فرويد، والمقيم بفرنسا، وله كتاب: (ما عساها تكون ثورة إسلامية).

وقبل الثورة الإيرانية قامت الإمبراطورة فرح بهلوي وهنري كوربان سنة ١٩٧٥م برعاية إنشاء أكاديمية للدراسات الفلسفية الإيرانية، ولها منشورات بلغات عدة، واستمرت بعد الثورة، ولكن باتجاه إسلامي محض، ومن المجلات التي تعنى بالفكر الفلسفي عمومًا

(١) أيان ريشار: الإسلام الشيعي، (ص ٩٨).

والإسلامي على وجه الخصوص في إيران هي مجلة المعارف، التي يصدرها نصرة الله بوجانادى تطرق شتى الموضوعات الصوفية والفلسفية المقارنة[١].

الأصوليون والأخباريون

أدى الانفتاح الفكري للشيعة في العصر البويهي إلى ظهور تدوينات الشيعة وكتبهم على ملأ من المسلمين، واستطاع أن يقرأها العلماء بعد أن كانت كتبًا سرية يتداولها علماء الشيعة خفية، لما فيها من خروج على عموم عقائد المسلمين، ولكن تمتع الشيعة بحرية التأليف دفعت الكثير إلى جمع مدونات الحديث، كما رأينا سابقًا في مدونات كبيرة كالكتب الأربعة السالفة، مما مكن بقية علماء المسلمين إلى قراءتها ونقدها بعد أن كانت أفكار الشيعة يتداولها غالبية الناس شفاهية.

ولما في هذه الروايات من أخطاء وخروج على عقائد المسلمين، فقد أصبحت هدفًا للنقد والتمحيص منذ القرن الرابع الهجري، ولهذا نرى بوادر انقسام علماء الشيعة منذ ذلك الوقت إلى فريقين: فريق مصدق لما في هذه الروايات كليةً، ولا يستطيع ردها، وفريق حاول التمحيص وإعمال جزء من العقل، لتناقض هذه الروايات مع أحداث التاريخ أو مع العقل أو القرآن أو السنة، ومن الممكن أن نعد الكليني وابن بابويه القمي والمفيد من أوائل الموثقين لما في كتب الحديث عمومًا، ومن ثم يمكن أن يعدوا من أوائل الأخباريين، وفي حين نرى الطوسي والمرتضى وأخاه الشريف الرضي وغيرهم من أوائل الأصوليين، الذين ردوا كثيرًا من هذه الأخبار، ولم يثقوا بها، وإنما حاولوا أن يؤسسوا أصولاً مقبولة لدى عموم الشيعة الإمامية، ومن ذلك يمكن أن يعدوا من أوائل الأصوليين[٢]، وهذه البذرة اتسعت فيما بعد كثيرًا، لدرجة أنها دفعت كل فريق يوجه نقدًا لاذعًا إلى الآخر، فالأخباريون كما أوضحنا قد ورثوا كمًّا هائلًا من روايات اختلطت فيها عقائد ملل وفرق كثيرة من المسلمين وغيرهم من أصحاب البلاد المفتوحة، الذين خلقوا هذه الروايات حسب أهوائهم السياسية وأفكارهم السائدة في مجتمعهم قبل سيادة الإسلام وانتشاره في هذه الأصقاع،

---

(١) أيان ريشار: الإسلام الشيعي، (ص ١١٠).

(٢) الكشي: رجال، (ص ٢٢٥-٢٢٦)، النجاشي: رجال، (ص ٣٣٨)، المفيد: الإرشاد، (ص ٤١٣).

فالأخباريون عمومًا يوثقون الروايات الواردة في كتب الحديث، خاصة الواردة في الكتب الأربعة السابق ذكرها.

والعمل عندهم بالأخبار أولى من العمل بالاجتهاد المخالف لهذه الأخبار، وينكرون مقولة الأصوليين، الذين يأخذون بدليل العقل الذي ساد لدى الأصوليين الشيعة، واتسع العمل به فيما بعد.

ولهذا فليس للأخباريين اهتمام بعلم أصول الفقه؛ لعدم الحاجة إليه أمام النص المكتوب ولا بدليل الإجماع، ولهذا اتجه متأخرو الأخباريين إلى الانشغال مجددًا بجمع الحديث والتأليف والتوفيق بين الروايات المتناقضة، فأوغلوا في مزيد من التأويل، واستخدام فكرة التقية على دعوى أن الإمام قال الحديث في معرض التقية لوجود مخالف له في المجلس، وقد اتضح الهجوم على الأصوليين مما كتبه محمد أمين الاسترابادى (١٠٣٣هـ) في كتابه (لؤلؤ البحرين)، وهذا المنحى واضح لدى المتأخرين من الأخباريين: كالحر العاملي في كتابه (وسائل الشيعة) والكاشاني في كتابه (الوافي)، والنوري الطبرسي صاحب كتاب (مستدرك الوسائل).

ويمثل الأخباريون كارثة على الفكر الشيعي الإمامي، حيث أوقعوا المذهب في إشكالات لا حصر لها، سببت أكبر نقاط الإحراج للشيعة أمام بقية فرق المسلمين، ومن أمثلة ذلك تصديق الأخباريين الأحاديث المروية بنقص القرآن أو الزيادة فيه، كما عرضنا ذلك مفصلًا في كتابنا (جذور التشيع)، وركب بعض الأخباريين الشطط إلى درجة تكفير بعض الأصوليين من المجتهدين، أو أفتوا بعدم صحة الصلاة وراءهم.

وأرى أن تسمية الأصوليين من مذهب الشيعة الإمامية غير دقيق إذا ما عرضت على الوقائع التاريخية في نشأة الشيعة، ذلك أن إرجاع الإمامية إلى أصل عقيدة الإمام علي وأولاده وشيعته الأوائل، لا يتفق مع مقولات الأصوليين من ترسخ عقيدة الإمامة والتقية والبداء والرجعة، ولكونها مقولات أحدثها الشيعة فيما بينهم، بعد تطورهم التاريخي على مر العصور كما رأينا.

ويجب فهم الأصوليين بوصفهم فرقة من الإمامية، نسبة إلى آراء الأخباريين فقط من حيث إعمالهم للعقل نسبيًّا، ومن ثم فإن الأصوليين من الإمامية هم أكثر قربًا من الأخباريين لعقيدة عموم المسلمين، وأي تطور مستقبلي ربما يتم على أيديهم مخالفين بذلك الأخباريين. فإذا أخذنا مثلًا رأي الإخباريين في مسألة نقص القرآن والزيادة فيه، وتتبعنا بداية الرواية على يد الغلاة، ثم اتساعها على مر العصور، نجد أنها تصلح مثلًا واقعيًّا على كيفية نشأة أفكار الشيعة وتأصلها، كلما مر زمن أضاف إليها طائفة ما يعضدها من أكاذيب.

فمن أوائل الإشارات الواردة في نقص القرآن، ورد عن سليم بن قيس ثم عن هشام بن الحكم (١٩٠هـ) وأنه كان يقرأ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ آل عمران: ١٢٣، وأن هشام كان يرى أن القرآن الموجود هو من وضع عثمان رضي الله عنه، وأن القرآن الأصلي رفع إلى السماء[١].

ومعلوم من جميع مصادر الشيعة والسنة أن هشام بن الحكم أولع بالكلام، وله مقالات منحرفة في تجسيم الخالق، وقد شرب هذه المقالات من سيده أبي شاكر، حيث كان مولى له، وأبو شاكر هذا كان من الزنادقة المعروفين في التاريخ الإسلامي، وأنه كان من الديصانية المعتقدين بعقائد المجوس في النور والظلمة.

ثم اتسعت هذه المقالة في أحاديث أوردها الأشعري القمي في كتابه (تفسير القرآن) الذي نقل عنه الكليني هذه المقالة المنكرة، ثم اتسعت كما رأينا في مبحث القرآن فأصبحت ذريعة ضد مذهب الشيعة، وهكذا يبدأ الأمر من كذبة يستخدمها صاحبها للاحتجاج لمذهبه مرائيًا، ثم تصير قاعدة وأصلًا، يتناقله المتأخرون عن الأقدمين.

أورد الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد) رواية عن جابر الجعفي عن الإمام أبي جعفر قال: «إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وسلم وآله ضرب فساطيط العرب، ويعلّم

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، (١٨١/٣)، وما بعدها، القرطبي: تفسير، (٨٢/١)، الشهرستاني: الملل، (١٨٤/١).

الناس القرآن على ما أنزل الله عز وجل، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم؛ لأنه يخالف فيه التأليف»[١].

وهذه دعوة مبطنة إلى عدم الانشغال في حفظ كتاب الله، وأنه أمر لا طائل من ورائه، وقد ورث التشيع هذا المبدأ مع الأسف، وأثر فيه أيما تأثير؛ فانظر إلى فداحة هذه النتيجة، وما تحتاجه من جهد جهيد لتصحيحها وتنقية كتب المذهب منها.

فالأخباريون يصلون إلى نتيجة مفادها «أن القول بصحة القرآن يفضي إلى الطعن في الأخبار»[٢]، وقد عد نعمة الله الجزائري هذه الأحاديث إلى أكثر من مئتي حديث، فأي ميراث أثقل من هذا على الشيعة، وكيف سيتم الخلاص منه؟

وعن مذهب الشيعة الإمامية ظهر في تاريخ المتأخرين مذهب الشيخية نسبة إلى الشيخ أحمد الأحسائي (١٧٤١-١٨٢٦م)، وقد جاء الشيخ أحمد الأحسائي إلى النجف، ثم زار إيران وسكن في مدينة يزد مدة اثنتي عشرة سنة حج خلالها إلى مكة. وفي مدينة قزوين التقى الشيخ المُلا محمدًا القزويني، وقد توفي في مدينة جدة في أثناء رحلته إلى الحج عن عمر ٧٥ سنة.

وقد تأثر في أثناء زيارته بحالة الشيعة الإمامية البيئية، وأن ليس لهم من هَم إلا انتظار الإمام الغائب؛ ليخلصهم مما هم فيه، وقد تأثر بمنهج الصوفية فكرًا وسيرة، وانصبت اهتماماته في دراسة الفلسفة وعلم الإلهيات. ومن آراء الشيخ أحمد الأحسائي:

١. أن الإنسان مؤلف من ذرات، هي عينها ذرات الأفلاك التسعة المكونة من العناصر الأربعة: (النار، الماء، التراب، الهواء)، والموت عنده يعني فناء هذه العناصر، إلا أن الجزء الخفي في الإنسان (الهواء) هو الذي سيظهر يوم القيامة. وعلى هذا الأساس ينكر الأحسائي معراج الرسول صلى الله عليه وسلم بالجسد، بل بالروح فقط.

(١) د. ناصر بن عبدالله بن علي القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية- عرض ونقد، (ص ١١٤)، ط١، ١٩٩٣م جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) نعمة الله الجزائري: الأنوار النعمانية، (١/......).

٢. أن للأئمة قوة خارقة، مستندًا للآية الكريمة ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤، بمعنى أن الله ليس هو الخالق الأوحد، وهو في هذا قدساير ظاهر الأحاديث الواردة عندهم، خاصة ما رواه الغلاة التي منها رواية منسوبة للإمام علي: «أنا خالق السموات والأرض»، والأئمة هم السبب الأول في الوجود، فهم السبب الفاعل في الخلقة، وأنهم مظهر إرادة الله.

٣. العلم نوعان: ضروري ومخلوق؛ فالضروري لا علاقة له بالإمكانيات، والمخلوق يكون أبوابه الأئمة، ويرجعون في ذلك إلى حديث تتناقله كتب الشيعة عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها»[١].

ومن زعماء الشيخية البارزين السيد كاظم الرشتي (م ١٨٤٤م) نشأ في أردبيل، ورحل إلى يزد للدراسة على يد الشيخ الأحسائي فتأثر به، وقد أكثر التصانيف والشروح، وقد مرض في بغداد، وتوفي عن عمر خمسين سنة.

وقد ملَّ الشيخية هم الآخرون طول زمن ظهور الإمام الغائب، فتفتق ذهنهم الديني عن فكرة فلسفية، دفعتهم إلى الاعتقاد بالقول: إن الأئمة هم أبواب العلم كما نقلنا، فاعتقدوا أن زعيمهم الميرزا علي محمد الباب حقًّا هو قادر على الاتصال بالإمام الغائب، فلا حاجة لهذا الانتظار الطويل[٢].

وهكذا حلت فكرة الباب عندهم محل فكرة النيابة أو الوكالة التي أغلقها السفير الرابع كما ذكرنا.

وقد أوغلت البابية في التفاسير الباطنية، والتقت كثيرًا مع أفكار الشيعة الإسماعيلية في هذا الباب، ففسروا الجنة والنار والبعث والحساب على غير معناها الظاهر، ودعا

(١) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه (١١/٦٥ رقم١١٠٦١)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في أحاديث القصاص (ص٧٨): هذا ضعيف بل موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، لكن قد رواه الترمذي وغيره، ومع هذا فهو كذب. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٦/٥١٨-٥١٩ رقم٢٩٥٥): موضوع.

(٢) فتحي الزغبي: غلاة الشيعة، (ص ٢٦٠ -٦٢ -١٢٨-١٣٠).

البابية إلى أخوة البشر وتقارب الديانات، ولما كانت أفكار البابية تعد خروجًا عن تعاليم المذهب الشيعي الرسمي في إيران، فقد اضطهد البابية وزعيمهم الميرزا علي محمد سنة ١٨٥٠م، وهرب أتباع البابية إلى الخارج، فالتجأ بعضهم إلى أدرنة تحت حماية السلطان العثماني، فأظهر زعيم لهم يقال له بهاء الله (١٨١٧- ١٨٩٢م) عقيدة (الظهور الأتم)، حسبما تنبأ زعيمهم الأول الباب، وقد سموا هؤلاء بالبهائية.

وتنقل بهاء الله من بغداد إلى إسطنبول فأدرنة، حتى استقر به المقام في عكا، وفيها اقترب كثيرًا من الأفكار النصرانية الداعية إلى الأخوة الإنسانية. أما الذين ذهبوا إلى قبرص من البابية، فقد تزعمهم شخص آخر يسمى صبح أزل[(١)] [(٢)].

أثر الأخبارية والشيخية في إيران

سبق معالجة انقسام الشيعة الإمامية في العصور المتأخرة إلى أصولية وأخبارية وشيخية، ويعد الأصوليون هم أصل فرقة الشيعة الإمامية، وما الأخبارية أو الشيخية إلا ظواهر جديدة على التشيع الإمامي.

ويبدو أن هذا الانقسام له جذور قديمة، متعلقة بمدى الاعتماد وتوثيق الأخبار المروية في الأحاديث المنسوبة إلى الأئمة.

ففي الوقت الذي يتجه فيه الأخباريون إلى تصديق ما يروى في مطولات الحديث، خاصة تلك المتعلقة بأمور يصعب على العقل تصديقها، سواء تلك المتصلة خاصة بغيبة الإمام الثاني عشر أو غيرها من الأحاديث المتصلة بالأمور الفرعية التي ربما ليست من الدين بالضرورة، وفي الوقت نفسه فإن الأصوليين يعطون للعقل بعض الحكم على تلك المرويات، بحيث لا يصدقون كل ما يروى، بل يشددون على قبول ما في تلك الأخبار.

ولقد كان مذهب الأصوليين هو السائد فيما يبدو لدى الفقهاء، الذين يَرَوْن عدم جواز تقليد الميت، فكل عصر له مجتهد، والاجتهاد عندهم مفتوح لكل من توافرت فيه شروطه،

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، (١٨١/٣)، وما بعدها، القرطبي: تفسير، (٨٢/١)، الشهرستاني: الملل، (١٨٤/١).

(٢) أيان ريشار: الإسلام الشيعي، مصدر سابق.

ومنذ العهد الصفوي كان الاتجاه الأصولي هو السائد في الدولة الإيرانية، وفي هذه الحقبة تعرض التشيع ومبادئه وأخباره إلى نقد شديد من جانب مخالفي الشيعة، خاصة ذلك النقد المعزز بسلطان الدولة العثمانية، التي كان يهمها كثيرًا إضعاف خصومها السياسيين (الصفويين خاصة)، الذين ما فتئوا ينقضون على أطراف الدولة العثمانية مثل احتلالهم للعراق كلما وجدوا الفرصة مؤاتية لهم خاصة في أثناء انشغال الدولة العثمانية في حروبها مع أوروبا وروسيا.

وفي هذه الحقبة زاد التوجه نحو الأخباريين خاصة من قبل الحوزات الدينية في النجف، وهو اتجاه تعزز ربما بانسحاب الشيعة شيئًا ما من المسرح السياسي ضد الدولة العثمانية بعد انهيار الصفويين خاصة.

وفي إيران قام الشيخ محمد الباقر بهبهاني (ت ١٧٩٣م) بحملة عنيفة ضد الأخباريين، مما أدى لاضطهادهم في إيران على يد سلطان القاجار فتح علي شاه.

أما اليوم فيسود إيران مذهب الأصوليين، وأضحى الأخباريون قلة، ربما يوجد بعضهم في جنوب غربي إيران حول عبادان.

أما مذهب أو فرقة الشيخية المنسوبة إلى الشيخ أحمد الأحسائي الذي ولد في البحرين (ت ١٨٢٦م) وشب في الأحساء من أسرة عربية الأصل، فيبدو أنه اتجه في فهمه للتشيّع وأصوله اتجاهًا لا يخلو من الباطنية الصوفية، التي تبتعد عن الفهم الحرفي الظاهري للنص، وهو من المتأثرين بأفكار المُلا صدرا السابقة، فكان يؤمن بوجود عالم متوسط يقع بين العالم المادي والعالم الروحي.

وهو ينفي أن يكون البعث في الأجساد، كما نفى أن يكون معراج النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء بالجسد، كما سبق الإرشاد إلى ذلك أنه يرى أن الإمام الثاني عشر اختفى في العالم المتوسط فقط، بمعنى ليس بالضرورة تصديق عقيدة الإمام الثاني عشر غيبة مادية في جسده الحقيقي.

وينفي الشيخ أحمد الأحسائي ما يراه الأصوليون من تقسيم الشيعة إلى مقلدين ومجتهدين، بل إن لكل شيعي المقدرة على فهم إيمانه الداخلي دونما حاجة إلى أحد، أي بمعنى عدم ضرورة وجود مجتهدين (أصوليين) لهداية الناس إلى الحق، فالحق واضح في قلب المؤمن.

ولقد انتشرت الشيخية في كرمان، وتعزز وجودها في عهد الشيخ محمد خان الكرماني (ت١٨٧٠م)، وهو ابن الأمير القاجاري إبراهيم خان قاجار حاكم مدينة كرمان، وقد تأسست في كرمان المدرسة الإبراهيمية المنسوبة إليه، وهي تدرس التعاليم الشيخية الشيعية، وفيها تم طبع كثير من مصادر الشيخية بالعربية والفارسية[١].

وقد انتقد الشيخية أفكار الأصوليين من الشيعة المتعلقة بضرورة وجود نخبة من العلماء المجتهدين الذين تقع عليهم مسؤولية المطالبة، فقد عد الشيخية هذا من الانحراف عن مبادئ التشيع القديمة المؤسسة على كون السلطة هي للإمام الغائب وحده، وأن الشيعة في مدة الغيبة هم في مجرد انتظار لا يجب عليهم إقامة سلطة دنيوية، حيث إن في كل زمن يوجد إمام واحد يتكلم باسم الله وباسم محمد صلى الله عليه وسلم، وأسموا ذلك بـ (وحدة الناطق) وهذه الصفة لا تتحقق إلا (للشيعة الكاملين) زمن احتجاب الإمام، وهؤلاء الكاملون هم الشيخية، فهم نواب الإمام الغائب أو بابه.

رحل الشيخ أحمد الأحسائي إلى إيران زمن حكم فتح علي شاه القاجاري، وقد أكرمه وأغدق عليه من عطاياه، ذلك أن الشاه هذا كان في حاجة ماسة إلى أفكار هذا الشيخ؛ لمجابهة التيار الأصولي الشيعي في إيران، فأفكار الشيخ التي سبق إيرادها تدع للشاه مجالاً سياسيًّا أرحب بعيدًا عن تدخل المجتهدين الشيعة في السلطة؛ ولذا فقد اتسع مذهب الشيخية في إيران والعراق زمن حكم القاجار، لكن بعد ضعف الحكم القاجاري في إيران ضعفت الشيخية، وتطورت أفكارها إلى انحرافات على يد البابية والبهائية، وقد استمر الأصوليون من الشيعة في نقد الشيخية وأفكارها السالفة، لكنها بقيت في إيران

(١) أيان ريشار: الإسلام الشيعي، مصدر سابق.

ضعيفة الاتجاه، يعزز وجودها سلطة الدولة إلى الحد الذي تستفيد منهم الدولة في توجهاتها السياسية.

لكن بعد الثورة الإيرانية المعززة بالاتجاه الأصولي لا نرى للشيخية حضورًا فكريًّا وعقديًّا، وقد ذكر أن في كرمان رئيسهم الروحي سركار آغا أبو الرضا خان إبراهيم، الذي يصف نفسه بأنه كان مهندسًا زراعيًّا قبل أن يكون رجل دين، وهو كما يذكر لا يأخذ من جماعته الشيخية زكاة الخمس المعروفة بالمذهب الشيعي الأصولي، التي تقدم عادة للمجتهدين. ويصر الشيخية على وجوب أن يعيش العلماء من كسب أيديهم، هذا وقد اغتيل سركار آغا (سنة ١٩٧٩م)، فرحل خليفته السيد البصري من كرمان الى البصرة في العراق، حيث كان للشيخية وجود قديم في هذه المدينة[١] [٢] [٣].

تحالفات إيرانية

خلف طهماسب ابنه الشاه عباس الكبير (١٥٨٧- ١٦٢٩م) الذي انشغل بحرب أهلية ضد إخوانه المطالبين بالعرش، فانتهز العثمانيون الفرصة، واستولوا على تبريز وداغستان سنة (١٥٨٩-١٥٩٠م) فعقد صلحًا مع العثمانيين معاهدة فرهاد باشا سنة (١٥٩٠م) تنازل فيها الفرس عن تبريز وسيروان وعن جورجيا ولوستان، وألا يقوم بما من شأنه استفزاز عقيدة أهل السنة من شتم الصحابة خاصة، لكنه ما إن حس ضعفًا في الأتراك حتى استرجع تبريز ١٦٠٣م. واريفان وشيروان وقّاص ثم اتجه إلى العراق عند تمرد بكر صموباشي على السلطة العثمانية الضعيفة، ثم إلى البصرة التي كانت تحت حكم افراسياب ١٦٢٥م، ولكن الجيش الفارسي لم يدخلها وعاد إلى فارس، فقام السلطان العثماني مراد الرابع بحملة كبرى على فارس، انتهت بمعاهدة ١٦٣٩م لتحديد الحدود، ولكن حاول الصفويون إدخال النفوذ الأجنبي إلى الخليج العربي بدءًا بالنفوذ البرتغالي، ثم بالنفوذ الإنجليزي كيدًا وإضعافًا للعثمانيين، وعقدوا مع الإنجليز حلفًا لتسهيل التجارة والسفن البحرية، وعلى الرغم من اتجاه الشاه عباس الكبير إلى التسامح مع الأوروبيين

(١) أيان ريشار: الإسلام الشيعي، مصدر سابق.

(٢) د. ناصر بن عبدالله بن علي القفاري: مصدر سابق، (ص ١١٦).

(٣) يبدو أن الشيخية لم يقتنعوا بشكل جازم كبقية الإمامية باختفاء الإمام الثاني عشر على التفصيل.

النصارى، إلا أنه أظهر تعصبًا للمذهب الشيعي؛ فشجع الزيارة إلى مشهد بدل النجف وكربلاء، مستخدمًا العلماء الشيعة في تركيز التعاليم المهيبة، وكان يذهب بنفسه ماشيًا إلى زيارة قبر الإمام الرضا في مشهد بهدف اقتصادي، وقد رأينا بعض علماء الشيعة في عهده يسجلون أحاديث ينسبونها للأئمة، أو ربما وجدوا بعضها في كتب الأقدمين، تفيد أن زيارة قبر الإمام الرضا في مشهد تعادل حجة إلى مكة المكرمة، ومن أشهر علماء الشيعة في عهد عباس الكبير المحقق الأردبلي أحمد بن محمد المشهور بشفاعته للناس عند الشاه، وبما يَرَوْن من زهده وورعه، فكونت حوله قصص كرامات الأولياء، تقول واحدة فيها: إنه أدلى بدلوه في بئر النجف، فإذا بالدلو مليء بالذهب، فرده إلى البئر، وقال: يارب إن أحمد يريد ماء لا ذهبًا. وقد توفي سنة ١٥٨٥م.

ومنهم أيضًا محمد باقر الداماد، وأشهر كتبه (الصراط المستقيم) وأكثر تصانيفه في الفلسفة والتصوف، وقد توفي سنة ١٦٣١م، ومنهم أيضًا الشيخ محمد بهاء الدين العاملي صاحب كتاب (الجامع العباسي) في الفقه، وقد توفي سنة ١٦٢٢م في مشهد، ومن المشهورين أيضًا محمد مرتضى الماشي المشهور في المصادر الشيعية بالفيض الكاشاني؛ لأنه كثير التصانيف (ت ١٦٨٠م) ومير أبو القاسم الفندرسكي (١٦٤٠م) ومحمد تقي المجلسي (١٦٥٩م) وآخرهم محمد باقر المجلسي (١٦٩٩م) (١١١١هـ) له كتاب (بحار الأنوار) بالعربية، الذي جمع فيه تراث الشيعة الديني من شتات كتبهم القديمة خاصة، وترجم بعض الكتب إلى الفارسية، وله كتاب (حق اليقين) في الإمامة والغيبة، الذي قيل عنه: إنه كان سببًا لدخول سبعين ألف سني إيراني إلى التشيع، وفي كتابه (البحار) يتضح منحى المؤلف المتعصب ضد السنة، والمجاري للتشيّع الغالي، تحقيقًا لهدف الصفويين السياسيين ضد العثمانيين، وقد قام نادر شاه الصفوي (١٧٣٦م) في عهد السلطان العثماني محمود الأول (١٧٣٠م) بغزو العراق بجيش كبير، أغلبه من الفرس وفيه من الأفغان والتركستان، وقد وصف السيد عبدالله بن الحسين السويدي (١١٠٤هـ - ١١٧٤هـ) هذا الغزو في رسالة (مؤتمر النجف) فحاصر بغداد والبصرة ستة أشهر، ثم توجه إلى الشمال، وحاصر الموصل وأربيل، ثم رجع إلى بغداد وعسكر (بالكاظمية) حول قبر الجوادين (موسى ومحمد). وحصلت بينه وبين والي بغداد (أحمد باشا) مراسلة أقر فيها بصحة مذهب الشيعة، وأنه مذهب الإمام الصادق، ثم توجه إلى النجف.

ولغرض سياسي أراد الشاه نادر أن يقرب مذهبًا بين السنه والشيعة مدعيًا أن بين جيشه كثيرًا من السنة، ولا يحبذ اختلافهم، فعمد إلى عقد مؤتمر لعلماء السنة والشيعة، ليتناظروا فيه، ويقر ما هو صحيح، وقد مثل إيران سبعون عالمًا دون السويدي، منهم عشرون عالمًا في كتابه، كما حضره من الأفغان (عدة أصناف)، فكتب سبعة من علمائهم وعلماء ما وراء النهر دون سبعة من أسمائهم أيضًا، وكان نادر شاه قد طلب من أحمد باشا إرسال عالم ليحضر المؤتمر، ويكون حكمًا فأرسل والي بغداد العلامة السويدي لهذا الغرض، وفي الجدال أقر علماء الشيعة رفع السب عن الشيخين والصحابة، وأن المتعة حرام لا يفعلها إلا السفهاء، وألا يُنكَر معلوم من الدين بالضرورة، وانتهى المجلس بالمصافحة والرضا من الجميع، ثم كتب رقعة بما اتفق عليه الجميع، وختمت من قبل العلماء الحاضرين وشهود من علماء الكوفة، وفي يوم الجمعة تولى الخطبة عالم الشيعة الذي قرر ما اتفق عليه في المؤتمر وما تم تدوينه في الرقعة الطويلة وامتدح السلطان العثماني، ودعا له ثم مدح الشاه نادر بأقل من ذلك حسب وصية الشاه، وكان هذا المؤتمر في ٢٦ شوال ١١٥٦هـ[١].

---

(١) عبدالله السويدي: انظر تفاصيل ما دار في المؤتمر (مؤتمر النجف)، القاهرة ١٣٩٣هـ.

الفصل الثامن

صلة الصوفية بالشيعة الإمامية

مقدمة

إن الباحث في الفكر الصوفي والفكر الشيعي والإمامي يواجه السؤال الملح، وهو: أي من الفكرين أثر بالآخر، فهل التشيع أخذ من التصوف واستعار منه الأفكار، أم أن الصوفية على اختلاف مدارسها هي التي أخذت من الفكر الشيعي، واستعارت أفكارها ونظرياتها؟

والتفكير العميق يسوق الباحث إلى الرجوع إلى مصادر أفكار تلك الفرقتين، والذي عليه أكثر الباحثين: أن التصوف قد تأثر بأفكار الديانات القديمة: كفكرة وحدة الوجود والتناسخ، وكذا أخذ عن الديانة الفارسية، وخاصة الزرادشتية: فكرة النور والظلمة.

كما تأثر الفكر الصوفي بالديانة اليهودية في كثير من مقولاتها المتعلقة بالصفات الإلهية وفكرة التفويض، بمعنى أن الله يفوض لبعض الأولياء بعض قدراته سبحانه، وذلك على درجات من الغلو تصل إلى درجة التفويض لتدبير الكون، وكذلك أخذ الفكر الصوفي واستعار كثيرًا من الأفكار الموجودة في الديانة النصرانية، وخاصة تلك المتعلقة بوحدة الوجود وبطبيعة المسيح، الذي أضفى عليه بعض صفات الألوهية، وكذلك وقع الفكر الصوفي تحت مؤثرات الفلسفة اليونانية، خاصة الفكر الأرسطي.

وهذه أفكار كانت موجودة قبل الإسلام، وإذا رجعنا إلى الفكر الشيعي الإمامي نجده هو الآخر قد وقع تحت تأثيرات الفكر الهندي والفارسي (المجوسي واليهودي والنصراني) وكذلك الفكر الفلسفي اليوناني؛ فكلا المدرستين الصوفية والشيعة الإمامية قد شربا من منبع واحد، ووقعا تحت مؤثرات واحدة، ولكن الفرق بينهما قد يظهر في أسلوب إخراج الأفكار بما يتلاءم مع المنهج العام لكلٍّ منهما.

قد يبدو لبعض الباحثين أن الشيعة الإمامية هم الذين استعاروا بداية من الفكر الصوفي، وقد يؤيد هذا أن أوائل الشيعة كانوا ينكرون القول بمقولات الصوفية وينفونها عن أئمتهم، وهذه المدة اتسمت بتأثر الشيعة عمومًا بأفكار المعتزلة، ولم ينفتح الشيعة الإمامية في فكرهم ومؤلفاتهم على الفكر الصوفي، إلا بعد القرن الثالث الهجري.

ونحن في معرض الصِّلة بين التصوف والتشيع إنما نتوجه في بحثنا إلى الفرق الصوفية الغالية المنحرفة عن جادة الشريعة مثلها مثل الشيعة الغلاة، حيث إن غلاة الطرفين قد شربوا من منبع أجنبي واحد، سنستعرضه في بحثنا هذا.

إن بعض الصوفية الملتزمة بقواعد الشريعة والمقتصرة في منهجها على الزهد والرياضة النفسية في تحمل المشاق، التي تركز في تعاليمها على السمو الأخلاقي، واتصاف المسلم بحميد الصفات، فهو مسلك لا شائبة فيه، وهو خارج عن دائرة هذا البحث، فللكثير من الصوفية محامد ومواقف طيبة في التاريخ الفكري والسياسي، كذلك في الحفاظ على الثغور وحدود الدولة الإسلامية، حيث كان المرابطون يمارسون فريضة الجهاد في سبيل الله ومن الآية الكريمة ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ الأنفال: ٦٠، نشأت الأربطة، بل وسميت دولة بكاملها في المغرب بدولة المرابطين، وكذلك فعلت دولة الأغالبة، وقد اهتمت كثيرًا بإنشاء الأربطة على الساحل الإفريقي.

كما أن لبعض الصوفية محامد في انتشار الإسلام خاصة في إفريقيا، بل كان لبعض الحركات الصوفية جولات ضد الاستعمار الأجنبي، ومن أمثلة ذلك ثورة عمر المختار والثورة السنوسية، فقد كانت في الأصل مرتكزة على جهاد الأجنبي ومقاتلته، وكذلك الحركة المهدية في السودان التي هزمت الإنجليز، وكذلك ثورة عبدالقادر الجزائري على الفرنسيين.

وقد يبدو أن نشأة الصوفية في التاريخ الإسلامي أسبق من نشأة التشيع، ومن المحتمل أنهما نشأا في وقت متقارب وتحت ظل ظروف متشابهة، وعلى كل حال فمن الواضح أن الطرق الصوفية عمومًا والبكتاشية خاصة كانت الجسر الذي عبرت منه عناصر الديانات القديمة إلى التشيع، كما سنرى في هذا البحث.

صلة الصوفية بالشيعة الإمامية

إن أوائل شيوخ الشيعة الإمامية ينكرون صلتهم بالتصوف، ومن هؤلاء الشيخ محمد بن النعمان الشهير بالمفيد، فقد ذكر أن أصحاب التصوف من أتباع الإباحة والقول بالحلول أنهم ملاحدة وزنادقة، ويدّعون للحلاج أباطيل، ويجرون في ذلك مجرى المجوس في ادعاء المعجزات، ومجرى النصارى في دعوى رهبانها تأويل النصوص البينات[1]، ويقال: إن الشيخ المفيد كتب رسالة في الرد على الحلاج ولكنها تعد مفقودة.

ومن الشيعة الإمامية الذين ردوا أقوال الصوفية، ورفضوا علاقتهم بها الشيخ الشهير بالمقدس الأردبلي (ت ٩٣٣هـ) في كتابه حديقة الشيعة، وأنكر غالبية أفكار الصوفية، خاصة فكرة وحدة الوجود وفكرة الحلول، ووصفهم بالكفر والزندقة.

كما أن الشيخ الحر العاملي كتب في الرد على الصوفية كتابًا مفصلًا، جمع فيه الكثير من الأحاديث الواردة عند الشيعة الإمامية في ذم الصوفية ورفضها، وقال فيه: إن الشيعة الإمامية والأئمة الاثني عشر مجمعون على ذم الصوفية، وليس من بينهم من كان صوفيًّا.

وبعد انتشار التصوف في إيران في عهد السلاجقة وأوائل عهد الصفويين نرى أن الشيخ محمد باقر المجلسي القادم إلى إيران من لبنان قد أغلظ القول ضد الصوفية في كتبه، التي جمعها في العهد الصفوي، وذلك أواخر القرن العاشر الهجري، وأفكاره هذه نرى بعضها مبثوثة في كتابه الطويل (بحار الأنوار)، وقيل: إنه هو الذي تسبب بطرد الصوفية من أصفهان، كما هاجم الشيخ يوسف البحراني بعض شيوخ الإمامية، الذين مالوا وأخذوا من أفكار الصوفية: كالملا صدرا والكاشاني، ومن المعاصرين الذين هاجموا منهج الصوفية وأفكارها الغالية، الشيخ محمد جواد مغنية، وفي إيران هاجم الشيخ المرعشي الصوفية، وقال: إن التصوف انتقل إلى مشايخ السنة، من أمثال الحسن البصري والزهري وطاوس والجنيد والشبلي ومعروف الكرخي، انتقل التصوف لبعض شيوخ الإمامية بسبب هؤلاء في رأيه.

---

(١) الشيخ المفيد: في الرد على الصوفية، وكتابنا مؤلفات الشيخ المفيد، ضمن تحقيق النكت في مقدمات الأصول، المنشور في مجلة كلية الآداب جامعة البصرة، سنة ١٩٧٨م.

ومجتهدو الشيعة الإمامية في العصر الحديث أكثرهم منكرين منهج الطرق الصوفية ونظريتها، وقال بعضهم بالتفريق بين تلك الأفكار الشاذة في الحلول والكشف وبين سلوك طريق الزهد والعرفان، وهو الطريق المقبول عند الأئمة في نظرهم، وهاجم محمد معروف الحسيني الدكتور الشيبي الذي كتب كتابه (الصِّلة بين التصوف والتشيع) وعارضه مخالفًا له فيما ذكره عن تأثر شيوخ الشيعة الإمامية بالفكر الصوفي.

وسلكت الباحثة أنعام قدوم مسلك الدكتور الشيبي بالقول: إن الصِّلة بين التشيع والتصوف صلة حقيقية موثقة بمسلك وكتب كثير من شيوخ الشيعة الإمامية، وذلك في كتابها (التشيع والتصوف لقاء أم اقتراب؟).

هل التصوف أخذ من التشيع أم العكس؟

يرى بعض الباحثين أن الصوفية هي التي أخذت من التشيع، خاصة فكرة الولاية، التي تركزت عند الشيعة في شخصية الإمام علي، الذي يعد المحور الأول في بناء المدارس الصوفية وإليه يرجعون، ومن هؤلاء ما نقله الحاج معصوم علي عن محمد بن أبي جمهور الأحسائي في المجلى: أن كميل بن زياد النخعي والحسن البصري وأويس القرني أخذوا (التصوف) عن علي رضي الله عنه، وأن شقيق البلخي أخذ (التصوف) عن الإمام الكاظم، وأن الشيخ أبا يزيد البسطامي أخذ عن جعفر الصادق، وأن الشيخ معروف الكرخي أخذ عن الإمام الرضى، وكذا فعل الشيخ السري، وأن الشيخ الجنيد أخذ عن السري[1].

التأويل الباطني

القرآن والوحي في نظر بعض رجال الدين من شيعة إيران المتأخرين يفهم على نحو تأويل المعاني، فعند نظر ملا صدرا الشيرازي أنه يتكون من شقين: الشق الأول هو كلمة الله سبحانه وتعالى التي نزلت، والمنتمين إلى عالم الأمر غير المكتوب ومكانها القلوب المؤمنة، ولا يبصرها إلا الذين أتاهم الله المعرفة، ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ العنكبوت: ٤٩، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣، أما الشق الثاني فهو

(١) مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، ط ١، (ص٣٧٥)، ١٩٦٣م، دار الأندلس، بغداد.

الكتاب المخلوق المنتمي إلى عالم الخلق، ومكانه اللوح المحفوظ، وما كتب عليه، وكل إنسان قادر عادة على إبصاره والنظر فيه، وهو كلام الله ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة: ٧٩، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨، ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ البروج: ٢١ ـ ٢٢.

أما بالنسبة إلى معاني القرآن الكريم، فهي عند أرشيف كاظم الرشتي معانٍ مرموزة من الحبيب إلى حبيب، وأن ما من أحد غيرهما يعرف المعنى الحقيقي لقصده سبحانه[١].

ويستتبع ذلك أن الوحي الإلهي يهدف إلى مستور باطني، (ما يدركه بعضه بالاستبصار والإيحاء والتأمل)، وهو مصدر النبوة والإمامة، حيث الإمام هو المالك لسر الوحي المحمدي المعبر عن الحقيقة المحمدية، التي هي مجمع الأئمة المعصومين الأربعة عشر[٢]، فهم موضع تجلي الحقيقة المحمدية المالكة لسر الوحي الظاهر والباطن معًا، فالعرض مثلاً في آية الكرسي، رمز لنشأة الكون المتعلق في الفلسفة الإشراقية بالعقل والروح والنفس والطبيعة.

والحقيقة المحمدية يرمز لها بالنور، المتمثل في ظهور العقل النبوي النازل بسلسلة الأكوان السبعة المتدرجة للعالم المادي وفعل الحقيقة المحمدية هو مبدأ جميع العقول، الذي يفيض بالأمر الإلهي، وهو مبدأ جميع الأرواح، وتتدرج مراتب الأكوان بدأ بعالم الأسرار (العالم الإلهي) أي عالم الأمر الفعلي، ثم يعده عالم الأنوار أو عالم العقول المحصنة، ثم عالم الأرواح وبعده يأتي عالم الأنفس، وأخيرًا عالم الأجسام المادية، التي هي أدنى المراتب.

وعند السيد كاظم الرشتي تقع تعاليم الأئمة كباعث للعرش وأنواره الأربعة، المتمثّلة للحقيقة المحمدية، وهي عبارة عن أربعة رؤساء من الأئمة لم يلزموا بالسجود لآدم؛ لأنهم هم الأنوار التي سجدت لها الملائكة[٣].

---

(١) وردت في تغيره آية الكرسي.

(٢) الأربعة عشر المعصومون هم محمد صلى الله عليه وسلم وفاطمة وبقية الإثني عشر إمامًا.

(٣) يرى هنري كورين بذلك اقترابًا من العرفان الإسماعيلي المتأثر ببعض الفلسفات اليهودية الخاصة، الأنوار الرمزية

ويقترب الشيخ أحمد الأحسائي من هذا التصور؛ فالوجود الأول عنده يتمثل في الأمر الإلهي، وهو نفسه الكتلة الأولية لنور الأنوار، المنبعث على شكل أربع عشرة شعلة تشكل جوهرًا متفردًا ذاتيًا، وهو النور الذي خلق منه الأنبياء والأئمة من نفس إشعاعهم خلف روح المؤمنين، ويعزز ذلك بما نسبه للإمام علي من قوله بأنه من نور محمد صلى الله عليه وسلم، فإذن فالحسن من نور علي، وهكذا الأئمة جميعًا.

وخلال تلك العوالم التي أشرنا إليها أعلاه يتم تباعًا من خلالها تنزيل العقل النبوي بتجليات متتابعة، فبدأ بعالم الأسرار مصدر الفعل والأمر (كن فيكون) حيث العقل الأول الأمر بالحقيقة المحمدية، ومن العقل الأول صدرت المعرفة من الله إلى خلقه الممتزجة بروحه الأمرة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ الشورى: ٥٢، والقرآن عند آخر عبارة تلميح سري رمز (كتاب مرقوم) بين المحب والمحبوب، ولا أحد غيرهما يعرف الحقيقة من قصده، كما أن الأمر أكثر إبهامًا عند الآخرين، فقد وصفه بأنه «سر مغلف إلى الأبد بسر؛ فالوحي النبوي له باطن وظاهر، فالباطن هو باطن الحقيقة المحمدية الأولية، وهو مجمع الاثني عشر إمامًا، وهم مكان الرسالة النبوية، وأما الظاهر فإدراكه بالمعرفة، التي تفهمها كائنات عالم الأنفس، وهو مجرد معرفة القشرة الخارجية.

والظاهر والباطن نسبي في المعرفة حسب عالم الأكوان، فما تعد معرفته باطنًا في عالم من العوالم هو ظاهر في عالم أعلى منه درجة، أما معرفة الباطن المطلق فهو من اختصاص الأئمة الأربعة عشر وحدهم؛ فالقرآن على هذا باطنه وظاهره نزل من عالم الأسرار المحصنة، مرورًا بالعوالم المذكورة، إلى أن وصل إلى العالم الدنيوي وهو العالم المحسوس، ودورة النبوة قد بدأت بآدم ثم انتقلت من نبي إلى آخر، حتى وصلت إلى التجلي الكامل للنور المحمدي، حيث انتهت النبوة بخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن بدأت بعدها مباشرة (دورة الولاية)، أو دورة الإمامة المبتدئة بالإمام علي والمنتهية

الأربعة المتمثّلة في الملائكة الأربعة العليا، وهم إسرائيل وجبرائيل وعزرائيل وميكائيل. كتاب: في الإسلام الإيراني، ترجمة د قرقوط. حاشية رمز ١٦٣، وارجع أيضًا لما ذكرناه عن ادعاء اختلاف خلق طينة الشيعة عن الآخرين.

بالثاني عشر؛ فالقرآن في هذه الحقبة يكون هو الإمام الصامت والإمام (الشخص) هو القرآن المتكلم، وما حقيقة الكتب المنزلة على الأنبياء جميعًا إلا نسخ من القرآن.

والأئمة هم الأعرف بالمعنى الباطني للقرآن، وكونهم في تلك المرتبة العليا الموصوفة آنفًا، فيكون المعنى الباطن بالنسبة لنا هو نفسه المعنى الظاهر بالنسبة للأئمة المعصومين، وهذا يفسر عندهم ما نقل عن الأئمة قوله: «إن أمرنا صعب مستصعب..»[١]؛ ومن هذا المنطلق اتسع التأويل الباطني للقرآن الكريم لدى علماء شيعة إيران، وهذا منهج قد سبقهم فيه مفسرو العهد القديم من الرهبان عند اليهود، ومفسرو العهد الجديد من رجال الدين النصراني، وانتقل هذا المنهج أيضًا إلى كثير من علماء المسلمين ذوي الميول الصوفية خاصة والإسماعيلية من الشيعة.

وتأثر بعض الشيعة بنظرية وحدة الوجود والإنسان الكامل والنور المحمدي، ويعد ابن عربي من أوائل من أوضح نظرية تفرع الكلام عن نظرية الإنسان الكامل والنور المحمدي، فيذهب ابن عربي إلى أن الوجود جمع الممكن منه والواجب ما هو إلا حقيقة واحدة ليس فيها ثنائية ولا تعدد بالرغم من مخالفة حواسنا لذلك، فالخلق والخالق في رأيه يعبران عن حقيقة واحدة. والكثرة التي تشهدها الحواس ما هي إلا تعدد الصور ومجالاتها (الصفات)، وهي أوهام يخترعها العقل. وحيث إنه ليس في الوجود إلا الله، فيكون الله سبحانه وتعالى حق في ذاته، وخلق من حيث صفاته، وهذه الصفات هي نفسها عين الذات، وهذا ينتج عنه فكرة وحدة الوجود التي لا تدرك إلا بالتجلي للصوفي الفرد، حيث يعجز الحس والعقل عن الإدراك، وعن طريق الاتصال بالله وحده، يدرك الصوفي أن لا وجود حقيقي للأشياء، بل الوجود كله لله[٢].

ومن أوائل من أشار إلى فكرة الإنسان الكامل أبو منصور الحلاج (٣٠٩هـ - ٩٢٢م)، حيث ادعى الحلول والاتحاد، وتتلخص فكرته في أن الله سبحانه وتعالى «خلق آدم على صورته»؛ ففي آدم صورة إلهية، وهذا يعني عنده أن لابن آدم طبيعتين: إحداهما لاهوتية، والأخرى ناسوتية، ممتزجتان امتزاج الروح بالجسد، وهذا انزلاق في تأليه الإنسان،

(١) راجع ما سبق ذكره عن الحديث عند الشيعة وتأويل كلام الأئمة.

(٢) عرفان عبدالحميد: نشأة الفلسفة الصوفية وتصورها، (ص ٢٣٥).

سبقت النصرانية هؤلاء في الاحتجاج بأن عيسى عليه السلام ابن الله بصفته الإلهية، بالرغم مما يظهر لنا ناسوته (جسده).

ولقد أخذ ابن عربي فكرة الحلاج السالفة مع تعديل بسيط؛ لتتسق مع فكرة وحدة الوجود، ذلك أنه نادى باتحاد الطبيعة اللاهوتية للإنسان والطبيعة الناسوتية، بل إن هذه الوحدة متسقة ليس في الإنسان فقط، وإنما في جميع الموجودات والكون كله، والإنسان أفضل من جميع الموجودات، وبهذا أظهر ما أسماه بالإنسان الكامل (آدم)، والكمال هذا لا يصدق إلا على مرتبة الأنبياء والأولياء، وأكملهم وأتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن المقصود بمحمد هنا ليس فقط محمد المبعوث بناسوته، بل هو الحقيقة المحمدية، الذي هو المظهر الكامل للذات الإلهية[١].

والواقع أن فكرة النور المحمدي سبق أن ظهرت في الاعتقاد عند قدماء الشيعة من القرن الثاني الهجري الذين نسبوا إلى الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ) قولاً للإمام علي عليه السلام بأن محمدًا أو أنه هو ومحمد خلقا من نور الله الأزلي، وأن الأشياء كلها خلقت من أجله، وأن الهداية فيه، والنور له، والإمامة لا تكون إلا في آل علي، وقد أشهد الله الخلائق على ذلك منذ الأزل، فلما خلق آدم جعله مستودع هذا النور، حيث انتقل إلى الأنبياء، ومنهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ثم انتقل إلى الأئمة الأربعة عشر، فهم أنوار السماء والأرض، فيهم النجاة، وهم مكنون العلم، وإليهم مصير الأمور[٢].

وقد ذهب الحلاج إلى أن لمحمد صلى الله عليه وسلم حقيقتين: نورًا أزليًّا قديمًا، وجد قبل أن توجد الأكوان، وهو مصدر المعارف والعلوم. والثانية: كونه نبيًّا مرسلاً، ظهر في زمان ومكان معين معروف، فعلم الرسول صلى الله عليه وسلم استمده من ذلك النور الأزلي مثل بقية الأنبياء[٣].

---

(١) ابن عربي: الفتوحات المكية، (٩٧/٢).

(٢) المسعودي: مروج الذهب، (٣٢/١- ٣٣).

(٣) أبو منصور الحلاج: كتاب الطواسين، (ص١١)، ط ١٩١٣م. ابن عربي: الفتوحات المكية، (٤٣١/٤).

وأخذ ابن عربي الفكرة السابقة، وطورها بما أسماه النور المحمدي، ومفادها أن الله سبحانه لما خلق آدم من قبضة التراب مسح ظهره، فاستخرج من كان من أصحاب اليمين، ومن كان من أصحاب الشمال، ثم اعتصر من شجرة (كن) صفوة ما فيها، ثم ألقى عليها من نور هدايته، ثم غمسها في بحر الرحمة، ثم خلق منها نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم زين بهذا النور الملأ الأعلى، فكان هذا النور أصل كل نور.

ثم شاعت فكرة النور المحمدي، وزيد فيها تفصيلات وانتقلت إلى بعض تفاسير القرآن الكريم، فقد قال بها أبو محمد سهل بن عبدالله التستري حينما فسر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الأعراف: ١٧٢، فقال: إن الذرية ثلاث: الأول محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله سبحانه لما أراد أن يخلق محمدًا صلى الله عليه وسلم أظهر من نوره نورًا، فلما بلغ حجاب العظمة سجد لله سجدة، فخلق الله من سجدته عمودًا عظيمًا، كالزجاج من النور باطنه وظاهره فيه عين محمد صلى الله عليه وسلم، قبل أن يخلق الله آدم، قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: ٣٠، فخلق آدم من طينة العزة من نور محمد صلى الله عليه وسلم[١].

وقد شاعت فكرة النور المحمدي عند المذاهب الصوفية على شتى طرقهم وتأويلاتهم، وما سبق مقدمة لصلة الشيعة الإمامية بالتصوف، والتقاء الطرفين بموضوع التأويل الباطني، وسنفصل هذا الموضوع المهم فيما بعد.

الطرق الصوفية التي تأثرت بها الشيعة الإمامية

إن أهم الطرق الصوفية التي تأثر بها الفكر الشيعي الإمامي:

١. الطريقة الرفاعية

المنسوبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي الفقيه الشافعي الأشعري الصوفي (٥١٢ - ٥٧٨هـ)، المولود في قرية حسن بالبطائح (والبطائح هي عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط

(١) أبو محمد سهل بن عبدالله التستري: تفسير القرآن العظيم، (ص ١٤).

والبصرة)، وتعتقد هذه الطريقة بأن شيخها يمتلك بعض صفات الربوبية، التي منحه الله إياها: كتصريف الكون، وعلم الغيب، وإحياء الموتى، وامتلاك الجنة والنار، وبسبب انتساب شيخ الطائفة هذا إلى الإمام موسى الكاظم، وهو أحد أئمة الشيعة الإمامية، وإضافةً إلى ذلك فقد ادعى بعض الرفاعية أن شيخهم هو الإمام الثالث عشر، ويهتم الرفاعية أيضًا بكتاب الجفر الذي ينسبه الشيعة الإمامية إلى الإمام جعفر الصادق، ويدعي أن في الكتاب علومًا غيبية، ولا يعلم الباحثون إلى اليوم أين هذا الكتاب أو حقيقته، بالرغم من أن كثيرًا من الدعاوى تدور حوله، ويلتقي الرفاعية بالشيعة الإمامية بفكرة ظهور الإمام الثاني عشر المدعى به، كما يلتقون بما يسمى عندهم بالخلوة المحرمية، والتي يخلون في شهر محرم من كل سنة، فلا يقربون النساء، ولا يأكلون فيها إلا الطعام النباتي، وتنتشر الرفاعية في كثير من البلاد العربية والإسلامية.

٢. الطريقة البكتاشية

وهي المنسوبة إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراساني النيسابوري المولود في نيسابور سنة ٦٤٦هـ، ويدعي هذا الشيخ انتسابه إلى الأئمة الاثني عشر عن طريق جده إبراهيم بن موسى الكاظم.

ورحل الشيخ إلى بلاد الأناضول، وفيها كون له مريدين، والتقى بالسلطان العثماني أورخان ثاني سلاطين آل عثمان، وبارك الشيخ جيش السلطان، وتوفي في مدينة قيرشهر سنة ٧٣٨هـ، وتعتقد البكتاشية بفكرة وحدة الوجود، وأن الله قد حل في جميع الموجودات، وتأثروا باحتفالهم بالعشاء الرباني المعروف بالنصرانية، ومن خصائصهم لبسهم العمامة من اثنتي عشرة خصلة، ترمز إما إلى الاثني عشر إمامًا أو إلى الخصال الاثني عشر التي يجب توافرها فيمن أراد اتباع هذه الطريقة.

ويركز البكتاشية في أدعيتهم بالدعاء إلى الأئمة الاثني عشر، ولا يترضى البكتاشية عن الصحابة، وتنتشر البكتاشية خاصة في تركيا في بلاد الأناضول، ويميلون للتصويت في الانتخابات إلى حزب الوحدة العلماني، الذي يناصره شيعة تركيا على اختلاف مذاهبهم، وهذا دليل كبير على التقاء التشيع بالتصوف.

علاقة الطريقة البكتاشية الصوفية بالتشيع الصفوي

مقدمة عن السلاجقة وانتشار التصوف في بلاد الأناضول وإيران

من المعلوم أن السلاجقة قد جاؤوا من بلاد التتار (غرغيزستان) إلى الأناضول، وتركز أمرهم في أول الأمر في قونية في بداية القرن الثامن الهجري، وكان السلاجقة قبل إسلامهم يعبدون قبور الأجداد، فكانوا يقيمون على تلك الأضرحة القبب، ويعمدون إلى تزيينها، والمبالغة في تحسين بنائها، ولما دخلوا الإسلام استمرت عندهم عادة بناء القبب على أضرحة الأولياء، وتبنوا في طريقة إسلامهم وطقوسهم الدينية المبادئ والأفكار الصوفية، التي تشكلت في بلاد الإسلام منذ انتشار الصوفية، وتأثرها بالمبادئ النصرانية والديانات الهندية القديمة، وخاصة فكرة وحدة الوجود، التي بنيت عليها فكرة الحلول القائلة: إن الله يحل في كل شيء- تعالى الله عن ذلك- وعلى يد ألب أرسلان السلجوقي الذي دخل قونية، وهو رابع حكام السلاجقة، واستقر له الحال بعد حروبه ضد الروم إلى السيطرة على بلاد الأناضول، وغزو المناطق النصرانية على البحر الأسود، ودخلوا مع المغول فيما بعد في صراع سياسي، والذي يهمنا في هذه المدة هو انتشار التصوف في بلاد تركيا والأناضول، وانتقاله فيما بعد إلى إيران.

وفي هذه المدة كان دخول الأتراك إلى الإسلام على يد الصوفية وعلى يد الشيخ الصوفي حاجي بكتاشي ولي (ت ٧١٦هـ) كون هذا الشيخ مزيجًا من الأفكار الصوفية والشيعية والنصرانية؛ لتغذية مريديه في زاويته المعروفة وهذا أول التقاء في هذه المنطقة بين التصوف والتشيع، فسادت بعد ذلك في بلاد الأناضول ما يسمى بالطريقة الصوفية البكتاشية، وكان من بعض نتائج هذه الحركة ظهور أورخان بيك ابن عثمان أرطغل واستيلاؤه على مدينة بورصة، ثم اتسع نفوذه وأصبح المؤسس الأول للدولة العثمانية، وكان عام ٧١١هـ، وقد كان مريدو البكتاشية من طلائع الجيش العثماني الأول.

ومن المعلوم أن شيخ البكتاشية بدر الدين قد درس العلوم الإلهية في بورصة ثم الشام ثم مصر، واستقر به الحال في مدينة الإسكندريون بين جماعة سموا بأهل الحق، وهم شيعة متطرفون يعتقدون بألوهية الإمام علي، وبدأ الشيخ بدر الدين وأتباعه في نشر دعوة الشيعة الغالية في العديد من المدن التركية والإيرانية، خاصة في تبريز، ولكن بعد اكتشاف

أمره أبعده السلطان العثماني، ونفي إلى مدينة أزنيك في غرب الأناضول، وقد كتب في منفاه كتابه الشهير (الواردات) وهو مزيج من أفكار صوفية ابن عربي وغلاة الشيعة، خاصة ما تعلق معها بالكرامات، التي انتشرت في النصرانية في هذه المنطقة، وتأثر بهذا الكتاب بعض تلامذته منهم (طورلاق كمال) و (نور كليجة مصطفى)، ومن أفكار الشيخ بدر الدين هو الغلو في محبة الإمام علي والاعتقاد بألوهيته، وأن المؤمن بهذا لا يحتاج إلى صلاة ولا إلى صيام، بل إن هذه العقيدة تطهره من اقترافه لجميع المحرمات والعياذ بالله. وهذا التقاء صريح وواضح بين التصوف والتشيع.

من أفكار الشيخ بدر الدين المنتسب إلى البكتاشية

يعتقد أن شيخ الطريقة الصوفية قد حل به الله، وأن ذاته معصومة وواجبة الوجود وواجبة الطاعة، وتدور جميع الكائنات في مدار طاعته، وأن له الولاية المطلقة على البشرية، وأسقط عن أتباعه الواجبات الشرعية: كالصلاة والصيام وما إليها على زعم أن من يحل به الخالق إنما يصل إلى واجب الوجود، فلا يحتاج إلى صلاة ولا صيام، واستحل هو ومريدوه المحرمات ما جلب إليه خلقًا كثيرًا، لا يلزمهم إلا بطاعته العمياء، وهذه الحركة الصوفية المنحرفة، قد تأثر بها الصوفية في إيران، فأصيب أتباع المذهب بالخذلان، واستخدموا فكرة التقية لإخفاء مذهبهم خاصة في بلاد الأناضول وبين الأصول التتارية. وهذا المبدأ معروف قديمًا عند الشيعة، جرى استخدامه من قبل هؤلاء المتصوفة، فلا يظهرون عقيدة تأليه شيخ الطائفة[1].

وكان كثير من النصارى الروم قد دخلوا الإسلام وخاصة منهم أتراك في الأناضول ومربّين وأنطاكية والإسكندريون، فكانت عقيدتهم قد دفعتهم إلى تأليه الإمام علي بن أبي طالب حين دخلوا الإسلام، ونسبوا جميع المعجزات الواردة في النصرانية للمسيح عيسى، سواء في مولده أو تكلمه في المهد وإحيائه للموتى، ونسبوا ذلك إلى الإمام علي أو ابنه الحسين، كما أن المعجزات الواردة كذلك في حق السيدة مريم نسبوها إلى السيدة

---

(١) انظر: إيران الصفوية: د. أمير حسين خنجي (ص ٤٣- ٦٢)، القاهرة، دار طيبة للطباعة، وينقل الكاتب عن كتاب المثنوي لجلال الدين ابن الرومي (ص ١٧٦- ٢٠٥)، ويرى أمير حسين خنجي في كتابه (إيران الصفوية) (ص ٣٣٨) أن علماء الشيعة في القرن الثالث والرابع والذين دونوا المذهب الشيعي الإمامي كانوا كلهم عربًا كوفيين كأمثال الشيخ الصدوق المعروف بابن بابويه القمي صاحب كتاب (من لا يحضره الفقه) وكتاب (علل الشرائع).

فاطمة بنت رسول الله صلى عليه وسلم، وهذا يمثل التقاء بين بعض طوائف الصوفية والنصرانية والشيعة.

الجنيد الصفوي

وبعد مجيء الجنيد هو ومريدوه من أردبيل منحه السلطان العثماني أرضًا يقيم فيها نشاطه الصوفي، وكان ذلك بعد ٢٧ عامًا من إعدام بدر الدين، وفي هذه المرحلة تأثر الجنيد بمذهب البكتاش الصوفي المختلط بالأفكار الشيعية والنصرانية، إلى أن استشرى أمر أتباعه في المنطقة، واشتكى الناس إلى السلطان العثماني وخاصة علماء السنة، فسير له السلطان جيشًا قتل الجنيد وشتت أتباعه، فقام أتباعه بحمل ابنه حيدر وإحاطته بالرعاية، ودرس مبادئهم حتى كبر، وتزوج حيدر من امرأة نصرانية.

واستمرت الدولة العثمانية تتعقب حيدر وأتباعه إلى أن قُتل حيدر، فأحاط أتباعه زوجته بالرعاية، وكانت حاملًا، إلى أن جاءت بصبي اسمه إسماعيل، وقام القزلباش على رعايته ثم تدريسه مبادئ الغلاة الشيعة وكراهية صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن بلغ مرحلة الشباب، فدخلوا به مدينة أردبيل، وتجهزوا بعمل السيوف والتدريب العسكري، فلما بلغ التاسعة عشرة نادوا به ملكًا وشاهًا على إيران، فدخلوا المدن الإيرانية واحدةً بعد الأخرى، وعملوا السيف بجميع السنة، ونادوا بعقائد الشيعة، حتى ضج الناس من أعمالهم، فاشتكوا إلى السلطان العثماني، فجهز جيشًا غزا به إيران، ودحر جيش إسماعيل في معركة جال ديران، ولكن بعد رجوع الجيش العثماني إلى إسطنبول ظهر نفوذ الشاه إسماعيل مرة أخرى، وعملوا السيف فأخضعوا جميع المدن الإيرانية إلى سلطانهم، وبعد وفاة إسماعيل جاء ابنه طهماسب وبعده الشاه عباس، فكانت هذه الحقبة من الحكم الصفوي لإيران ساد فيها التشيع، وامتد نفوذه إلى العراق، وفي ثنايا هذا الكتاب تفصيلٌ أوضح لما حصل في هذه المدة من مؤثرات فكرية على هذه المنطقة، وما مضى يوضح صراحةً الالتقاء بين التصوف والتشيع، الذي وضح أمره في إيران على يد الشيعة الصفوية التي تبنت مذهب الإمامية الاثني عشرية.

نظرية الحلول عند الصوفية البكتاشية

سبق أن أوضحنا أن قبائل من التتار التي دخلت الإسلام إلى الأناضول ثم إلى إيران حاملة معها عقائد أسلافها دخلت الإسلام على يد طوائف وشيوخ من الصوفية البكتاشية، والذين مزجوا بين عقائد الصوفية والشيعة والنصرانية لكون هذه المنطقة تركية قد ورثت النصرانية منذ حكم الدولة الرومانية الشرقية في القسطنطينية (إسطنبول)، فكانت أهم أفكار الصوفية- فكرة الحلول- أي أن الله حل في كل شيء، ومنه حلول الله على ما يدعون بروح شيخ الطائفة الصوفية، واعتقد هؤلاء أن الله سبحانه وتعالى قد حل بالإمام علي وأولاده من بعده؛ ولهذا يدعي كثير من شيوخ الصوفية انتسابهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) وإلى الإمام علي وأولاده، وينسبون إليهم نتيجة الحلول وصفة الألوهية والعصمة وتدبير الكون، وأن الله تعالى قد فوّض إليهم تدبير الكون.

وتشير أشعار هذه المنطقة إلى ادعاء شيخ الطائفة بما يقرب من أن الله يوحي إليه، فيقترب موقعه من موقع النبي فيعظمه أتباعه ويقبلون يده، وبعد مقابلته والسلام عليه يرجعون إلى الوراء، فلا يولون له الأدبار.

الروحاني وآية الله

قد أنتج التشيع البكتاش الصوفي في عهد الحكم الصفوي في إيران تركيزًا على وصف عالم الدين بالروحاني، أي الذي يستمد قواه من الروح، أو ربما فسرت بالروح الإلهية، ووصف بأنه آية الله، وهذا نوع من انتحال صفة الألوهية، واستعارة لبعض صفات الله سبحانه وتعالى للعالم الشيعي الإمامي في هذا العهد، وهذا نوع من الالتقاء بين مدارس الغلاة الصوفية وغلاة الشيعة الإمامية في إيران وفي العالم السني في بغداد، وتحت تأثيرات سلجوقية سنية وصف أبو حامد الغزالي بأنه (حجة الإسلام)، وهذا الوصف في القرن الرابع الهجري استعاره الشيعة أيضًا لوصف علمائهم بدرجة معينة من العلم أدنى من صفة آية الله، وصفة آية الله تأكد كونه متصلًا بالعالم الروحاني، أو الوصف بأنه حجة الله، وكل هذه المصطلحات في الأصل كانت في الديانة النصرانية سائدة في كتابة شروح الكنائس، الذي يبدو أن الشيعة قد استعاروها من تلك المصادر.

كما انتقلت إلى الشيعة الإمامية الصفوية في العصر الصفوي عن طريق علماء الشيعة العرب، الذين كانوا قد استوطنوا بعض سواحل البحر الأبيض المتوسط، وكان أجدادهم القدماء من الروم النصارى، ونخص بالذكر ما نقله علماء الشيعة العرب في جبل عامل في لبنان، والذي استقدمهم أو جاؤوا في عهد الشاه إسماعيل وابنه الشاه طهماسب كمحمد باقر المجلسي، الذي كتب في إيران كتابه الشهير الطويل (بحار الأنوار)، ومنهم أيضًا الشيخ الكركي وهو ليس إيرانيًّا، وإنما كان من شيعة لبنان من مدينة الكرك وغيرهم الكثير(١).

ولأهمية الأثر الذي تركه الصوفية البكتاشية على الشيعة الصفوية في إيران يحسن بِنَا أن نلقي نظرة موجزة فيما يأتي عن هذا الأثر.

الصفويون والدولة الصفوية في إيران

ينسب الصفويون إلى صفي الدين الأردبلي (من بلاد الديلم)، وكان هو ووالده على المذهب الشافعي، ودرس القرآن والسنة، ثم انخرط في حلقات الصوفية خاصة حلقة الشيخ (فرج الأردبلي)، وأهم ما تعلمه هو كيفية جلب المريدين وتنظيمهم، وقد اعتكف زاهدًا في جبل (سبلان)، ولكنه فيما يبدو لم ينجح، فغادر المكان إلى شيراز فلجأ إلى زاوية صوفية تسمى زاوية عبدالله بن الخفيف الشيرازي، وفي الوقت نفسه انضم في خدمة شيخ صوفي اسمه مير عبدالله الفارسي، ثم عاد إلى أردبيل محاولاً إنشاء مشيخة ولم يفلح، فغادرها إلى جيل، وهي قريبة من أردبيل، وكان ذلك سنة ١٢٧٦م، وسكن قرية كران واعتكف في زاوية الشيخ زاهد الجيلاني، الذي تمتع بحماية غازان خان المغولي حفيد جنكيز خان المعروف، الذي كان يدعو إلى خضوع الإيرانيين لحكم المغول، وتزوج

---

(١) انظر كتاب: (العلاقة بين الصوفية والإمامية) للدكتور: زياد بن عبدالله الحمام، (ص ٣٩- ٤٠)، الرياض، سنة ١٤٣٢هـ. ويرى أمير حسين خنجي في كتابه (إيران الصفوية) (ص ٣٣٨): أن علماء الشيعة في القرن الثالث والرابع والذين دونوا المذهب الشيعي الإمامي كانوا كلهم عربًا كوفيين، كأمثال الشيخ الصدوق المعروف بابن بابويه القمي، صاحب (من لا يحضره الفقيه)، و(كتاب علل الشرائع)، والشيخ محمد بن يعقوب الكليني صاحب كتاب (الكافي)، وكذلك الشيخ محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب (التهذيب)، والشيخ الطبرسي وغيرهم كلهم كانوا عربًا، ولكنهم استوطنوا مدنًا فارسية، نسب بعضهم إليها، ويرى أنه قبل القرن الحادي عشر لا يوجد فقيه وعالم شيعي اثني عشري من أصل فارسي.

صفي الدين من ابنة شيخه زاهد، فجعله مريدًا له، وخليفة بعد وفاة شيخه سنة ١٣٠٠م، ورجع إلى أردبيل حاملاً لواء الدعوة بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما اتجه صفي الدين في زاويته الصوفية إلى طريقة السماع والتغني والرقص الصوفي على الأنغام، مما جلب له المريدين من الشباب الذين كانوا يشيعون مبدأ التصوف القائم على فكرة الجبر، أي أن الإنسان مجبر على سلوك الطريق، ويجب عليه تقبل ما يأتيه، هذا كان يخدم سلطة حكام المغول السياسية في هذه المنطقة في القرن السابع الهجري؛ ولذا فقد شجع هؤلاء الساسة انتشار الحركات والزوايا الصوفية خدمة لأغراضهم.

فزاوية الشيخ صفي الدين في أردبيل وجدت الاهتمام الأكبر، وخاصة عند خواجة رشيد الدين فضل الله وزير السلطان المغولي غازان خان، وكان رشيد من يهود همدان، وكان يملك دكانًا للعطارة والأعشاب، وعن طريق ادعاء التطبيب توصل لخدمة السلطان، حتى عينه وزيرًا بعد أن أسلم، ونقل عنه ممارسة أنشطة دينية؛ لأنه كان على معرفة بالتوراة، واستولى على الأراضي الزراعية وقسمها بين أولاده.

وسعى خواجة رشيد إلى كسب تأييد شيوخ الزوايا الصوفية، وخاصة الشيخ صفي الدين الأردبلي، الذي حظي من الوزير رشيد بالعطايا الوفيرة، التي مكنته من الإنفاق على زاويته ومريديه من الفقراء والمتطلعين للشهرة.

وبعد وفاة الشيخ صفي الدين سنة ١٣٣٤م قام ابنه صدر الدين مكان أبيه في الزاوية نفسها، وكان ذلك في مقدمة حكم السلاطين الأليخانيين من المغول.

وفي سنة ١٣٨٧م دخل الأمير تيمور فاتحًا أذربيجان بعد أن أخضع أقاليم إيران لحكمه بالقوة والقهر، ونهب الأموال التي قدم بعضها إلى زاوية الشيخ صدر الدين، وبارك أعماله وفتوحاته.

وفي سنة ١٣٩٩م غزا السلطان تيمور بلاد الأناضول (تركيا)، وأخضعها لحكمه، وجلب معه الكثير من الشباب التتار، وأهداهم إلى زاوية الشيخ صدر الدين في أردبيل،

حيث يقام على تدريسهم وتعليمهم، وهؤلاء أصبحوا فيما بعد نواة ما يسمى القزلباش أي أصحاب القبعات الحمر.

وفي سنة ١٤٤٧م جعل خلافًا بين أولاد الشيخ صفي الدين على رئاسة الزاوية المهمة في أردبيل وما قدره من أموال، فكانت الغلبة لجعفر الابن الأكبر، وهرب الجنيد من أخيه متجهًا إلى الأناضول، ومعه أولئك الشباب التتار من القزلباش، وفي الأناضول أقام الشيخ الجنيد زاويته الصفوية، مع أولئك التتار في بيته، فكان التتار يتشيعون لأسلافهم.

عقيدة القزلباش

في منتصف القرن السابع الهجري ظهر في الأناضول شيخ صوفي اسمه حاجي بكتاش (توفي سنة ١٣٣٧م) يدعو إلى الجهاد، وأنه سينصر بالرعب، فاجتمع له الكثير من التتار والأتراك بهذا القصد أو بقصد السلب والنهب، واتجه أول الأمر لمهاجمة القرى المسيحية، بعد أن ضعفت سلطة الدولة البيزنطية الشرقية في هذه الأجزاء، ونشر مريدو الشيخ طريقته الصوفية في الأناضول عن طريق تكوين الزوايا الصوفية، وأصبح الجميع يتبعون الطريقة البكتاشية.

وبرز من بين هؤلاء البكتاشية الشيخ بدر الدين الذي اتسع نفوذه، فأصبح قاضيًا في عسكره وزاويته الصوفية المجاهدة، وتجول في عدة مناطق طالبًا للعلم، وتعلم في الإسكندريون، ودخل في مذهب ما يسمى بأهل الحق، وهم شيعة متطرفون يؤلهون الإمام عليًّا رضي لله عنه.

ولما عرف السلطان العثماني توجهات هذا الشيخ عزله، ولكن اثنين من تلاميذه نشرا مذهبه، ونُفي الشيخ بدر الدين إلى مدينة أزنيك، وفيها قام بتأليف كتاب (الواردات) الذي احتوى على خليط بُني على أفكار صوفية، تدين بوحدة الوجود وأفكار غلاة الشيعة (أهل الحق) وعبادة الأجداد عند التتار القدامى.

وكان يعتقد في نفسه حلول روح الله فيه، وأنه معصوم، وأنه واجب الطاعة، ودعا أتباعه إلى الجهاد باسم الدين ووجوب طاعته؛ لأنه الولي المطاع، مثل ولاية الإمام علي رضي الله عنه !

فكثر مريدوه وانتشر مذهبه، فكان هذا المذهب هو الخميرة لجيش القزلباش، الذي زحف من هذه المنطقة على إيران، وكوَّن الدولة الصفوية.

قام بدر الدين بجمع أنصاره والثورة على الدولة العثمانية، ساعده في ذلك الشيعة البكتاشية، ولكن هذه الثورة قمعت وحوكم الشيخ بدر الدين، وأُعدم بالرغم من مشاركة الكثير من اليهود والمسيحين له في هذه الثورة[١]، وطاردت الدولة العثمانية مريديه، فاتجهوا إلى إخفاء عقائدهم في ظل التَّقِيَّة، وأصبح عداء السنة هو دينهم وهدفهم.

وخرج أتباع الشيخ الجنيد، الذي سبق أن قلنا: إنه مع القزلباش من أردبيل إلى الأناضول، ووجد في مريدي الشيخ بدر الدين السالف بغيته، لتنظيمهم وضمهم إلى صفوف الرشيدين البكتاشين، فاتخذت تلك القوى خاصة عندما تجمعت في الإسكندريون مع خميرة (أهل الحق) الشيعية الغالية.

وادعى هذا الشيخ الربوبية، وأنه من آل علي بن أبي طالب، وأسقط الفرائض الشرعية عن مريديه؛ ولذا فلا غرابة أن يرى الباحث فيما بعد كيف أن الشاه إسماعيل الصفوي، وهو حفيد الشيخ الجنيد قد ادعى تلك الدعاوى الباطلة نفسها.

وطردت الدولة الجنيد من الإسكندرون، وتنقل في أماكن عدة مع مريديه، حتى استقر الحال به في ديار بكر، ثم بدأ يهاجم في جيش مريديه الجراكسة المسيحيين بادعاء الجهاد واكتسح داغستان وبعض أذربيجان، ولكن الجنيد قتل في هجومه على رشوان وتفرق مريدوه، ولكنهم تجمعوا مرةً أخرى على زعامة ابن الجنيد المسمى حيدر، وهو كفل بمعونة من السلطان أوزون حسن في جرجان؛ لأنه ابن ابنته من الجنيد، وذلك بقصد الاستفادة من مريدي الجنيد، وتم له ذلك حين استولى على أقاليم في شمال شرق إيران، واستقر في هراة ولقب نفسه ملك إيران، وكان على مذهب الشيعة الزيدية.

وبقوة من هذا السلطان نصب الشيخ حيدر هذا وهو ابن تسع عشرة سنة شيخًا على زاوية صفي الدين في أردبيل، وتحلق حوله أولئك المريدون التتار في شتى النحل الإباحية الجهادية المعتمدة على السلب والنهب، يوجهها السلطان حسن كما يريد، وبالمقابل ترك

(١) أمير حسن: مصدر سابق، (ص ٤٠- ٥٧)، نقل عن إسماعيل صفي الدين أوزون: الدولة العثمانية، (ص ٤٠٨).

للشيخ حيدر حزبه كامل التصرف في أردبيل، وحملها إلى درجة تصنيع السلاح والاستعداد لاكتساح الأقاليم الأخرى، خاصة بعد وفاة السلطان حسن هذا سنة ١٤٧٨م، وهكذا كون الشيخ حيدر هذا جيشه من القزلباش، وكانوا يخفون عقائدهم الشيعية المغالية عن طرق التقية.

وبعد وفاة السلطان حسن تغلب ابنه يعقوب على حكم البلاد، وبدهاء شديد استغل حيدر هذا السلطان، فأخذ يبسط نفوذه في أذربيجان، ويقتل السنة وشيوخ الشريعة بدعوى خلافهم مع السلطان يعقوب.

وأمر الشيخ حيدر مريديه وجيوشه بلبس القلنسوة الحمراء باثني عشر حذية (القزلباش) لتمييزهم عن غيرهم، ودربهم على القسوة والشدة وصناعة السلاح والبطش الشديد بالخصم.

فما كان من هذه السياسة إلا الاصطدام أخيرًا بجيش السلطان يعقوب نفسه، وفي معركة فاصلة قتل فيها الشيخ حيدر، وتفرق القزلباش.

ودخلت أقاليم غرب إيران في صراعات بينها في هذه المدة انتهت بانتصار رستم بيك، الذي أعاد نفوذ القزلباش التتار من الأناضول، وأحيا زاوية الشيخ حيدر في أردبيل، وأعاد نفوذ القزلباش السابق لهذه المنطقة رغبة منه في استعمالهم لتأييده وبسط نفوذه.

وقام بتنصيب الشيخ علي الابن الأكبر لحيدر على الزاوية تلك، وأعاد إليه ممتلكات وأوقاف تلك الزاوية، ولكن القزلباش بعد استشراء أمرهم عادوا لقتال السنة والتسلط على علمائهم، فما كان من أمر علي إلا أن قتل في هزيمة من القزلباش الذين أخذوا أولاد حيدر: إبراهيم وإسماعيل، وأخفوهما في مكان آمن، ثم سلموا إسماعيل إلى كاركيا ميرزا علي حاكم لاهيجان، وكان زيدي المذهب، ومن هنا نشأ الطفل إسماعيل.

الشاه إسماعيل والقزلباش

ولد إسماعيل بن حيدر في أردبيل سنة ١٤٨٧م وأمه هي ابنة السلطان أوزون حسن المذكور سابقًا، وتعلم إسماعيل وهو ابن السابعة المذهب الشيعي الزيدي أولاً من المحيط المختفي فيه، ثم قام جملة من الشيوخ القزلباش بتعليم إسماعيل أسرار المذهب الشيعي

المغالي، ولقبوه بالشاه أي شيخ الطريقة أو السلطان، بادعائهم أنه من آل البيت، وكان معلموه الشيعة كلهم من التتر من أصول أناضولية، وقام القزلباش بإضفاء الصفات الكاملة على إسماعيل وعلى كونه (المرشد)، ونفخوا من روح الانتقام لأبيه وجده اللذين قتلوهما أهل السنة. وصدقهم الشاب وكمن الحقد والكراهية ضد السنة، وأن أهله ظلموا كما ظلم الإمام الحسين عليه السلام، وأدخلوا في ذهنه وروعه أن كل سني ما هو إلا ظالم وسفاح، يجب الانتقام منه والحذر منه.

ثم نقل المعلمون الشيعة إسماعيل إلى مريديه من لاهيجان إلى أردبيل بحجة زيارة قبر الشيخ صفي الدين جده، ومن هنا بدأ بالدعوة ومناداة القزلباش في الأناضول وغيرها بالتوافد عليهم، وأصبح لإسماعيل شأن كبير.

يتخفى آلاف القزلباش تحت ستار السياحة الصوفية الدينية، فإسماعيل اعتبر وريث شيخ طريقة صوفية، يجتمع حوله المريدون وهو أمر شائع، قد لا يثير الأهداف السياسية المخبأة.

إن غالبية هؤلاء القزلباش هم من التتار من صحاري الأناضول ومن قبائل شتى، وقام القزلباش هؤلاء بالنهب والسلب للقرى المحيطة بهم، ثم اتسع عملهم إلى الأقاليم الغربية وبرا بأذربيجان وباكو.

وأسقطوا حكم شروت نشأت سنة ١٥٠٠م، ثم سيطروا على تبريز وما حولها وسكان هذه المنطقة من السنة الشافعية يتحدثون اللغة الأذارية، ولكن الشاه إسماعيل أجبرهم على اعتناق مذهب الشيعة بسبب ما رُبِّيَ عليه من كراهية للسنة منذ طفولته من قبل أمه ثم من المحيطين به.

لقد أشبع إسماعيل منذ طفولته وشبابه كراهية السنة، ولقن جميع أدبيات الشيعة القديمة التي ذكرت في كتب الشيعة حول كراهية قتلة الحسين وعلي بن أبي طالب، وكراهية الصحابة والخلفاء الراشدين، وكان يطلب من السنة في المساجد التبرؤ من أبي بكر وعمر وعثمان، وإلا قُتل السني من القزلباش. وقد نظم في المدن التي استولى عليها

إسماعيل فريقًا يسمى ب(الدعوة إلى البراءة من أهل السنة) وإعمال القتل بمن يرفض ذلك، ساعده في ذلك أصحاب الأهواء والمجرمون، الذين وجدوها فرصة للنهب والسلب.

واتجه الحقد والقتل على علماء السنة وهدم مدارسهم ومساجدهم أو تغييرها إلى الشكل المناسب لفكرهم المنحرف، وانهال كثير من التتار وأصحاب المطامع على إسماعيل، والتحقوا بأعماله الشيعية، وادعوا أنهم (أصحاب الحق) فسلب أموال السنة بدءًا من أذربيجان وأردبيل وماحولها من مناطق، ثم اتسع الخرق شيئًا فشيئًا، وأقاموا بسبي شباب السنة ونسائهم على اعتبار أنهم كفار، وأجبروهم على شراء أنفسهم أو بيعهم كرقيق، ومن لم يتبرأ من السنة واعتنق التشيع فمصيره القتل[١].

وبدأ تساقط المدن والأقاليم ابتداء من أصفهان وكرمان وقم وكاشان ولم يستعص على إسماعيل الصفوي غير كردستان (من إيران)، فكانت جبالاً عصية، قتل فيها القادة الذين أرسلهم الشاه إسماعيل، ولم ينتشر فيها التشيع الصفوي، وسارعت بعد ذلك الدولة العثمانية لحمايتهم مما عزز انفصال هذا الجزء من كردستان عن إيران.

وفي سنة ١٥٠٨م هاجم الشاه إسماعيل العراق، وكان تحت حكم باريك بيك الذي هرب إلى دولة المماليك في الشام وأعمل القزلباش السيف في أهل بغداد وخاصة السنة وعلماءهم، وهدموا جامع الإمام أبي حنيفة الذي سبق أن بناه السلاجقة، وتركز جمعهم في بغداد وباقي المدن الرئيسة، واحتل القزلباش خراسان ثم هراة، وأعملوا فيها السيف، وطلبوا كعادتهم من السنة البراءة من الصحابة، ومن لم يستجب خاصة من العلماء يقطع جسده أو يحرق، كما فعلوا بالعلامة التفتازاني الحنفي المشهور بعلمه وورعه، فقد جيء به من السجن وطلب منه إسماعيل أن يكفر أبا بكر وعمر والصحابة، فأبى ذلك فأمر القزلباش بتقطيعه وحرقة، وهكذا فعلوا بالكثير من علماء السنة في المدن الرئيسة الإيرانية، وأخضعوا إيران بالإرهاب والرعب من شنآنهم[٢].

(١) د. أمير حسين خانجي: مصدر سابق، (ص ١٠٠- ١٢٤)، وانظر أيضًا: الشيخ يوسف البحراني: الكشكول، (١/٣٠٩)، بيروت ١٩٨٦م. وصباح الموسوي: في الطائفة الصفوية، (ص ١٧٥)، ط١، ٢٠٠٧م.

(٢) صباح الموسوي: في الطائفة الصفوية، (ص ١٧٥)، مركز الناقد الثقافي، ٢٠٠٩م.

و كان الإيرانيون يطلقون على العرب (السيد)، ويطلق على غيرهم بـ (الموالي)، وكانوا يعدون الشاه إسماعيل سيدًا من آل علي بن أبي طالب.

ويبدو أن هذه النظرة استمرت عند الإيرانيين، حيث يعد الإيرانيون اليوم أن أكثر رجال الدين الشيعة هم من العرب أصلًا، وأن البلاء العصبي الديني جاءهم من العرب.

بعد أن خضعت أكثر الأقاليم الإيرانية للشاه إسماعيل الشاب، وكان عمره آنذاك اثنتين وعشرين سنة اتجه إلى حياة اللهو والشراب والصيد، وكانت الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد مهادنة لإسماعيل الذي نعم بالرخاء.

حينما دب النزاع بين أبناء السلطان بايزيد على السلطة، تحرك البكتاش الشيعة في بلاد الأناضول موالين للقزلباش وللشاه إسماعيل، ولكن حينما استقرت السلطة العثمانية للابن بايزيد سليم اتجه في جيش عثماني كبير معهم البنادق والمدفعية، ودخل الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم نفسه إيران سنة ١٥١٤م، والتقى الجيشان عند جالديران، وهزم الشاه إسماعيل وقزلباشه وجرح إسماعيل واختفى في حفرة متظاهرًا بالموت، وقام أحد جنوده الذين يشبهونه بلبس ملابسه، وتقدم للسلطان سليم مسلمًا نفسه فظنه هو الشاه إسماعيل، و يبدو أن السلطان سليم خدع، وأمر بسجن هذا الرجل على أساس أنه إسماعيل، ولكن إسماعيل بعد أن جن الليل هرب بعيدًا، ولجأ إلى غار في جبل قرب همدان، واعتلت صحته ووهن عزمه بعد مقتل معاونيه ورجاله، وتفرقهم عنه بطلب النجاة، وقتل كثيرون في هذه المعركة، ودخل السلطان سليم تبريز، وطهرها مما بقي من القزلباش، وظن السلطان العثماني أن مهمته في القضاء على الشاه إسماعيل وقزلباشه قد انتهت، وأن التشيع قد دحر في إيران، فرحل عائدًا إلى بلاده واستقر مدة في أماسيا، ولم يكن في إيران سلطة مرشحة لحكمها، حيث شتت القزلباش وقتلوا رجالها، وفي هذه الثغرة استعاد القزلباش نفوذهم شيئًا فشيئًا.

وعاد الشاه إسماعيل إلى تبريز مع بعض أنصاره، وقام بالوقيعة مرة أخرى من مساعد السلطان على إعادة السنة لتبريز وفوض الأمر إلى ميرزا حسين الأصفهاني الذي

أصبح هو المتصرف بأمره، ولم يعد الشاه إسماعيل يهتم بسياسة البلاد والعباد وانكب على المتعة والشراب.

وأخذ إسماعيل في الكتابة إلى السلطان سليم مستعطفًا إياه وخاضعًا له في وقت كان سليم يفكر في غزو أوروبا واستعادة الأندلس، وكاتب الشاه إسماعيل شارل الخامس إمبراطور إسبانيا وألمانيا وهولندا وجزر إيطاليا على التحالف ضد الدولة العثمانية، والرسالة حملها القسيس بطرس الماروني، أصله من جبل عامل بلبنان[1].

وبدل الاستعداد من قبل السلطان سليم لغزو أوروبا تحول إلى إخضاع الشام ومصر لحكمه، خشية تآمرهم مع الشاه إسماعيل عليه، وبعد أن نجحت حملته تلك اتجه سنة ١٥٢٠م إلى غزو إيران مرة أخرى لإسقاط الشاه إسماعيل، ولكن لما وصل أدرنة مرض ومات، أما الشاه إسماعيل فقد كان منكبًّا على الخمر، ويعجز عن تسيير أمور الدولة، وتركها إلى من فوضه بإدارتها، وضعفت إلى أن توفي عن سبع وثلاثين سنة، أي سنة ١٥٢٤م، وقام القزلباش بتنصيب ابن إسماعيل البالغ عشر سنين الملك، وتولى القزلباش إدارة أمور الدولة، فجلبوا في هذا العهد الفقهاء الشيعة اللبنانيين من جبل عامل إلى إيران، حيث تولوا تعضيد التأسيس بشكل عقائدي ديني مغالٍ جدًّا، فأقاموا بكتابة عقائد الشيعة من المؤلفات القديمة من أمثال ما قام به المُلا محمد باقر المجلسي.

أما في تركيا فقد جاء السلطان سليمان القانوني بعد أبيه، وكانت سياسته مهادنة إيران، حيث أطلق سجناء القزلباش، وأعادهم إلى إيران سنة ١٥٢٠م، واتجه إلى تنظيم جيشه لغزو أوروبا، وفي سنة ١٥٣٢م توجه سليمان القانوني بجيش لمحاربة القزلباش في إيران، فضم أذربيجان ودخل تبريز، وأخضع هذا الجزء للدولة العثمانية، وهرب القزلباش بطهماسب إلى قزوين بعيدًا، ورجع السلطان سليمان من همدان إلى بغداد، مطهرًا تلك الأرض من أوكار القزلباش.

---

(١) د. أمير حسين خانجي: مصدر سابق، (ص٢٤٧)، يوسف البحراني: الكشكول، (١/٣١٠).

وقد أدخل فقهاء الشيعة القادمون من لبنان إلى الصفويين الإرث الشيعي القديم، وطوروا بعضًا منه تحت عوامل مسيحية، كانوا قد اقتبسوها من مسيحيي لبنان في جبل عامل.

فقد أدخلوا موضوع البراءة الناشئ من تسميتهم بالروافض، فهم يرفضون ولاية أبي بكر وعمر وعثمان، ويتبرؤون منهم، وكذا فقد نشأت في العهد الصفوي جماعات البراءة، التي تجوب الحارات والمدن، لحث الناس على البراءة من الصحابة، وإلا قتلوا.

ومن هنا يتضح للقارئ كيفية التقاء التصوف بالتشيع الاثني عشري، واستخدام التصوف في أول الوقت ستارًا للتخفي عن إظهار معتقدات الشيعة المرفوضة من المجتمع السني في إيران، فقد كانت إيران قبل هذه الأحداث سنية على الإطلاق، إلى أن أجبروا على التشيع بالصفة التي شرحناها، كما نشير إلى انتشار مقولات الديانة النصرانية التي حملها علماء الشيعة القادمون من جبل عامل.

أثر الشيعة العرب على الصوفية

أدخل الشيعة العرب فكرة (السيد) نسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وأدخلوا علامة خضراء في عمامة القزلباش إشارة إلى ذلك، وتحولت كلمة مولى العريقة التي لا يحسن غير العربي نطقها إلى كلمة مولا، ثم إلى ملا أو منلا. علامة المتعلم والفقيه أو من يجب أن يواليه لنسبه لعلي وآله.

ثم في عهدٍ ثان أدخلوا فكرة كلمة الرجل الروحاني، أي المتصل بالله العالم الورع الملكوتي العارف، ومنها أيضًا كلمة (آية الله) أو(حجة الله)، التي أصبحت درجات يسير فيها المتعلم.

وبعد وفاة الشاه طهماسب اشتعلت حرب بين القزلباش كلاً يريد تنصيب أحد أولاد طهماسب، ولكن الشاه (إسماعيل الثاني) وصل إلى الحكم بعد مقتل إخوته، وكان من أول أعماله إيقاف أعمال القزلباش وأعمال هيئات البراءة وسب الصحابة والكف عن قتل السنة واتهامهم بالكفر.

ولهذا وقف له فقهاء الشيعة الصفوية والقزلباش، وأسقطوا حكمه، وقتل بعد أن حكم أكثر من سنة، وأجلس القزلباش أخاه محمدًا الكفيف على كرسي الحكم، فكان الحكم لهم ولعلماء الشيعة الصفوية طيلة عشر سنوات، جاء بعده الشاه عباس الصفوي، الذي خدمته قوة بريطانيا الصاعدة في الخليج العربي، والذي اسُتخدم ضد الدولة العثمانية كي يتسع نفوذ بريطانيا في الهند وعدن.

وفي عهد الشاه عباس الأول تدفقت على إيران موجة جديدة من علماء الشيعة اللبنانيين إضافة للعرب مثل محمد التقي العاملي (المدعو بالمجلسي الأول)، والذي قد درس على الشيخ البهائي، والملا عبدالله التستري، وقد توفي سنة ١٦٥٩م، ودفن في جامع أصفهان، وله شرح كتاب تهذيب الطوسي. كما برع في هذه الحقبة ابن المجلسي الأول وهو محمد باقر المجلسي (الثاني).

وازداد نفوذ علماء الشيعة الصفوية وخاصة محمد باقر المجلسي[1] الموجود بأصفهان الذي كتب في هذه الآونة كتابه المشهور (بحار الأنوار) بثلاثة وعشرين مجلدًا، طبعت في إيران على الحجر، وانتشر تداولها، وضم هذا الكتاب جميع ما طالته يداه من كتب الشيعة القدماء التي كتبت منذ بداية القرن الثالث الهجري، وخاصة مؤلفات ابن بابويه القمي والشيخ المفيد وتلميذه محمد بن الحسن الطوسي، ومن قبلهم محمد بن يعقوب الكليني، وقسم كتابه على أبواب، وأضاف على ما كتبه علماء الشيعة القدماء جملة من الخزعبلات والخرافات، التي يرفضها العقل السليم إضافة على الأكاذيب التي لم يتورع هو وأمثاله من كتاب هذه الحقبة في الكذب على الصحابة والخلفاء كنعمة الله الجزائري.

كما قام باقتباس ونقل التراث المسيحي عن المسيح، وألصقها بعلي والحسين عليهما السلام، كما استعار ما ذكره المسيحيون عن مريم ووصفه لفاطمة الزهراء عليها السلام، وقد قرأت هذه البحار كلها ونقلت منها نصوصًا في كتابي (جذور التشيع)، لمن أراد المزيد والاطلاع عليها.

---

(١) أجداد محمد باقر المجلسي، كانوا من السنة في أصفهان، وذكر منهم أبو نعيم الأصفهاني صاحب حلية الأولياء المشهور.

وقد وعد المجلسي بأن سلطة الحكام الصفويين ستصل الى الإمام المهدى الموعود ظهوره، والكتاب هذا عمومًا يعكس رأي الشيعة الإمامية الاثني عشرية الغلاة؛ لأنه ينضح فيما كتب بالكراهية والكذب والسب للسنة والصحابة والخلفاء الراشدين مع الأسف، وهو ما يريده الصفويون والقزلباش.

إن من أسوء الظواهر السياسية في العصر الصفوي هو تحالف الصفويين مع الأوروبيين الطامعين في الخليج العربي، فقد تحالف الشاه إسماعيل مع البرتغال واعترف لهم بالسيادة على مضيق هرمز وبحر العرب في مقابل مساعدة البرتغال في الحرب ضد الدولة العثمانية، كما تعهد البوكرك للشاه إسماعيل بمساعدته في الاستيلاء على الأحساء والقطيف ومناصرة الشيعة فيها، وقد مهد هذا إلى استيلاء البريطانيين على الخليج بعد طردهم النفوذ البرتغالي.

الطريقة الختمية من الصوفية

هي الطريقة الصوفية المنسوبة إلى الشيخ محمد بن عثمان بن أبي بكر بن عبدالله المرغني -الشهير بالختم-، ويقصد به عندهم أنه خاتم الأولياء، وقد ولد في الطائف سنة ١٢٠٨هـ ودرس العلوم الشرعية بمكة، وانخرط بطرق صوفية عديدة، فأخذ عنها بعض أفكاره، فأنشأ زاوية صوفية له فيها مريدوه بمكة المكرمة، وبعث أولاده يبشرون بطريقة الصوفية بأرجاء من البلاد الإسلامية، وقد ترك ابنه الحسن أثرًا بالغًا في السودان، فكان أول من نشر هذه الطريقة في السودان، وقد توفي الشيخ ودفن بالمعلا بمكة ١٢٦٨هـ.

وأهم أفكار الختمية هي:

أولاً فكرة وحدة الوجود التي سبق تعرضنا إليها عند فرق الصوفية عمومًا، ولكن زاد الختمية على هذه الفكرة ما ذكروه عن النور المحمدي ومقتضاه: أن الله قد قذف في أصلاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصلاب آله من الأئمة نورًا يستهدون به دون سائر الناس، ومن أفكارهم أيضًا- الخلوة الصوفية للمريد، التي يطلب فيها المدد من الرسول صلى الله عليه وسلم وجبريل ومشايخ الطريقة.

وقالوا بوجوب الاستدلال بأئمة آل البيت، ويتسم الختمية شأنهم شأن بقية الصوفية بانفتاحهم وتقبلهم أعضاء أو أفكار من ديانات أخرى أو أفكار مادية.

وقد انتشرت هذه الطريقة في السودان وأريتريا ومصر، وهناك طرق صوفية أخرى لها علاقة بالفكر الشيعي الإمامي جزئيًّا: كالطريقة النقشبندية والتيجانية والعزمية وجماعة العشيرة المحمدية.

أفكار صوفية متأثرة بعناصر أجنبية ومشابهة لما عند الشيعة الإمامية

أولاً: ادعاء الصوفية إحياء الموتى

يدعي كثير من الصوفية قدرة شيوخهم على إحياء الموتى، من ذلك ما ذكره الشيخ الدباغ «أن الأولياء لهم القدرة على إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى»، كما نقل مثل ذلك عن القشيري، وقيل: إن سهل بن عبدالله ذكر «أن الذاكر لله على الحقيقة لو همَّ أن يحيي الموتى لفعل»، كما نقل عن أحمد التيجاني «أن الولي بعد الفتح يقدر أن يفعل ما يريد في كل ما أراد: فيحيي الموتى إذا شاء ويناديهم...».

ونسب لأبي يزيد البساطي درجة من الضعف في المقدرة على إحياء الموتى فادعى أنه لا يحيي الموتى إلا بالجس، كما فعل المسيح.

ونقل الشعراني كثير من ادعاءات الصوفية في إحياء الموتى وخروجهم من قبورهم أو من قيامهم من فراش المرض الطويل أو إرجاع الروح إليهم بعد غرقهم في البحر، وتعدى ادعائهم إحياء موتى البشر إلى إحياء موتى الحيوانات، من ذلك ما نقله القشيري: أن بدويًّا مات جمله، فتلا الشيخ دعاءً خاصًّا فقام الجمل حيًّا، ونقل أيضًا عن قدرتهم على إحياء موتى الأشجار وقدرتهم على إثمارها[١].

ثانيًا: ادعاء الصوفية بحفظ الوجود أو الكون

يدعي أحمد التيجاني: أن أقطاب الصوفية وأوتادها هم حفظة الوجود، وأن نسبة القطب إلى الوجود كنسبة الروح إلى الجسد، فلو زالت روحانيته من الوجود لانعدم الوجود كله،

---

(١) محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، دار الهجرة (١/١٤٩- ١٥٣)، ١٩٩٦م.

وفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الأحزاب: ٧٢، أي حملها الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به الوجود، وبه يرحم جميع الوجود، ونقل عن الشيخ المتبولي أنه قال: «لو لم يحمل القطب وجماعته البلاء عن العالم لتلاشي العالم في لحظة»، ونقل الشعراني عن جماعة من الصوفية، نقلوا عن الشيخ الدرديري أنه ادعى أن الله بالأولياء والأقطاب يمسك الأرض[١].

ثالثًا: ادعاء الصوفية معرفة الغيب

يدعي الصوفية أن الأولياء لهم القدرة على معرفة الغيب واستجلاء أخبار السماء وما في اللوح المحفوظ، فنقل عن الشيخ الدباغ بأن الولي المجذوب ربما غاب وعيه عن الأرض فأضحى ينظر إلى الحور العين، وهو يتمايل في غيبوبة، ونقل الشعراني عن الشيخ قوله: «ما أخذت العهد على مريد حتى رأيت اسمه مكتوبًا في اللوح المحفوظ وأنه من أولادي».

ونقل عن الشيخ الدباغ أن الولي له قدرة على معرفة ما في باطن الأرض، وأنه رأى في الأرض الثالثة أقوامًا في بيوت ضيقة ونار محرقة وآبار غامقة وعذاب دائم، وادعى أيضًا مشاهدة الجن، وأين يسكن الشياطين وما يفعلون[٢].

رابعًا: عصمة الأولياء عند الصوفية

يرى الصوفية أن طاعة المريد لشيخه واجبة؛ لأنه معصوم من الخطأ، فيرى الشعراني أن الكمال من الأولياء لا يرد عليهم إلا الحسن من القول والفعل، فهم منزهون عن القبيح، ونقل عن التيجاني أن الأولياء كالملائكة لا يصدر عنهم إلا ما هو حسن، ومن شروط الولي عند القشيري بلوغه إلى درجة الحفظ من الوقوع في الذنوب، والحفظ والعصمة، وعند الدباغ أن الولي بعد بلوغه درجة الفتح الكبير لا يصدر منه ذنب وفعل قبيح، ونقل عن التيجاني أن الولي إذا تجلى له الخالق ومنحه كشف الأسرار، فقد أضحى معصومًا من جميع المعاصي بكل وجه وبكل حسبان.

---

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، مصدر سابق، (١/ ١٧٤).

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، مصدر سابق، (١/ ٢١٠-٢٣٠)، (١/ ٣٦٠-٣٦٣- ٤١٨).

خامسًا: وجوب طاعة الولي عند الصوفية

يرى جميع الصوفية أنه يجب على المريد طاعة شيخه في جميع الأحوال، ودونما قيد، فيقول أبو المواهب الشاذلي: «إن الأستاذ هو من كمل الدوائر وانطوى فيه علم الأوائل والأواخر» «كما يرى الجيلاني أنه من الواجب على المريد ترك مخالفة شيخه في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن». ونقل عن الشيخ الكليني إلى وجوب الانطراح بين يدي الشيخ «كغسيل الميت بين يدي مغسله»، ويتخذ الصوفية من عمل الخضر الذي ذكره الله في القرآن في مسألة قتل الولد واعتراض نبي الله موسى- عليه السلام- وعلى خرق السفينة وإقامة الجدار حجة على شيوخهم، لا يأمرون إلا بما هو حسن، وإن كان في الظاهر عملاً قبيحًا أو حرامًا. ولا يجوز للمريد الرد على شيخه أو الاعتراض عليه، فعندهم الراد على شيخه كالراد على الله عز وجل.

سادسًا: خروج بعض الصوفية عن الشريعة

بعض أولياء الصوفية ممن ادعوا وصولهم إلى درجة الاتحاد مع الخالق بعد مرورهم بسلم الدرجات إلى أن يصبحوا أوتادًا أو أقطابًا، حينها يدعي بعضهم إباحة خروجهم عن التكاليف الشرعية، فلا صلاة ولا صيام؛ لأن هذه التكاليف قصد بها حصول التقوى لعدم الوقوع في الحرام، وهم قد وصلوا في ادعائهم إلى درجة العصمة. والنزاهة بل أجازوا لأنفسهم اقتراف المحرمات؛ لأن قواعد الشريعة قصد بها حكم العوام، بل إن تعاليم الصوفية تحذر المريد من الاعتراض على شيخه، وإن ظهر له فعل القبيح بهذا المعنى، كما نقل عن الشعراني.

ويرون أن الشريعة لم تكتمل، وأن الصحابة قد بينوا بعضًا وأخفوا بعضًا، لعلهم يرون ذلك من المحاسن، وقد أكد الفخر الرازي على هذه الدعوة بأنها باطلة، وأن أصحابها إنما هم على دين مزدك.

فينسب إليهم مثلاً أنهم لا يحتاجون إلى طهارة الوضوء؛ لأن الطهارة عندهم هي طهارة القلب، كما أنهم يتهاونون في أداء الصلاة وحضور الجمع، ويرون أن ذلك من شأن العامة، فقد حكى الشعراني عن شهاب الطويل «أنه كان ينادي خادمه وهو في الصلاة، فإن لم يأته مشى إليه وعنفه».

ونقل الشعراني أن الشيخ الشريف المجذوب كان يأكل في رمضان، ويقول: إن ربي أعتقني. ونقل الشعراني عن الشيخ علي بن محمد وفا: أنه وجه أحد مريديه بزيارة قبر الولي الصوفي، وأنه أولى من قيامه بأداء الحج.

كما أن موقف الصوفية سلبيٌّ من الإنفاق على الفقير وَذي الحاجة؛ لأنه في دفع المال على الفقير حسب دعواهم أن في هذا اعتراضًا على مشيئة الله، فقد نقل الشعراني عن علي الخواص قوله لأخيه: «إياك أن ترق لمن أفقره الله، فإن الله لم يفقره إلا لحكمة».

وتجرأ بعض الصوفية إلى حد تبريرهم اقتراف المحرمات، وأن المريد يجب أن لا ييئس مما اقترفه من محرمات طالما أنه ما زال متعلقًا بمحبة شيخة.

سابعًا: الحلول والاتحاد عند الصوفية

إن أكثر الصوفية يعنون بالحلول أن الله قد حل في مخلوقاته، ولكن اختلفوا في الكيفية؛ فمنهم من يرى أنه حلول جواري، أن أحد الجسمين ظرفًا للآخر، ومنهم من يرى أن الحلول امتزاج الأجزاء بعضها ببعض كامتزاج ماء الورد بالورد، وهذا المعنى يطابق ما عليه النصارى السريان بحلول اللاهوت بالناسوت، ويعنون به حلول الخالق بجسم السيد المسيح، وهذا ما عليه النساطرة من النصارى أيضًا، وقد تأثر بهذا المفهوم بعض الشيعة الذين قالوا بحلول الخالق بالإمام علي.

ونشير بهذا الصدد إلى أن فرقًا من غير الصوفية كالجهمية وبعض الأشعرية يَرَوْن أن الله بذاته في كل مكان.

أما الاتحاد: فيعنون به امتزاج الشيئين بعضهما ببعض، فيصبحان شيئًا واحدًا، وهذا اتحاد خاص، يشبه ما عليه النصارى اليعقوبية من امتزاج اللبن بالماء.

ثامنًا: وحدة الوجود عند الصوفية

ويعنون به أن الله واحد، يوحدون بينه وبين الموجودات، وفكرتهم أن الله وتلك الموجودات أمر واحد؛ ولذا عبروا بذلك بوحدة الوجود، وتقتضي هذه الفكرة عندهم أن الله والموجودات شيء واحد، أي أن الله عندهم في كل مكان وفي كل موجود بعينه، وهذا المعنى هو ما انتهى

إليه ابن العربي والحلاج من الصوفية، وذكروا أن للاتحاد معنيين: اتحاد خاص يعنون به اتحاد الخالق بالمخلوق المفرد. ومعنى عام: ويعنون به أن الخالق متحد بالوجود كله.

تاسعًا: صفات للأولياء عند الصوفية

من مظاهر تقديس الأولياء عند الصوفية أنهم وصفوهم بصفات لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، ووصفوا علم الشيخ بأنه يحيط بجميع الموجودات حوله، فهو يعلم ما فوقه وما تحته وعن يمينه وعن شماله، ويعلم ذلك فردًا فردًا، كما قالوا: إن شيخهم يعلم ما فوق اللوح المحفوظ في السماوات العُلى.

وشبه التيجاني شيخ الصوفية بالخالق سبحانه وتعالى وصفاته، فكما أن الله سبحانه وتعالى ينظر ويسمع ويبطش ويقدر في آن واحد، فهذه الصفات عينها يقوم بها أيضًا في الوقت نفسه وبجميع المفردات الشيخ الصوفي؛ لأنه قد اتحد بالخالق، فأصبحت صفات الخالق هي عين صفات ذلك الشيخ المخلوق، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، والسؤال هنا كيف يحصل للشيخ الصوفي الانتقال لهذه الدرجة من الصفات ومعرفة الغيب كما يدعون.

لقد قرروا بأن ترقي الشيخ بسلم ودرجات التصوف يصل به إلى درجة عليا، إما أن يطلب من شيخ عالم قبله أن يمنحه تلك الصفة العليا أو أن شيخه يتبرع له بعد أن يرى منه ما يستحق من تلك الصفات، وقد ذكروا أن شيوخهم الذين وصلوا إلى درجة الأبدال أو الأقطاب، هؤلاء وصلوا إلى أعلى الدرجات، فهؤلاء منحوا كثيرًا من السائلين أو من تلاميذهم تلك الدرجات العُلى، فأصبح الشيخ الفلاني عارفًا عالمًا بالغيب قادرًا على شفاء المرضى وتحقيق المعجزات، وهذه الدرجة عندهم كما يقولون: قد تكتسب عن طريق الطلب الشفاهي، أو عن طريق النظر، أو عن طريق السر بإذن طالبها.

كما ذكروا قصصًا حصلت فيها تلك المنح عن طريق شربة ماء أو شربة قدح من اللبن، ويرى الشيخ التيجاني كيفية حصوله على درجة القطب، فقال: إنه رحل إلى القاهرة، حيث التقى شيخه الكردي، فقال: أمنحك أعلى من تلك الدرجة. كما يدعي.

وتتعدد الأغراض والغايات التي من أجلها يسألون النبي صلى الله عليه وسلم، فمن الأمور التي كانت تهمهم وهم على خلاف مع المحدثين حولها: أن هنالك أحاديث مبثوثة

ضعيفة في متنها، أو ربما أيضًا في رواتها، ولكن معانيها تعزز ادعاءات الصوفية، فهذا ابن عربي ادعى أنه شاهد النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن أحد الأحاديث التي كان ابن عربي يشتبه بها، فعزز صحتها النبي صلى الله عليه وسلم.

كما يدعي ابن عربي على خلاف ما يراه المحدثون من ضعف تلك الأحاديث، أو الأمر بالعكس بأن هناك أحاديث رويت في معاني ضد الصوفية وتقديس الأشخاص فيها، فيعمدون إلى أن يدعوا مواجهة النبي جهرةً لا في المنام، فيقر لهم بصحتها على خلاف رأي المحدثين.

وهذا أحد الأغراض التي سلكها الصوفية لترويج معتقداتهم المخالفة لما عليه الأمة، وكل فرقة من فرق الصوفية تدعي أن شيخها هو خاتم الأولياء، فكما أن للأنبياء خاتمًا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ادعوا أيضًا لأوليائهم أنهم قد ختموا الشريعة والسلوك الذي ابتدعوه لأنفسهم ولأدعيائهم، وقيل: إن أول من ادعى فكرة ختم الولاية الشيخ الحكيم الترمذي، وغرض الصوفية من هذه الدعوة أنهم أرادوا احتكار الولاية لشيخهم دون الآخرين، الذين فيما يبدو أكثروا في هذا الادعاء. والأمر الثاني أن غرضهم حينما يقررون أن شيخهم هو خاتم الأولياء، فإنما على بقية الأولياء في عهده وجوب طاعته والانقياد له.

ففي ذلك يَرَوْن رفعة شأن فرقتهم، وهذا أحد الأغراض والسبل التي سلكوها، وقد وصل بهم الحال إلى أن يعدون وليهم الصوفي في مقام مثل الأنبياء أو ربما فضلوا الأولياء على الأنبياء، وعللوا ذلك التفضيل بأن وليهم يستمد علومه من الله سبحانه وتعالى، بينما الرسول يستمد علمه من الوحي بواسطة الملك.

كما يعتقدون أن رؤية الولي أكثر إحاطة وشمولاً من رؤية النبي، باعتبار النبي مقيد بالوحي، والولي أكثر إحاطة وشمولاً في علومه واستشرافه؛ ولهذا يرى الصوفية أن الدين لم يكتمل على يد الرسول، وإنما وليها الذي يدعونه هو الذي يكمل هذا النقص، واحتج الصوفية لرأيهم هذا برواية الخضر مع النبي موسى، فقالوا: إن علم سيدنا الخضر أوفر وأشمل من علم النبي موسى، كما يتضح من الآية القرآنية.

وهذه المعاني التي سردناها واضحة فيما كتبه ابن عربي في كتابه خاصة (الفتوحات المكية)[1].

عاشرًا: ادعاء الصوفية شفاء المرضى وإحياء الموتى

يدعي شيوخ الصوفية أن لهم القدرة على شفاء المرضى بطرق مختلفة: كذكر الله، والصلاة على نبيه على المريض، بشكل لم يرد في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما من طرقهم أنهم يقرؤون على كوز ماء فيشربه المريض أو يعطون المريض أنواعًا من الأعشاب أو الدهانات، وكل ذلك لتحقيق أغراضهم، وخاصة أخذ أموال الناس بالباطل، وخاصة من هو في حالة ضعف، حيث يضطرونه إلى دفع المال الكثير، لطلب الشفاء من المرض، وكتب الصوفية مليئة بالقصص والحوادث التي يدعون فيها أن مرضى يأتون إلى شيوخهم بعد عناء طويل من المرض، فبمجرد أن يمسه الشيخ بعصاه أو يقول له قم فيقوم، صاحيًا من مرضه، بل ادعى بعض الصوفية أنه سمع امرأة مريضة تستغيث بعبدالقادر الجيلاني، فصاح بها: اتركي الجيلاني، ونادي على أحمد التيجاني. ففعلت ذلك، وصاحت: يا أحمد التيجاني شافني. فشفيت، كما يزعمون، وهذا إضافة إلى باب ادعائهم شفاء المرضى، فهم يتنافسون فيما بينهم على القدرة على الشفاء وسرعته، ونقلوا لنا: أن الشيخ ولد حسونة جاءته امرأة ببنتها المريضة، فطلب منها أن تحضر أوقية من الذهب، ففعلت ودفعت بالذهب إلى الشيخ وطرحت البنت تحت قدمي الشيخ، ثم قال لها: قومي. فقامت صحيحة معافاة كما يدعون.

وهذه من الأساليب التي يستولون فيها على أموال الضعفاء والفقراء وضعاف العقول، كما ذكر أن الشيخ ولد حسونة هذا جاءه أعمى يطلب الشفاء، فيخيره الشيخ بين أن يجعله يبصر في الدنيا أو أن يدخل الجنة مبصرًا. فأصر الرجل أن يصبر على عماه أملاً في جنة الخلد مصابرًا على عماه في دنياه، وهذا نوع من الهدوء عن تحقيق المعجزة التي يدعونها.

وهذا شيخ آخر قيل: إن عبده جاء بابنته المريضة والمشرفة على الموت إليه، وطلب من الشيخ شفاءها، فأعطاها قليلاً من الماء، ولكنها مجته لأنها لا تستطيع، وأنها قريبة

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: مصدر سابق، (٢/٣٠).

من الموت، فتركها الشيخ وذهب إلى خلوته في تلك الليلة، ثم خرج فقيل له: البنت صحت. وقالت: إني معافاة. فقال: إني قد قضيت الليلة أتنازع مع ملك الموت حول موتها، إلى أن تركها ملك الموت لي، فرجعت روحها، فيا سبحان الله على هذه الجراءة العظيمة التي يتجرأ بها شيوخ الصوفية على المنايا وعلى الكذب والادعاء.

ونقل الشعراني عن أحد شيوخ الصوفية أن ولده أحمد مرض مرضًا شديدًا، ثم مات فحاول إحياءه، فحيا ذلك الولد، وعاش أحمد بعد ذلك مدة ثلاثين سنة كما يدعون.

حادي عشر: الرجعة في الفكر الصوفي

ويقصد بها الرجوع إلى الدنيا بعد الممات، يعتقد بها كثير من الصوفية مشابهين بذلك ما قالت به الشيعة الإمامية، والرجعة عند الصوفية على عدة أحوال:

١. رجعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويدللون على ذلك بأن شيوخهم قد يخاطبون الرسول يقظة أو يحضر لمجالسها، ويرى الشيخ الدباغ أن كثرة اشتغال المريد بصورة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتخيله يحصل له فيما بعد حقيقة رؤيته يقظة، وهذا يعني أنهم يؤمنون برجعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه حي. ونقل الشعراني عن أحد شيوخهم أنه كان يلتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم وقتما أراد، وكذلك قال الشعراني: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر في كل مكان توجد فيه شريعته. وهذا القول لا يدل فقط على الرجعة، وإنما أيضًا يشير إلى فكرة الصوفية إلى وحدة وجود الخالق مع الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يوجد الخالق مع الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يوجد في كل مكان. وينقل الشعراني عن العديد من شيوخ الصوفية أنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدد أسماءهم، كما يدعي بعض مشايخ الصوفية أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر معهم مجالسهم، ويشاركهم ولائمهم، كما فصل ذلك الشعراني. كما اعتقد بعض الصوفية أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعطيهم بعض القواعد الشرعية، فقد نقل عن الدباغ في تفسير الأحرف السبعة الواردة في القرآن الكريم، قوله لسائله: «سمعت من الأسرار ما لا يكتب ولا يُطاق»، فهم يَرَوْن أن أولياءهم يكملون الدين، الذي لم يكتمل في رأيهم، وذلك

بطرق مختلفة؛ منها سؤالهم عن بعض الأمور الشرعية من النبي صلى الله عليه وسلم كما يدعون.

٢. كما يعتقد الصوفية برجعة بعض الأموات من غير الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد نقل الشعراني بنفسه قصة خروج السيد البدوي، وأنه طبخ له ولزوجته ذات ليلة. وادعى الشيخ أن طنطاوي جوهري أن الخليفة هارون الرشيد قابله بعد موته، وطلب منه أن يكتب كتابًا يدافع فيه عن تهمة الزنى، التي أُلصقت بالعباسية أخت الرشيد، فحقق له الطلب(١).

الاثنا عشر: بناء قبور الأولياء والاستغاثة بها

ورد في تاريخ السلاجقة قديمًا وقبل إسلامهم أنهم كانوا يعبدون الأجداد، ويبنون قببًا على قبورهم، يزورونها ويدورون حولها، فلما دخل السلاجقة في الإسلام أدخلوا معهم بناء القبب والمساجد، وزعموا أنهم من طائفة السنة، وأزالوا النفوذ السياسي للشيعة البويهيين في القرن الرابع الهجري، ففي عهدهم انتعش التصوف.

وانتعش في إيران والعراق خاصة وأصبحت الطرق الصوفية تبني مزارات، وتتفنن في هندستها وبنائها وتقضي تعاليمهم زيارة هذه القبور، وشد الرحال إليها، والطوف وقراءة الأدعية، والتبرك بمسحها أو أخذ قطع من القماش المغطى فوق القبر.

كما أحلوا النذور والذبح لأصحابها، وكل ذلك مخالف للشرع، ومع ذلك فقد أورد الصوفية في كتبهم الدفاع عما أسلفنا، مبررين ذلك بحجج واهية، وبقصص معجزات اخترعوها لتضليل الناس، والأدهى من ذلك أنهم يدعون أن أصحاب القبور من أوليائهم يشفعون لهم ويقضون حاجاتهم، ويشفون مرضاهم، كما سبق أن أوضحنا.

ولتعزيز ادعاءاتهم يَرّوون لأوليائهم الكرامات والمعجزات، التي تصل إلى إبراء الأكْمَه وإحياء الموتى، كما سبق ذكره.

---

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: مصدر سابق، (٣٤/٢).

من ذلك ما كتبه الشيخ السراج الطوسي في كتابه (اللمع) سرد فيه ادعاءات من وقائع حصلت بسبب الطلب من الولي فلان أو فلان، وأورد الشيخ القشيري في رسالته جملة من الخوارق والمعجزات التي ادعى حصولها، كما ملأ أبو نعيم الأصفهاني كتابه المشهور (حلية الأولياء) بقصص وحوادث كثيرة لدعاوى حصولهم على الكرامات والمعجزات وإغاثة طلاب الحاجات، وقد سبق أن أوردنا كثيرًا من تلك الدعاوى، التي ذكرها الشيخ الشعراني في كتابه (الطبقات الكبرى)[1].

---

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: مصدر سابق، (٢/٢٩٤).

الفصل التاسع

تسامح المسلمين مع أهل الديانات الأخرى

الأسس التي بُني عليها التسامح

إن قواعد الإسلام قد أرست للتسامح مع غير المسلمين من الديانات الأخرى، وأصل هذه الأسس قد ورد في الآيات التالية:

١. قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٦٢.

٢. قال تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آل عمران: ٦٤.

٣. قال تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ الكافرون: ١ ـ ٦.

٤. قال تعالى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ﴾ البقرة: ٢٥٦.

٥. قال تعالى ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ النساء: ٩٠.

٦. قال تعالى ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ الأنعام: ١٠٤.

٧. قال تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام: ١٠٨.

٨. قال تعالى ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الأنفال: ٦١.

٩. قال تعالى ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ يونس: ١٠٨.

١٠. قال تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٩٩.

١١. قال تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: ١٢٥.

١٢. قال تعالى ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٦.

١٣. قال تعالى ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ الكهف: ٢٩.

١٤. قال تعالى ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة: ٨.

إن هذه الأسس القرآنية بنيت على قاعدة الرحمة في التعامل، وكلمة الرحمة وردت في القرآن الكريم تسع مئة مرة، ولسنا بصدد التحقيق لما ذكره بعض العلماء؛ لأن بعض الآيات السالفة قد نسخت بآيات السيف والحرب.

ولكن أكثرية العلماء على فكرة كون آيات التسامح هي الأصل، وآيات السيف والحرب هي استثناء؛ فالحرب لا تمارس إلا في أحوال استثنائية كرد العدوان أو رفع الظلم والبغي.

كما أن أسس التسامح بنيت في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها الأحاديث المتعلقة مع أصحاب الديانات من اليهود والنصارى وغيرهم، وهذه الأحاديث أكثر من أن تحصى.

كما أن سيرة الخلفاء الراشدين وخاصة (عمر بن الخطاب) ونصوص العهدة العمرية لنصارى بيت المقدس تعكس غاية التسامح بل الإحسان إلى الكافة، وخاصة أهل الكتاب، ولكون سرد هذه الأحاديث الطويلة أو الأحداث في عهد الخلفاء الراشدين المتعلقة بالتسامح تخرج عن المقصود من هذا البحث، وللاختصار نحيل القارئ الكريم لما في الصحيحين وكتب السنن، ومن أمثلة تلك الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: «تعافوا تسقط الضغائن بينكم» كما ورد في كنز العمال. وقد ورد في صحيح البخاري أن أعرابيًّا بال في المسجد، فمنع الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة أن يعنفوه، وطالبهم بإراقة ماء على بوله.

والأحاديث التي تأمر بالرفق والإحسان والتسامح في المعاملة كثيرة لا تحصى. والإسلام يعترف بنبوة موسى وعيسى وبقية الأنبياء، في حين أن هؤلاء المخالفين لا يعترفون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويعتقد المسلمون أن من لم يؤمن بأنبياء الله فهو كافر.

أهم نتائج التسامح

١. من أهم نتائج التسامح في الإسلام على الصعيد النظري أو العملي هو انتشاره بشكل سريع، أسقط إمبراطوريتين كبيرتين في وقت واحد، ودخل كثير من أهلها إلى الإسلام.

٢. استخدمت الدولة الإسلامية غير المسلمين، وخاصة من أهل الكتاب في المناصب الرسمية، وليس هنا مجال تعداد الأشخاص من النصارى ممن تولوا مناصب في الدولة الإسلامية.

٣. بسط السلم والوئام ليس فقط بين المسلمين ومخالفيهم، وإنما أيضًا بين أصحاب الديانات الأخرى على اتساع رقعة الإمبراطورية الإسلامية.

٤. إن أهم نتائج التسامح التي تعنينا في بحثنا هذا هي ذلك الامتزاج والتداخل بين المسلمين وغيرهم، حتى إن الشريعة أباحت للمسلم الزواج من اليهودية أو النصرانية، وأن تبقى على ديانتها، ومن هنا كان لهذا التسامح أثران: إيجابي وسلبي؛ فالأثر الإيجابي هو اقتراب معتنقي تلك الديانات إلى فهم حقيقة الإسلام، والدخول فيه طواعية، أما الأثر السلبي وهو المهم في بحثنا هذا، ذلك أن كثيرًا من العرب والمسلمين تأثروا بمعتقدات تلك العناصر الأجنبية، ونقلوا أفكارهم من حيث يدري بعضهم أو لا يدري، ومن هنا كانت عنايتنا في البحث أولاً عن الجسور التي عبرت منها تلك العناصر الأجنبية إلى الشيعة خاصة في البحث.

الباب الثالث

أفكار الشيعة التي تأثرت بالعناصر الأجنبية

الفصل الاول

ما أخذه الشيعة من النصرانية

القبائل العربية التي تأثرت بالنصرانية

مقدمة

بسبب انتشار الديانة النصرانية فقد تأثرت بعض القبائل العربية بهذه الديانة قبل الإسلام، فقد ذكر أن قبيلة تغلب كانت أكثرها نصرانية، كما ذكر أن شيخ قبيلة عبد قيس بن ظهير كان نصرانيًّا، فقد دخل في النصرانية مع بعض من قبيلته بعد هزيمتهم في حرب داحس والغبراء، كما تنصر كثير من بني عجل في منطقة الأحساء والبحرين، وهم من بكر بن وائل، وقيل: إنهم حاربوا خالد بن الوليد بقيادة جابر بن بجير وَعبد الأسود، وقد اشترك بعض من نصارى العرب مع عجل من تيّم اللات وضبيعة، وذكر أن بعضًا من بني عجل كانوا يؤدون الجزية في العهد الأموي، كما كان بنو عقيل نصارى، وهم بطن من كعب بن عامر بن صعصعة من غطفان، وذكر منهم أساقفة نصارى، قيل: إنهم بعد إسلامهم قد ارتدوا إلى نصرانيتهم.

ومن النصارى بنو جفنة، فقد مدحهم على نصرانيتهم الشاعر النابغة الذبياني، ومن نصارى العرب أهل جزيرة فرسان، فقد كانت لهم كنائس فيها قد خربت، وكذا تنصر بعض بُطُون من قضاعة، وكثير من تيم اللات، وسمي دير خندف، حيث بنته ليلى القضاعية.

وكان مع الروم بعض من نصارى العرب من لخم وجذام ومن القين وبلى وعاملة وكلها من قضاعة، وذلك في معركة تبوك، كما كانت قبيلة كلب أكثرها على النصرانية في الشام، وكانت لهم كنيسة في دمشق.

ومن قبائل العرب التي كانت على النصرانية القبائل التي سكنت نجران من كندة، على رأسهم عبد المسيح، ومن قبائل اليمن المُتنصّرة قوم من لخم، كما أن أكثر القبائل

العربية التي سكنت الحيرة قبل الإسلام من كندة ولخم وجذام وعاملة وغسان كانوا على النصرانية، ولهم أسقفية في الحيرة للعبادة[١].

وَيدل على انتشار النصرانية بين العرب أسماء الأديرة وأبنيتها في الحيرة وما حولها، فقد ذكر دير جرجس، ودير حنا الكبير، ودير زرارة، وديارات الأساقفة، وعمومًا فقد ذكر أن حوالي ٣٦ ديرًا كانت في هذه المنطقة، فبالإضافة إلى الأساقف والبيع يتضح مدى انتشار النصرانية بين القبائل العربية، وأن أماكن العبادة هذه التي كانت في الحيرة أو نجران أو بصرى أو الحضر أو ميسان أو دمشق، وكانت جسورًا عبرت منها عناصر الفكر النصراني خاصة إلى تلك القبائل العربية، ومن هؤلاء العرب ومواليهم دخلوا في التشيع حاملين معهم تلك العناصر، التي كانت جزءًا من ثقافتهم وعلومهم.

وسنفصل لاحقًا تلك العناصر النصرانية، التي استعارها الشيعة منهم...

الديانة النصرانية وفكرة الأقانيم

١. تقوم النصرانية على فكرة الأقانيم الثلاثة، وهي عندهم الأب (الله)، والابن (المسيح) والروح القدس (مريم)، ولهم في هذا تفاسير مختلفة حسب مدارسهم، ولكن عمومًا يَرَوْن أن الله قد حل بالمسيح، وللمسيح عندهم صفتان: صفة الألوهية، وصفة الناسوتية: (الجسد). وهذه الأقانيم الثلاثة؛ تعبر عندهم عن شيء واحد، يتمثل بوحدة الوجود. وقد استعار بعض الشيعة فكرة الأقانيم الثلاثة، فقالوا بمحمد وعلي وفاطمة، وسنفصل الحديث في مكانه.

٢. تعذيب النفس، وهذه الفكرة في النصرانية قد مارسها القساوسة في كنائسهم وأديرتهم، وذلك عن طريق الصيام أو الامتناع عن بعض الأطعمة، مثل اللحوم، والصبر على المرض، واعتباره نوعًا من الابتلاء الذي يجب تقبله، والامتناع عن الاستحمام بدعوى أن النظافة هي نظافة الروح والقلب لا للجسد الفاني، وكذا تعذيب النفس بقلة النوم وطول الذكر والصلاة، ويبدو أن فكرة تعذيب النفس في النصرانية قد وجدت في الديانات الهندية القديمة.

---

(١) النصرانية وأدبها: للأب لويس سيخو الياسوعي، (ص ٤٣)، مجلة المشرق، عدد ١٥.

ففي تعاليم الهندوسية أنه لأجل الاتصال بالإله براهما يجب تعذيب النفس بطرق مختلفة للوصول إلى تقديس الرب، فمن ذلك مجابهة المشاق صعودًا إلى قمة الجبل الوعرة للتعبد في معبدالإله براهما، وقد يسير السالك صعودًا في الجبل بضع خطوات ينبطح على الأرض، ثم يقوم مستمرًّا في مسيرته، وهكذا أيام وليالي في تعذيب نفسه. كما ينقطع رهبان الهندوسية متعبدين في مغارات وزوايا بعيدة عن الناس طلبًا للوصول إلى تذليل النفس عن طريق مجابهة المشاق.

٣. الألقاب والأسماء، ابتدع النصارى لرجال دينهم ألقابًا تختلف باختلاف مراتبهم في الترقي بالديانة وخدمة الكنيسة واتباعها، وهذه المراتب تبدأ بالراهب ثم الشماس، ثم القسيس، ثم المطران، ثم البطريك، وأخيرًا مرتبة البابا. وقد استعار الشيعة الإمامية لشيوخهم مراتب، تبدأ بالواعظ، ثم المجتهد، ثم حجة الإسلام، ثم حجة الإسلام والمسلمين، ثم آية الله العظمى. أما عند الصوفية عمومًا فتبدأ بالمراتب بالشيوخ، ثم الأولياء، ثم الأبدال، ثم النقباء، ثم النجباء، ثم القطب الغوث. ولكن عند فرقة البكتاشية تبدأ بمرتبة العاشق، وهي رمز للعشق الإلهي عندهم، إلى أن تنتهي ببقية المراتب.

٤. الفداء والكفارة، يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام تحمل جملة من العذابات والاضطهاد، وأخيرًا صلب فداء وتكفيرًا لذنوب أتباعه، فقد تحمل جميع ذنوبهم، وقدم نفسه فداءً للصليب. وقد استعارت الطريقة الرفاعية الصوفية فكرة تحمل الذنوب تلك، فقد نقل عن شيخها أنه في مرضه الطويل قد تحمل ذنوب أتباعه، ونقل عنه أنه كان يقول لخادمه يعقوب: «ما وجد أذى من أحد من الفقراء إلا وجدت آلامهُ في قلبي». وقد تسربت هذه الفكرة إلى الشيعة الإمامية، فقد نقل محمد بن يعقوب الكليني في كتابه الكافي: أن الإمام موسى بن جعفر قال: «إن الله عز وجل غضب على الشيعة، فخيرني نفسي أو هم؟ فوقيتهم والله بنفسي». كما يذكر بعض الشيعة أن الحسين بن علي رضي الله عنهما قدم نفسه لتطهير شيعته من الذنوب والآثام.

٥. النص الشرعي لا يفهمه إلا الخواص، إن حق تفسير الأناجيل وتأويلها عند النصارى من قبل الصفوة العالية ورجالهم الروحيين، وقد أعطوا التفسير، وحق حذف بعض نصوص الإنجيل، (كنص إدانة اليهود بقتل المسيح)، وهذا الحق قد

مارسوه في العديد من مجامعهم القديمة: كمجمع نيقيا والحديث في روما. وهذه الفكرة نادى بها كثير من علماء الشيعة، الذين يرون أن النص القرآني أو نص الحديث له معنى ظاهر وباطن، لا يعلمه إلا الإمام أو نوابه (العلماء).

٦. الطاعة العمياء لرجال الدين، تنص المسيحية على وجوب طاعة رجل الدين والأخذ بتعاليمه دون تردد، ويرمون المتردد الذي يكثر النقاش لشيخه بأنه ضعيف الإيمان، وقد وصمهم القرآن بالطاعة العمياء لرجال دينهم، فقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ التوبة: ٣١،صدق الله العظيم.واستعار الشيعة هذه الفكرة بقولهم: وجوب طاعة الإمام؛ لأنه معصوم. وكذا وجوب تقليد العالم المجتهد، وعدم الخروج عن فتواه.

٧. اتخاذ قبور الأولياء معابد، تعتقد النصرانية أن لرجال دينهم قوة روحية ليس للآخرين، إلى درجة أنهم يدعون قدرتهم على إحياء الموتى ورد البصر وإبراء الأبرص وشفاء المريض، وغير ذلك من المعجزات، وقاموا بتقديس أوليائهم، وبناء القبب والكنائس والمعابد حول قبورهم وزيارتها والدعاء لهم. وقد تأثرت الطرق الصوفية والشيعة الإمامية بهذا النهج النصراني، فاتخذوا لأوليائهم معابد ومساجد وقببًا، يزورونها، ويدورون حولها، ويطلبون حوائجهم من صاحب القبر، وقد يذبحون لها النذر، وبالرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى أن تتخذ القبور مساجد.

وقد فصلنا الحديث عن هذا الموضوع المهم، وذكر مراجع البحث المتعلقة بذلك. ومن أثر النصرانية على بعض علماء الشيعة الإمامية، ما كتبه محمد باقر المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) والمتعلق بمولد الحسين رضي الله عنه وفاطمة الزهراء رضي الله عنها، فقد استعار المجلسي صفات النصرانية المتعلقة بميلاد المسيح ومريم عليهم السلام، كما أنه استعار لصفات الإمام الغائب ما عند المسيحية نفسها من صفات الأنبياء، وقد فصلنا ذلك من نقول المجلسي، وذلك في كتابنا (جذور التشيع). وربما يرجع السبب أن المجلسي قد تأثر بالفكر النصراني السائد في جبل عامل قبل ذهابه إلى إيران الصفوية.

الفصل الثاني

ما أخذه الشيعة من اليهودية

تذكر المصادر أن ملك حمير في اليمن ذا النواس كان يهوديًّا، وأنه قاد جيشه اليهودي إلى نجران، وحارب النصارى وحرقهم في موقعة الأخدود الشهيرة، وتشير المصادر إلى الصلة بين يهود يثرِب ويهود نجران، كما تشير بعض المصادر إلى وجود يهود في الحيرة، منهم رفاعة الخيبري، كما ذكر منهم بصروي من يهود الحيرة، واشتهر بالسحر والشعوذة، وانتقل إلى الكوفة واستمر في شعوذته إلى أن قتله جندب الأسدي، وقد ورثت الكوفة الكثير من العناصر الأجنبية التي كان لها أثر كبير في تاريخ التشيع، فقد ورد في بعض مصادر الشيعة: أن الإمام جعفر الصادق قد لعن أحد الأتباع، المدعو زرارة بن أعين، لأنه كان يتردد على يهودية في الكوفة.

تأثير اليهودية على الصوفية والشيعة الإمامية

١. الذكر وسماع الموسيقى وضرب الدفوف

اشتهرت اليهودية بالتلاوة والتغني بما سُمِّي بمزامير داود، وقد أُفرد له مكان في التوراة، فمن سمات رجال الدين اليهود أن يقوم رجل الدين حسن الصوت بتلاوة الترانيم والأشعار والأمثال. وقد يصاحب ذلك أيضًا الضرب على الدفوف أو أصوات المزامير والآلات الموسيقية، وقد ورد النص في مزامير دَاوُدَ رقم (١٤٩): «ليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص ودف، سبحوا بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج الهتاف» وقد ورثت النصرانية هذه الفكرة من اليهودية، فانتشرت في الكنائس وأماكن العبادة الترانيم الدينية المصحوبة بالعزف على بعض الآلات الموسيقية، وإلى اليوم تعد هذه الوسيلة من وسائل الكنيسة في الجذب إليها، واليهودية قد اتخذت البوق صوتًا لمواقيت صلاتهم، وطورت الكنيسة الضرب بالناقوس إعلانًا لوقت الصلاة، كما ورد في أسفار العهد القديم: «هللوا وغنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحة في جماعة الأتقياء، ليفرح إسرائيل بخالقه،

ليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص- بدف وعود، ليرنموا له؛ لأن الرب راضٍ عن شعبه، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار مزمار»[(١)].

وقد تأثرت المدارس الصوفية على اختلاف أنواعها بما يسمى بالإنشاد الديني والمدائح النبوية والأذكار في المناسبات: كالمولد النبوي، والإسراء والمعراج، ومناسبة مولد ولي كل فرقة من هذه الفرق، أو ذكرى موته، ويصاحب هذا الإنشاد الجماعي الضرب بالدف، وهز الأجساد بطرق مختلفة، قد تصل إلى حد الرقص، وفي هذه المناسبات يحلو لهم الخروج عن كثير من المعتقدات أو بما يسمى بالشطحات الصوفية، مثل إضفاء صفة روحانية إلى صفات ملائكية، يخرج فيها عن بشريته.

وقد استعار الشيعة أيضًا هذه الوسيلة فيما يسمى بالقراءات الحسينية، حيث يقومون بمناسبة شهر محرم بقراءة مقتل الحسين عليه السلام، وإنشاد الأشعار، واللطم على الصدور.

٢. التأويل الباطني

منذ القدم قام أحبار اليهود بتفسير وتأويل نصوص التوراة، فإذا وجد نص لا يرغبون بمعناه الظاهري، قاموا بتأويله وتفسير معناه على غير المعنى الظاهر.

وبتقدم الزمن كثرت عندهم التفاسير والتأويلات الباطنية، ليس فقط لنصوص التلمود الأورشليمي أو التلمود البابلي، وكمثال على ذلك نحيل القارئ إلى كتابي (الزواج المؤقت) لتتبع تفسير النص التلمودي المتعلق بالأب نحمان حينما يزور مدينة شكنزب كان يقف بين النساء، ويقول: من تتزوجني لليلة واحدة[(٢)].

ومن المدارس اليهودية القديمة التي اشتهرت بالتأويل الباطني كطائفة الحروفيين: التي اعتمدت بتأويلها على الحروف، وإن كل حرف يرمز إلى معنى معين عندهم، وكطائفة الفيضيين: وهم الذين يدعون أن شدة الاستغراق بالذكر تؤدي إلى الفيض الروحي الذي يحصل عنه كشف الأسرار.

---

(١) الجعيط: الكوفة (ص ١٠١)، الطبري: تاريخ، (٤/٤٩٢- ٤٩٣)، العهد القديم: المزامير، مزمور (١٤٩- ١٥٠).

(٢) الدكتور. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: الزواج المؤقت، دار الحرف، بيروت، سنة ٢٠٠٦م.

وقد تأثرت المذاهب الصوفية بهذا النهج على مراتب ودرجات مختلفة، فظهر من بين شيوخ الصوفية والشيعة الإمامية من ينهج التفسير الباطني، معتمدًا على بعض معاني الحروف التي يدعونها، وكذا تأثرهم بدعوى الكشف الإلهي، فعند كثير من أقطاب الصوفية ومظاهر تأثر الصوفية والشيعة الإمامية بالغنوصية، منهج وأسلوب الفريقين في تفسير وتأويل آيات القرآن الكريم، حيث يعتقدون أن للنص القرآني أو لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم معنًى ظاهريًّا ومعنًى باطنيًّا.

ففي مجال المعنى الباطني يخوض الفريقان بالتفسير بما تشتهيه نفوسهم وعقولهم، ونضرب لذلك مثلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن: ١٩ – ٢٠، فمرج البحرين عندهم: فاطمة وعلي يلتقيان يتزواجان ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الرحمن: ٢٢، أي يلد منها الحسين والحسن، ونسب بعض الشيعة الإمامية حديثًا موضوعًا مفاده: «إن القرآن قد نزل بإياكِ أعني واسمعي يا جارة»، وقد ورد هذا في تفسير القمي لآيات صرف معناها ضد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وتدعي الصوفية أن كشف الله لوليها حججًا كانت مستورة عن الخلق، وقد وصل ببعضهم الادعاء بالوحي الإلهي أو الإلهام أو الإسراء والمعراج إلى العرش، ووصول شيخهم إلى سدرة المنتهى[(١)].

فكرة التشبيه والتجسيد عند اليهود

في نصوص التوراة والتلمود عبارات تدل على تشبيه الخالق بمخلوقاته، ومنها الإنسان، وتشبيه الخالق بصفات إنسانية أو حسية، فقد ورد في التوراة: أن الله قد خلق الكون في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع؛ ولذا فهم لا يمارسون عملاً في ذلك اليوم، كما ورد أن الخالق يمضي أكثر الليل باكيًا على تهديم الهيكل، وشروح هذه النصوص قد ذهبت بعيدًا إلى درجة تجسيد الخالق، ووصفه بهيكل له طول وعرض.

---

(١) خانجي: إيران الصفوية. انظر: الشعراني: كتاب الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، (ص ٢٩٠)، وما بعدها.

وهذه الأفكار انتقلت إلى بعض فرق المسلمين: كفرقة المجسمة التي كانت بزعامة هشام بن الحكم من كبار شيوخ الشيعة في أوائل العصر العباسي، وادعوا أن طول إلههم سبعون ذراعًا.

وفكرة البداء عند الشيعة لها علاقة بهذا الموضوع، حيث ينسبون إلى الخالق تغيير مقدراته، حيث يبدو له أمر آخر، فيعمد إلى تغيير إرادته، وهذا اقتراب من فكرة تغيير البشر لآرائهم وأفعالهم، حينما يبدو لهم خطأ ما ذهبوا إليه.

كما أن فكرة التشبيه انتقلت بعض مظاهرها إلى بعض الفرق الصوفية، حيث ادعى بعضهم صفات الألوهية لشيوخهم الذين وصلوا إلى درجة الغوث، وأن صفة الألوهية هذه تمكن الشيخ من الانتقال من مكان إلى آخر بلمح البصر، كما استعار بعض فرق الصوفية فكرة العصمة لشيوخهم، وأنهم منزهون عما يشين.

فكرة الولاية

عند الشيعة الإمامية تعد الولاية ركنًا من أركان الدين، حيث يجب عندهم الإقرار بولاية علي والأئمة وبقية الأئمة الاثني عشر، والذين تولوا الخلافة قبله يعدونهم غاصبين منكرين لحق علي، فمن أنكر هذه الولاية عندهم يعد كافرًا وإن صام وصلى وحج وزكى، فأعماله كلها باطلة.

أورد البحراني في تفسيره رواية عن جعفر الصادق «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله عز وجل عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض، أقر بها من أقر، وأنكرها من أنكر، وأنكرها يونس فحبسه في بطن الحوت حتى أقرَ بها».

وروى الكليني في كتابه الكافي العديد من الروايات التي تفيد أن ولاية علي قد أقر بها جميع الأنبياء، وشك فيها من ابتلعه الحوت (يونس عليه السلام)، أو أصيب بمرض عضال (أيوب عليه السلام)، وكذلك جميع المخلوقات من الطيور وغيرها.

وذكر العياشي في تفسيره «أن المؤمنين بعلي هم الخالدون في الجنة، وإن كان في أعمالهم ما يسيء»، وذكر أيضًا: «أن حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه مصيبة

لا تنفع معها حسنة»، ويعتقد الشيعة أن الإمام علي بن أبي طالب هو وصي من النبي مثله كمثل النبي موسى، حينما أوصى إلى يوشع بن نون كما ورد هذا في كتاب الحجة من الكافي للكليني، وهذا التأسيس للولاية والوصاية على التفاصيل الكثيرة والواردة في مصادر الشيعة، خاصة ما ذكره ابن بابويه القمي، وما ذكره الشيخ المفيد والشيخ الطوسي وغيرهم، كل ذلك منتحلاً ومأخوذًا عن اليهود في شروح التوراة والتلمود، التي عرفها العرب اليهود قديمًا من دخل منهم في الإسلام وبقي على سوء سريرته وعقيدته اليهودية، ولم يتورع في إدخال هذه المبادئ إلى التشيع، وأن يضفي عليها تأويلات يقتضيها المقام.

وروى النعماني في كتابه (الغيبة) أن الإمام الغائب الثاني عشر قد ورد ما يفيد غيبته، ثم خروجه في السفر الأول من التوراة من تمكين القائم وفضله، وكذا تكرر هذا المعنى في السفر الثاني والثالث من التوراة، وهذا يوضح بجلاء المصادر اليهودية التي كان يستقي منها رواة الشيعة.

وتورد بعض الروايات أن القائم حينما يظهر بمكة ينادى باسمه العبراني، كما تواضعت على ذلك مصادر القوم، كـ(الأنوار النعمانية) للجزائري، وكتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد، و(إعلام الورى) للطبرسي. والسؤال الذي يضعه الباحث: لماذا ينادى باسمه باللغة العبرية؟ والجواب: هو أنهم يَرَوْن تأكيد ذلك معززًا بأن اسمه قد ورد في التوراة.

وهذا أوضح دليل على رجوعهم المباشر للغة، ومصدر الديانة اليهودية، بل الأدهى من ذلك والأمر ما أورده النعماني في غيبته: أن القائم سيحكم بشريعة داود تفصيلاً؛ لذلك كما في بحار الأنوار للمجلسي وغيره من المصادر: أن شريعتهم هي القتل وسفك الدماء، وأنه أول ما يبدأ قائمهم بقتل العرب من قريش والعرب جميعًا، وهذا أوضح دليل أنه كتب تحت مؤثرات يهودية ومجوسية، ودليل على التقاء نوايا الشيعة بالنوايا اليهودية في سيادة شريعة اليهود ولغتهم (في مكة).

فكرة الكرسي والتابوت

في ثورة المختار في الكوفة التي قامت بتعقب قتلة الحسين بن علي، فقد اتخذت هذه الثورة رمزًا لها، وهو كرسي قيل: إن علي بن أبي طالب كان يخطب عليه في مسجد الكوفة،

وكانوا يحملونه معهم أينما ذهبوا وساروا لقتال الأمويين، ويذكر المستشرق ولهوزن أن هذه الفكرة صنعها اليمانيون من همدان وشبام ونهد وخارف وثور وشاكر، وكان كثير ممن سكن في الكوفة منهم متهمون بالسبئية (اليهودية)؛ لأن الكرسي يشبه ما كان يحمله بنو إسرائيل في التابوت في أثناء قتالهم، حيث يتبركون بهذا التابوت، الذي قيل: إن صحف موسى كانت تحتفظ به، وذكر في الكوفة خبر المرأتين الناعطيتين، اللتين اتهمتا بنشر التعاليم السبئية، وهما امرأتان يمنيتان.

وكذلك أبو نوف الهمداني الذي ذكر أنه كان يمد المختار بالأفكار السبئية، وقيل: إن أول من ابتدع فكرة الكرسي المقدس عندهم هو من الأشعريين (قبيلة يمينية)، ثم من قام على سدانة الكرسي، هو حوشب بن البرسمي[١].

وهذا يشير إلى حقيقة التقاء التشيع باليهودية من خلال الأفكار والرجال والنساء المذكورات في الكوفة.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابنا: (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة).

الفصل الثالث

ما أخذه الشيعة من الديانات الهندية القديمة

البرهمية

هي الديانة القديمة للهنود منسوبة إلى الآلهة (براهما) بما يقرب من الألف الأول قبل الميلاد، وقد سطرت تعاليمها في كتب الفيديا وفي قانون مانو تتعلق بالمعارف المنسوبة إلى النار والهواء والشمس، وللإلهة الكثيرة من الأسماء المتعددة والقوى، وفيها أيضًا تعاليم العبادات وشعائرها وبعض أحكام المعاملات.

كما تبين طريقة تقديم القرابين لحفظ الأرواح من الشياطين والرقى ضد السحر، وتشمل أيضًا التعاليم إشارات إلى كيفية نشأة الكون والخلق وتقسيم طبقات المجتمع.

ويرى بعض الباحثين أن أصل هذه الديانة توحيد للإله (براهما) بدليل ما ورد في كثير من نصوص الفيديا، ولكن غلب عليهم فيما بعد القول بتعدد الآلهة مع بقاء براهما الإله القوي الأوحد، الذي لا يلد ولا يولد، وليس هو بذكر ولا بأنثى.

وفي البداية أضيف لبراهما صفة الموجد والحافظ والمهلك، فكانت بابًا لدعوى التثليث، وقد وجدت الديانة بدوافع الأهواء والنزاعات بين الفرق.

وحدة الوجود في البرهمية

ومقتضاها عندهم أن الكائنات جميعًا من جماد ونبات وحيوان سرت فيها روح الإله الموجد، وعلى ذلك فإن هذه الكائنات ليست إلا مظاهر منه وحده.

ومن هنا فالهدف الأساسي للإنسان يجب أن يكون الفناء في هذا الإله المطلق، حيث في ذلك سعادته، ولا يحصل ذلك إلا بالزهد والصوم والسهر وتعذيب الجسد، فتخمد بذلك شهواته، وترقى روحه وتصفو. وتشير الفيديا: إلى أن الله والنفس الإنسانية وجميع

الكائنات إنما هي شيء واحد، وما الشمس والقمر والأرواح في الموجودات إلا أجزاء ومظاهر للإله المطلق.

إن نظرية وحدة الوجود انتقلت من الديانة الهندية إلى الفارسية، حيث بلغت بعض المسلمين عن هذا الطريق، وتأثروا بها مثل أبي منصور الحلاج وابن عربي، وأصبحت ركنًا من أركان الفرق الصوفية، التي تشعبت فيما بعد، ولم تسلم حركات الفرق الشيعية الصوفية، التي ظهرت في إيران من تأثيرات هذه النظرية، كما سنرى في الفصل المتعلق بتشيع إيران.

تناسخ الأرواح

إن أرواح الكائنات ومنها الإنسان لا تفنى بالموت، ومنها تفارق الجسد الذي كانت فيه (الموت) إلى أن تحل في جسد آخر، فتظل متنقلة إلى أن تصل نهايتها الأخيرة وهي الاتحاد؛ فالإنسان في أثناء حياته تعلق روحه بالأفعال التي يمارسها، فإن كانت خيرًا فالسعادة ستكون مصير روحه، وإن كانت شرًّا فمصيرها الى الشقاء، فاذا غادرت روحه الخيرة جسدها، فإنها تحل في جسد آخر يحقق لها استمرار السعادة، وإن كانت شريرة بما اقترفته من أفعال حلت بجسد متعب كالحمار أو الكلب، حيث تبقى حبيسة في شقاء، جزاء لها، وتستمر هذه الدورة للروح بين الكائنات إلى أن تتطهر من جميع الشرور وتصبح مستعدة للاتحاد والرجوع لمصدرها الأصلي (براهما)، فانتقال الروح من جسد إلى آخر بهذه الكيفية والهدف هو التناسخ، والروح في عالمها لا تدرى بالعوالم التي مرت بها سابقًا، فكل دورة تكون منقطعة عن الأخرى.

ويترتب على ذلك عدم وجود بعث وثواب بالصورة التي عليها الديانات السماوية، إنما الروح تأخذ جزاءها بالكيفية المعبر عنها سابقًا، ويستتبع ذلك عدم وجود الجنة والنار على الشكل المعروف في العقيدة الإسلامية، إنما يؤمنون بأن أرواح الناس تكون في حياتهم الأولى في منزلة وسطى في الكسب والعمل، فإن كان خيرًا ذهبت أرواحهم إلى المنزلة العليا، حيث السعادة (الجنة)، وإن كان العكس ذهبت إلى الدرجات السفلى، حيث العذاب (النار)، ويكون ذلك لمدة معينة تنتقل فيها الأرواح فيما بعد لأجساد أخرى، ومن

هنا يعتقدون أن كثيرًا من الأرواح الخيرة قد حلت ببعض الكائنات فقدستها، فحلت مثلاً بنهر (براهما) بوترا، فأصبح ماؤه مقدسًا طاهرًا، تدور حوله كثير من المعتقدات، حتى إنه يطهر الأجساد التي تلقى به.

كما أن تلك الأرواح قد حلت بالأبقار، فأصبحت مقدسة يحرم ذبحها وأكلها، بل لا يجوز التعرض لها بأذى، فذلك من أكبر الآثام. كما اعتقدوا أن تلك الأرواح قد حلت في صنم جماد، اقتضى عندهم تقديسه وعبادته، أو حلت برجل معين، فأصبح مقدسًا عندهم، وذلك بما ناله من نسك وصيام وتصوف.

إن نظرية تناسخ الأرواح هي الأخرى انتقلت من الديانة الهندية إلى الديانة الفارسية، ومن الفرس انتقل بعض تأثيرها في عقائد كثيرة من الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وسنرى أن بعض فرق الشيعة كانت تقضي بهذه الفكرة، وأظهرها بعضهم بأشكال مختلفة معدلة، لتبرير عقائدهم، كما سنرى ذلك بالتفصيل فيما بعد.

لا نبوة في الديانة البرهمية

النبوة بالمعنى الذي تشير إليه الديانات السماوية لا تعتقد بها البرهمية، أولًا باعتبار ذلك عملاً مستحيلاً أن يختص الخالق أحد عباده دون الآخرين بالهداية، والواجب أن يمنع ذلك عن بقية خلقه. ويذكر الشهرستاني حجتهم في أفكار النبوة: أنهم يقولون: إن النبي لا يخلو حاله من أمرين: فإما أن يأمر بمعقول، والبشر لا يلزمهم نبي من أجل الوصول إليه؛ لأنهم في عقل متساو، والجميع لديهم القدرة على الوصول إليه، وإما أن يأمر بغير معقول، وعندها لا يكون الأمر مقبولاً؛ لأن في ذلك تجهيلاً وبهيمية للعاقل. والحقيقة أن البرهمية أغلقت فكرة محدودية العقل البشرى وإدراكه، خاصة في بعض مراحل حياة البشر، حيث يكون العقل في حاجة إلى هداية ربانية عن طريق النبوة.

بالإضافة إلى أن البرهمية قد ناقضت نفسها حينما أوصلت بعض البشر إلى مصاف الآلهة بدعوى الحلول والاتحاد، كما أوضحنا، كما أنها لم تأخذ بمقتضى العقل في كثير من تعاليمها المنافية بشكل صارخ لحكم العقل كتقسيم المجتمع إلى أربع طبقات لا تقل أي

طبقة أو تنتقل إلى أخرى، وهم البراهمة (رجال الدين)، والكشتريين (رجال الحرب)، والفيسائيين وهم (رجال العمل والتجارة) والشوذرا وهم (المنبوذين)، وأصبحوا منبوذين لأنهم انحدروا من قدم الإله براهما، وهي أحط جزء من جسمه، فليس لهم إلا وظيفة الخدمة؛ لأنهم رجس نجسون، لا يصلح لمسهم ولا مؤاكلتهم ولا مصاهرتهم. والمنبوذ ينجس الآنية التي يشرب أو يأكل فيها، فلا يصح استعمالها بعده[١].

لا جنة ولا نار

ما زالت الهندوسية لا تؤمن بالبعث والحساب حسب المفهوم الإسلامي، فإن الثواب والعقاب هو الآخر لا وجود له، فلا جنة يخلد فيها المؤمنون، ولا النار يعاقب بها الأشرار، كما هو مقرر في المفهوم الإسلامي، وإنما بما يقضى به التناسخ تكون أرواح المؤمنين في العالم العلوي (جنة) سعيدة باتحادها بـ(براهما)، وأرواح الأشرار تكون في عالم سفلي (جهنم) لتتطهر مما علق بها من شرور في دورات مختلفة، حتى تتطهر الروح نهائيًّا. وعلى هذا فإن الثواب والعقاب يقع على الروح لا على الجسد، وهما إنما يكونان لمدة معينة خاصة بالنسبة للروح الشريرة[٢].

وقد قامت حركة ضد البرهمية سميت بالبوذية، نسبة إلى المصلح بوذا، فأنكرت البوذية وجود الآلهة؛ فهي حركة إلحادية كما رفضت نظام الطبقات الموجودة في البرهمية، لكن فكرة التناسخ بقيت في البوذية مع بعض التحوير، الذي يقتضي به المقال، حيث دعت البوذية إلى الزهد ونبذ العنف، ولا تؤمن البوذية بصلاة البراهمة أو تقديم

(١) من المحتمل أن يكون لهذه العقيدة المتعلقة بنجاسة المنبوذ صلة وتأثير، لما هو عند بعض الفرق الإسلامية (بعض الشيعة) من اعتقادها بنجاسة أهل الكتاب خاصة إذا لحقه رطوبة، أما آنيته وطعامه فغير جائزة للمسلم، وقد ذكر بعض السائحين الأوروبيين بمذكراتهم: النصيحة بحمل كأس ماء خاص واستعماله عند السياحة في إيران، كما ينصحون بتجنب السائح المبلل بالمطر والاحتكاك بالناس في الأماكن العامة، وفي إيران لا يجوز الزواج بالكتابية إلا متعة، حسب تعاليم الإمامية، وحجتهم في ذلك أن أهل الكتاب مشركون. ونجاسة المشرك جاء بها القرآن الكريم.

(٢) لقد أنكرت كثير من الفرق المنتسبة إلى الإسلام الجنة والنار، وقالوا بتأويل ما جاء فيها في القرآن الكريم، إنما هي أسماء رجال، ولا شك أن ذلك من آثار الديانات التي لا تؤمن بالجنة والنار والحساب والبعث، على التفصيل الوارد في الدين الإسلامي، وقد ورد هذا الاعتقاد عند كثير من الفرق الشيعية، كما ذكر ذلك النوبختي في فرق الشيعة، وكما سنرى ذلك مفصلاً.

القرابين، كما أباحت البوذية الانتحار، وأباحت كذلك التعري للتحلل من القيود، والظهور على الحقيقة ودونما زيف، وقد ادَّعى تلامذة بوذا فيما بعد آراء أضيفت إلى البوذية، حاولوا فيها التوفيق بين الاعتقاد بالآلهة كما في الهندوسية وبين آراء بوذا، ومنها ادعاؤهم أن روح الآلهة (براهما) قد حلت في بوذا، واعتقدوا بوجوب تآخي جميع الديانات؛ لأنها جميعًا على حق باعتبار الحقيقة المنبعثة من معتنقيها، فلا بد من احترام جميع الديانات والأفكار؛ فأنشأت ما يسمى بـ (اليوجا)، وقد انتشرت البوذية في شرق آسيا في الصين واليابان وسيام وبورما، ولم تسلم كثير من الفرق المنتسبة إلى الإسلام من بعض الأفكار البوذية كما سنرى[1].

١. تأثير بعض الديانات الهندية

ترى الديانة البرهمية القديمة وجوب تقديس الثلاثة: (الروح وبراهما والكون)، وهذه الثلاثة عندهم شيء واحد؛ فالروح قد حلت في براهما (الإله) وهذا الرب أو الإله قد حل في جميع أجزاء الكون من إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد، وهذه النظرية الهندوسية قد بلورت فكرة وحدة الوجود التي ظهرت بأشكال وتبريرات مختلفة عند الديانات القديمة، والتي انتقلت فيها إلى الفرق الصوفية وبعض الشيعة الإمامية، وتفرع عن هذه النظرية فكرة التناسخ، ومفادها أن الأرواح بعد الموت إن كانت صالحة حلت في مخلوق بهيج كالطير، أما إن كانت ضالة فتحل في حيوان متعب كالحمار أو الكلب، فقد انتقلت هذه الفكرة إلى الديانة الفارسية القديمة أي المجوسية، وعنها تسربت إلى الشيعة الإمامية.

في كتاب (بحار الأنوار) حديث يبرر فيه حرق جسد الميت، لتطهيره، كما يفعل المجوس قديمًا.

٢. العشق الإلهي في عقيدة كريشنا

ترى هذه العقيدة أن أصدق تعبير للإنسان في محبته وعشقه للآلهة هو التعبير بالرقص الجسدي، ولكل رقصة عندهم قصة حب وعشق تسرد ويعبر عنها بالرقص، ثم

---

(١) انظر: الحيني في العقائد والأديان.

قد يفصح عنها كتابيًّا، وهذا ما تقوم به الراقصات الهنديات في حركاتهن باليد أو الرجل أو التمايل بالرأس والنظر... إلخ

وقد تأثرت الفرق الصوفية بفكرة العشق الإلهي، وكذلك الشيعة الإمامية، حيث كتبوا في هذا الموضوع العديد من مؤلفاتهم واهتماماتهم، أشار إليها الدكتور/ علي شريعتي في كتابه (الإمام الساجد).

٣. الخضوع للشيخ أو الإمام

وفي الديانة البوذية تقتضي تعاليمهم استحضار صورة بوذا، والتفكير به، والخضوع إليه، سواء كان تمثالاً أمامهم في عبادتهم أو تخيلاً، وهذه الفكرة انتقلت إلى الصوفية بشكل واسع إلى درجة أن بعضهم، قال: «من لا شيخ له لا دين له»، ولا يصح التدرج في مدارج السالكين عندهم، إلا على يد شيخ قد وصل إلى درجة العارفين، وقد ذكر بعض تعاليم شيوخهم بأن المريد أو السالك لطريقتهم يجب أن يكون في يد شيخه كالميت في يد مغسله يقلبه حيث يشاء. وهذه العلاقة بين المريد وشيخه قد تصل لدرجة الفناء بعد الخضوع، والاستجابة لجميع أوامر وطلبات الشيخ، وإن بدت غير مفهومة أو منافية للمنطق أو ربما غير مشروعة؛ فبسبب إيمان الصوفية بفكرة الجبر التي تقضي أن العبد مسير لا مخير، وأن ما يقع فيه العبد هو من إرادة الله لا يجوز لأحد التدخل في ما لا يعنيه، إلى درجة أنه ذكر أن أحد شيوخهم أمر المريدين على شاطئ البحر بعدم إنقاذ سفينة توشك على الغرق؛ لأن إنقاذهم يحول دون إرادة الله في إغراقهم، لسبب لا نعلمه نحن البشر[١].

وتعظم الشيعة أئمتها كما هو عند الصوفية، وتعتقد أنهم أولي الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، وأنهم الشهداء على الناس، وأنهم أبواب الله والسبل إليه، وأن أمرهم ونهيهم هو أمر الله ونهيه، والراد عليهم كالراد على الرسول صلى الله عليه وسلم، والراد على الرسول صلى الله عليه وسلم كالراد على الله، فالأئمة عندهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة وإلى الأنبياء والرسل، وأنهم أيضًا معصومون من الخطأ والزلل، وكتب الحديث عند الشيعة الإمامية تعكس كل هذه المعاني، بل إن أكثرهم يضعون أبوابًا

(١) انظر: كتاب الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية: الشعراني، (ص ٢٩٠).

في الحديث من هذه المعاني، وخاصة ما ورد في كتب الحديث الأربعة التي سبق ذكرها، وما زاد عليها المصنفون المتأخرون: كالحلي في كتاب (السرائر)، والمجلسي في كتاب (بحار الأنوار)، وغيرهم من المتأخرين، ووصل بهم الحال إلى الادعاء بأن الله قد فوَّض الأئمة بإدارة الكون، فهم يحرمون ما يشاؤون ويحلون ما يشاؤون، وجميع المخلوقات تحت أمرهم، من انشقاق القمر، وتسبيح الحصى، والنّاس عبيد للأئمة، عليهم واجب الطاعة دونما اعتراض؛ لأن الاعتراض من علامات الشك والخروج على الإمام.

٤. تعذيب النفس

وقد سبق أن أشرنا إلى فكرة تعذيب النفس في البرهمية والهندوكية، وانتقال هذه العقيدة إلى النصرانية، وتأثيرها في كل من الصوفية والشيعة الإمامية.

فالإمامية لهم مواسم في عاشوراء وغيرها، يقومون خلالها باللطم على خدودهم وصدورهم، وربما قاموا أيضًا بضرب جباههم بالسيف أو الحديد (التطبير) وإسالة دمائهم بمشاعر مختلطة بالحزن والندم على مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه والأئمة الآخرين[١].

عادة حرق الموتى

في الديانة الهندوكية عادة حرق موتاهم، وذر رماد الميت في النهر المقدس (براهما بوترا)، وفي القرون السابقة كانت عادة حرق الزوجة وهي حية، حيث لا بقاء لها بعد موت زوجها، وقد أبطل الإنجليز هذه العادة في الهند. وقد انتقل تطبيق هذه العادة إلى الديانة الفارسية؛ فكان بعض الفرس يحرقون موتاهم، وبعضهم الآخر يضعون الميت في مكان عالٍ مخصص لكي تأكله الطيور الجارحة، ظنًّا أن روح الميت تنتقل إلى هذه الطيور، ويسمون هذا المكان العالي بـ(الدراخما). ويبدو أن عادة حرق الموتى استمرت حتى بعد الفتح الإسلامي لإيران في بعض المناطق النائية. وقد تأثر فيما يبدو بعض الشيعة في إيران بتطبيق هذه العادة، فقد أورد المجلسي في (بحار الأنوار) روايةً عن علي بن الحسين يرويها

(١) انظر: رسالة التنزيه لأعمال الشبيه: محمد كاشف الغطاء، (ص ٣٠).

على لسان أحد بني إسرائيل: «أنه أوصى أولاده أن يحرقوه بعد موته، ويذرون نصف رماده في البر، والنصف الآخر في البحر، فلما فعلوا ذلك أمر الله ذلك، أرجعه لذلك الإنسان (الميت)، وسأله الخالق: ما حملك على تلك الوصية؟ فقال العبد: خوفك. فقال الله: قد أمنت خوفك وغفرت لك».

وهذه الرواية تدل بوضوح على مدى استحكام تطبيق هذه العادة عند الفرد، حتى بعد دخوله الإسلام أو تشيعه وإعطائه مبررات حسنة على لسان الإمام علي بن الحسين، الذي نعتقد أنه بريء منها رضي الله عنه[1].

(١) المجلسي: البحار، (١١٧/١٥)، من القسم الثاني (الطبعة الحجرية).

الفصل الرابع

ما أخذه الشيعة من الفلسفة اليونانية

ورثت الدولة الرومانية الثقافة والعلوم اليونانية، وباحتلال الدولة الرومانية بعض أطراف البلاد العربية نقلت الثقافة والفلسفة اليونانية عن الرومان إلى العلماء العرب بدءًا من سواحل البحر الأبيض، وقام فلاسفة العرب بترجمة الفكر الفلسفي اليوناني، خاصة الأفلاطونية والأرسطية، كما هو واضح في فلسفة ابن سينا والكندي والفارابي وغيرهم من الفلاسفة العرب المسلمين، ومن كتب هؤلاء تأثرت الفرق الصوفية والشيعة الاثني عشرية، وخاصةً كان تأثرهم بالفلسفة الإشراقية، ومثالاً على ذلك رأى الفيلسوف اليوناني أفلوطين فيما يتعلق بوحدة الوجود وفكرة الحلول الإلهي.

كما أن في الفلسفة اليونانية فكرة الغنوصية التي تعني عند فلاسفة اليونان حصول المعرفة عن طريق الكشف والإلهام، وهذه ساقتهم إلى القول: إن المعرفة تأتي عن طريق قذف النور في العقول، ويرون أن الإنسان هو أول مخلوق قذف بفكرة النور الأزلي، مما أضاء له طريق المعرفة والتميز خلاف بقية المخلوقات.

١. فكرة العرفان والكشف

استبدل الصوفية والشيعة الإمامية كلمة الوحي والإلهام التي قالت بها الفلسفة الأفلاطونية المحدثة بكلمة أقل إنكارًا، فاستبدلوا الوحي والإلهام بالعرفان والكشف، فالعقل عند الصوفية والشيعة الإمامية دليل شرعي مقدم عند الشيعة على القياس أو الإجماع وعن طريق دليل العقل، يدعون بمقدرة العقل على المعرفة واستمرارية التعقل والتفكير تؤدي إلى كشف المحجوب، وبهذا المعنى يلتقون مع الفلسفة الاستشراقية المحدثة، فكلمة غنوص في اليونانية يقابلها العرفان.

وقد أثرت الفلسفة الاستشراقية عمومًا بكل من الصوفية والشيعة الإمامية في إيران، خاصة بعد القرن العاشر الهجري، ولتفضيل ذلك نحيل القارئ إلى ما كتبناه عن إيران وآراء

المُلا صدرا، وقد درس هذه الظاهرة -أي ظاهرة العرفان في إيران- المستشرق الفرنسي: هنري كوربيان، وقد دوَّنا آراءه في كتابنا (جذور التشيع)، لكن الصوفية يستعملون كلمة الكشف أكثر من كلمة الوحي والعرفان، وإن كان مرادهم واحد، فالكشف عندهم هو سبيل الاستدلال، ووسيلة أصح وأقوى من الاستدلال ببقية الأدلة الشرعية، ففي طبقات الصوفية للشعراني كلام طويل على منهج شيوخ الصوفية واستدلالهم بالكشف، وفي كتاب الفتوحات المكية لابن عربي ما يدل على أن وسيلة الكشف طريق لتصحيح الحديث المعلول عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تكون العلة بضعف الحديث بسبب رواته، ولكن وسيلة الكشف توصل الشيخ إلى حقيقة المعنى الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن طريق الكشف يدعون تلقيهم أمر الله عن طريق الإسراء والمعراج، أو عن طريق ادعائهم برؤية الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أمرهم بذلك في اليقظة أو الحلم. يحصل الكشف عند بعض الصوفية والشيعة الإمامية عن طريق الإلهام الرباني، ولا يشبه الإلهام عند الأنبياء عن طريق الوحي والإلهام عند الصوفية والشيعة الإمامية، فالإلهام عند الصوفية والشيعة الإمامية يجري عن طريق نور يقذف في القلب، أو ما يعبر عنه بعض الشيعة الإمامية (نكت العلم بالقلب)، هذا إضافة إلى ما يدعونه بوراثة أئمتهم العلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وأورد الكليني في كتابه (الكافي): أن العلم والمعرفة عند أئمتهم «علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع»، وقال: «أما الغابر فما تقدم من علمنا، وأما المزبور فالعلم فيما يأتينا، وأما النكت في القلوب فإلهام، وأما النقر في الأسماع فأمر الملك»[1].

ويدعي أيضًا الشيعة الإمامية أن لديهم علومًا غيبية مستورة محفوظة بما يسمونه علم الجفر (الأحمر- الأبيض) والجامعة ومصحف فاطمة.

(١) الكليني (١/٣١٨- ٣١٩).

ويدعي محمد بن الحسن الطوسي في كتابه (الإمامة): أن الإمام جعفر علمه بالإلهام والسماع، وربما كانا جمعيًا، وقد يحصل عند شيوخ الصوفية وبعض الشيعة العلم كما يدعون عن طريق المنامات والأحلام.

ويعقد كثير من الصوفية بابًا للكشف عن طريق الرؤى والمنامات في كتبهم، كما هو مثلاً في الرسالة القشيرية، وعند أكثر الشيعة الإمامية: أن منامات ورؤى الإمام المعصوم تعد من قبيل الكشف والإلهام، الذي يقترب من الإيحاء به من الله؛ ولذا فهو واجب الاتباع شرعًا.

٢. فكرة النفس والعقل عند أفلاطون

يرى أفلاطون أن للنفس البشرية حياة سابقة عن حياة البدن، حيث كانت النفس تعيش في العالم المنزه عن الحس، ولكن النفس أصابها العقاب، حينما حلت في بدن مركب من طبيعة عالمنا الأرضي.

ويرى أفلاطون أن البدن سجن للنفس، وهي في صراع دائم معه، وذلك لاختلاف طبيعتها؛ فالنفس عنده تعيش في عالم المثال، بينما البدن يعيش في عالم الشهوة والعقل، والحكمة هي المرجح بين عالم المثال وعالم الشهوات.

فهذا الصراع الذي صور أفلاطون اتسع عند الصوفية ونادوا بتهذيب النفس عن طريق تعذيب البدن بالزهد والصيام والعبادة، وقد تأثر كثير من الصوفية بفكرة وحدة الوجود والحلول الإلهي، حيث نجدها ظاهرة بتعابير وتأويلات مختلفة بشكل من فلسفة الحلاج وابن عربي والسهروردي وابن الفارض وجلال الدين الرومي وأبي يزيد البسطامي. قال أحد الصوفية شعرًا معبرًا عن فكرة الحلول الإلهي، المستقاة من فكرة وحدة الوجود

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرته أبصرتني   وإذا أبصرتني أبصرتنا

قد أثر عن الحلاج قوله: «إن الله في جيبي» معبرًا عن فكرة حلول الخالق بجميع الأشياء، وليس فقط في جسد الإنسان وحده، وقد ساقته هذه العقيدة إلى المحاكمة والإعدام ببغداد. كما تأثر الصوفية بأفكار الفلاسفة اليونان من المدرسة الغنوصية، فقال هؤلاء الصوفية بوجود النور المحمدي، ونسبوا حديثًا موضوعًا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، قوله للصحابي جابر: «نور نبيك يا جابر»[(١)]، وخلق بعده كل شيء، وخلق منه كل خير. وقد تأثرت الصوفية بالفلسفة الإشراقية أو ما يسمي بالأفلاطونية المحدثة التي تأثر بها الشيخ شهاب الدين السهروردي، وعنه انتقلت إلى الشيعة الإمامية.

٣. واجب الوجود عند أرسطوطاليس

بالرغم من كون الفلسفة اليونانية عمومًا فلسفة وثنية، إلا أن أرسطوطاليس عبر عن الخالق بعبارة واجب الوجود، وهو الموجود بذاته، ولهذا فهو كامل بذاته، تنظر له المخلوقات بأنه المثال الكامل، فتدور حوله دوران العاشق حول معشوقه، وهذه الفكرة انتقلت إلى الصوفية بما يسمونه بالحب الإلهي، فالشيخ الصوفي حينما يسلك طريق الحب الإلهي ليصل إلى معشوقه إلى درجة الاتحاد بالخالق، وفي المقابل أن الله في هذه الحالة قد حل بالشيخ، وأصبحت نفسه مسايرة لمعشوقها نابذة لنداء بدنها.

٤. فيثاغورس وعالم المعرفة

يرى الفيلسوف اليوناني فيثاغورث أن المعرفة هي سبيل ترقية النفس وصدها عن مؤثرات العالم الخارجي، ومجاهدة النفس عنده بالمعرفة والتفكير هي أهم ما يوصلها إلى العالم المثالي العلوي الواجب الوجود.

ويرى فيثاغورس أن العزلة والخلوة هي السبيل للمعرفة؛ ولذا كان يحث تلامذته على الخلوة والانقطاع والبعد عن الناس وملذّات الدنيا، وكانت هذه الأفكار قد استعارتها

---

(١) قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥٧/١): وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر». و نحوه من الأحاديث التي تقول بأنه صلى الله عليه وسلم خلق من نور، فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور، دون آدم وبنيه، فتنبه ولا تكن من الغافلين.

الطرق الصوفية، وظهرت عندها بمظاهر مختلفة كخلوة الشيخ ومريديه، والتركيز على تهذيب النفس، كما سنرى ذلك عند بعض الصوفية.

أهم مصنفات السهروردي

١. حكمة الإشراق: أكثر كتاباته كانت متأثرة بالفلسفة اليونانية، وبذات الفلسفة الأرسطية، التي سبقت الإشارة إليها.
٢. هياكل النور السبعة: هو عبارة عن عملية بناء الإنسان ككائن متكامل بالعقل والتجربة الروحية، التي تسير بشكل متوازن: الترقي الروحي التي منها يصل السالك إلى نور الأنوار.

كتب الحلاج

كتاب الطواسين كتبه في سجنه ببغداد، وأودعه أحد مريديه، والكتاب يحتوى على ثلاثة مضامين:

الأول: عبارات لغوية مفهومة، وتشيع عادة في كتب الصوفية في دلالتها ومعناها.

والثاني: يبدو أنه موجه إلى مريديه وتلامذته، حيث يحتاج في فهمه التأويل الباطني، سواء القريب أو البعيد.

والثالث: عبارات غير مفهومة، فهو عبارة عن لغة استخدم من خلالها إشارات مائلة الأسهم: صاعدة أو نازلة، والدوائر والمربعات التي أدخل بها حروفًا أو عبارات غير مفهومة، وربما كانت موجهة لمن يعلمها، أو أضافها عليها صوفية بغداد بعد ذلك.

بعض آراء الحلاج

أهم آراء الحلاج التي أدت إلى محاكمته وقتله ببغداد سنة ٣٠٩هـ، هي فكرة الحلول والاتحاد، وقد كان الحلاج قد رحل إلى الهند والصين قبل أن يلتحق بشيخه الصوفي ببغداد الشيخ الجنيد، ولما بدأ الحلاج يصرح بآرائه الصوفية هذه، واعتبر غير محافظ

على أسرارها طرده شيخه الجنيد من بين مريديه، وأضحى مكشوفًا لنقد العلماء ومراحل أفكاره:

أولاً بالنسبة للفقه الشرعي ليس ضروريًّا لمن سلك طريق التصوف، أن يؤدي الصلوات الخمس، أو أن يحج إلى مكة، فتلك فرائض على العامة قصد بها ردهم عن السوء، و لما كان الصوفي قد اتحد بالخالق، والخالق أيضًا قد حل به، فلا يمكن لمثله أن يأتي بما يشين. ومن آراء الحلاج التي أثرت في بعض الشيعة الإمامية تأويله لمعاني الحروف والإشارة وقد تأسس في الحلة بالقرن السادس الهجري ما يعرف بمدرسة الحروفيين عند الشيعة الإمامية، وسنفصل الحديث عنها وعن شيوخها في مكانه.

الفصل الخامس

ما أخذه الشيعة من الديانة الفارسية القديمة

وهذه الديانة تجملها المصادر العربية بالمجوسية، وهي الديانة الزرادشتية وما لحقها من تعديلات أو إضافات على يد من يعتقد أنهم مصلحون: كالفيلسوف الفارسي مانو ومزدك الذي نادى قبل أفلاطون بإباحة النساء والأراضي والأموال، لأنها الأسباب الرئيسة للاقتتال بين البشر.

وتعتمد الديانة الزرادشتية على فكرة إله النور وإله الظلام (اوهرا مزدا)، ولا تعتقد هذه الديانة بوجود يوم القيامة، وأن الحساب والثواب إنما يتم في أثناء دوران السنين التي اختلفوا في عدها، فروح الميت إن كانت صالحة أخذت جزاءها عن طريق الحلول بطائر فرح مغرد. وإن كانت لشخص شرير حلت بحيوان متعب كالحمار أو الكلب. وعند هذه الفلسفة ظهرت فكرة التناسخ؛ فالإنسان لِسَبَب قد ينسخ على صورة قرد أو ما أشبه.

و مظاهر أثر هذه الديانة في كل من الصوفية والشيعة الإمامية تظهر فيما يأتي:

أولاً: المناداة بفكرة الحلول، حيث يدعي أكثر شيوخ فرق الصوفية بأن الله قد يحل في شيخهم بعد وصوله وترقيه بالمراتب العليا، وقد يدعي بعضهم الوصول إلى عرش الرحمن، وتلقي نور الحكمة من الخالق الديان.

واعتقدت الديانة الفارسية القديمة أن ملوكهم قد تناسلوا من الآلهة، وأن لهم صفة القدسية، وأنهم ليسوا كسائر الناس، ولهذا يخاطبونهم الشاه، سواء بالقول أو الكتابة: يا إلهنا؛ فيعظمون ملوكهم بالألقاب والصفات الإلهية، وكذا يعظم الفرس رجال الدين، ويعتقدون أن فيهم صفات عليا، مستقاة من عبادتهم النار بوصفها رمزًا لإله النور. والنار ومعابدهم لا تخبو نارها ولا تخلو من عابد.

وقد ذكر أن الخليفة الرشيد حينما حاكم البرامكة (وهم فرس في الأصل) كان في التحقيق الذي أُجري مع بعضهم في التفتيش الذي تم في بيوتهم عثر على رسائل باللغة الفارسية موجهة إليهم من فارس، يخاطب فيها كاتبها الوزير البرمكي: يا إلهنا. ولم يشفع للبرمكي القول: إن الفرس كانوا قد اعتادوا مخاطبة العظماء بهذا الشكل.

من تأثر بالديانة الفارسية

إن القبائل العربية التي سكنت العراق قبل الإسلام كانت تحت النفوذ الفارسي، ومثلها مثل القبائل اليمنية قبل الإسلام، ولهذا كثير من القبائل أو بعض منها قد تأثر بالديانة المجوسية، فإذا أخذنا الحيرة مثالاً على ذلك، فإننا نجد حتى رياح التغير المذهبي بفارس تتأثر بها الحيرة، فبعد انتشار المانوية بفارس وغلبتها على الزرادشتية، نرى أن الحيرة تستجيب لهذا التأثير، فقد ذكر أن ملك الحيرة عمرو بن عدي اعتنق المانوية فآوى كثيرًا من مانوية الفرس، وذلك بعد رجوع الفرس إلى الزرادشتية، وسجن ملك الحيرة هذا من قبل الملك الفارسي

المجوسية في الحيرة

لقد اتخذ الملوك الساسانيون المدائن في العراق عاصمة لهم، وهي لا تبعد كثيرًا عن الحيرة والكوفة من حيث مؤثرات الديانة الفارسية، فما يحصل في المدائن قديمًا تجد صداه في الحيرة خاصة من قبل ملوك و أمراء الحيرة الذين هم في الأصل صنائع للدولة الفارسية.

لقد كانت التعاليم الزرادشتية هي السائدة في الديانة المجوسية، فجاء ماني بمذهبه الذي نادى بوجود إله النور والظلمة، وأن كل شيء سيئ هو من دوافع إله الظلام، أما إله النور فهو الذي يدعو إلى حميد الصفات، فتأثر ملك الحيرة عمرو بن عدي بالمانوية، فلما عدل الملك صابور الأول عن المانوية، قام بسجن ملك الحيرة بسبب ما نويته، ولما تفشت المزدكية في فارس والمدائن وجدت لها صدى في الحيرة أيضًا، خاصة وقد نادى بإشاعة النساء وملكية الأرض والمال وإباحة المحارم.

فكان لهذا المذهب وآرائه أثر كبير حتى بعد دخول سكان تلك المنطقة إلى الإسلام، حيث يظهر لنا في القرن الثاني الهجري بعض المذاهب الإباحية، التي تأثر بها بعض فرق الشيعة، التي ذكرها المؤرخ النوبختي في كتابه فرق الشيعة، كما ذكرها كثير من أصحاب مؤلفي الفرق، ومن ذلك الصدى الذي لقيته الحيرة من المزدكية هو اعتناق الحارث الكندي لهذا المذهب، وتذكر المصادر العربية تفشي الديانة المجوسية في كل مكان من نجران وهجر (الأحساء) والقطيف والبحرين وزرارة ودارين.

فكرة الحلول

أصحاب الحلول أو الاتحاد يعنون بذلك أن الإله أو جزء منه قد حل أو اتحد بشيء من مخلوقاته، وبعض أصحاب الحلول يَرَوْن المرور بأدوار مختلفة مع كل دور رسول ناطق، والظهور الأول كان في آدم، وهو الرسول الناطق، ثم انتقلت الألوهية إلى سلم النبوة إلى نوح، ثم انتقلت الألوهية إلى إسماعيل والنبوة إلى إبراهيم، ثم الألوهية إلى هارون والنبوة إلى موسى، ثم انتقلت في تمعون الصفا المعروف عند النصارى ببطرس والنبوة إلى عيسى، ثم ظهرت النبوة أخيرًا في علي بن أبي طالب والنبوة في محمد. وعلى هذه الأدوار عندهم إنما كانت أداة يستجيب وراء تلك الحجج الأرضيّة، والقائلون بفكرة الحلول ينقسمون إلى قسمين: طائفة قالت بالحلول الخاص، بمعنى أن الله يحل في الجسد (حلول اللاهوت بالناسوت)، وهو قول النصارى وبعض الشيعة وبعض الصوفية. والقسم الثاني: يؤمن بالحلول العام أي أن الله بذاته في كل مكان، وبكل شيء وهم الصوفية والجهمية.

وأشهر القائلين بالحلول الخاص هم السبئية، التي تنسب لعبدالله بن سبأ اليهودي، حيث نادى بألوهية الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على تفصيل أن للإمام صفتين: صفة اللاهوت، وصفة الناسوت. كما تدعي اليهودية والنصرانية في أنبيائها. وتأول القائلون بالحلول بالآيات التالية:

١. آيات تدل على معية الخالق مع العموم

قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ طه: ٤٦، وقوله: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ التوبة: ٤٠،

وقول تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ البقرة: ٢٤٩،

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ محمد: ٣٥،

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ النساء: ١٠٨، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ الشعراء: ٦١ - ٦٢، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد: ٤، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ المجادلة: ٧.

٢. كما احتجوا بالآيات التي تذكر مجيء الخالق وإتيانه العبادة

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ الأنعام: ٣، وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ الأنعام: ٣، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ الحجر: ٢٩،

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ الزخرف: ٨٤، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ الحديد: ٣.

٣. الأحاديث التي تداولها من قال بالحلول

١. قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفَر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام

عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينتقص بعد حتى الآن»[١] أخرجه البخاري.

٢. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم «إنكم سترون ربكم، كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته»[٢] رواه البخاري

٣. قوله صلى الله عليه وسلم: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: وما أكتب؟ فقال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»[٣] أخرجه أبو داود.

كما تأولوا كثيرًا من الأحاديث الضعيفة، ليس هنا مكان بحثها، والحقيقة أن أصحاب الحلول والتناسخ قد جانبوا الصواب في فهمهم وتأويلهم للآيات القرآنية التي ذكرناها، وكذلك الأمر في الأحاديث المذكورة، وليس من شأن هذا البحث الدخول في تفصيل ذلك، وأن ما أوردناه قصدنا به معرفة القارئ الكريم كيف تشبث بعض الضالة من المسلمين في تأويل بعض آيات القرآن الكريم أو أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، مدفوعين بدوافع فكرية، ومؤثرات من عناصر أجنبية، قالت بالتناسخ والحلول، على التفصيل الذي أوردناه في هذا البحث.

٤. معنى تناسخ الأرواح

والقائلون بالتناسخ من مذاهب شتى يتفقون بشكل عام على معنى التناسخ، وما يفضي إليه فهو:

١. إنكار يوم الحشر والمعاد واليوم الآخر والإيمان بالبعث والحساب والجزاء والجنة والنار، خلاف لما ورد ذلك في كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢. وبعضهم قصد أن معنى تناسخ الأرواح هو فقط الجزاء في الدنيا، وأنكر المعاد، وذلك حسب الأعمال الصالحة والفاسدة[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠ رقم٦٢٢٧)، ومسلم (٤/ ٢١٨٣ رقم٢٨٤١).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١١٥ رقم٥٥٤)، ومسلم (١/ ٤٣٩ رقم٦٣٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٦٢ رقم٤٧٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٢٠١٧).

(٤) د. محمد بن العزيز بن أحمد العُلى: عقيدة الحلول والتناسخ عرضًا ونقضًا، دار الصميعي للنشر، الرياض، ط ١ ١٤٣٠هـ (ص ٢٩٩)، وما بعدها.

فكرة التناسخ

استدل من يؤمن بفكرة التناسخ متأولين ببعض الآيات القرآنية فيها:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة: ٢٨، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ البقرة: ٦٥، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ٥٦، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة: ٩٣، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام: ٣٨، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ الأنعام: ١٥٨، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٧٢، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة: ١٢٥.

وقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ الإسراء: ٥٠ - ٥١، وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الإسراء: ٧٢، وقوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ طه: ٥٥، وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ الروم: ١٩، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ فاطر: ٣٧، ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الأحقاف: ١٩، ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الواقعة: ٦٠ - ٦٢، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ الانفطار: ٦ - ٨، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ التين: ٤ - ٦.

واحتجوا أيضا بالأحاديث التالية: «الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[١] رواه البخاري. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[٢] رواه ابن ماجه.

فكرة التناسخ عند الصوفية

يؤمن بعض فرق الصوفية بما يسمى بتناسخ الأرواح، وأنها تبتدئ بدخوله روح الجني بإنسان، فيتكلم بلسان الجني، وقد تطول الحالة، فيختفي هذا الإنسان وينقلب جنيًّا، وتدور عند بعض الصوفية خرافات ومعجزات بخروج الجان من البحر، وأن هؤلاء كانوا في الأصل رجالاً.

فكرة النور المحمدي

ليس بعيدًا أن تكون الفكرة التي قال بها بعض الصوفية وخاصة الختمية- لها علاقة بفلسفة الديانة الزرادشتية القائلة بالنور والظلمة كما سبقت الإشارة، وأن إله النور قد غلب إله الظلام؛ فحل إله النور بالإنسان وبأصلابه، واستعار الشيعة هذه الفكرة، وادعوا كما ورد في أحد الأحاديث المنسوبة إلى الإمام الصادق أن الرسول صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعليًّا والحسن والحسين وبقية الأئمة قد خلقهم الله من نور، ووضعهم في عالم الذر، وعلقهم تحت العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، وأنهم وشيعتهم مخلوقون من تلك الطينة النورانية، التي ينتج عنها كل عمل طيب، أما بقية الناس والمخالفون فهم مخلوقون من طينة آدم حمئًا مسنونًا، ينتج منه الأعمال السيئة، وكل هذا يدور حول فكرة الحلول والتناسخ.

فكرة الحلول والتناسخ عند الشيعة الإمامية

تؤكد روايات الشيعة الإمامية الواردة في كتاب (الأنوار النعمانية) للجزائري، وفي كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي وغيرهما من المصادر: أنها تصف الإمام عليًّا بأوصاف

---

(١) أخرجه البخاري (٤/١٣٣-١٣٤ رقم٣٣٣٦)، ومسلم (٤/٢٠٣١ رقم٢٦٣٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/٨١٧ رقم٢٤٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٠٥٥).

خارج آدميته، وتدخله بصفات الملائكة أو بصفات الخالق، فهو النور المحمدي هو وبقية الأئمة، فهم الروح المصطفاة، والكلمات التامات، وحجة الله الكاملة على خلقه، فهم من نور أخضر، حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا مخلوقات.

و يصفون الإمام عليًّا بأنه صاحب الرسالة، وصاحب الوصولات، وصاحب الانتقامات، وهو حصن الحديد، وهو أمين الله على علمه، وصندوق سره، وحجابه، وصراطه، وميزانه، وكلمته، وهو دابة الأرض، ومعه عصا موسى، وخاتم سليمان، وخاتم أوصياء النبيين وأورثهم، وخليفة الله على العالمين، وهو الذي علمه الله علم البلايا والمنايا والرياح والجبال والبحار والشمس والقمر والنجوم، وقد استعار بعض رجال الشيعة من الإصحاح الثامن عشر سفر (تثنية الاشتراع) عند اليهودية فكرة وصية موسى إلى يوشع بن نُون، حيث وصي محمد صلى الله عليه وسلم، واستعاروا فكرة النقباء الاثني عشر بعد موسى في بني إسرائيل إلى فكرة الأئمة والأوصياء الاثني عشر عند الشيعة الإمامية.

وقالت الشيعة بما قالت اليهود المتعلقة بانتقال النور من وصي إلى آخر بعد موته، والتي أعطوها بعدًا إلهيًّا، فكذلك يقول الشيعة بما يشبه فكرة تناسخ الأرواح، حيث تنتقل الإمامة عن طريق تلك الأنوار إلى الإمام الذي يليه.

ورد في كتاب (حق اليقين) رواية لحديث عن جعفر الصادق قوله:

«يا معشر الخلائق ألا من أراد أن ينظر إلى آدم وشيث، وينظر إلى نوح وولده سام، وينظر إلى إبراهيم وإسماعيل، وينظر إلى موسى ويوشع، وينظر إلى عيسى وشمعون، فها أنا ذا؛ وأجيبوا إلى مسألتي، فأنا أنبئكم بما تنبئهم به وما لم تنبؤوا به»[1].

فإذا أضيفت إلى هذه الرواية الروايات الواردة في الكافي، التي تفيد بأن نفوس الأئمة اختلطت بالخالق، فمن باب أولى أن الإمام وروحه مستنسخة من بقية الأنبياء، وهذه تتفق مع فكرة الحلول الإلهي، التي وجدت في الأديان الهندية، وقال بها المتصوفة.

---

(١) حق اليقين (٢/٣٦-٣٧).

تقديس رجل الدين

وفكرة تقديس الشيوخ عند الصوفية واضحة لا تحتاج إلى إثبات، فشيخ الطائفة ينظر إليه بوصفه كائنًا مختلفًا عن سائر الناس، فالمعجزات التي تجري على يديه تجعل مريديه وتلاميذه يطيعونه طاعة عمياء.

فأقواله دومًا صائبة لا يستطيع أحد أن يخطئها، وأعماله وتصرفاته دومًا صحيحة، وإن بدا بعضها في ظاهرها نابيًا.

أما الشيعة الإمامية فإن تقديس رجل الدين عندهم واضحًا في التعامل إلى اليوم، يدل على ذلك مظاهر الخضوع وتقبيل اليدين، وقد تصل الحال إلى تقبيل الأرض بين يديه عند الغلاة منهم.

وقديمًا تأثرت بعض فرق الشيعة القديمة والمندرسة بالديانة المزدكية والمانوية، فأحلوا المحرمات.

ومن مظاهر تقديس الأئمة الادعاء بأنهم معصومون عن الخطأ والنسيان، بل ادعى بعضهم أن للإمام القدرة على إحياء الموتى، وإبراء الأكْمَه والأبرص، ومعرفة لغة الطير، ويجد الباحث في كثير من كتب الشيعة الإمامية ككتاب (الاختصاص) للشيخ المفيد محمد بن نعمان (م ٤١٣هـ). مثل هذه الأفكار.

ويدَّعي كل من الصوفية والإمامية بأن شيوخهم يحتفظون بالأسرار والغوامض، وأن لهم القدرة على كشف الحجب والأستار وفك الأسرار، وغوامض الأمور، وكلها دعاوى تدور حول تعظيم الشيخ أو الإمام في عيون الناس.

وعند الشيعة الإمامية أن شيعتهم عبيدًا للإمام في الطاعة، وأولياء في الدين، كما نقله مصدرهم عن الإمام الرضا، ولهذا فكثير منهم يسمي نفسه عبدًا لأحد الأئمة الاثني عشر: كعبدالحسين.

كما اتفق الفريقان على انتحال صفات الله لأوليائهم وأئمتهم، فالإمام أو الولي وجه الله وعينه، ونقل الإمامية أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١٨٠، عن الإمام جعفر أنهم هم

الأسماء الحسنى، كما أورده الكليني في الكافي، ويقول الشيخ المفيد في كتابه (عقائد الإمامية): إن الأئمة معصومون عن الخطأ والنسيان.

وجملة القول كما أشرنا: أن الصوفية والشيعة الإمامية يتفقون في جملة كثيرة من الصفات المتعلقة بتقديس شيوخهم، وأئمتهم والاختلاف بينهم يجري باختلاف التعابير والتأويلات، التي يفسر بها كل فريق إمامه أو شيخه، ويمكن حصر تلك الصفات فيما يلي:

١. الأئمة والأولياء لهم الدنيا والآخرة، ويتصرفون في الكون كيف شاؤوا.
٢. الأئمة والأولياء حل بهم جزء من النور الإلهي.
٣. القدرة على الإحياء والإماتة.
٤. علم الغيب.
٥. نزول الوحي عليهم.
٦. مناجاتهم لله عز وجل دون واسطة.
٧. الإمامة والولاية هما أصل النجاة وأساس قبول الأعمال.
٨. اعتقاد الإمامة والولاية هو سبب عفو الله ومغفرته، وإنكارها هو سبب سخط الله وعقابه.
٩. لا هداية للناس إلا بالأئمة والأولياء.
١٠. الحج إلى المشاهد المقدسة والأضرحة عندهم أعظم من الحج إلى بيت الله الحرام.
١١. الإمام أو الولي يُحرم ما يشاء ويحلل ما يشاء.
١٢. الناس عبيد للأئمة والأولياء.
١٣. الأئمة والأولياء لهم الخيار في أن يبينوا للناس أمر الدين أو أن يكتموه.
١٤. الأئمة والأولياء هم أسماء الله وصفاته
١٥. اختصاص الأئمة والأولياء بعلم الباطن.
١٦. العصمة أو الحفظ للأئمة والأولياء.
١٧. عدم خلو الأرض منهم.
١٨. وجوب معرفتهم.
١٩. الأئمة والأولياء ولاة الله، وخزنة علم الله وغيبه، ووحي الله.

٢٠. الأئمة والأولياء يعرفون جميع الألسن واللغات، وحتى الطيور والوحوش.
٢١. وجوب التوسل والاستغاثة بهم.
٢٢. الإمام والولي أفضل من الرسول والنبي[١].

مراتب شيوخ الصوفية والشيعة

يتفق الفريقان في إضفاء درجات أو مراتب لشيوخهم، وإن كانوا يختلفون في المسميات، وفي مهام وأدوار كل مسمى،

فعند الصوفية يذكر ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية أن مراتب الصوفية، هي:

١. الأقطاب: هم واحد في كل زمان.
٢. الأئمة: هم لا يزيدون عن اثنين في كل زمان.
٣. الأوتاد: هم أربعة في كل زمان.
٤. الأبدال: هم سبعة.
٥. الختم: هو واحد فقط، يختم به الولاية المحمدية.
٦. ثلاث مئة: على نفس واحدة.
٧. أربعون شيخًا: على قلب رجل واحد.
٨. سبعة: على قلب إبراهيم الخليل عليه السلام.
٩. خمسة: على قلب جِبّرِيل.
١٠. ثلاثة: على قلب ميكائيل.
١١. واحد: على قلب إسرافيل عليه السلام. ثم ذكر ابن عربي أن فرق الصوفية مجمعة عمومًا على أن مراتب الشيوخ، هي: ست طبقات أمهات، وهي أقطاب وأئمة وأوتاد وأبدال ونقباء ونجباء.

وعند الشيعة الإمامية: أن أي زمان لا يمكن أن يخلو من إمام ظاهرأو مستور، ولو خلت الأرض من الإمام لساخت على حد تعبير إحدى الروايات عندهم.

(١) يراجع في تفصيل ذلك خاصة المتعلق بالشيعة الإمامية كتابنا (جذور التشيع)، وخاصة ما كتبناه عن علاقة الإمام جعفر الصادق بأتباعه، أما ما تعلق بالصوفية، فانظر: كتاب زياد عبدالله الحمام: العلاقة بين الصوفية والإمامية، (ص ٢٧٥- ٣١٨).

وهذه المرتبة للإمام الذي يدعونه بالمهدي المنتظر، هي المرتبة نفسها التي عند الصوفية عمومًا، والمسماة بالغوث، حيث إن وظيفته مشابهة لوظيفة الإمام المهدي بشكل عام.

أما المراتب الدينية عند شيوخهم، فتبدأ عمومًا بالواعظ، ثم ثقة الإسلام، ثم حجة الإسلام، ثم حجة الإسلام والمسلمين، ثم آية الله، ثم آية الله العظمى، وأخيرًا: نائب الإمام المهدي المنتظر.

ولكل فرقة من الصوفية عمومًا مبتدعاتها وأساليبها في ترتيب سلم المريدين، ففي الطريقة البكتاشية تبدأ بالعاشق، ثم الطالب، ثم المحب، ثم الدرويش، ثم البابا، ثم الددة، ثم الددة بابا.

أما منهجهم في تفسير القرآن، فيعتمد على ما يسمونه الصوفية بالإشارة، أي أنهم يعتمدون لا على المعنى الظاهر، وإنما يدعون بأن النص يشير إلى معنى باطن، كما هو الحال عند المدرسة الغنوصية، ومنهج الفيلسوف الإسكندر اليوناني أفلوطين.

ونتيجة لهذا المنهج ظهر ما يسمى عند الصوفية بالحقيقة والشريعة، فالحقيقة عندهم هي المعنى الذي يورده شيخهم على النص، بناءً على رغبته أو أحلامه أو دعوته، و أن الله أشار به تلميحًا لا تصريحًا، وهذه الحقيقة إنما هي لخواص الصوفية، أما الشريعة فهي لعوام الناس، يستقونها من المعنى الظاهر للنص.

واحتج بعض الصوفية لهذا المنهج، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ النساء: ٨٣، ويقسم ابن عربي الرجال أربعة: رجال لهم الظاهر، ورجال لهم الباطن، ورجال لهم الحد، ورجال لهم المطلع، وزعم أنه ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «أن ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن، وحد ومطلع»[1].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (٦١/٢).

ويلتقي الشيعة الإمامية بالصوفية في دعواهم الباطنية؛ فالفريقان قالا: إن الله سبحانه أنزل على نبيه أولاً الشريعة لعموم الناس، ثم أنزل الحقيقة وحيًا على نبيه مقام الرسول صلى الله عليه وسلم، بأن خَص الحقيقة، وبلغها لعلي رضي الله عنه، وعلي أبلغها لأبنائه الحسن والحسين وبقية الأئمة.

و يشبه الإمامية الصوفية في عدم عنايتهم بالقرآن وحفظه وتلاوته، والاستدلال بمعانيه، وقد وصل الحال ببعض الشيعة الإمامية إلى القول بتحريف القرآن الكريم زيادة أو نقصانًا، وقد عالجنا ذلك في كتابنا (جذور التشيع) بالتفصيل، ومن أمثال ذلك تأويل الصوفية الباطني للقرآن الكريم ما ذكره ابن عربي في تفسير قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ النبأ: ١ - ٢، أن النبأ العظيم هو القيامة الكبرى، ولهذا قيل: إن أمير المؤمنين عليًّا هو النبأ العظيم، وملك نوح على جامع بين الحقيقة والشريعة[١].

وقد تأثرت الشيعة الإمامية بالتفسير الباطني، فالأحاديث الواردة في كتاب (الكافي) للكليني تذكر أن من صفات الأئمة معرفة الغيب، واحتج بعض مفسريهم بالآية الكريمة، قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٧،
والرسول محمد صلى عليه وسلم قد أدلى بغيبيات كثيرة، للإمام علي، وعليٌّ أدلى بها إلى بقية الأئمة.

وفي كتاب (الاختصاص) للشيخ المفيد، وفي تفسير القمي إشارات وتأويلات باطنية كثيرة، نقلها كثير من مفسري الشيعة الإمامية، كما هو في تفسير التبيان للطبرسي، وتفسير شُبر وتفسير القمي وغيرهم مما لا داعي للاستغراق في ذكره.

ومن مظاهر تأثير الديانة الفارسية القديمة في كل من الصوفية والشيعة الإمامية، بأن الأئمة معصومون من الخطأ والزلل والنسيان، وقد وصل الفريقان في شيوخهم إلى الغلو فيهم.

---

(١) تفسير ابن عربي (٢/١٨٤)، عن كتاب العلاقة بين الصوفية والإمامية (ص ١١٩).

فعندهم: من لا شيخ له لا دين له، وأن الاعتراض ومناقشة الشيخ نوع من العصيان، والمريد عند الصوفية مسلوب الإرادة، فلا اختيار له غير مطاوعة شيخه، وهذا ما عبر عنه السهروردي في كتابه (آداب المريدين)[١].

واستدلوا بوجوب طاعة المريد لشيخه بظاهر الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَـٰمِهِمْۖ﴾ الإسراء: ٧١، وكتب بعض غلاة الصوفية كتبًا عن شيوخهم، فرفعوهم إلى درجات تخرجهم عن صفاتهم الآدمية، وتدخلهم في الشرك، حيث انتحلوا لشيوخهم صفات الخالق سبحانه في الكمال وعلم الغيب، وكذا صفات الأنبياء من الوحي والعصمة، ومثال ذلك ما كتبه محمد بن عبدالله بن أسعد اليافعي اليمني في كتابه (نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية).

وكل ما أوردناه من الأفكار المتعلقة بدرجات رجال الدين وعصمتهم، لا يمكن فصله عمَّا ورد في الديانة الفارسية القديمة على التفصيل الذي ذكرناه سابقًا.

ما اتفق فيه الشيعة الإمامية والصوفية

أولاً: في مسائل الاعتقاد يقترب الشيعة الإمامية من مفاهيم الصوفية المتعلقة بالتوحيد والإيمان، وفكرة النور المحمدي وفكرة الولاية وفكرة الرجعة والأئمة والأولياء، وفكرة الوحي وفكرة النبوة، ولكن كل منهما في شرحه وجزئياته قد تختلف عن الآخر، في التعبير أو التفسير، ولكنهم في الحقيقة قد يلتقون حول مفهوم واحد، لكن أهم نقاط الالتقاء هي فكرة وحدة الوجود، ونراها واضحة فيما كتبه كل من النراقي والكاشاني، ففي كلامهما التقاء واضح بأفكار ابن عربي، وخاصة فكرة وحدة الوجود، كما يلتقي الفريقان أو بعضهم بفكرة إحياء الموتى من قبل الولي أو الإمام، نقل المجلسي في (بحار الأنوار) أن الإمام الحسين رضي الله عنه أحيا امرأة بعد موتها، لكي توصي لورثتها، ثم ردت إلى عالم الأموات[٢].

أما موضوع علم الولي أو الإيمان بالغيب فكتب الفريقين مليئة بهذه الدعوى، وفي كتاب الاختصاص للشيخ المفيد الكثير من تلك الادعاءات.

---

(١) ضياء الدين السهروردي: آداب المريدين، (ص ٦٦).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار، (٤٤/ ١٨٠).

وعند الرفاعية تظهر قرية أم عبيدة في طور سيناء، مقدسة أرضها تحفظها الملائكة، وطلب شيخ الطريقة من أتباعه زيارتها، والتبرك بها كمن يتبرك بالكعبة المشرفة، فكان الرفاعية يحجون إليها، وهذا نفس ما عليه الحال عند الشيعة الإمامية بالنسبة إلى تقديس كربلاء وأرضها، وزيارة قبر الحسين كما من حج إلى مكة.

قطع يد السارق من الأصابع

تذهب غالبية مذاهب الفقه الإسلامي إلى أن عقوبة السارق تكون بقطع يده من الرسغ، تنفيذًا للآية الكريمة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ المائدة: ٣٨، ولكن كتب فقه الشيعة الإمامية تذهب إلى أن القطع لليد يتم من الأصابع، خلافًا لبقية المذاهب، ويمكن أن يعد ذلك من أثر قانون حمورابي في وادي الرافدين، أو من الأثر الفارسي الخاص بالقانون الساساني المتعلق بـ(التسع الموتات)، فإن من أولها أن يقوم الجلاد بقطع الكعبين، ثم الذراعين حتى المرفقين، ثم الساقين حتى الركبتين[١].

إعارة الفرج

حتى فقه الشيعة الإمامية لم يسلم من مؤثرات الديانة الفارسية، ففي العصر الساساني للشخص أن يتزوج من امرأة من الدرجة الثانية، حيث يجيز القانون الساساني لزوجها أن يعيرها لصديق له محتاج، والنسل يرجع إلى هذا الزوج[٢].

وفي كتب فقه الشيعة الإمامية جواز إعارة فرج جاريته التي يملكها، وذلك لشخص آخر، قيل لمدة معلومة، وقيل: إن النسل ينسب لأمه، لا للشخص المعار على خلاف بين فقهاء الإمامية[٣]، ومذاهب السنة لا تجيز إعارة فرج الجارية التي يملكها.

---

(١) السيد المرتضي: كتاب الانتصار، (ص٢٦٢)، المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٧١م. والترجمة العربية للخشاب، (ص ٢٩٦) كرستنسس – A. Christensen L iran sour – Les sassanides

(٢) كرستنسز: إيران في العهد الساساني (ص ٢٥٢).

(٣) المجلسي: البحار، (٧٩/٢٣). ابن المطهر الحلي: إيضاح الفوائد، (١٤٥/٣) ابن بابويه: الصدوق المقنع، (١٠٦/١). الطبرسي: المبسوط، (٤/ ٢٤٦)، طهران ١٣٨٧هـ. العياشي: تفسير، (٢٣٢/١).

الفصل السادس

أفكار وعقائد للشيعة الإمامية مأخوذة من مجموعة من الديانات والفلسفات القديمة

١. فكرة عصمة الأئمة عند الشيعة الإمامية

إن نشأة التشيع سببها في الأصل سياسي متعلق بالإمامة؛ ولذا فإن الشيعة الإمامية يَرَوْن أن الإمامة ركن من أركان الدين، كما يَرَوْن أن الإمامة كانت لعلي بن أبي طالب بالنص، وبما أنه لا يوجد نص صريح في القرآن فقد تأولوا بعض آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ البقرة: ١٢٤. كما يَرَوْن أن النص بالإمامة جاء من النبي صلى الله عليه وسلم، مثل ما يروى في غدير خم قوله صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[١]، فقد تأولوا هذا الحديث وغيره، بأن المراد به الخلافة؛ ولذا يَرَوْن أن الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل علي غاصبون لحقه، وأن الصحابة قد كفروا بهذا، إلا أربعة: سلمان والمقداد وأبو ذَر وعلي رضي الله عنهم، وعلى هذا الأساس فإن المخالف لرأيهم هذا وبعد أن تبلغه الحجة يعد كافرًا، وهذه مع الأسف من أخطر النتائج السياسية المسببة لتفريق أمة الإسلام[٢].

وترتبط بفكرة الإمامة عند الشيعة الإمامية فكرة النبوة، لكن الأنبياء يوحى إليهم، في حين يأتي علم الإمام نكتًا في القلب أو وقرًا في السمع أو تسديدًا من الله؛ ولذا فإن الإمام عندهم معصوم من الخطأ والذنوب، والعصمة هذه تنتقل من الإمام إلى الذي يليه، ولهذا فإن الإمام عندهم ليس باختيار الأمة، بل هو مسمى بعينه من الله نتيجة للطف الله بالعباد، فتعيينه عند بعضهم واجب على الله، فالعصمة عند الشيعة هي: قوة

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٣٣/٥ رقم٣٧١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الكليني: أصول الكافي، (١٩٩/١- ٢٠١)، محمد بن الحسن الطوسي: تلخيص الشافي، (١٣٣/١- ١٣٤)، محمد بن محمد النعمان الشيخ المفيد: كتاب الاختصاص، (ص ٣٠١).

في العقل تمنع صاحبها من مخالفة التكليف مع قدرته على مخالفته، ويعتقد بعضهم أن فكرة العصمة هذه قد نشأت كرد فعل ضد مخالفي الشيعة، وخاصة ما طالت به الإمام عليًّا، فإذا كان الأنبياء معصومين فإن الأئمة أولى بذلك منهم؛ لأن النبي معصوم بالوحي بخلاف الإمام، فعصمته كما ذكرناها آنفًا؛ ولذا فإن الأئمة عند الشيعة الإمامية أعلى مرتبة من الرسل، وتمتلئ كتب الحديث عند الشيعة بوصف الأئمة وعصمتهم وعلمهم بالمستور أو حتى بالغيب، وأنهم يعلمون جميع اللغات، ويعلمون لغة الطير، وعندهم علم البلايا والمنايا، وكل هذا من صنيع الغلاة لتثبيت مركز الإمام السياسي في أذهان الشيعة وتبرير عصمته، بل لقد قال بعض غلاتهم: إن الله قد فوض للإمام علي وإلى الأئمة بعده تدبير الكون.

ويرى بعضهم أن فكرة ولاية الفقيه التي ظهرت عند الشيعة تقلل أو تناقض أمرين في عقيدتهم: الأول هو تناقض الانتظار بظهور الإمام الثاني عشر. والثاني تناقض فكرة العصمة؛ لأن الولي الفقيه غير معصوم من جهة، وتم اختياره من الأمة، ويرون عمومًا أن فكرة ولاية الفقيه منافية لفكرة الإمامة والعصمة عندهم(١).

يوضح ابن بابويه القمي الملقب بالصدوق فكرة عصمة الأئمة بشكل واسع فيقول: «اعتقادنا في الأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل شيء دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون... واعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام، والعلم من أوائل أمورهم وآخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل»(٢).

«ونقل المجلسي اتفاق الشيعة الإمامية على عصمة الأئمة من الذنوب كبيرها وصغيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً، لا عمدًا ولا نسيانًا ولا خطأ في التأويل»(٣).

---

(١) محمد أحمد الخطيب: عقيدة العصمة بين الإمام والفقيه عند الشيعة الإمامية، الجامعة الأردنية، مكتبة الأقصى عمان ١٩٩٤م (ص١٥) وما بعدها.

(٢) ابن بابويه القمي الصدوق: عقائد الصدوق، (ص ٩٦).

(٣) المجلسي: بحار الأنوار، (٢٥/٢٠٩).

وذلك من أول ولادتهم إلى آخر عمرهم، ويناقض ابن بابويه نفسه حيث يرى وقوع السهو من الإمام، وهذا أمر مناف لفكرة العصمة، أورد ذلك في كتابه (من لا يحضره الفقيه) (١/٢٤٩-٢٥٠).

ونقل ابن بابويه في كتابه (عيون أخبار الرضا) (١/٢١٩) اعتراض الإمام علي الرضا، وإنكاره على قومه في الكوفة، يعتقدون بعدم صحة السهو في الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكذَّبهم على قولهم هذا، ولعل من دوافع اهتمام الشيعة بفكرة عصمة الأئمة، أنها تساعدهم في جعل شيعتهم يصدقون كل ما أورده الرواة من عقائد ومعجزات لا يجوز ردها؛ لأنها واردة من إمام معصوم، وأهمية فكرة عصمة الأئمة مرتبطة بفكرة الإمامة، التي هي ركن من أركان الاعتقاد عندهم؛ فالذي لا يعتقد بصحة إمامة علي رضي الله عنه وبقية الأئمة (الاثني عشر) يعد عندهم كافرًا إذا بلغته الحجة، فقد ذكر الشيخ ابن بابويه في كتابه (عقائد الصدوق) (ص٩٦): أن منكر عصمة الأئمة جاهل لهم، ومن جهلهم يعد كافرًا.

وهذه الفكرة مأخوذة عن اليهودية والديانات الفارسية القديمة، كما سبق أن أوضحنا ذلك.

٢. صفات الخالق عند الشيعة

ليس للشيعة رأي واحد في صفات الخالق، فمنهم المشبهة والمجسمة، وهؤلاء أكثرهم من قدماء الشيعة، ومذهبهم يُشبِه الخالق بخلقه، بأن له جسمًا له طول وله عرض وله عين وله إذن وله يد، ومن أهم القائلين بهذا المذهب هو هشام بن الحكم، وأغلب المتأخرين من الشيعة اعتقدوا بفكرة تعطيل الصفات أو نفيها في الخالق عندهم «لا جزء له، وما لا جزء له، ولا تركيب فيه، وماهيته أنه مركب ليس بجوهر ولاعرض، وما ليس بعقل ولا نفس ولا مادة ولا صورة ولا جسم ما ليس بجسم، ليس في مكان ولا في زمان ولا في جهة ولا في وقت، وما ليس في جهة ولا كم له ولا كيف ولا رتبة، وما لا كم ولا كيف له ولا جهة ولا وضع له، وما ليس له وضع ولا في وقت ولا مكان، لا إضافة له ولا نسبة، وما لا نسبة له ولا فعل فيه بانفعال ما، ليس بحجم ولا لون، ولا في مكان ولا جهة، لا يرى ولا يدرك».

وهناك فريق ثالث لما وجد فكرة التعطيل ونفي الصفات أوصلته ربما إلى نفي وجود الخالق، فاعتقد هذا الفريق فكرة تأويل الصفات، فيؤولون مثلا النص القرآني ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ الفتح: ١٠، بالقدرة. فليس له يد حقيقية، وإنما عبر عن قدرته سبحانه وتعالى باليد. وهكذا التأويل في الصفات الأخرى، وهذا المنهج يلتقي مع مذهب المعتزلة في الصفات، وممن تأثر من فقهاء الشيعة بالمعتزلة في موضوع صفات الخالق هو الشيخ المفيد (محمد بن النعمان م ٤١٣)، وغنيٌّ عن البحث أن غالبية علماء السنة يعتقدون بصفات الخالق، كما جاءت في النص القرآني أو الحديث الثابت دونما تأويل، فيقولون: إن له بصرًا وسمعًا[(١)] ويدًا تليق بذاته، فلا يشبهونه بأحد من خلقه. وقد مر بِنَا أن كثيرًا من مصادر الشيعة الإمامية ينسبون لأئمتهم بعضًا من صفات الخالق.

ففي تفسير القمي وفي معرض تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ الزمر: ٦٩، وقال رواية عن جعفر: (رب الأرض يعني إمام الأرض).

وفي تفسير العياشي ذكر روايات تأول بأن الآيات المتعلقة ببعض الصفات أعطوها للأئمة، ذاكرين أن الإمام هو يد الله، وهو وجه الله[(٢)].

وفي أصول الكافي للكليني عدة روايات تأول الآيات القرآنية المتعلقة بصفات الخالق، بأن الأئمة «يد الله ووجه الله وعين الله وسلطانه الناطق، وهو باب الله، وهو علم الله، وقلب الله الواعي» وفي كتاب التوحيد لابن بابويه القمي ما يشبه هذا التأويل، مع أن الشيخ الملقب بالصدوق قصد في كتابه توحيد الله، ولكنه مع الأسف لم يستطع الخروج عما هو مقرر وثابت في المذهب[(٣)].

---

(١) عِوَض بن عيضة شريم السني الزهراني: مظاهر تقديس الأشخاص عند الشيعة الاثني عشرية، (ص٢٨٥)، جامعة أم القرى سنة ١٤٢٨هـ.

(٢) تفسير القمي (٢/٢٠)، العياشي: تفسير العياشي، (٢/٢٦١)، المجلسي: بحار الأنوار، (٢٣/٢٥٧)، عِوَض بن عيضة بن شريم السني الزهراني: مظاهر تقديس الأشخاص من الشيعة الاثني عشرية، جامعة أم القرى، (ص٢٥٨).

(٣) الكليني: أصول الكافي، (١/١٤٤)، الصدوق ابن بابويه: كتاب التوحيد، (ص١٥٠).

وكل هذا من فعل وروايات الغلاة من الشيعة الإمامية، الذين لم يستطيعوا تنقية المذهب من الغلو[١].

وهذه الأفكار يجدها الباحث في الديانة اليهودية والنصرانية في مختلف مدارسها، كما سنوضح ذلك لاحقًا.

٣. الاستغاثة بالأئمة وطلب الحاجات

يعتقد الشيعة الإمامية حسب مصادرهم أن الأئمة الإثني عشر إضافة إلى الصفات الإلهية التي نسبوها للأئمة، فقد ترسخ الاعتقاد عندهم بالاستغاثة بالأئمة، وطلب الحاجات خاصة عند زيارة قبورهم، ومن الطريف أن بعض المصادر ذكرت لكل إمام اختصاصًا بالحاجات المطلوبة، فعلي بن الحسين (زين العابدين) يستغيثون به من ظلم السلاطين، ومحمد بن علي وابنه جعفر الصادق يستغيثون بهما لطلب الآخرة، وأما موسى بن جعفر فيستغيثون به من المرض، و أما علي بن موسى فيستغيثون به لطلب العافية، وبعضهم يستغيثون بعلي بن موسى لطلب السلامة في البراري والبحار، وأما محمد بن علي فيستغيثون به لإنزال الرزق، وأما علي بن محمد فيستغيثون به لبر الوالدين، وأما الحسن بن علي(العسكري) فيستغيثون به للآخرة، وأما المهدي المنتظر فيستغيثون به إذا وصل السيف إلى الرقبة[٢].

ومن الغريب أن مصادرهم تشير حتى إلى الأنبياء، وأنهم طلبوا الشفاعة من أئمة الشيعة، فإبراهيم أُنقذ من النار بشفاعة الإمام، ونوح أنقذ من الغرق بشفاعته، وعيسى أنقذ من القتل بشفاعة الأئمة، وموسى أنقذ من الغرق وعبر البحر هو وقومه بشفاعة الأئمة، وهكذا بقية الأنبياء، ورُبَّ سائل يسأل بأن هؤلاء الأنبياء ماتوا قبل الأئمة؟

والجواب: أن الشيعة الإمامية يعتقدون أن الأئمة خلقهم الله قبل خلق آدم، خلقهم من نور معلقين تحت العرش في عالم الذر، وليسوا من طينة آدم، فنورهم يسري في الأصلاب، وتغص نصوص الأدعية الواردة في كثير من كتب الشيعة الإمامية بنصوص طويلة، مفادها

---

(١) أحمد الكاتب: التشيع السياسي والتشيع الديني، (ص٨٦)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار، (٣٧/٩١).

عمومًا الاستغاثة وطلب مختلف الحاجات التي يدعون بها عند زيارة قبور الأئمة، وهذه الأدعية في الغالب مخصصة لكل قبر من قبور الأئمة، ويجري التوسل ببعض الأحيان بورقة تكتب، فيلقى بها إلى القبر أو يجري بها النهر أو تلقى في بئر. وهذه الأفكار مأخوذة من ديانات شتى.

٤. الخالق وصفاته في الفلسفة اليونانية وأثرها على الشيعة

يرى أفلاطون أن للعالم عقلاً محركًا بسيطًا ثابت التنوع فيه لا يتغير، ويرى أرسطو أن للعالم جوهرًا أزليًّا، وهو عقل ليس بجسم، لا مكان ولا زمان له، وأنه واحد ليس بمنقسم، محرك لا يتغير ولا يتحرك، وأنه محرك لغيره، وأن الأشياء تتحرك به، كتحرك العاشق من المعشوق.

ويرى أفلاطون أن للعالم محدثًا واحدًا مبدعًا، لا متناه، وأنه لا يوصف بأي صفة ولا يدرك، وقد عرف هذا المذهب بمذهب تعطيل الصفات، الذي يعتمد على نفي أي صفة، فلا هو بجسم ولا شبيه له، وقد أوضحنا فيما سبق مذهب المعطلة من المعتزلة والشيعة، ويبدو أن الصابئة يؤمنون بفكرة التعطيل، فقد ذكر البيروني أن صابئة حران يصفون الخالق بالصفات السلبية[1].

ومن الواضح أن فكرة تعطيل الصفات عند بعض الشيعة قد تكون مأخوذة من الفلسفة اليونانية.

٥. معرفة الأئمة للغيب عند الشيعة الإمامية

يرى الشيعة الإمامية أن أئمتهم يعلمون الغيب، فهم في هذا عالمون بما كان وما هو كائن وما سيكون من جميع الغيبيات، وقد عقد محمد بن يعقوب الكليني في كتابه (الكافي) فصلاً، أورد فيه جملة من الأحاديث الدالة على هذا المعنى، منسوبة إلى الأئمة على شكل أقوال أو حوادث، من ذلك ما رواه عن جعفر الصادق: «أني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما كان ويكون».

---

(١) بسمة بنت أحمد بن محمد جستنية: أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة، جامعة أم القرى ١٤٢٥هـ.

وأورد الكليني حديثًا أيضًا ادعى فيه أن الإمام جعفرًا قال: إنه يعلم ما كان وما سيكون، وليس كما هو علم الخضر، حيث إن علمه محدود بما كان، وعقد بابًا لمشيئة الأئمة، وأنهم إذا شاؤوا أن يعلموا شيئًا علموه، كما أورد أحاديث تفيد علم الأئمة بوقت وفاتهم.

وذكر ابن بابويه القمي في كتابه (الأخبار) أن الإمام من صفاته علمه بما سيكون في الغد، ومعرفته جميع اللغات كما روى محمد بن الحسن الطوسي في كتابه (الاحتجاج) حديثًا يفيد أن الله عرَف الخلق باقتدار الأئمة على معرفة الغيب من خلق ورزق وأجل وعمر وحياة وموت، وعلم غيب السموات والأرض، كما أورد محمد باقر المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) جملة من الروايات في علم الأئمة للغيب، وأن الأئمة أعطوا علم الأولين والآخرين[١].

وأورد الكليني في أصول الكافي (٢٦١/١) رواية عن جعفر قال: «والله إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما في..... وأعلم ما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة...»[٢].

ومصدر علم الأئمة كما تدعي رواياتهم: «أن علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع»، وفي هذا ادعاء بأن الأئمة يوحى إليهم على خلاف فيما بين الشيعة في الكيفية، والأئمة على أساس أن الأئمة عندهم أفضل من الأنبياء، حيث علم الأئمة أوسع، كما أنهم أرفع وسيلة، ويرى أحمد الكاتب أن هذا من أثر الغلاة، فيما أسماه التشيع الديني[٣].

وهذه الأفكار منتحلة عن اليهودية والنصرانية كما سنرى.

---

(١) الكليني: الكافي، (٢٦١/١)، المجلسي: بحار الأنوار، (١١١/٢٦)، الطوسي: الاحتجاج، (٢٥٦/١)، أبو ذَر هجاد بن مساعد التميمي: الألوهية والعبودية في معتقد الرافضة، القاهرة.

(٢) عِوَض بن عيضة بن شريم السني الزهراني: مظاهر تقديس الأشخاص عند الشيعة الاثني عشرية، (ص١٤٩- ١٥٠)، جامعة أم القرى، سنة ١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار، (٢٦/ ٢٩٧- ٢٩٨)، أحمد الكاتب: التشيع السياسي والتشيع الديني، (ص ٨٨)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

٦. ادعاء قدرة الأئمة على إحياء الموتى عند الشيعة الإمامية

أورد الكليني في كتابه (الكافي) حديثًا يفيد بأن الإمام عليًّا طلب منه إحياء رجل من خؤلة بني مخزوم، فجاء إلى قبره وركله برجله، فخرج صاحب القبر.

وروى الكليني أيضًا أن رجلاً دخل على الإمام الصادق شاكيًا موت زوجته التي يحبها، فرد عليه الإمام: ارجع إلى بيتك فستجدها حية.

وروى المجلسي في (بحار الأنوار): أن غلامًا لجعفر الصادق سأل الإمام أن يحيي له أخاه في المقبرة، فسأله الإمام عن اسمه، فقال أحمد: فصاح الإمام في المقبرة باسمه، فنهض الرجل من قبره. ولم يقتصر ادعاؤهم إحياء الموتى البشر، بل تعداه إلى إحياء ميت الحيوان، فقد روى المجلسي عن جعفر الصادق: أنه في منى بمكة مر على امرأة وحولها بقرتها الميتة، فرقَّ الإمام لحالها؛ لأنها وأطفالها تعيش على حليب تلك البقرة، فسألها أن يحييها، فردت عليه: أتسخر مني؟! فقال: كلا. وركل البقرة برجله فقامت، ومضى بين الناس لا يعرف له أثر، وكذا روى المجلسي أيضًا أن الإمام الصادق أخذ أربعة مختلفة من الطير، فذبحهن وخلطهن مع بعضهن، ثم نادى كلاً باسمه، فجاؤوا سعيًا، وهذا واضح لما فيه محاكاة، لما في النص القرآني المتعلق بنبي الله إبراهيم، فقد صدق الله وكذب المجلسي ورواته[1].

وغني عن البيان أن في هذا انتحالاً واستعارة لما عند النصرانية من إحياء نبي الله عيسى للموتى، كما سنفصل ذلك في موضعه.

٧. حلول الخالق في أئمة الشيعة

تسرب إلى كتب الحديث عند الشيعة الإمامية العديد من الروايات التي تفيد حلول الخالق بأئمتهم أو بعضًا من أجزاء أجساد أئمتهم في الخالق سبحانه وتعالى.

فقد نقل المجلسي رواية عن هشام بن أبي عمار قال: سمعت الإمام عليًّا يقول: أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله، وأنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي،

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، (ص٤٧/١١٥).

ولسان الله الناطق، وأنا الله بذاته. كما روى المجلسي روايات تفيد أن الإمام عليًّا سوف يقوم يوم القيامة بمحاسبة الخلائق، وأن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم سيحاسب الأنبياء، وهذا لا يكون إلا بحصول صفة الألوهية لعلي، وأنها قد حلت به، ونسب إلى الإمام علي أقوالاً لا يمكن أن تصح إلا لجانب الخالق سبحانه وتعالى، «كادعائه بأن عليًّا قال: أنا ولي الحساب، أنا صاحب الصراط والموقف، وقاسم الجنة والنار، أنا مورق الأشجار، وأنا مفجر العيون، ومجري الأنهار، وأنا الأسماء الحسنى، التي أمر أن يدعى بها، وأنا النور الذي اقتبس منه الهدى، وأنا مخرج من في القبور ....».

ونقل الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) ما نقل عن ابن سبأ اليهودي أنه قال للإمام علي: أنت. وقيل: إنه يعني أنت الله. وذكر المقدسي في كتابه البدء والتاريخ: أن السبئية قالوا: علي أنت الله وأنت إله العالمين أنت خالقنا وأنت رازقنا وأنت محيينا. فاستعظم علي ذلك فأخذهم وأحرقهم، وأكد الخطيب البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) هذه المقالة وإحراق قائلها، وقد أكدت كثير من مصادر الشيعة الإمامية مقالة ابن سبأ في علي، منها كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي، وكتب الحديث الأربعة عند الشيعة، وما نقلناه كان رأي قدماء الشيعة الإمامية، ولكن عقيدة الحلول ووحدة الوجود يرددها أيضًا كثير من علماء الشيعة الإمامية المتأخرين، فقط ذكر أن الشيخ الكاشاني في كتابه الوافي أوضح اعتناق فكرة وحدة الوجود، وللكاشاني رسالة في وحدة الوجود، ونسب للشيخ النراقي بأن الحلول هو أعلى مراتب التوحيد[1].

وقد أوضحنا سابقًا فكرة الحلول والتناسخ التي قالت بها الديانة الفارسية القديمة وبعض الديانات الهندية كالبوذية، كما أن هذه الفكرة واضحة في الديانة النصرانية، وخاصة ما تعلق بصفة المسيح عليه السلام، وقد انتقلت هذه الفكرة إلى الصوفية وإلى الشيعة الغلاة، كما سبق أن أوضحنا، وسنفصل ذلك في الديانة اليهودية والنصرانية.

---

(١) أبو ذَر هجاد بن مساعد التميمي: الألوهية والعبودية في معتقد الرافضة، القاهرة، (ص ٢٢٦)، المجلسي: بحار الأنوار، (٢٨٦/٢٥)، الكشي: رجال، (ص ١٩٣)، البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص ٢٣٣)، الشهرستاني: الملل والنحل (١٢٧/١).

التجسيد: التناسخ

تشترك أكثر الديانات الشرقية القديمة من هندية أو مجوسية فارسية أو سومرية وبابلية أو الصابئة بفكرة حلول الآلهة بأجساد رجال الدين أو الأئمة أو الملوك على اختلاف هذه الديانات:

١. فعند الصابئة: أن الإله المعبود جعل الكواكب تدبر العالم، والإله تجسد في هذه الكواكب، وحل بها بشكل نوراني، وقد يحل أو يتجسد في الأشخاص الأرضيّة الخيرة، فالله عندهم هو ملك النور، ومن هذا النور تتجسد الأرواح، وتحل بالأشخاص الخيرة.

٢. وعند السومريين والبابليين والديانات القديمة في وادي الرافدين: أن الإيمان بتعدد الآلهة هو السائد، وأن للآلهة أرواحًا نورانية، تتمثل في الكواكب وخاصة في الشمس؛ فالملك حامورابي يدعي أنه يتسلم القانون من إله الشمس (عشتار) وجزء كبير من قانون حامورابي بين أيدي الباحثين اليوم، يحتوي على جملة من التنظيمات والعقوبات التي يدعون أن الله قد أمر بها، فعقيدة السومريين هي تقديس الملك، والاعتقاد بأن الآلهة قد تجسدت أو حلت به.

٣. وفي الديانات الهندية القديمة خاصة الهندوكية: الاعتقاد بتعدد الآلهة، وتتضح فكرة الحلول والتناسخ في كتاب الفيديا، فهم يَرَوْن أن الإله براهما قد حل برئيس الكهنة حلولاً وراثيًّا ينتقل في الأصلاب.

٤. ترى الديانات البوذية أن الإله قد حل في بوذا رجل الدين المقدس، فروح بوذا عندهم حية إلى اليوم، يجسدونها بأصنام (تمثال بوذا) فيعبدونه إلى اليوم، وهذا هو تبريرهم للسجود لهذا الصنم، وترى الديانة المجوسية المتمثّلة بالزرادشتية والمانوية: أن الكون يحكم بإله الخير والشر (اوهرا ومزدا)، (النور والظلمة)، وإله الخير إله نوراني، وإله الشر إله الظلام، ويرى قدماء إيران أن الخير النوراني قد حل في ملكوهم: فالملوك عندهم قد تجسدت الروح الإلهية فيه، وهي تنتقل إلى أبنائه، فقد ادعى الملوك الساسانيون بأنهم يحكمون بقوة الإله، وأن أمرهم نافذ وواجب الطاعة، فهذا التقديس للملوك عند الفرس والاعتقاد بحلول النور الإلهي فيهم، وأن هذا النور ينتقل من الآباء إلى الأبناء،

وأن طاعتهم واجبة، وهم معصومون من الخطأ، ويتضح هذا الاعتقاد بوضوح في عقيدة فرقة الراوندية، التي ظهرت في القرن الثاني الهجري في إيران، وخلطت مبادئ الإسلام والفكر الفارسي القديم، وخاصة فكرة الحلول، وقد قام الخليفة المنصور بمعاقبة هذه الفرقة وتشتيتها[(١)].

ونشير إلى أهمية الواقع التاريخي للموالي الفرس الذين كانوا تحت هذا الاعتقاد، ثم دخلوا في الإسلام وتفرق بعضهم إلى فرق من الشيعة كثيرة غير الراوندية، ذكر بعضهم النوبختي في كتابه فرق الشيعة، فهنا يتضح كيفية انتقال ميراث الديانة الفارسية المجوسية في الحلول والتناسخ إلى التشيع المتجسد في الروايات المبثوثة في أحاديث الشيعة عند الكليني وابن بابويه القمي والطوسي؛ ولهذا سهل على رواة الشيعة القول بحلول نور الخالق في الإمام علي والأئمة الآخرين، وانتقال هذا النور في الأصلاب، وأعطوا أئمتهم قدرة إلهية على معرفة الغيب أو إحياء الموتى وشفاء المرضى، وما إلى ذلك من معجزات[(٢)].

وكل هذا من فعل الغلاة من الشيعة الإمامية وغيرهم.

وقد أوضح أحمد الكاتب نظرية الإمامة وصفات الإمام عند الشيعة الإمامية، هي من صنع الغلاة المتكلمين لدوافع دينية لإثبات الفرق بينها وبين دوافع التشيع السياسي.

٨. صلاحية التشريع والتفويض لأئمة الشيعة الإمامية

يرى الشيعة الإمامية أن الأئمة لهم حق التحريم والتحليل في شرع الله؛ لأنهم مفوضون بهذا الحق من الله عن طريق رسوله صلى الله عليه وسلم، ويؤيد ذلك ما ذكره الكليني في أصول الكافي من إيراده عشرة أحاديث كلها تفيد أن الله فوض للأئمة حق التحليل والتحريم، ونقل المجلسي في بحاره تلك الروايات، وزاد عليها: أن الله قد فوض للأئمة حق تدبير الكون، وأوجب على الجميع من جماد وإنسان طاعتهم. وأورد الطوسي

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، (١/٢٥٣)، وما بعدها. بسمة بنت أحمد بن محمد جستنية: أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة، جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ.

(٢) أحمد الكاتب: التشيع الديني والتشيع السياسي، (ص ٨٩)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٩م.

في كتابه (تهذيب الأحكام) (٤/ ١٢٠) رواية تحل للفرد من الشيعة ما يصيبه من مال تقع عليه يده من أموال المخالفين [١].

كما قالوا: إن للأئمة حق إظهار ما في الشريعة أو كتمانها، وكل هذا بلا شك من فعل الغلاة من الشيعة الإمامية، التي تسربت رواياتهم المكذوبة عن الأئمة، بقصد إضفاء الصفة الدينية الإلهية لأئمتهم، وهذا ما يراه أيضًا أحمد الكاتب[٢].

٩. وحدة الوجود والاتحاد عند الشيعة الإمامية

ورد عند الشيعة الإمامية عدة روايات، نسبوها إلى أئمتهم، تفيد أن الأئمة اختلطت أرواحها بالخالق، فقد أورد الكليني في الكافي رواية تقول عن الصادق: «لكن الله خلطنا بنفسه»[٣].

وروى الكليني أيضًا عن الصادق قوله: «إن الله خلقنا من نور علمه، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، وخلق شيعتنا من طينتنا... وصار سائر الناس همجًا للنار وإلى النار»[٤].

واستنادًا لما سلف، فإن أئمة الشيعة جزء من الله- تعالى الله عن ذلك-، وروى نعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية) عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «إن الله خلقني وعليًّا من نور عظمته، قبل أن يخلق الله الخلق بألفي عام، إذ لا تسبيح ولا تقديس ولا تحليل، ففتق نوري فخلق منه السموات والأرض، وفتق من نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، فعلي وآله أجَل من العرش والكرسي»[٥].

وقد سبق أن استعرضنا جملة من أسماء علماء الشيعة، الذين تأثروا بهذه الأفكار الغالية.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، (٤/ ١٢٠).
(٢) أحمد الكاتب: التشيع الديني والتشيع السياسي، (ص ٩٠).
(٣) الكليني: الكافي، (١/ ٤٣٥).
(٤) الكافي، مصدر سابق، (١/ ٤٥٣).
(٥) نعمة الله الجزائري: الأنوار النعمانية، (١/ ١٧).

١٠. فكرة إحاطة الأرواح في العالم

ترى الديانة البوذية: أن روح بوذا محيطة بالعالم، وأن لها القدرة على التصرف في الكون، ولهذه الروح القدرة أيضًا في أن تتقمص على شكل إنسان يدور في كل مكان وفي كل زمان، والبوذية على مذهبين: القديم وهو مذهب هينايان، والآخر عبارة عن تعديل للمذهب القديم ويدعى (مهايان)، كما ورد ذلك في كتاب (البوذية: تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها)، د. عبدالله مصطفى نو مسوك (ص٣٥١)، كما ورد ذلك أيضًا مفصلاً في كتاب (إنجيل بوذا) سامي سليمان شيا (ص٢٢٥)، (ط٢ بيروت دار الحداثة، ٢٠٠٤م).

ويرى الشيعة الإمامية عمومًا أن أرواح الأنبياء والأئمة محيطة بالكون، مستمرة قدرتها على إدارة الكون والتأثير به وما فيه من مخلوقات، وقد لخص لنا الخميني في كتابه (كشف الأسرار) (ص ٤٩) وما بعدها، حيث ذكر أن أرواح الأئمة لها القدرة على التصرف في هذا العالم وتدبيره، وأن الروح بعد موت الإنسان تصل إلى أرقى حالاتها، كما ذكر أن إحاطة الأرواح الكاملة بهذا العالم هي بعد الموت أرقى، ونقل الخميني في كتابه السالف أقوال الفلاسفة عن النفس والروح الإنسانية كأقوال ابن سينا وفلاسفة اليونان كأرسطو، ومن آراء فلاسفة اليونان التي تابعها بعض فلاسفة المسلمين: كابن سينا والفارابي والكندي يقولون: إن للكواكب أرواحًا وقدرات مؤثرة في الكون، وهذه الفكرة قد آمن بها علماء الشيعة الإمامية، وغيروا فيها، فبدل أن يقولوا بقدرات الكواكب وأرواحها، أبدلوها بأرواح الأنبياء والأئمة؛ ولهذا فالشيعة الإمامية يعتقدون بصحة الطلب من الإمام، سواء عند زيارته في قبره أو بعيدًا عنه، يطلب منه الاستشفاء من المرض وتلبية الحاجات؛ لأن روحه حية ومحيطة بقدرتها في العالم، والخميني قد استند في فكرته تلك على أقوال القدماء من الشيعة الإمامية، ففي كتاب (أصول الكافي) للكليني باب بعنوان الأرض كلها للإمام علي عليه السلام، أورد تحته عدة أحاديث، تفيد بأن الأئمة لهم القدرة على التصرف في الكون، وأن الدنيا والآخرة تحت تصرف الإمام، وأورد المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) عدة أحاديث تفيد بأن الإمام يدبر الكون ويدبر الريح، وأن أعمال

الخلق تعرض عليه، وأورد أحاديث ادعى فيها أن عليًّا رضي الله عنه قسيم الجنة والنار ومحيي الموتى، وهو الذي يدبر الرعد والبرق، ويغيث السماء، وينبت عشب الأرض. كما أضاف المجلسي: أن الله فوض للأئمة التحليل والتحريم والعطاء والمنع، كما روى أيضًا: أن عليًّا قد قال: أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظرة، وأنا جنب الله، وأنا يد الله. وهذا التصور القديم عند الشيعة الإمامية مستمر الاعتقاد به عند أكثرهم في الوقت الحاضر، فقد قال الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية): إن للأئمة مقامًا محمودًا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون[1].

١١. فكرة الألوهية عند الصابئة وأثرها على الشيعة

يتركز سكن الصابئة المندائيين في قلعة صالح في جنوب العراق، ويسكنون حول الأنهار لاعتقادهم بقدسية الماء، وقيل: إن أصلهم من حران. وورد رأي آخر أن أصلهم من جبل منداي في إيران، وهو الأقوى عندنا، وقد تأثرت ديانتهم بالمجوسية والهندوكية والفلسفة اليونانية، ولهم كتاب فيه أصل تعاليمهم القديمة يدعى (كنزه ربه)، ورجل الدين عندهم يسمى (كنزفره)، يَرَوْن أن للكواكب قوة على الإنسان والموجودات في الأرض، فالكواكب عندهم هي القوة المحركة للرياح والأمطار والنباتات، وما إلى ذلك من موجودات، ويبدو أن الشيعة الإمامية باختلاطهم بالصابئة استعاروا هذه الفكرة، وأدخلوا عليها بعض التعديل، فاستبدلوا قوة الكواكب والنجوم بقوى أئمتهم كما يدعون.

ويرى الصابئة أن الكينونة العليا التي لا هيئة لها انبثقت عنها الكواكب والنجوم والأنبياء والصالحون، ويرون أن لهذه العوالم تأثيرًا كبيرًا على مظاهر الحياة، ويرون أن للكواكب أرواحًا؛ فالشمس مثلاً عندهم لها عشرة أرواح، ويشيرون إلى العوالم الروحية بأنها أبناء النور، روى الشيخ المفيد في كتابه (الاختصاص) ونقله عنه المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) أن الإمام الصادق أسند صوت الرعد ولمع البرق إلى فعل الإمام علي[2].

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، (١٩٨/٢٤)، الخميني: الحكومة الإسلامية، (ص ٢٥).

(٢) المفيد: الاختصاص، (ص٣٢٧)، المجلسي: بحار الأنوار، (٣٣/٢٧).

١٢. فكرة الخالق عند الهندوكية واقترابها لما عند الشيعة

تسند الديانة الهندوكية الحوادث إلى غير الله، فزعموا أن كريشنا هو المتصرف في الكون ونسبوا له قوله: «أنا المتصرف في ملكوت الأرض والسماء»، ونسبوا اليه أيضًا: «أنه هو علة وجود الكائنات، فيها كانت وفيها تحل، وجميع ما في الكون يتكل عليه»[١].

١٣. فكرة التطير والتشاؤم في الأيام والمناسبات

يعتقد الصابئة بوجود أيام ومناسبات للنحس يجب على المرء تفاديها، وينسبون ذلك إلى قوى مؤثرة من الكواكب، فعند الصابئة أيام في السنة لا يخرجون فيها من بيوتهم، فلا يطعمون فيها دوابهم لاعتقادهم بحلول الشر في تلك الأيام، كما يعتقدون بأيام للنحس في أول الشهر وفي وسطه وفي آخره، فلا يعقدون فيها زواجًا ولا يبرمون اتفاقًا، كما أن عندهم ساعات معينة لا يجوز فيها أن يأتي الرجل زوجته، وعليه أن يسأل الكنزفره (رجل الدين) عن أيام السعد ليتقارب فيها أهله، ويركز الصابئة على ظهور القمر، فيتشاءمون بأي عمل يقوم به الشخص والقمر في المحاق أو في برج العقرب، وفي ديانات وادي الرافدين يشيع التشاؤم من الظواهر: كالخسوف أو الهزات الأرضيّة، بل يأتي التشاؤم حتى في بعض الأمور والحوادث البسيطة، فيكفي عثر الشخص أو العطاس أن يثنيه عن سفر أو أي أمر قد عزم عليه، وهذا موجود إلى الآن في كثير من مجتمعات شيعة العراق وخاصة العوام منهم[٢].

١٤. فكرة التوسل وطلب الشفاعة في الأديان الوثنية

١. في الديانة المجوسية الفارسية، حيث يعتقدون بإثنينية الآلهة (أوهرا- ومزدا) يطلب المجوس من رجل الدين أن يتوسط له عند الآلهة لتحقيق غاياته، وعند المجوس أن ابن الآلهة (أوهرا) يشفع للناس عند أبيه، ويقود الحرب ضد الخصوم.

---

(١) بسمة بنت أحمد بن محمد جستنية: أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة، (ص ٣٥٥)، مرجع سابق.

(٢) بسمة بنت أحمد بن محمد جستنية: أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة، (ص٣٧٩)، مرجع سابق. تاريخ الصابئة المنداءيين، (ص:١٣٠) و(ص ٦٦)، وما بعدها.

٢. يعتقد الصابئة بوجود إله صانع فاطر حكيم مقدس عن سمات الإنسان، والبشر يحتاج إلى واسطة وشفاعة يتقرب بها من الإله. والروح الإلهية حالة في الكواكب، وعلى البشر أن يعظموا تلك الكواكب؛ لأنها هي الوسائط المؤثرة في تلبية الحاجات، فأوجبوا على أتباعهم تقديم الصلوات والقرابين إلى هذه القوى.

٣. وفي الديانات الهندية حيث تتعدد الآلهة، فالهندي حسب حاجاته إلى المطر للزراعة مثلاً أو حاجته أن يبرأ من مرض، فهو يذهب إلى المعبدالخاص بإله تلك القوى المطلوبة؛ فيصلي ويقدم القرابين، وهم يحجون إلى نهر الكنك، ماؤه مقدس ويتبركون بمائه كواسطة للشفاعة والشفاء[١].

ويعتقد الشيعة الإمامية باختصاص كل إمام من أئمتهم بتلبية حاجتهم، فإمام متخصص بشفاء المرض، وآخر متخصص برفع الكربات، وأما الإمام الغائب فيرون خصوصيته عند وقوع السيف بالرقبة، كما أوردنا ذلك فيما سبق.

١٥. الملك الحاكم في الديانة الفارسية (المجوسية)

ترى المجوسية أن الملك هو اختيار من قبل الآلهة، ويصفونه بأنهم أبناء الآلهة؛ وذلك عن طريق النور الإلهي الذي ينتقل في أصلابهم، فالملك ليس من اختيار الناس، وإنما مفروض من الآلهة بسبب صفاته المقدسة، التي أضفتها الآلهة عليه فطاعته واجبة، ويقوم رجال الدين (المغان) بدور بارز في تعظيم الملك والسجود بين يديه، ونعتوا ملوكهم بصفات الآلهة، وبلغ هذا التأثير في بلاد ما بين النهرين في عهد الأكاديين إلى أن يعبدوا ملوكهم في المعابد، وإذا ماتوا أضحت قبورهم مقدسة، يستمرون في الصلاة عندها وطلب الحاجات؛ فالملك رام من ملوك أكاد ادعى لنفسه الألوهية، ووضعوا أسماء الملوك بعد اسم الآلهة، وتدعي الأسطورة السومرية الآلهة انليل تحت ملك يسوس الشر[٢].

وعند الشيعة استعاروا لأئمتهم صفات الخالق أو بعضًا من أجزائه، فعندهم الإمام هو وجه الله، ويد الله، وعين الله، وسمع الله، وهذا يقرب كثيرًا من قول الديانة الفارسية: إن الملك ابن الله، ونسبوا لأئمتهم من قوى تشبه ما نسبته الديانات الوثنية لملوكها.

---

(١) أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة، مصدر سابق، (ص٤٣٢).

(٢) أثر الديانات الوثنية: مصدر سابق، (ص ٥٣٧).

١٦. الملك في الفكر اليهودي

ترى اليهودية أن ملوكهم مرسلين من الله، وليسوا من اختيار البشر، وأن الله قد اختارهم لصفات قد منحهم إياها؛ فالملك عند اليهود يمثل سلطان الله في الأرض، وتستمر الملكية في أسرة الملك وأبنائه بالتوارث، فهم يرثون صفات أبيهم طائفة التوراة الإصحاح ١٨ من سفر التثنية، أنه لم يخل أي زمان أبدًا من نبي يخلف موسى ومن نوعه، فبعد موسى جاء وصيه يوشع بن نُون ملكًا على بني إسرائيل.

وقد قال النوبختي في كتابه (فرق الشيعة): إن عبدالله بن سبأ هو أول من ادعى وجوب إمامة علي رضي الله عنه بصفته وصيًّا من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. كما أوصى موسى ليوشع بن نُون، وقد أيد هذه المقالة كلٌّ من الكشي والمامقاني والجزائري، وأيد هذه المقالة كثير من المستشرقين: جولد زيهر- فلهوزن، ويرى الأستاذ مونتجمري وات أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة أدنبرة: أن فكرة الملكية عند الفرس حملها المسلمون من القبائل اليمنية الذين تشيعوا، حيث كانت اليمن تحكم بملوك الفرس[(١)].

وذكر أحمد الكاتب أنه كان يعتقد أن فكرة الإمامة عند الشيعة هي من صنع المتكلمين، من حيث إن ما ورد عن الأئمة بالطرق الصحيحة: الإمامة شورى وليست وراثة. ويشير القرآن الكريم إلى أن اليهود ادعوا أن نبيهم عزيرًا هو ابن الله.

١٧. فكرة المهدية في الأديان وأثرها على الشيعة

١. تزعم الديانة الهندية القديمة: أن كريشنا مات وسيرجع، ويكون ظهوره في صورة فارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد، وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر، وتزلزل الأرض، وتتساقط النجوم من السماء، وهو الذي سيدِين الأموات، وأنه سيعيد العدل إلى الأرض، ويحمي الخير ويدمر الشر.

٢. يعتقد الزرادشتية أن ساوشيانت بن زرادشت سيرجع إلى الأرض لمناظرة (اوهرا- ومازدا) في صراعه ضد (اوهرا) من إله الظلمة. وفي الديانات الوثنية ذكر لظهور المخلص (المهدي) المنتظر الذي سيرجع من مقبرته في الكهوف

---

(١) أثر الديانات الوثنية: مصدر سابق، (ص ٥٤٥).

أو جحور تحت الأرض أو سرداب، وهذا عين ادعاء الشيعة، اختفاء المهدي (محمد بن الحسن العسكري) في سرداب سامراء، وأنه سيظهر فيملأ الأرض عدلاً بعد أن يقتل العرب المخالفين، وتعتقد المجوسية أن لهم منقذًا منتظرًا حيًّا باقيًا مهديًّا، من ولد بشتاسف بن بهراسف، ويقال له: ابشاوثن، وأنه في حصن عظيم بين خراسان والصين، وقد أكد أحمد كسروي أن فكرة المهدي المنتظر عند الشيعة مأخوذة من الفرس.

٣. وفكرة المهدي المنتظر موجودة أيضًا في اليهودية، ورد في التوراة سفر التثنية نصٌّ يقول: «يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي.......، قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أنا الانسان الذي يسمع لكلامي، والذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه».

وتعاقب شراح التوراة من اليهود، وخاصة بعد الشتات: أن ادعوا أن الله سيبعث لهم (مسيحيًّا مهديًّا) يجمع شتاتهم ويقتل أعداءهم، وتمسكوا بنصوص أخرى في التوراة في سفر أشعيا «يولد لنا ولد أبديا رئيس السلام لنمو رئاسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود على مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد»؛ فاليهود ما زالوا ينتظرون هذا المخلص الذي سيظهر كما يزعمون في أورشليم، ويعيد لهم بناء الهيكل، ويدعي اليهود أن منتظرهم حينما يظهر سيطبق ما ذكره من نصوص في التوراة، تقول: «تحطيم أطفالهم أمام أعينهم، وتنهب بيوتهم، وتفضح نساؤهم» وهذه المذابح عندهم ستشتمل ليس فقط فلسطين، وإنما العراق ومواب وسط الأردن ودمشق ومصر وبلاد العرب.

وقد قام قديمًا شراح التوراة وخاصة فيما ورد في التوراة تفاصيل أكثر عن ظهور المخلص، والأعمال التي سيقوم بها ضد أعداء اليهود، ويرى المستشرق اليهودي المجري جولد زيهر: أن اليهود يعتقدون أن النبي إيليا قد رفع إلى السماء، وأنه لا بد أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان، لإقامة دعائم الحق والعدل، و أن إيليا هو المثال الأول لأئمة الشيعة الغائبين، الذين هم أحياء لا يراهم أحد، والذين سيعودون يومًا ما بوصفهم مهديين منقذين للعالم، ويرى المستشرق الألماني فان فولتن: أن فكرة المهدي المنتظر دخلت على

المسلمين عن طريق بعض من أسلموا من اليهود، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه اللذين أدخلوا كثيرًا من الإسرائيليات في التفسير والتاريخ، وصفة المخلص المنتظر عند اليهود تتشابه بما عند الشيعة الإمامية، فقد ورد في سفر يوئيل صفة المخلص اليهودي بما يقارب صفة المهدي المنتظر عند الشيعة الإمامية.

٤. وعند الشيعة الإمامية أن مهديهم المنتظر الذي دخل سرداب سامراء سنة ٢٦٠هـ تقريبًا، سيظهر آخر الزمان، ومن مجموع النصوص الواردة عند الكليني في أصوله، وعند ابن بابويه القمي، والنصوص التي جمعها محمد باقر المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) جمعها من كتب الحديث المروية عندهم، ومفادها أنه سيظهر بمكة، ويبدأ بقتل العرب وقريش، فتسيل الدماء في الكعبة حتى يقول الناس: إنه ليس من آل محمد، فلو كان من آل محمد لرحم، ثم يعيد بناء مقام إبراهيم والكعبة والحجر الأسود، ثم يتجه إلى الكوفة، فيبني بناء مسجد الإمام علي حاملاً حجر موسى الذي انبجست منه اثنتا عشرة عينًا، يرتوي منها الشيعة كما يزعم الحديث، الذي رواه المجلسي، كما روى أيضًا أن المنتظر سيحكم بشريعة النبي دَاوُدَ، ومن ذلك يفهم أن تفاصيل الأعمال التي سيقوم بها منتظرهم مقتبسة من الأفعال التي يدعي اليهود بأن مخلصهم سيقوم بها.

فهل يا ترى سيكون هناك اتفاق بين مخلص اليهود ومنتظر الشيعة، أم سيتنازل أحدهما إلى الآخر للقيام بتلك الأعمال الشنيعة والموعودة على المنطقة؟[١]

ذكر الكليني في أصول الكافي رواية عن الإمام جعفر تقول: «لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجل مني يحكم بحكم آل داود، ولا يسأل بينة، يعطي كل نفس حقها»[٢].

ولأهمية هذه الفكرة عند الكليني فقد وضع للأحاديث الواردة فيها بابًا بعنوان: (باب في الأئمة عليهم السلام أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة).

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، (٣٧٦/٥٢)، اقرأ الديانات في عقائد الرافضة: مصدر سابق، (ص ٦١٦).

(٢) أصول الكافي، (٣٩٨/١).

وعللوا عدم السؤال عن البينة بأن الإمام معصوم يعلم الغيب وما تخفي الصدور، وسيأتي مهديهم المنتظر بكتاب فيه تشريع جديد غير الإسلام، حيث يذكر النعماني في كتابه (الغيبة): أن المنتظر سيقف بين الركن والمقام وبيده كتاب جديد، على العرب شديد، يبايع الناس عليه[١].

وتقول الروايات عندهم: إن الإمام المنتظر سيغير الأحكام المعروفة في الإسلام؛ فالميراث سيحكم إلى الأخ في الدين الشيعي بدل الوارث من شقيقه في الرحم، والأمانات لا ترد لمستحقيها بل تعطى لمن يراه الإمام، وسوف لن يأخذ الجزية من أهل الكتاب، ويكون للإمام قوة في تخصيص النص (القرآني) أو تعميم النص الخاص أو تقييد المطلق أو تبيين المجمل (للنص القرآني)، وهذا يعني أن دين الإسلام عندهم لم يكتمل، وأن بعضه سينسخه الإمام أو يعطل حكمه[٢].

رأي النصرانية في المسيح المنتظر

ترى المسيحية أن الله تجسد في المسيح عيسى ابن مريم، وأن المسيح تجسد في الحبر الأعظم، وظلت أوروبا قديمًا تحكم بواسطة البابا (الحبر الأعظم)، الذي له الولاية والطاعة على جميع النصارى كما يدعون، وأن على النصارى دفع نسبة من أموالهم إلى الكنيسة، وهذا التقديس للحبر الأعظم إنما جاء كما يدعون عن طريق الحلول الإلهي، وقد تأثر الشيعة الإمامية بهذه الفكرة، زاعمين أن الله قد حل في الإمام علي، وإن اختلفوا في صورة الحلول، وكيفية كون علي معصومًا يملك الإرادة التكوينية كما مر سابقًا.

وادعت المسيحية أن المسيح سيظهر فيملأ الأرض عدلاً، وهذه عين مقالة الشيعة الإمامية في الإمام المهدي المنتظر، وادعوا أن الإمام الثاني عشر حينما اختفى اتصل بأربعة نواب واحدًا بعد الآخر (سفراء)، ينوبون عنه عن طريق دعوة الحلول الإلهي، فيوصلون أوامره ونواهيه، ويقبضون الخمس من الأموال، وهذا قريب مما حصل في المسيحية،

---

(١) النعماني: كتاب الغيبة، (ص ٢٠٠).

(٢) عِوَض بن عيضة بن شريم السني الزهراني: مظاهر تقديس الأشخاص عند الشيعة الاثني عشرية، (ص ٢١٧)، مصدر سابق.

كما يشهد على ذلك موسى الموسوي في كتابه (تصحيح عقائد الشيعة الإمامية)، وادعى الشيعة الإمامية بولاية الفقيه، وأن الفقيه في زمن الغيبة يكون نائبًا للإمام، وله عين السلطان التي شرعوها للإمام.

١٨. رأي الديانات القديمة والوثنية في الرجعة

إن فكرة رجعة الأموات للأشخاص المهمين في المجتمعات القديمة: كالأبطال أو الأنبياء أو الملوك أو الأئمة، على اختلاف فيما بينهم، فنجد:

١. في ديانات ما بين النهرين في العراق يعتقدون برجعة هابيل بعد أن قتله قابيل، وسبب هذه الدعوة فيما يبدو هو الانتقام من القاتل. وعند الشيعة الإمامية: أن أعداءهم وخاصة من قتل الحسين مثلاً سيرجع لينتقم منه، وكان عند قدماء الكلدان رواية ترمز إلى موت الأرض وإلى قيامة مردوخ (إله السامي في بابل)[١]. وإلى اليوم يقوم شيعة العراق بمثل هذه التمثيلية بمناسبة عاشوراء (مقتل الحسين رضي الله عنه).

٢. أما الفرس القدماء فيعتقدون برجعة مخلصهم (مثرا) الذي مات قتيلاً، فقاموا بتأليهه وعبادته.

٣. يعتقد الهنود القدماء أنه متى عادت النجوم إلى مقر ابتدائها يظهر المخلص (فشنو) على ظهر جواد أشهب بهيئة فارس بيده نار حارقة للأعداء، وبيده الثانية خاتم مضيء للأجياد العظيمة.

٤. ويعتقد البوذيون برجعة (بوذا) وظهوره بالناموس وهدايته للناس عن طريق التعليم وإعادة النظام. والبوذية تعتقد عمومًا برجعة الأرواح بعد الموت.

٥. ويعتقد المجوس برجوع (يزيد سيروش) بعد انتظار ظهوره، وأنه سيعيد الدولة القديمة، ويأمر بتطبيق تعاليم زرادشت.

٦. ويعتقد اليهود برجعة بعض أنبيائهم، فقالوا برجعة (عزير وهارون)، وفي أثناء مدة شتاتهم اعتقد بعضهم برجعة وظهور مخلص لهم مما هم فيه من العذاب، يوحدهم بعد الشتات، وينتقم من أعدائه، وهذه الفكرة دفعت المستشرق (فريد

---

(١) أثر الديانات الوثنية: مصدر سابق، (ص: ٦٤٦).

لندر) إلى القول بأن فكرة ابن سبأ المتعلقة برجعة الإمام علي إنما أخذها من اليهودية.

ويرى المستشرق (جولد زيهر) أن اعتقاد اليهود بأن النبي إيليا سيرجع بعد موته هي الفكرة التي تأثر بها الشيعة في قولهم بالرجعة، وقد ورد في التوراة إصحاح أشعيا مانيه «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: ها .... زبدًا وعسلاً، يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير»، فرجوع النبي إيليا عند اليهود أو رجوع هارون أو ستلد لهم العذراء مخلصًا يجمعهم بعد شتاتهم، وينتقم لهم من أعدائهم حتى يعم السلام على الأرض، فيأمن الحمل فيجلس بجانب الذئب، فيعم السلام حتى بين الحيوانات وتخضر الأرض، وهذه الأماني طفحت بها شروح التوراة والتلمود، فتلقاها رواة من الشيعة شحذت خيالاتهم، فأضافوا عليها من عقائد وأفكار ديانات سابقة، ووضعوا تلك الروايات في أفواه أئمتهم كتلك الواردة عند الكليني في (الكافي)، وعند المجلسي في (بحار الأنوار) في باب الرجعة، وتنص التوراة في سفر دانيال في الإصحاح رقم (٩،١١،١٢)، «كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى قادم الأيام (مخلص) فقربوه قدّامه، فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا، لتتبع له كل الشعوب والأمم والألسنة، وسلطانه سلطان أبدي ما لا يزول، وملكوته ما لا ينقرض» وعند اليهود أن بعض الأنبياء والأولياء لهم القدرة على إحياء الأموات، وزعموا ذلك أيضًا للحاخامات، كما في سفر الملوك أن النبي إيليا أحيا ابن المرأة التي سكن عندها، وذلك بعد موته وإشفاق أمه عليه.

كما ورد أيضًا في سفر الملوك الثاني أن النبي اليشع استطاع أن يعيد الحياه لطفل ميت، وفي التلمود: (هو تفسير وتوضيح للتوراة) جاء فيه أن أحد الحاخامات بعد سكره قام بقتل أحدهم؛ فقام الحاخام بإرجاع الحياة إليه، وأورد بولس حنا مسعد في كتابه همجية التعاليم الصهيونية (ص:٤٣) جملة من الحوادث والقصص عن رجال الدين اليهود ومعتقداتهم وقدرتهم على إحياء الموتى وإرجاعهم إلى الحياة عن طريق حجر

يدعون حمله لهذا الغرض، وقد سخر الشيخ موسى الموسوي ممن يؤمن بالرجعة من الشيعة، وأسند ذلك لمؤثرات خارجية[١].

١٩. فكرة زيارة القبور في الديانات، وأثرها على الشيعة الإمامية

سبق أن أوضحنا عن عبادة الأجداد عند السلاجقة، وتطورها في بناء القبب عليها وزيارتها والدوران حولها، وقد انتقلت هذه العادة في الديانات القديمة، وخاصة ديانات وادي الرافدين إلى الشيعة الإمامية في تعظيم قبور أوليائهم وزيارتها كجزء من الواجبات الدينية على الفرد الشيعي، يقول ابن بابويه القمي: «إن لكل إمام عهدًا في عنق أوليائه وشيعته، وأن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زادهم رغبة في زيارتهم وتصديقًا لما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»[٢].

وفي كتاب (التهذيب) لمحمد بن الحسن الطوسي الذي هو شرح وتفصيل لكتاب (المقنعة) لشيخه المفيد، وفيه عدة أبواب في فضل زيارة قبور الأئمة وتعظيمها، وقد كتبه شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي في عدة أجزاء، يعد من أهم كتب الحديث عند الشيعة الإمامية.

أما محمد الباقر المجلسي فقد نقل في كتابه (بحار الأنوار) من جميع ما تيسر له من كتب الشيعة المتعلقة بزيارة قبور الأولياء، وأفرد كثير من علماء الشيعة الإمامية بالتأليف لزيارة المشاهد المقدسة عندهم، وما يجب أن يقال في تلك الزيارات وما يقدم من نذور، مثل ذلك كتاب الشيخ المفيد باسم المزار، فزيارة قبر الحسين واجبة بنص بعض الأحاديث المروية عندهم، بل يصل الحال إلى تفضيل هذه الزيارة على الحج لبيت الله الحرام، وهذا واضح في العديد من الروايات التي أوردها المجلسي في بحاره. وتارك زيارة قبر الحسين يعد في بعض الروايات ناقصًا الإيمان والدين، كما هو وارد في بحار المجلسي، وكل هذا الحشد الفكري أريد به العديد من المقاصد، من أولها استدرار المال إلى جيوب رجال الدين، وتعميق تلك العقائد المتعلقة بعصمة الإمام وصفاته وشفاعته، وجميع ما ذكرناه

---

(١) أثر الديانات الوثنية: مصدر سابق، (ص ٦٥٤).

(٢) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، (٢/٣٦٠).

متعلق بعقيدة الشيعة الإمامية في أئمتهم وأوليائهم، ولهذه الأهداف فقد بالغ القوم في ثواب زيارة قبر الحسين، إلى وضع أحاديث أنها تعادل عشرين حجة لبيت الله الحرام، أو في رواية أخرى مئة حجة؛ وخاصة إذا كانت هذه الزيارة في يوم عرفة، وهذا أمر عجيب سبقهم القرامطة إليه عندما بنوا كعبة ونقلوا الحجر الأسود إليها، للاستعاضة عن حج بيت الله الحرام في مكة، فقد روى الطوسي في تهذيب الأحكام عن جعفر أنه قال: «من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب له الله ألف ألف حجة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول الله، وعتق ألف ألف نسمة، وحمل ألف ألف في سبيل الله، وسماه الله عبدي الصديق آمن بوعدي، وقالت الملائكة: فلان صديق زكّاه الله من فوق عرشه»[١].

وكأن الراوي لبعض تلك الأحاديث يهدف إلى نقل الحج أو حصول سقوط الواجب بزيارة قبر الحسين، فقد نقل المجلسي في بحاره رواية تقول: «من فاته عرفة في عرفات فأدركها في قبر الحسين لم تفته، وأن الله تبارك وتعالى ليبدأ بأهل قبر الحسين قبل أهل عرفات ثم يخاطبهم بنفسه»[٢].

بل إن رواية أخرى تقول: إن الله يشفع يوم عرفة لزوار قبر الحسين قبل الواقفين بعرفة، وعظموا الزيارة في يوم عاشوراء، «كمن زار الله في عرشه» كما يقول نص البحار، وهذا النص قد ذكرني بما ذكره أحد الحجاج في إحدى السنين: أن امرأة من الشيعة في أثناء طوائفها في الكعبة سألت: (أين قبر الله؟) وهذا يدل على تأصّل الأفكار في الديانات الوثنية في هذا الفكر[٣] [٤].

---

(١) الطوسي: تهذيب الأحكام، (٤١/٦).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار، (٨٦/٩٨).

(٣) انظر: كتاب الإبريز من كلام سيدة الغوث عبدالعزيز الدباغ: أحمد بن مبارك (١٦/١- ١٩)، وفصول في أديان الهند: محمد ضياء الأعظمي، (ص١٧٤) عن كتاب العلاقة بين الإمامية (٨٤) مصدر سابق.

(٤) يراجع في تفصيل ذلك خاصة المتعلق بالشيعة الإمامية كتابنا: (جذور التشيع)، وخاصة ما كتبناه عن علاقة الإمام جعفر الصادق بأتباعه، أما ما تعلق بالصوفية، فانظر: كتاب زياد عبدالله الحمام (العلاقة بين الصوفية والإمامية) (ص٢٧٥- ٣١٨).

الباب الرابع

صوفية وفلاسفة شيعة تأثروا بالعناصر الأجنبية

الفصل الاول

صوفية الشيعة

قدماء الصوفية وصلتهم بالتشيع

١. معروف الكرخي

هو مولى للإمام علي بن موسى الرضا، وقيل: إنه كان نصرانيًّا أو مندائيًّا، فأسلم على يد هذا الإمام. وقيل: إن معروف الكرخي قد قتل وكسرت أضلعه بسبب تزاحم الناس على باب الإمام علي بن موسى الرضا، وصلة الشيخ معروف الكرخي هذه بالإمام علي الرضا جعلت الصوفية ومن لهم هوى في التشيع يخضعون معروفًا لولاية هذا الإمام، وعن هذه الولاية تنتقل الأسرار الصوفية، فينسب لمعروف الكرخي الكثير من الكرامات والأدعية[١].

والحقيقة التي نراها راجحة أن تصوف معروف الكرخي لم يكن قد أخذه عن الإمام علي الرضا، بل بسبب أصل ديانته القديمة التي قيل: إنها نصرانية أو مندائية.

٢. ذو النون المصري

قيل: إنه من موالي قريش، وكان في مصر واشتغل في الكيمياء، يفتش عمًّا يسمى بإكسير الحياة وتحويل الأشياء الخسيسة إلى أشياء نفيسة، مثله مثل أبي حيّان الذي كان له صلة بالإمام جعفر الصادق، وَمِمّا نقل عن ذي النُّون من أفكار نراها ترجع إلى (كأس المحبة)، الذي يرمز إلى الباكوسية، وكان محله بالإسكندرية، ومما نقل من أقواله أن الأشياء لها ظاهر وباطن، والباطن يحتاج إلى الكشف، والكشف يتأتى عن النور المحمدي، وتنقل المصادر عدم التزام ذي النُّون بالفرائض الشرعية؛ لأن الصوفي الولي لا يحتاج إلى

(١) مصطفى كامل الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع.

جميع الفرائض، ويرى بعضهم أنه لا صلة لذي النون بالتشيع، إنما صلته ترجع في غالبها الى الفلسفة الأرسطية[١].

٣. الحسين بن منصور الحلاج

يعد الحلاج من أقطاب الصوفية ببغداد، وشهرته كانت بسبب محاكمته وقتله على آرائه في الحلول والتناسخ، وعلى ما ذكر من صلته بالشيعة الإسماعيلية الفاطمية في مصر، فقد اتهم في كونه مروجًا للأفكار الباطنية الإسماعيلية، وأهم آراء الحلاج ما يأتي:

١. نادى الحلاج بفكرة الحلول، وادعى حلول الخالق في جميع مخلوقاته، كما نادى بوحدة الوجود والشهود تبعًا لذلك، وله الأبيات الشعرية المشهورة التي تدل فيها على حلول الخالق فيه:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا	نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرته أبصرتني	وإذا أبصرتني أبصرتنا

ونقل عنه أنه قال: «أنا الحق»، وفسرت هذه العبارة: أنا الله؛ لأنه يعني أن الله قد حل به.

وأصل الحلاج من بيضاء فارس، وكان جده مجوسيًّا، ونشأ بمدينة تستر بإيران، فصحب سهل بن عبدالله التستري، والشيخ الجنيد، وتأثر بأفكارهما.

٢. يرى الحلاج وصول الأولياء (الصوفية) إلى درجة العصمة، وأن لهم الشفاعة والقدرة على التأويل الباطني للوصول إلى الحقيقة.

٣. لقد تأثر الحلاج بكثير من الغلاة الشيعة: كأبي الخطاب. وقيل: إنه رحل إلى قم، واتصل ببعض علماء الإمامية: كابن بابويه القمي، وذكر أن آراءه لم تلق ترحيبًا من شيعة قم لغلوها، كما تأثر الحلاج بأفكار إخوان الصفا، خاصة ما تعلق منها بالمعاني الروحية الخفية في رسائلهم، وذكر أيضًا اهتمامه بآراء ابن حيّان في

(١) مصطفى كامل الشيبي: الصلة بين التصوف التشيع.

الكيمياء، ويرى كثير من الباحثين أن أفكار الحلاج مأخوذة عن النصرانية، التي تدعي حلول اللاهوت بالناسوت (جسد المسيح)[١].

٤. نسب إلى الحلاج قوله: إن الأولياء ومن تدرجوا في الصعود إلى مراتب النسك قد لا يحتاجون لأداء الفرائض كالحج، فيمكن في رأيه أن يقوم الشخص وهو في بيته حاملاً نية الحج مؤديًا واجباته وهو في بيته. وهذه بعض آراء الغلاة من الخطابية والإسماعيلية والقرامطة، ولعل القرامطة قد حققوا عمليًّا رأي الحلاج في عدم وجوب فريضة الحج عندهم، حينما قطعوا طريق الحج، وأوقفوا آداء المناسك، وأخذوا الحجر الأسود إلى ما يقرب من عشرين سنة.

وتبدو صلة الحلاج بصفته داعية إسماعيليًّا باطنيًّا واضحة في مراسلاته إلى بعض الرجال في خراسان، فكأنما يهيئ نفسه لأن يكون قطبًا من أقطاب الدولة الإسماعيلية الفاطمية.

٥. نقل عن الحلاج وهو في طريقه إلى القتل أن قال: إنه سيرجع بعد ثلاثين يومًا، وورد عند أصحاب الحلاج الادعاء برجوعه، وهذه الفكرة (الرجعة) تتكرر عند كثير من الفرق التي تأثرت بالنصرانية خاصة (فكرة رجوع المسيح بعد صلبه).

٤. محيي الدين ابن عربي

يُعدُّ ابن عربي من أهم أركان الفكر الصوفي الذي استعار من عناصر أجنبية خاصة من الديانات الفارسية القديمة والفلسفة اليونانية، وأهم آراء ابن عربي تتلخص فيما يأتي:

أولاً: وحدة الوجود

يرى ابن عربي أن الوجود وحدة واحدة متصلة بعضها ببعض عن طريق حلول الروح الإلهية في الموجودات، وهى الفكرة نفسها التي قال بها أيضًا الحلاج، وقد رأينا مدى علاقة هذه الفكرة بالتناسخ، وصلة كل ذلك بالديانات القديمة، وخاصة المجوسية حيث فصلنا ذلك في موضعه.

---

(١) محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٤٩٢/١)، دار الهجرة، الرياض، ١٩٩٦م.

ولد في إشبيلية بالأندلس سنة ٥٠٦هـ، وانتقل إلى المشرق ينشر أفكاره؛ فحبس في مصر، وبعد خروجه ذهب إلى الشام، وقد توفي بدمشق سنة (٦٣٨هـ)، وأهم كتابين لابن عربي هما (الفتوحات المكية) (وفصوص الحكم)، ففيهما شرح فكرته عن وحدة الوجود بعدة أقوال، منها ما استخدمه من ظاهر الحديث القدسي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي ورد في نصه: «....فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها....»[1].

فاتخذ ذلك حجة من أن الله يحل في محبيه، فيصبح الاثنان واحدًا، وذكر أيضًا أن الله «خلق الإنسان على صورته»، وقال أيضًا: «بل هو عين هويته وحقيقته»، والنص القائل: «إن الله خلق الإنسان على صورته» نص موجود عند اليهود في التوراة، تلقفه كثير من المشبهة: كأمثال هشام بن الحكم من الشيعة، واستخدمه الصوفية لإثبات فكرتهم في الاتحاد والوحدة[2].

واستخدم ابن عربي أيضًا النص القرآني: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦، فيرى أن عين الداعي هو عين المجيب، أي: أن الله قد حل بالداعي.

ثانيًا: فكرة النور المحمدي

يرى أن الأولياء مخلوقين من نور محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قيل: إن ابن عربي وصل في هذه الفكرة من الغلو إلى درجة أنه يرى بلوغ الأولياء درجة الأنبياء عن طريق التجلي النوراني، ولهذا السبب قال ابن عربي بعصمة آل البيت، والنور المحمدي عند ابن عربي يشمل جميع الأولياء، سواء كانوا من آل البيت أو من غيرهم، ويدلل على ذلك بدخول الصحابي سلمان الفارسي بمثل هذا النور[3].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٥/٨ رقم٦٥٠٢).

(٢) انظر كتابنا: أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م. تقديس الأشخاص في الصوفي: مصدر سابق، (٥٢٦/١).

(٣) محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، (٥١٨/١)، الرياض، ١٩٩٦م، دار الهجرة.

ثالثًا: فكرة الأبدال والأوتار

يرى ابن عربي أن الأولياء هم (الصوفية) أوتار الأرض لا تقوم إلا بهم، وأن التصوف درجات، واخترع لنا الأقطاب، وهي من أعلى الدرجات التي يصلها الأولياء، حيث يحصل لهم الكشف عن المستور، وتتجلى لهم حقيقة بواطن الأمور.

٥. محمد بن المرتضى بن محمود المعروف (بالملا محسن الفيض الكاشاني، ت ١٠٩١)

وهو تلميذ المُلا صدرا الشيرازي السابق ذكره، وقد تأثر بأفكار ابن عربي وجمع بين التشيع والتصوف؛ ولذا أنكر عليه كثير من العلماء بعض أفكاره وشنعوا عليه، وربما كان ذلك لاعتقاده بفكرة وحدة الوجود التي تقول بها الصوفية خاصة ابن عربي، وقيل: إن له رسالة في وحدة الوجود. وقيل: إنه من الشيعة الأخبارية الذين يوثقون جميع الأحاديث المروية، كما ذكر له رأي في حلية الغناء[1].

له كتب كثيرة، أهمها كتاب (علم اليقين في أصول الدين) وله كتاب (الكلمات المكنونة في علوم أهل المعرفة) وله رسائل وجوابات كثيرة في مواضيع كلامية وفلسفية واعتقادية، وله كتاب (التذكرة) في الحكمة، وله كتب بالفارسية في التنجيم والفلك.

و من متصوفة الشيعة: المدرسة الحروفية

وهم الصوفية الذين شغلوا بتفسير الحروف والأعداد والإشارات، مستقين ذلك من حروف مفاتيح سُوَر بعض القرآن والأعداد المذكورة في بعض الآيات في مناسبات مختلفة كالعدد ٧ أو ١٢.

ونسب إلى محمد سهل بن هروف بن راهبون صاحب بيت الحكمة أيام المأمون أنه من أوائل من أشار إلى ذلك، واتخذ الحروف والأعداد والإشارات وسيلة وطريقة للتأويل حسب هوى كل فرقة، فبعضهم يزعم أنه يفتش عن اسم الله الأعظم، وبعضهم يفتش عن سنة ظهور المهدي المنتظر، وآخر يعلل سنة انتهاء دولة الإسلام، وهكذا كل فرقة اشتغلت

---

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص٥٢٣).

بمهمة، وقد عالج صوفية الشيعة أعداد الأفلاك مقارنة بعدد أئمتهم، كما فعل الشيعة الإسماعيلية في تفسيراتهم الباطنية للحروف والأعداد متكلمين عن الإمام علي رضي الله عنه مقارنين بين سنوات عمره أو حكمه أو عدد من أقواله، وبين عدد الملائكة، كما رمز بعض الصوفية إلى الحروف بمعاني استقرت عندهم: كحرف الألف الذي يرمز عندهم إلى الله، وعند آخرين يرمز له بحرف الهاء والواو (هو)، وقد شغل الحلاج بالإشارة التي استخدمها كثيرًا في كتابه الطواسين.

فذهب المفسرون مذاهب عدة في تأويلها، وقد أكثر ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية من الإشارة إلى تأويل بعض الحروف والأعداد بما يطابق هواه ورغبته، وربط ابن عربي بين الحروف وعدد صفات الخالق بالمخلوقات أو بأعداد المخلوقات التي تنتهي بوحدة الوجود برأيه، وارتباط ذلك عنده بفكرة الإنسان الكامل المتمثّلة بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالمسيح.

ومن أشهر صوفية الشيعة الحروفيين فضل الله الأسترابادي، فقد كان أيضًا شاعرًا، اعتنى بالحروف وإعدادها وما يرمز إليه كل حرف، وربط بينها وبين ولاية الإمام علي وصفاته وتفويض الأمور إليه.

ويبدو أن هنالك علاقة فكرية بين المدرسة الحروفية اليهودية التي ذكرناها سابقًا، والمدرسة الحروفية عند بعض الشيعة المتصوفة.

ومن أشهر الحروفيين الشيعة:

١. فضل الأسترابادي

ولد في رشوان سنة ٧٤٠هـ، وكان أبوه وجده صوفيين، وذكر أنه جاور في النجف مدة عشرين سنة، ويعد ممن نادوا بفكرة الاتحاد (مع الخالق)، اشتهر بالتأويل وتفسير الأحلام، وقرن نفسه بالنبي يوسف ومحمد والمسيح عليهم السلام.

ولنشأة أسترابادي بإيران أثر على أفكاره، فقد ادعى أنه المهدي المنتظر، وأسرَّ ذلك لمريديه، وجمع فضل الله بين الأفكار الشيعية والصوفية، فشبه نفسه بالمسيح، وأضفى على

نفسه صفات الألوهية وتنقل في بلاد فارس، فاشتهرت أفكاره الغالية إلى درجة محاولة محاكمته عدة مرات، وانتهى به الأمر إلى أن قتل بسبب آرائه[1].

وقد كتب فضل الله كتب عدة بالفارسية عن التصوف، بث فيها آراءه المتعلقة عن الاتحاد ووحدة الوجود وعصمة الأولياء، وتشبهه بأعمال المسيح ابن مريم، وادعائه المهدية؛ فكان من أهم كتبه (الجاودان نامه)، ويعني الخلود، كما له كتاب (محبة نامه).

٢. السيد نعمة الله الولي

وهو من صوفية الشيعة انتسب إلى إسماعيل بن محمد بن جعفر، ولد في حلب ثم هاجر إلى إيران سنة ٧٣٠هـ تقريبًا، فكان في بلدة كرمان، حيث أنشأ طريقته الصوفية واتصل بالفرس مباشرة، وفي عهد الملك تيمور احتل نعمة الله مركزًا مرموقًا في سمرقند، ويذكر أن تيمور نفسه قد شجع العلويين أمثال نعمة الله، وقد اعتقد بفكرة الحلول، وادعى أنه صحب بمكة عبدالله اليافعي صحبة موسى لشعيب، وذكر الإنسان الكامل وسلاسل الأولياء، وبالغ في تعظيم شيوخ الصوفية حتى قرن الشيخ البسطامي بعلي بن أبي طالب، وله أشعار لا تخلو من الإشارات الحروفية الصوفية، ويعد نعمة الله شيعيًّا صوفيًّا معتدلًا، لا يشترك مع غلاة الشيعة بأي صفة من صفات تأليه الإمام علي أو تفويضه؛ ولذا فقد عده بعض الكتاب أنه من فقهاء الحنفية أو الشافعية المتصوفة بإيران، وقد توفي عن عمر طويل قارب المئة سنة، ويعد نعمة الله من كبار الصوفية الحروفيين العلويين، حيث ترأس جملة منهم، وقد أفاده سفره إلى الهند ومجاورته الملك أحمد شاه ملك الدكن، حيث أفاد حفيده فيما بعد من هذه الصِّلة.

ونود أن نشير إلى المؤثرات الفارسية والهندية التي تأثر بها نعمة الله، حيث كان يتقن لغة تلك الأمم، وقد اطلع على تراثها الفكري، فلا يبعد أن تكون عناصر من الديانة الهندوكية والفارسية القديمة قد تسربت إلى أفكاره الصوفية، خاصة ما تعلق منها بفكرة الحلول والتناسخ.

---

(١) مصطفى كامل الشيبي: الصِّلة بين التصوف والتشيع، (٢/١٥٥)، وما بعدها.

٣. أحمد بن فهد الحلي

ولد في الحلة سنة ٧٥٦هـ، تلقى علومه عن الشيخ علي بن الخازن الحائري تلميذ الشهيد الأول، وعن تلاميذ الحسن بن المطهر في الحلة، وفي هذه الحقبة انتعش التشيع في الحلة، وشجع الحكم المغولي نفوذ العلويين ونشاطهم السياسي والفكري، خاصة في الحلة، وله كتب كثيرة بفقه الشيعة، كتب بعضها في كربلاء، وشهد له جملة من مؤلفي الشيعة أنه كان صوفيًّا، منهم يوسف البحراني الذي ذكر له كتاب (التحصين وصفات العارفين)، وكتاب (عدة الداعي ونجاح الساعي) وفي المتحف البريطاني نسخة من كتابه التحصين وصفات العارفين.

وقد نسب أحمد بن فهد إلى الإمام الصادق وإلى الإمام الباقر أقوالاً تدل على الزهد والعزلة عن الناس كما هو شأن الصوفية، وأشار ابن فهد إلى أهمية الدعاء والذكر، وأنه يشفي المريض والمربوط، وخاصة في رأيه عند زيارة قبر الحسين والتبرك بطينته، وذكر أن لابن فهد رسالة أودعها لتلميذه يتنبأ فيها بظهور الشاه إسماعيل الصفوي، ومسألة التنبؤات أصبحت أمرًا شائعًا بين الصوفية، واستخدمت سياسيًّا، وقبل دخول معارك الجيوش ينشط هؤلاء لتحفيز الجنود على القتال والنصر على العدو. وفي تراث اليهود الكثير من التنبؤات فيما يسمى نبوءات دانيال.

وقد تأثر تلاميذه به، ولكنهم لم يسلكوا مسلكه في التشيع، بل غالوا فادعوا أن شيخهم هو باب الله، وزادوا على ذلك بأنه هو المهدي[١].

٤. محمد بن فلاح

هو تلميذ الشيخ أحمد بن فهد السابق ذكره، ويدعي أنه من النسب العلوي؛ ولذا فقد ادعى أنه هو المهدي المنتظر بعد اعتكافه وخلوته في مسجد الكوفة؛ ولذا فقد أفتى شيخه بقتله بسبب هذه الدعوة، وهرب ابن فلاح إلى البطائح (الأهوار في جنوب العراق).

---

(١) الشيبي: مصدر سابق، (ص ٢٥٧، ٢٩٠).

وسمي بالمشعشع بسبب ما يدعي من معجزات وتخاريف للعامة، فاتسع نفوذه وأتباعه، فسموا بالمشعشعين، وذكر له كتاب (كلام المهدى)، كانت عند الشيخ الزنجاني نسخة منه، ونسب له أنه يزيد في بعض آيات القرآن الكريم ومثال على ذلك ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن: ١٧ - ١٨، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الحشر: ٢٤، للإنسان وهكذا في مواقع كثيرة من هذا القبيل[١].

وكان هذا الشيخ نواة لحركة المشعشعين الغالية، التي اتسمت بالأخذ عن الصوفية ومبادئ الشيعة، وقد شنت حركة المشعشعين حملات على ما حولها، خاصة على الحلة ومنطقة ما يسمى الآن بعربستان، خاصة المناطق المجاورة للأهوار، وشاع بين صوفية المشعشعين دعوة المعجزات والكرامات والدخول في النار، وقد أثر هذا المسلك الصوفي في نشوء حركة السيد أحمد الرفاعي في هذه المنطقة، حيث ورثت الطريقة الرفاعية كثيرًا من أفكار وممارسات المشعشعين، فقد كانت بداية الطريقة الرفاعية في منطقة أم عبيدة في البطائح، التي كان أكثر سكانها من قبيلة بني أسد، ونسب لابن فلاح أقوال الغلاة في الإمام علي، وأن له صفة الألوهية، مما أغرى العامة على وصف المشعشعين بالغلو والمروق عن الدين، حيث أغرت دولة الصفويين بعض القوى للقضاء على دويلة المشعشعين برغم أن الطرفين يشتركان ويخرجان من منبع واحد، وهو التشيع.

٥. محمد بن عبدالله بن نور بخش

هو تلميذ الشيخ أحمد بن فهد الحلي، ويعد نموذجًا من الشيعة المتصوفة الفرس، تتركز اهتماماته بصفات الإمام علي شأنه شأن كثير من الصوفية العلويين، الذين انتشروا بفارس في هذه الحقبة. ودخلوا بأفكار الغلاة خاصة تلك المتعلقة بالولاية والإمام والعصمة وفكرة الاتحاد.

ولد بخش بفارس في قهستان سنة ٧٩٥هـ حفظ القرآن والتحق مريدًا للخواجة إسحاق الختلاني الصوفي، وادعى نور بخش أن نسبه علوي وأراد تجميع العلويين الصوفية بفارس

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ٣٤٦- ٣٦٩).

حوله، وتميز بلبس السواد، واتُهم بالاشتراك في ثورة الخواجة إسحاق الفاشلة، فنفي إلى هراة عاصمة التيموريين، فرحل إلى شيراز، وبعدها إلى البصرة، ثم النجف وكربلاء، ثم ذهب إلى كردستان، وادعى بالخلافة، وضرب نقودًا باسمه، فأحست بخطره الدولة التيمورية، فاعتقل وسيق إلى كرمان، وهناك أعلن توبته وتنازل عن ادعاءاته، وأخيرًا رحل إلى الري (طهران)، وفيها توفي؛ فقام أبناؤه بدعوة مريديه وخلافة عقائد أبيهم وخاصة ابنه الشاه بهاء الدين، وقاسم فيض بخش، وقد كتب الخواجة محمد بن الخواجة محمد السمرقندي كتابًا ضمنه آراء محمد نور بخش، واتسع انتشار أفكار بخش الممزوجة بين التشيع والصوفية، فسميت هذه الظاهرة النور بخشية، كما كتب محمد نور بخش كتابًا أسماه (الشجرة الوفية في ذكر المشايخ الصوفية)، كما كتب رسالة قصيرة بَيَّنَ فيها طريقته الصوفية كما كتب الرسالة المعراجية.

كما له الرسالة الاعتقادية، التي نشرتها مجلة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق.

ومن الجدير بالذكر أن شيوخ الصوفية لهم اهتمامات كبيرة في مسألة الإسراء والمعراج إلى درجة أن بعضهم ادعاها لنفسه أو لشيخه، أو ادعى حصولها في أحلامه ومناماته، فعند بعضهم أن الأولياء من الصوفية قد يبلغون منزلة الأنبياء فيصلون في معراجهم إلى شجرة المنتهى، ومع اتساع حركة نور بخش بالسياسة، حيث ادعى الولاية والسلطان لنفسه، مستخدمًا النظريات الشيعية المتعلقة بولاية آل محمد التي جاءت من الأصلاب أو من الأجنة، فأدخل في هذه الدعوة رأيه بالتناسخ والحلول، لتثبيت حقه وسلطانه العلوى. وبعد ظهور الدولة الصفوية بإيران تشجعت العقائد النور بخشية خاصة زمن الشاه إسماعيل الصفوي فانتقل أثرها الى الهند.

٦. كمال الدين الحسين بن علي الواعظ الكاشفي ت ٩١٠هـ

ولد في بيني (سبرواز) بإيران، واشتهر بالوعظ المؤثر بالعامة صوتًا وتعبيرًا، ثم انتقل إلى نيسابور سنة ٨٦٠هـ، ثم انتقل إلى هراة مركز السلطة التيمورية، وفيها اشتغل بالتدريس والوعظ، ومع كونه صوفيًّا شيعيًّا لكنه كان معتدلاً في آرائه الشيعية، وبلغ اعتداله

إلى أن يعد فقيهًا حنفيًّا وصوفيًّا نقشبنديًّا، حيث كانت الطريقة النقشبندية تمثل صوفية السنة الأحناف، فقد جمع بين كثير من المتناقضات التي فيما يبدو في صالح السلطان التيموري وعامة الناس في تلك المنطقة، وله كتاب (هدية العارفين) في التصوف، وله رسالة في مقاتل أهل البيت، وله كتاب في محن الأنبياء وأئمة الشيعة، فصَّل فيه ما جرى على الأئمة من سجن وقتل، ركز فيه على واقعة كربلاء، وله كتاب الفتوة باللغة الفارسية، أوضح فيه فتوة الأنبياء، وقرنها بفتوة الإمام علي ناقلاً عبارة «لا فتى إلا علي ولا سيفًا إلا ذو الفقار»، ونقل عبارته المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مزج بين الفتوة التي قال بها بعض الصوفية وبين الفتيان من آل البيت الاثني عشر، خاصة الفتى المهدي المنتظر.

٧. صدر المتألهين الشيرازي

هو صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي المشهور بـ(الملا صدرا) أو بصدر المتألهين،. توفي في البصرة وهو في طريقه إلى الحج سنة ١٠٥٠هـ زمن الشاه عباس الصفوي.

تأثر بالفلسفة الإشراقية (فلسفة أفلوطين)، ولد في شيراز أيام الصفويين، ودرس على يد الشيخ البهائي ومحمد باقر الداماد، ومن أهم تلاميذه الفيض الكاشاني، ومن آثار الفلسفة الإشراقية، عليه أنه يقول بوحدة الوجود، وقد اعتزل الناس مدة طويلة في حياته كان لها أثر في تفكيره الصوفي المختلط والفلسفة الإشراقية.

له كتاب (مفاتيح الغيب) شرح فيه مفهوم العرفان الذي استبدل به الصوفية بكلمة الحكمة أو الفلسفة التي تبدو عند بعضهم مرفوضة بحكم تعاليم الإسلام، وكتابه (الأسفار) يوضح محاولة التوفيق بين التصوف تحت اسم العرفان وبين الفلسفة الإشراقية ورأيها في وحدة الوجود، فهو صاحب مدرسة جديدة، حاولت التوفيق بين الفلسفة والدين، كما يبدو أنه قد تأثر بآراء ابن عربي خاصة في الكشف والمعاد، وانتقد مسلك الفقهاء وخاصة فقهاء الشيعة، كما في رسالته (الواردات القلبية).

يعتقد الملا صدرا بوحدة الوجود المعروفة عند الصوفية والفلاسفة، وتأثر بها تلميذه (المُلا محسن الفيض)، وقد شنع عليه كثير من علماء الشيعة لهذا السبب، كما تعرض إلى فكرة الحركة والجوهر (الهيولي)، وشأنه شأن الفلاسفة والمتكلمين، ومن كتبه المشهورة كتاب (الأسفار الأربعة)، وحظي هذا الكتاب بعدة شروح، كما له كتاب (المبدأ والمعاد) وكتاب (الشواهد الربوبية) وكتاب (أسرار الآيات وأنوار البينات) وكتاب (المشاعر)، على الطريقة العرفانية، وكتاب (الحكمة العرشية)، على الطريقة العرفانية، وكتاب (شرح الهداية الأثرية) وكتاب (شرح إلهيات الشفاء)، وله رسالة في حدوث العالم، ورسالة اتصاف الماهية بالوجود، وله رسالة إكسير العارفين، وله رسالة في اتحاد العاقل والمعقول، وله كتاب (شرح الحكمة الإشراقية) للسهروردي، وله كتاب (شرح أصول الكافي) للكليني، وله تفسير غير كامل للقرآن.

٨. محمد باقر الحسيني الأسترابادي: المعروف بالداماد

نشأ بالنجف في العهد الصفوي، ويمت بصلة قرابة إلى الشيخ الكركي الذي كان ذَا حظوة عند الشاه طهماسب الصفوي، وقد تأثر الداماد بآراء الملا صدرا وبالفيض الكاشاني، واهتم بالحكمة الإشراقية، ومن كتبه (الغيبيات في الحكمة)، وكتاب (الأفق المبين في الحكمة الإلهية)، وكتاب (الإيضاءات والتشريفات في حدوث العالم وقدمه)، وله رسالة في حدوث العالم ذاتيًّا وقدمه زمانًا، انتقد فيها أفلاطون وانتصر لرأي أرسطو، وله رسالة في تحقيق مفهوم الوجود وكتاب (سدرة المنتهى)، وهذا الموضوع عادة ما يطرقه الصوفية مشتبهين بالإسراء والمعراج، الذي ربما ادّعاه بعض الصوفية في مناماتهم وأحلامهم، فوصفوه عند يقظتهم، وله أيضًا (نبراس الضياء) في تحقيق معنى الإبداء، وله شرح كتاب (الاستنباط)، لمحمد بن الحسن الطوسي.

مذهب الملامتية من الصوفية

نشأ هذا المذهب في نيسابور في نهاية القرن الثاني الهجري بمؤثرات قيل: إنها في البداية من صوفية البصرة: كإبراهيم بن أدهم ثم تلاميذه الذين نشروا مذهب الملامة والفتوة في نيسابور، ومنهم شقيق البلخي، والشيخ حاتم الأصم، وهو تلميذ البلخي، ومن

الملامتية في نيسابور الشيخ أبو حفص الحداد الملامتي والشيخ أحمد بن حرب (ت٢٣٤هـ)، والشيخ أحمد بن حضرويه (ت٢٤٠هـ)، والشيخ محمد بن فضل البلخي، ثم انتشرت فكرة الملامة عند كثير من الصوفية، وارتبط بعضها بفكرة الفتوة التي تبنتها كثير من فرق الصوفية: كالحشاشين، وبعض الملامتية سلكوا مسلك الزهد والتوكل لدرجة القعود وعدم الكسب، والمهم هو لوم النفس عما تكتسبه من آثام، فالملامة أول درجات التوبة من الذنب، وأهم أثر للملامتية هي رسالة كتبوها وقام بدراستها وترجمتها المستشرق (ريتشارد لون هارتمان).

ومن المعلوم أن الكلبيين قد تأثروا بالفلسفة اليونانية، ويرى المستشرق (جولد زيهر) أن هناك علاقة فكرية بين الكلبيين وبين مذهب الملامتية من الصوفية.

وموضع لوم النفس في الفكر الإسلامي موضوع طويل، نشير في هذا المجال إلى حركة التوابين في الكوفة، وهم الذين لاموا أنفسهم على عدم نصرة سيدنا الحسين رضي الله عنه، فقاموا بثورة فاشلة. ولا يستبعد استمرار ملامة النفس على هذه المقتلة وانتقالها إلى بعض الصوفية، كما أن في المسيحية قد نشأت فرقة من الذين لاموا أنفسهم على عدم نصرة سيدنا المسيح وتعرضه للصلب، وظاهرة الملامة والتكفير عن الذنب ظاهرة بشرية موجودة في الديانات القديمة؛ فالبابليون في العراق كانوا يبكون في يوم تموز في معبد بابل كل سنة، ويرى الدكتور مصطفى الشيبي أن عزاء الحسين عند الشيعة وما يدور فيه من مظاهر اللطم والبكاء له صلة ببعض ما أوردناه من أفكار الملامتية[1].

---

(١) الدكتور أبو العلا عفيفي: الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، (ص ٧- ٢٩- ٣٤)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م.

الفصل الثاني

فلاسفة الشيعة الذين تأثروا بالعناصر الأجنبية

١. فلاسفة شيعة تأثروا بالفكر الهندي والفارسي القديم

إن من دوافع الغلو في مذهب الشيعة الإمامية ما سطروه ووضعوه على شكل روايات من الحديث منسوبة إلى أئمتهم، كانت فكرة الإمامة وصفات الإمام من أول اهتماماتهم، فوجدوا في المذاهب الدينية القديمة وخاصة المذاهب الهندية والفارسية (المجوسية) ما يعضد أهواءهم واحتياجاتهم ضد مخالفيهم، وأكثر الذين تجرؤوا على هذا العمل هم الغلاة من غير العرب، سواء أكانوا رواة أو علماء تَرَكُوا أثرًا في مؤلفاتهم، وقد أوضح نبيل الحيدري في كتابه (التشيع العربي والتشيع الفارسي) أن الغلو أكثره من فعل الفرس (المجوس)، وهذه النظرة تتطابق مع رأي أحمد الكاتب في كتابه (التشيع السياسي والتشيع الديني) مفرقًا بين ادعاء الغلاة في ألوهية الأئمة وصفاتهم بأنها ذات دوافع دينية ومفرقًا بين شيعة آخرين، وخاصة الأوائل الذين نظروا إلى فكرة الإمامة خاصة بأنها ذات دوافع سياسية فقط[١].

ومن فلاسفة الشيعة الذين تأثروا بالفكر الهندي والفارسي القديم:

١. الأمير أبو القاسم الحسيني الموسوي الفندرسكي، وصف بأنه حكيم صوفي وفيلسوف شيعي، عاش في عهد الشاه عباس الصفوي، وتوفي سنة ١٠٥٢هـ بأصفهان، له عدة كتب ورسائل بالفارسية، طبع بعضها في بومبي، منها (الرسالة الصناعية)، وله كتاب (شرح الجول) يشرح فيه الأفكار والديانات الهندية[٢].

---

(١) نبيل الحيدري: التشيع العربي والتشيع الفارسي، (ص٧١)، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٤م، أحمد الكاتب: التشيع السياسي والتشيع الديني، (ص٦٣)، دار مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٩م.

(٢) عبدالله نعمة الله: فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم، (ص١٠١)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٣٠م.

٢. أبو علي ابن مسكويه، ولد في الري حوالي سنة ٣٢٥هـ وتعلم اللغة البهلوية، وترجم منها إلى العربية كتاب في الأخلاق، قال ياقوت: إن مسكويه كان مجوسيًّا ثم أسلم، كان له اتصال بابن العميد وزير عضد الدولة البويهي، ففي عصره انتعش التشيع في البلاد، والتقى بابن سينا ببغداد، وكانت بينهما محاورات، واتُهم بعدم فهم بعض مقالات فلاسفة اليونان، واشتهر ابن مسكويه بكتابه (تجارب الأمم)، وفيه تسجيل معاصر لتاريخ الدولة البويهية، وله كتاب في الأخلاق ينحو فيه منحى الفلاسفة والصوفية، وله كتاب (جاويدان خَرد) بالفارسية (الحكمة الخالدة)، صرح بعصمة الأئمة: أئمة الشيعة في كتابه (الفوز الأصغر)، وعده أكثر مؤلفي كتب علم الرجال أنه من الشيعة، وَمِمّا كتبه في (جاويدان جرد) يتبن أن ابن مسكويه أخذ كثيرًا من الأفكار الهندية والمجوسية وقليلاً من الفلسفة اليونانية، التي لم يحسن فهمها، كما اتهمه بذلك ابن سينا وأبوحيان[1].

٣. آل نوبخت ، كانوا على الديانة المجوسية، أسلم نوبخت وابنه سهل وخدموا الخليفة المنصور العباسي، وهم أسرة علم اشتهر منهم حسن وإسماعيل وسهل وسليمان وإسحاق وهارون ومحمد وعبدالله، اهتموا بالنقل والترجمة من الفارسية إلى العربية. ذكر آدم مِتز أن لآل نوبخت فضلاً في نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية، تأثر أكثر علماء آل نوبخت ببعض أفكار المعتزلة خاصة ما تعلق منها بإحباط الأعمال واستحالة ظهور المعجزة بالرغم من أنهم يعدون شيعة إمامية.

كما خالفوا أيضًا كثيرًا من معتقدات الشيعة الإمامية الغالية، خاصة ما تعلق بتحريف القرآن والمعجزات وغيرها.

و أهم الشخصيات العلمية في هذا البيت، هم:

أ. أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن أبي سهل النوبختي: له كتاب (الياقوت) في علم الكلام، وله كتاب (الابتهاج)، قال عنه آغا بزرك الطهراني في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة): إنه في إثبات لذة النظر إلى الخالق

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١١٧).

سبحانه، وكان يقول بعصمة الأئمة، ومن آرائه: أن ماهية الخالق معلومة كوجوده، وأن المخالفين يخرجون من النار ولا يدخلون الجنة[١].

ب. أبو سهل إسماعيل بن علي بن إسحاق: عرف عند الشيعة عنايته بعلم الكلام، وأورد بعض آرائه الشيخ المفيد في كتابه (أوائل المقالات)، له تلاميذ كثيرون من علماء الشيعة، ومن كتبه (الاستيفاء في الإمامة) و(التنبيه في الإمامة) وله رسائل كثيرة في الرد على كثير من علماء عصره، وأهم ردوده المتعلقة بالعقائد هي الرد على الغلاة، والرد على من قالوا بالقياس، والرد على اليهود، والرد على أبي العتاهية في التوحيد، والرد على أصحاب الصفات، والرد على الجبرية والمخلوقين والاستطاعة، وله ردود كثيرة على آراء ابن الراوندي الإلحادية، كما له كتاب في حدوث العالم، وهي قضية شغل بها الفلاسفة، وله كتب كثيرة ذكرنا أهم ما تعلق منها بالاعتقاد[٢].

ج. الحسن بن موسى النوبختي اعتبره علماء الرجال الشيعة من أبرز شيوخهم المتكلمين، ومن لهم عناية بالفكر والفلسفة، شهد آدم متز أن الحسن النوبختي من أوائل من نقل الفلسفة إلى العربية، توفي في حدود ٣١٠ هـ، له كتب كثيرة أهمها كتاب في (الاعتقاد والديانات)، وله كتاب (اختصار كتاب الكون والفساد) لأرسطو، وكتاب (الاستطاعة)، وكتاب (التوحيد وحدوث العلل)، وكتاب كبير (في الجزء الذي لا يتجزأ)، وكتاب (حجج طبيعية) مستخرجة من كتب أرسلوطاليس في الرد على من زعم أن الفلك مدى ناطق، وله كتاب مهم اسمه (فرق الشيعة)[٣].

والذي يتعمق بدراسة كتب ورسائل وردود الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان م ٤١٣هـ يجد التشابه الكبير بين عناوين تلك الرسائل أو الردود والنقائض مع ما كتبه وما نقل إلينا من تراث ضائع لأبي الحسن النوبختي، وأرجو يومًا أن ينبري أحد العلماء لإجلاء هذه الحقيقة، خاصة ونحن نملك

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص١٥٨).
(٢) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص١٦١).
(٣) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١٦٧).

بين أيدينا بعضًا مما كتبه الشيخ المفيد، ولكن لا نملك سوى كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي.

د. أبو سهل الفضل بن سهل بن نوبخت، تولى للرشيد خزانة الكتب، وقام بالترجمة من الفارسية إلى العربية وكثيرًا من كتب الفلسفة والحكمة، ذكر له كتبًا عدة في الإمامة عند الشيعة والحكمة، ولكن اشتهر بالتنجيم، وتبدو أهمية الفضل في عنايته بكتب الترجمة من البهلوية التي يحسنها، فكان سببًا لنقله الفكر الفارسي إلى الفكر العربي والشيعي[١].

٢. فلاسفة وعلماء شيعة تأثروا بالفلسفة اليونانية

١. أبو زيد أحمد سهل البلخي

وهو من فلاسفة الشيعة وعلمائهم، الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية، وخاصة بآراء أرسطو، كما اشتهر بعلم الكلام وترجمة ونقل آراء أرسطو، ومدحه كثيرًا أبو حيّان التوحيدي، وقال عنه: إنه حجة خراسان، له كتب عدة منها كتاب (أقسام العلوم)، وكتاب (اختلاف الأمم)، وكتاب (نظم القرآن)، و كتاب (أخبار النبيين)، وكتاب (البدء والمآل).

ولد في بلخ وتوفي سنة ٣٢٢هـ، ويبدو أن له اتصالاً ببعض القرامطة والثانوية بإيران بالرغم مما اشتهر من اعتداله في تأويل القرآن.

وقد سافر إلى العراق وإلى الشام، وتتلمذ على يد أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، فأخذ عنه أفكار الفلاسفة اليونان، وذكر أنه روى أحاديث الشيعة عن محمد بن المفضل البلخي ومحمد بن أسلم، ومن تلاميذه أبو بكر الرازي الفيلسوف المشهور، وذكره أغابزرك الطهراني في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة).

قال ابن النديم: إن البلخي اتهم بالإلحاد، وهي تهمة تعرض لها كثير من الفلاسفة والصوفية الشيعة[٢].

---

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١٧٨).

(٢) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١٠٢).

٢. ابن أبي جمهور الأحسائي

ولد في الأحساء سنة ٨٣٨هـ، درس على يد أبيه، ثم انتقل للدراسة في النجف على يد شرف الدين حسن بن عبدالكريم، كتب رسالة (زاد المسافرين في أصول الدين) وهو في طريقه إلى خراسان ثم شرحها فيما بعد، كما كتب في علم الكلام وله كتاب (المنجي من الظلام) احتوى على مفاهيم صوفية في الكشف والحكمة الإلهية، وقد أفاد ابن جمهور الأحسائي من آراء شيوخ الصوفية السابقين، مثل ابن عربي والحلاج وأبو يزيد البسطامي، وكما أفاد من الفلسفة اليونانية عن طريق معرفته بآراء ابن سينا والفارابي ونصير الدين الطوسي، وعلى هذا تبدو أفكاره خليطًا بين أفكار المتصوفة الشيعة وفلاسفة الإسلام، الذين أخذوا خاصة من الأفلاطونية المحدثة وعلى شاكلة الصوفية، اهتم ابن جمهور بالكلام على وحدانية الله، وعن هذه الوحدانية اتجه إلى فكرة الاتحاد عبر عنها باتحاد النفس بالعقل الفعّال، كما هو عند فلاسفة اليونان، وتعرض ابن جمهور إلى فكرة الإمامة، وقال بأهميتها عند الفلاسفة والصوفية والشيعة؛ لأنها مصدر انتظام وحدة الكون، وقال: إن الإمام عليًّا قد نصبه الله وأحاطه بالعصمة بصفته الإنسان الكامل في نظر الفلاسفة، يقوم مقام الرسول حتى في خلق آدم، وسلوك ابن جمهور هذا المسلك الفلسفي أغضب كثيرًا من علماء الشيعة، فنصحوا بتجنب بعض كتبه[١].

٣. جابر بن حيّان:

قيل: إنه من أصل عربي من الأزد، اشتهر بالكيمياء وتجاربه العلمية في محاولته لتحويل العناصر (الخسيسة) إلى عناصر ثمينة، وهي فكرة استوحاها عن الفلسفة اليونانية، كما كتب في علوم الصناعة والرياضيات، ونقل إلينا أن له كتبًا في الطب والفلسفة والمنطق، كما ذكر له مؤلفات في الزهد والوعظ، كان لها علاقة بصوفية عصره؛ ولذا ذكر ابن حيّان أن له علمًا بالباطن، وهي عبارة تدل على اهتمام المتصوفة في مباحث وحدة الوجود.

قيل: إنه ولد في طوس حوالي سنة ١٢٠هـ، أما سنة وفاته فمختلف فيها ما بين ١٥٩هـ- ١٩٨هـ، وذكر أن له اتصالاً بالبرامكة ببغداد، فلما نكبوا هرب إلى الكوفة، وذكر

(١) الشيبي: مصدر سابق، (ص ٣١٥)، فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١١٣).

احتمال اتصاله براهب يدعى حربي الحميري، وذكر أنه ترجم عدة كتب نقلت إليه زمن الرشيد من الآستانة، كما ذكر أنه تعلم من الإمام جعفر الصادق، واتُهم جابر بعلاقته بالإسماعيلية وعلاقته أيضًا بالقرامطة، ولكثرة ما نسب لجابر من كتب ورسائل قام بعضهم بإنكارها، وأنها ليست من تأليفه، كما اتهم بانتحال كتب ورسائل ليست له.

وله كتب مشهورة ومترجمة في علوم الكيمياء والحرف والرياضيات والشعر، أما ما تعلق منها بالفلسفة فله كتاب (الأسرار)، كما له كتاب (الشيعة)، وكتاب (الوجيه)، وكتاب (الروضة)، وكتاب (الايضاح)، وكتاب (مصححات سقراط)، و(مصححات أفلاطون)، وكتاب (الضمير)، كما له كتاب (الأركان الأربعة)، وله كتاب في (الصنعة الإلهية والحكمة والفلسفة)، كما له كتاب (الأبدال)، وله كتاب (السر المكتوم)، وكتاب (العوالم)، وكتاب (تحقق أفلاطون)، وكتاب (الحكمة المصونة)، وكتاب (اللاهوت)، وكتاب (شرك إقليدس)، وعمومًا فإن جابر يميل على الأكثر إلى المدرسة الفلسفية اليونانية خاصة الأفلاطونية المحدثة مع ميل نحو التصوف والتشيع الإسماعيلي[١].

٤. الحسن بن المطهر الحلي:

ولد في الحلة في العصر المغولي في وقت كانت الحلة مركزًا للتشيّع، فقد شجع المغول بعد إسلامهم انتشار التشيع، وقيل: إن حفيد هولاكو: محمد خدابنده الجايتو دخل في التشيع هو وقواته عام ٧٠٧هـ بأثر من ابن المطهر، حيث انتهت إليه رئاسة الشيعة الإمامية في زمانه.

كتب في علوم الشريعة والفقه والفلسفة والزهد، وتأثر بآراء نصير الدين الطوسي، وإن كان قد عارضه في بعض آرائه الواردة في كتاب (المباحث السنة في المعارضات النصيرية).

درس على يد والده وعلى الشيخ نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن الحلي، واشتغل بالتدريس مع خاله المشهور بالمحقق الحلي، ويعد نصير الدين الطوسي أستاذًا له في الفلسفة والحكمة، وله عدة كتب، من أهمها (شرح كتاب التجربة) لنصير الدين

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١٨١-٢٣٠).

الطوسي، وله كتاب (المنهاج) الذي رد عليه ابن تيمية بكتاب (منهاج الصدق)، وله كتاب (كشف الفوائد)، وكتاب (تذكرة الفقاهة)، وكتاب (مختلف الشيعة)، وكتاب (خلاصة الأقوال)، وكتاب (نهج الحق)، وكتاب (القواعد في الفقه)، وكتاب (منتهى الوصول إلى علمي الكلام والأصول)، وله كتاب (الأسرار الخفية في العلوم العقلية)، وكتاب (المقامات)، وكتاب (إيضاح التلبيس من كلام الرئيس: ابن سينا). وكتاب (تسليك النفس إلى حظيرة القدس). وكتاب (مراصد التوفيق ومقاصد التحقيق)[١].

٥. نصير الدين الطوسي:

هو محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي المعروف بالخواجة (وهو غير الطوسي تلميذ الشيخ المفيد)، ولد في طوس سنة ٥٩٧هـ، وتوفي في بغداد سنه ٦٧٣هـ، تتلمذ على يد الشيخ كمال الدين ميثم البحراني، والشيخ معين الدين المصري.

قيل: إنه كان على اتصال بالإسماعيلية، وأنه قد راسل هولاكو، وسهل له الدخول لغزو بغداد، ثم صار وزيرًا لهولاكو، اتصل بالمحقق الحلي متقربًا للتشيّع الإمامي، ثم انتقل إلى نيسابور، ودرس على جملة من علماء الشيعة، الذين كانوا يميلون للتصوف والتشيع[٢].

وقد هرب من نيسابور عند دخول جنكيزخان إليها والتجأ إلى قلعة الإسماعيلية، خاصة في قلعة ألموت، ولكنه اتصل بهولاكو حفيد جنكيزخان في مدينة همدان، بل قيل: إن الإسماعيلية قد أرغموه على الإقامة في تلك القلعة، وفيها كتب كثيرًا من كتبه في الفلسفة خاصةً.

وقيل: إنه كاتب ابن العلقمي (الشيعي) وزير الخليفة المستعصم ببغداد، وابن العلقمي هذا قام بمكاتبة هولاكو، وسهل له دخول بغداد، وإسقاط الدولة العباسية، ورافق نصير الدين الطوسي هولاكو ببغداد، ثم رافقه إلى حلب.

---

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ٢٤٢).

(٢) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص٤٧٢).

كتب الطوسي في علوم الرياضيات والفلك والفلسفة وعلم الكلام، وأهم مؤلفاته هو كتاب (التجريد في الاعتقاد)، وهو في علم الكلام، وكتاب (شرح إشارات ابن سينا)، وله رسائل أكثرها بالفارسية والعربية، أغلبها في علم الرياضيات وعلم الكلام، وله شروح كثيرة على كتب من تقدمه.

٦. أبو يزيد البسطامي:

هو طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي المشهور بأبي يزيد توفي سنة ٢٦١هـ، وكان جده مجوسيًّا اشتهر بادعائه بالاستشعار الاتحاد بذات الله.

ركز البسطامي على فكرة الفناء والاستغراق بذات الله، وقيل: إنه من أوائل الصوفية، الذين أخذوا هذه الفكرة من صوفية الهند وما عليه المجوس من أفكار، متأثرين بذلك من الديانة الهندوكية والبوذية، ومما نقل عنه قوله: إن الله كان مرآتي، فأصبحت فيما بعد أنا المرآة. وقوله: «أنا والحق إنكار لتوحيد الحق»، وقوله: «إني عدم محض»[(١)]، وقد شهد الشيخ عبدالقادر السندي أن البسطامي بأقواله تلك قد خرج عن السنة.

علماء شيعة تأثروا بالنصرانية واليهودية والمجوسية

لقد استعرضنا في الباب الثالث من هذا الكتاب أثر الديانة النصرانية واليهودية والمجوسية على علماء الشيعة، الذين كتبوا وجمعوا الأحاديث في الكتب الأربعة المشهورة وكتب التفسير والفرق، كما نحيل القارئ إلى كتابنا (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة)، ولكثرة هؤلاء العلماء وأسمائهم معروفة لا حاجة بنا هنا لتكرار ذكرها.

---

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: مصدر سابق، (٤٨٥/١).

الباب الخامس

إصلاح الفكر الشيعي

مقدمة

إن سبب ظهور التشيع منذ بداياته كان سببًا سياسيًّا يتعلق بالإمامة وخلافة المسلمين، وقد بدأ هذا الخلاف بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك لعدم وجود نص صريح في القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة، وكان هذا واضحًا في الجدال الذي حصل في سقيفة بني ساعدة، فلم ينقل إلينا أي طرف احتج يومها بوجود نص على إمامة علي أو أبي بكر رضي الله عنهما لا من القرآن ولا من السنة، ويبدو أن الإمام عليًّا كان راغبًا بالخلافة ولكن لصغر سنه (كان عمره وقتها ثلاثين سنة)، ومن الواقع الذي حصل يفهم بأن اختيار الخليفة هو شورى بين المسلمين، وهذا ما حصل فعلاً في السقيفة استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى: ٣٨، وليس هذا مكانًا لبسط الخلاف والاحتجاج حول هذه القضية، التي سلم فيها غالبية المسلمين والصحابة جميعًا بالخلافة لأبي بكر وعمر وعثمان بعد ذلك برضا وتنازل من الإمام علي عما كان يرغب فيه، ولكن يبدو أن قلة من الأصوات كانت ترى أحقية الإمام علي بصفته من آل البيت، وهذه الأصوات يبدو أنها زادت وارتفع صوتها في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه لأسباب كثيرة، بسطناها في كتابنا (جذور التشيع)، كان من أهمها مطالبة أكثر القبائل اليمنية بالمساواة في العطاء مع قريش، وكان هذا رأي الإمام علي خالف فيه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

زاد من وقوع الخلاف ظهور أفكار وعناصر أجنبية مستقاة من اليهودية، خاصة للاحتجاج بإمامة علي رضي الله عنه، وهو ما سمي عند المؤرخين بجهود السبئية بزعامة عبدالله بن سبأ، ومهما قيل في حقيقة شخصيته، فإن أفكار السبئية بدأت تظهر وتنتشر خاصة في خلافة الإمام علي التي تمحورت في أغلبها حول شخصية الإمام علي، وبمرور الوقت ازدادت تلك الأفكار والاحتجاج، وقد وجد أصحابها في الفكر اليهودي خاصة ما يفيدهم في احتجاجاتهم، والتي نشير إلى ملخصها بما يأتي:

١. ذكر النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) مقالة السبئية في الإمام علي: أنه لم يقتل ولم يمت، وإنما سيرجع، وقد سبق أن بحثنا فكرة الرجعة في المجوسية والنصرانية واليهودية.
٢. كما قال النوبختي: إن ابن سبأ هو أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.
٣. وذكر النوبختي: أن ابن سبأ هو أول من قال بالوصية من النبي لعلي بالخلافة، كما أوصى موسى بخلافة يوشع بن نون في قومه.
٤. تنقل بعض المصادر: أن ابن سبأ قد قال في القرآن الكريم: «إن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي»[١].
٥. نقل عن ابن قتيبة: أن ابن سبأ هو من قال: إن علي بن أبي طالب هو الرب.

(١) نقل سليمان العودة في كتابه عبدالله بن سبأ عن الجوزاني: في كتابه الضعفاء، (ص ٣).

الفصل الأول

جهود الإمام علي في إصلاح مقالات السبئية (التشيع)

تنقل المصادر إلينا أن الإمام عليًّا بعد ما بلغه مقالة ابن سبأ فيه أمر بقتله، فاعترض بعض أصحاب الإمام علي قائلين: أتقتل رجلاً يدعو إلى محبتكم؟! فقيل: إنه أبعده إلى المدائن، وتذكر روايات أخرى أن ابن سبأ استمر بنشر أفكاره المتعلقة بالغلو في شخص الإمام علي، حيث نسب له القول بألوهية الإمام علي أو شيء من صفات الألوهية. وقيل: إن عليًّا رضي الله عنه أمر غلامه قنبر بإحراق السبئية على مقالتهم تلك، ونسب للإمام علي أبيات شعر في هذا المقام، وأينما تكون الحقيقة فإن أفكار السبئية ظهرت في عصر الإمام علي، ولكنه رضي الله عنه لم يستطع القضاء عليها وذلك لانشغاله في حروب خصومه ولقصر مدة خلافته (أربع سنوات)، وذكرت بعض المصادر اعتراض عبدالله بن عباس على الحرق محتجًّا بما نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله وحده هو المعذب بالنار[1].

كما تذكر المصادر أن السبئية الذين كانوا في جيش الإمام علي كانوا يعجلون الرحيل إلى أماكن يريدونها، فيضطر الإمام علي إلى متابعتهم، وهذا يدل على عدم مقدرة الإمام علي على صد تحركات السبئية، إضافة إلى عدم مقدرته على قطع ألسنتهم بما كان يدور بينهم ضده، حتى حينما وزع ما كان في بيت المال في البصرة على المقاتلين، فقد خاض السبئية وطعنوا على الإمام علي في مقدار هذا التوزيع، وهنا نسأل ما هي الأسباب التي أدت إلى فشل الإمام علي في القضاء على السبئية واستشراء أفكارهم وانتشارها خاصة بعد مقتله رضي الله عنه، ويمكن إجمالها في نظري بالآتي:

---

(١) سليمان العودة: كتاب عبدالله بن سبأ، (ص ٢١٤)، دار طيبة، سنة ١٩٩٩م، الرياض.

١. كما قلنا: إن مدة خلافة الإمام علي لم تدم أكثر من أربع سنوات، لم يمكنه الوقت القصير هذا في إصلاح تلك المقالات.
٢. مع قصر مدة خلافته رضي الله عنه انشغل بحروب ضد مخالفيه: كحرب الجمل وحرب صفين والنهروان.
٣. بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ومبايعة علي رضي الله عنه كان الخليفة علي مدركًا خطورة أولئك الذين اشتركوا في قتل عثمان، وتنقل الروايات أنه طلب منهم الرجوع والانصراف إلى مياههم، قاصدًا عدم تمكينهم من التكتل وأن يصبحوا قوة، ولكن أكثريتهم لم يتفرقوا بل دخلوا في جيشه واشتركوا في حرب الجمل، وهذا واضح من مسلك عبدالله بن الزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم، الذين طالبوا بإخراجهم من جيشه واعتذاره بعدم مقدرته في حينه على ذلك، وطالبوا بقتل الذين شاركوا في دم الخليفة عثمان، وهذا واضح من الروايات المتفق عليها.
٤. بعد انتهاء الإمام علي من حرب الجمل في البصرة أراد الرجوع بجيشه إلى المدينة بصفتها حاضرة الإسلام والمسلمين، ولكن أصحابه خاصة من القبائل اليمنية التي تسكن الكوفة اعترضت على ذلك، وطلبت الذهاب إلى الكوفة وأقنعوه بأن في الكوفة والعراق عمومًا من الميرة والحبوب والخيرات ما يتفق مع كثرة جيشه، فاقتنع رضي الله عنه بذلك، واتخذ الكوفة عاصمة له، فكان هذا سببًا لاقترابه وجيشه من أفكار المجوسية واليهودية التي لا تزال لا تدين للفكر الإسلامي الجديد، وهذا واضح عند دراسة النزاعات الفكرية لأهل الكوفة في القرن الأول الهجري واتصالهم بالفرس وزواجهم بالأعجميات، وهو ما حذر منه سابقًا الخليفة عمر رضي الله عنه.
٥. إن حروب الإمام علي في خلافته أدت إلى القتال بين المسلمين، وكل فريق أضحى يلتمس لنفسه الاحتجاج ضد الطرف الآخر، مما تسبب بظهور أفكار الغلاة الذين استخدموا كل ما تيسر لهم من حجج استعاروها من الديانات السابقة، خاصة الذين كانوا يقطنون العراق والشام موطن الديانات والفلسفات القديمة. أمام كل ذلك لم يستطع الإمام علي ولا أصحابه إصلاح وتنقية الفكر الأجنبي

والسبئي المخالف لعقيدة الإسلام، بل استشرت قوته باستشراء الصدام بين المسلمين وظهور فرق ومقالات كثيرة كما هو معلوم للدارسين.

٦. اعتراف الإمام علي رضي الله عنه بعد توليه الخلافة مباشرة بعدم قدرته على الوقوف ضد السبئية والأعراب الذين شغبوا وقتلوا الخليفة عثمان، بالرغم من محاولته عدة أيام كما تنقل الروايات في طلبه لهؤلاء المشاغبين الرجوع لمياههم وأوطانهم، وظلوا مندسين في جيشه مع علمه بذلك واعترافه بقوله: «إنهم يملكوننا ولا نملكهم». ويتضح مما سبق أن الإمام عليًّا رضي الله عنه لم يفلح في إصلاح الاعوجاج الفكري المندس من عناصر أجنبية في زمنه، فاستمر هذا التغلغل الفكري، وتحول إلى حركات سرية في العهد الأموي والعباسي الأول.

٧. تشير المصادر التاريخية إلى أن العرب المسلمين حينما قاموا بفتح العراق والشام ومصر وإيران قاموا بتمصير بعض المدن كثكنات عسكرية، مثل الكوفة والفسطاط وقم، وقد سكن في هذه الأمصار جملة من القبائل اليمنية: كهمدان وكندة وتجيب ومذحج وغيرهم، وتشير المصادر أيضًا إلى أن بعضًا من هذه القبائل كانت تحوي كثيرًا من متهودة العرب الذين كانوا يهودًا قبل الإسلام في اليمن، وقد ظهر أثرهم في انتشار الأفكار السبئية في تلك الحواضر، وتشير المصادر إلى أن يهودًا من قبيلة تجيب وجذام وكندة قد سكنوا الفسطاط بمصر منذ سنة ٢١ هجرية، وكان لهم محلة مشهورة فيما بعد سُمِّيت بقصر الشمع، تم فيها بناء كنيس للعبادة لهم مع جزارة خاصة وحمام. وفي الكوفة منذ تأسيسها مسجد يدعى بمسجد الحمراء، وهو لغير العرب من العرب الموالي والمسلمين من جذور نصرانية أو يهودية، وتنقل المصادر أن والي الكوفي الحجاج حينما ضاق بهم ذرعًا دمغهم بقوله: إن الكوفة موطن اليهود والخوارج. ومن غير المستبعد أن يكون المشاركون في حصار الخليفة عثمان وقتله هم من أولئك القادمين من فسطاط مصر والكوفة، واندس بعضهم في جيش الإمام علي، وهذا الموضوع يحتاج إلى تحقيق واسع وعميق من قبل الباحثين(١).

---

(١) د. إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، (ص٩٢)، وما بعدها، مطبعة الاعتماد بالقاهرة، سنة ١٩٢٧م. د. زبيدة محمد عطا: اليهود في العالم العربي، (٢٣٨/١)، وما بعدها، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة. وانظر: كتابنا جذورالتشيع، الكوفة والمدائن.

جهود الإمام جعفر الصادق في إصلاح التشيع

عُرف الإمام جعفر بن محمد بانعزاله عن السياسة، وسكن في المدينة المنورة بعيدًا عن مراكز التشيع، ولكن الشيعة وخاصة من سكنة العراق والكوفة كانوا يزورنه في مواسم الحج أو العمرة، وكانوا يحرصون على معرفة رأيه في الأحداث والأفكار التي كانت تروج خاصة في الكوفة، فكان كثير منهم يرجع إلى قومه مدعيًا بأحاديث يكذب فيها على الإمام جعفر للاحتجاج بآرائهم المستعارة من اليهودية والمجوسية والديانات والأفكار القديمة، مدعين أن الإمام جعفر قد قالها لهم، وهذا ما تزخر به كتب الحديث الأربعة خاصة عند الشيعة، فهذا زرارة بن أعين (ت١٥٠هـ) مولى رومي الأصل لبني شيبان، وكان جده سنن راهبًا في بلاد الروم، وردت له أكثر من ألفين ومئتي حديث ادعى روايتها عن أبي عبدالله جعفر الصادق، وتذكر الروايات أن زرارة التقى الإمام الصادق وزاره عدة مرات، فكان يكذب على الإمام، وحاول الإمام جعفر نهيه عن تلك الأكاذيب والآراء الغالية التي يبثها بين شيعة الكوفة، فقد ورد أن الإمام جعفر وصف زرارة؛ وأصحابه بأنهم شر من اليهود والنصارى[١].

وأهم ما استنكر الصادق على زرارة رأيه: أن الله ثالث ثلاثة. أي أنه يؤمن بفكرة التثليث في النصرانية، وقد ورد أن الإمام الصادق لعن زرارة، لأنه كذب عليه في مسألة الاستطاعة، وقد وصل نفوذ زرارة في الكوفة بين الشيعة شأنًا كبيرًا، بحيث أصبح شيعة الكوفة يخافون الإنكار على زرارة إلى درجة أن زرارة هددهم، كما نقل الكشي في رجاله بأنه سأل جعفر الصادق عن التشهد، فلما كان الجواب لم يعجب زرارة، قال: خرجت من الإمام الصادق وضرطت في لحيته[٢].

فكيف يستقيم قبول روايات زرارة، وقد دمغه الإمام الصادق بالكذب واللعن، وأنه سيموت تائهًا، كما تقول الرواية.

---

(١) انظر: كتابنا جذورالتشيع، الكوفة والمدائن.

(٢) الكشي: الرجال، ص(١٤٧).

وهذا أبو الخطاب محمد بن أبي زينب، تذكر المصادر أن أبا الخطاب كان له مقالات غالية في صفات الأئمة (أئمة الشيعة)، وكان له سطوة ونفوذ على أصحاب الصادق، فكان يعمد إلى تبديل أقوال الرواة الذين يخرجون من مجلس الإمام جعفر الصادق إلى مقالات فاحشة.

فقد نقل المجلسي عن علي بن عقبة أن أبا الخطاب كان يحمل جوابات جعفر الصادق من المدينة إلى شيعة الكوفة، فكان يبدل تلك الإجابات إلى مقالات فاسدة، ونسب إليه أنه يماشي السفلة، وقد نقل الكشي أن الإمام جعفر قد حذر من أكاذيب أبي الخطاب، وأخيرًا ادعى أبو الخطاب أنه قد عينه الإمام وصيًّا على شيعة الكوفة، ثم ادعى النبوة، وقد دفعه الإمام الصادق بالكذب عليه وعلى الأئمة الآخرين، وقرنه بمسيلمة وابن سبأ والمختار، كما نقلت ذلك المصادر الشيعية كالكشي والمجلسي والطوسي وغيرهم[1].

وهذا أيضًا جابر بن عبدالله الجعفي، تذكر مصادر الشيعة أن جابرًا روى عن الإمام محمد الباقر سبعين ألف حديث، كما روى عن الإمام الصادق مئة وأربعين ألف حديث[2].

والعجيب أن الكشي في رجاله يروي عن الإمام الصادق: أنه لم ير جابرًا إلا مرة واحدة عند أبيه الباقر، وأنكر الإمام الصادق دخول جابر عليه مطلقًا، وقد اخترنا الرواة الثلاثة فيما سبق كأمثلة عن كثير من الرواة الذين يكذبون على الأئمة، وخاصة على الإمام الصادق، وأسباب ذلك عالجناها مفصلة في كتابنا (جذور التشيع) (انظر: ص ٦٠٦، وما بعدها).

والآن نسأل: لماذا لم يستطع الإمام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق في إصلاح هؤلاء وأمثالهم الكثير من الرواة، الذين كذبوا على الأئمة وعلى آل البيت عليهم السلام، يمكن إجمال أسباب ذلك بما يأتي:

---

(١) الكشي: رجال، (ص ١٤٥). النوبختي والكشي: رجال، (ص ٢٥٧- ٢٥٨).

(٢) الكشي: رجال، (ص ١٩١). والنجاشي، (ص١٠٠).

١. إن مكان إقامة هؤلاء الأئمة بالمدينة والرواة الكذبة في الكوفة والمدائن وغيرها مما تبعد فيه المسافات، وتقصر فيه قدرة الأئمة بتصحيح مقالات هؤلاء الرواة والتغلب عليهم.

٢. إن الدولة الأموية كانت تتشكك في نوايا العلويين والهاشميين، وخاصة هؤلاء الأئمة الذين كانوا تحت مراقبة السلطة ومعرفتها بمن يدخل عليهم، فلا يستبعد أن يكون أولئك الرواة الكذبة ممن تبثهم السلطة لتفريق الشيعة عن أئمتها وتشويه مقالات الأئمة والمنقول عنهم.

٣. إن غالبية أولئك الرواة كانوا من الموالي أو من مخلفات السبي بعد فتح العراق والشام و إيران؛ فالكثير منهم كانت لهم جذور تتصل بالنصرانية واليهودية والمجوسية، فأباحوا لأنفسهم الكذب والادعاء بمقالات الديانات القديمة، ووضعها على فم الأئمة في وقت يصعب فيه تتبع هؤلاء الرواة وإسقاط مقالاتهم.

٤. إن الدولة الفارسية الساسانية التي سقطت بشكل مفاجئ أمام الفتح الإسلامي لا يزال الكثير من رجالها غير موالٍ لعقيدة الإسلام، و يتوقون إلى رجوع الحكم الساساني المجوسي.

٥. إن هؤلاء الرواة الكذبة وأشياعهم كانوا يديرون حركات سرية ليست ظاهرة بوضوح لجموع المجتمع الإسلامي ولا للدولة، مما جعل مقالاتهم المنكرة في حكم الأسرار الخفية، فلم تظهر رواياتهم وأفكارهم إلا متأخرة عند مرحلة التدوين التي قام بها المحدثون عند الشيعة، فنقلوها في كتاب (الكافي) و(من لا يحضره الفقيه) وكتاب (التهذيب) وكتاب (الاستبصار)، مما أدى إلى حيرة وانقسام في صفوف الشيعة حول تلك المدونات وما فيها من بلايا ومعجزات لا يصدقها العقل، ولا يزال التشيع وعلماؤه في حيرة وانقسام حول ما ورد في تلك المدونات حتى اليوم.

٦. إن الدارس لتاريخ التشيع في القرون الأولى خاصة العصر الأموي والعباسي يلاحظ فشل ثورات الشيعة خاصة في العراق وإيران، ووراء كل فشل من تلك الثورات نتائج سيئة على الفكر الشيعي، الذي أوغل في السرية والكتمان كي لا يتعرض أصحابه للملاحقة والأذى مما تسبب في عدم ظهور تلك الأفكار لمجموع

علماء الأمة والدارسين لمحاولة تنقيتها والرد عليها، فاستمرت في السرية والخفاء، يساعدها في ذلك مبدأ التقية، الذي أضحى شعارًا ودينًا لهذا المذهب.

٧. إن فكرة جمع الأخماس للإمام استغلها الكثير من زعماء الشيعة ورواتهم، فاستغلوا تلك الأموال لأنفسهم، وتذكر لنا مصادر الشيعة أسماء كثير من الأشخاص الذين سرقوا هذه الأموال، ولم يستطيع الأئمة انتزاعها منهم مما صعب على الأئمة فكرة إصلاح شيعتهم.

٨. إن ظهور فكرة التقية وشيوع استخدامها بشكل سيئ ضد توجهات الإمام التي لا يرغبون فيها، مدعين أنها خرجت من الإمام أو قالها الإمام على سبيل التقية مما صعب على الأئمة إصلاح القوم.

الفصل الثاني

الجهود الحديثة لإصلاح التشيع

مقدمة

لقد ظهر في إيران عدة مصلحين للفكر الشيعي الإيراني خاصة والشيعة عمومًا، وقد اخترنا من بين أولئك المصلحين علي شريعتي بوصفه نموذجًا لجهود الإصلاح الديني في إيران في العصر الحديث، كما اخترنا أيضًا أمثلة لمصلحين ظهروا في العراق والشام ولبنان، سنوردهم في هذا الفصل لعرض جهودهم في الإصلاح وإلقاء الضوء على مدى نجاحها، كما سنلقي الضوء على محاولة فكرة التقريب بين السنة والشيعة، التي قامت في مصر، والنظر في مدى نجاحها وتوجهاتها.

جهود علي شريعتي في الإصلاح

جمع علي شريعتي بين العلوم الدينية في المذهب الشيعي الاثني عشري في إيران وبين دراسة العلوم الحديثة وخاصة علم الاجتماع، وانفتح على قراءة رأي المصلحين من علماء السنة والشيعة، أمثال: جمال الدين الأفغاني، ومحمد رشيد رضا، ومالك بن نبي من السنة، ومن الشيعة محمد مهدي الخالصي، ويمكن تلخيص آراء علي شريعتي في الإصلاح عمومًا بما يأتي:

١. قام بتجديد فهم الإسلام على أسس علمية اجتماعية وسياسية؛ فالهدف عنده هو الإنسان وليس الضياع في متاهات النزاعات التاريخية والسياسية.
٢. يجب العودة إلى منبع الإسلام الأول وتنقية الفكر الديني على ضوء ذلك.
٣. يجب فهم التطور الاجتماعي والتاريخي لأمتنا، ودراسته من أجل تجديد وتنقية العيوب والأخطاء، التي وقع فيها السابقون.

٤. الرجوع إلى الشخصيات الإسلامية ذات النهج الإصلاحي، واتخاذها مثالاً وقدوة تعصم من الانحراف عن الهدف الأساسي، المتمثل في تحرير الفرد والفكر، وتحقيق المساواة والحرية وحاجاته البشرية.

٥. مكافحة الاستعمار الخارجي والاستغلال الديني الداخلي، وذلك بنزع السلاح الديني الذي تسلحت به الطبقة الكهنوتية، وذلك بوجوب عدم سكوتنا أمام رجال الكهنوت، ولكن نتكلم ونخالط ونعلم عموم الناس فلا ندعهم إلى الاستسلام للسلطة الدينية، ولكن ينزع سلاحها عن طريق عزلهم عن المجتمع وتولي المصلحين قيادة المجتمع، وقد ذكر بأن علينا ألا نسلب هؤلاء من الناس، بل علينا أن نسلب الناس من هؤلاء فقط.

٦. توعية الفرد والمجتمع بالظلم الذي هو واقع فيه، والعمل على تسوية الطبقات الاجتماعية واقترابها بعضها من بعض في الثروة والفكر والإحساس بالمسؤولية.

٧. وضع جسر بين المفكرين ومجموع أفراد المجتمع، وعدم تركهم في عزلة عن العالم والتحرر، أو تركهم للكهنوت الديني يقودهم إلى الظلام.

٨. أن نعي متطلبات العصر الحاضر، ونبتعد عن الصور النمطية للمتطلبات العصور البائدة.

٩. تقديم الإسلام كفكرة تغطي بشكل عام تحقيق الوئام والتناسق بالأنا (الذات)، والعالم عن طريق معرفة متطلبات العصر.

١٠. تجديد الاجتهاد (في الشريعة) و التفريق بين الثابت (النص) والمتطور والتخلص من التقليد الأعمى، وما لا ينفع الناس في حياتهم، والمجتمع يحتاج إلى تجديد المفاهيم حسب التطور الاجتماعي والعرفي، ولذا يجب التخلص من القوالب الاجتهادية القديمة والواردة من أفكار المجتهدين لا من النص الثابت.

١١. معرفة الحضارة والثقافة الغربية بقصد الاستفادة منها والمحافظة أيضًا على الهوية الإسلامية، ويبدو أن شريعتي قد تأثر بالأفكار التي وردت شعرًا من عند محمد إقبال حول رأيه بالإصلاح «على المسلم اليوم أن يعيد النظر في الإسلام- في التراث البشري منه- دون انقطاع عن الماضي» «إن كعبتنا عامرة بأصنامنا،

وأن الكفر ليضحك من إسلامنا، وأن شيخنا قامر بالإسلام في عشق الأصنام، واتخذ خيط مسبحته من الزنار، وهو في سفر دائم مع مريديه، وفي غفلة عن حاجات أمته، الوعاظ والصوفية عبدوا المناصب، وأضاعوا حرمة الملة البيضاء: واعظنا إلى بيت الصنم ناظر، ومفتينا بالفتوى يتاجر»[١].

رأي محمد مهدي الخالصي في إصلاح التشيع

ذكر الخالصي أنه درس الإسلام في المدارس العراقية، فلم يفده، ثم نظر في المؤلفات المصرية والنجدية وغيرها وكتب المستشرقين، ثم قال: إني وجدتهم بعيدين عن الإسلام، فبعضهم أبعد من بعض، وعلمت أنني لا أظفر بمن يساعد على حصولي بغيتي، واكتشفت أن كلاً يبحث عن الإسلام، وكل عنه غافلون، يذكرون الإسلام بأهوائهم، ولا يأخذون بالوحي كتاب الله وسنة رسوله، ويرى أن علماء الإسلام اليوم مقلدون، ليس لهم القدرة على استنباط الحكمة من الوحي الإلهي.

وهذه المدرسة الإصلاحية بالكاظمية في بغداد، حصل ضدها رد فعل من بعض علماء الشيعة متهمين الخالصي باقترابه وتأثره بالفكر السني.

رأي محمد باقر الصدر في إصلاح التشيع الديني

تساءل الشيخ محمد باقر الصدر: لماذا تعيش الحوزة العلمية في هذا البلد مئات السنين، ثم بعد هذا يظهر إفلاسها في نفس البلد الذي تعيش فيه؟! وإذا بآيات هذا البلد (في العراق) أو بعض أبنائه يظهرون بمظهر الأعداء والحاقدين والمتربصين، ألا تكون هذه جريمتنا قبل أن تكون جريمتهم، وإن هذه مسؤوليتنا قبل أن تكون مسؤوليتهم.

ويرى أن العلوم الإسلامية أصبحت علومًا جامدة لا حياة فيها، حيث ابتعدت عن زماننا، فأضحت تعيش في عصور غابرة، ودخل بعضها في أطر غير إسلامية، فكانت سببًا للإضرار بالأمة أكثر من نفعها.

---

(١) عبدالرزاق الجبران: علي شريعتي وتجديد التفكير الديني بين العودة إلى الذات وبناء الإيدولوجية، (ص ١٤)، وما بعدها، دار الأمير، بيروت، ط ٢.

وشبهها الصدر بالأحكام التي قضيت سابقًا في الكنائس، وشبه اختلاف الأمة الإسلامية باختلاف أمم النصارى، فحولوا الفكر البشري إلى مقدس لا يمكن الخروج عنه، ونحى باللائمة على العلماء الذين شغلوا بكتابة الشروحات وفك طلاسمها، وتحولت عندهم الخرافة إلى حقيقة والدخيل إلى أصل، وأصبح غالب التراث عبئًا وسببًا لتفرقة المسلمين بدل اتحادهم، وغفلوا عن الرجوع إلى المنبع الأصلي للإسلام[١].

رأي موسى الموسوي في إصلاح التشيع

نشر الموسوي رأيه في تصحيح التشيع في كتابه (الشيعة والتصحيح) عام ١٩٨٧م، وكان قد نشأ في النجف من بيت شيعي، فقد كان جده أبو الحسن الموسوي أحد المراجع الدينية في النجف، وقد قُتل والده فيما يبدو بسبب صراعات دينية داخل المذهب، فقد كان موسى وحيد أبيه، فنشأ محاطًا برعاية شديدة من أسرته وتلبية رغباته، وبعد دراسته الدينية بالنجف، درس في جامعة السربون في باريس، وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة، ثم رحل إلى إيران في عهد الشاه، ولكنه طرد فجاء إلى البصرة وقام بتدريس الفلسفة الإسلامية في كلية الآداب جامعة البصرة في أواخر الستينيات، وتعرض للاغتيال وهو يمشي بمحاذاة شط العرب في البصرة مع صديق له، ثم رحل إلى بغداد وبعدها إلى أمريكا، وأغلب مؤلفاته كانت في فلاسفة الإسلام.

فقد كتب عن آراء الكندي وابن رشد، وكتب عن التجديد في فلسفة صدر الدين السهروردي، وكتب عن آراء بعض الفلاسفة الأوروبيين، وكتب عن تاريخ إيران الحديث (في ربع قرن)، كما كتب عن الثورة الإيرانية وسماها الثورة البائسة، وهنا نتعرض لأهم أفكاره في تصحيح عقيدة الشيعة:

١. فيما يخص فكرة الإمامة

ينكر على الشيعة شتمهم للخلفاء الراشدين، ويطلب تصحيح عقيدتهم بأن يسلكوا مسلك الإمام علي في قبوله تقدمهم عليه في الخلافة، وأوضح محامد الخليفة أبي بكر وجهاده في الإسلام مع بقية الخلفاء الراشدين الآخرين.

---

(١) عبدالرزاق الجبران: المصد السابق، (ص ٣٧).

وطلب برفع ما ورد من ذم للخلفاء والصحابة في كتب الشيعة؛ لأن جميع الروايات في تلك الكتب غير صحيحة، وأوضح أن أساس المشكلة سببها رجال الدين الشيعة؛ ولذا على الجميع التخلص من نفوذهم وعدم سماع أقوالهم[١].

٢. فيما يخص التقية

يرى الموسوي أن الشيعة قد أذلت نفسها بالتقية، واستترت وراءها لإخفاء الحقيقة، ودعا الشيعة إلى نبذها لعدم صحة القول بها عند الأئمة، وأن ما نقل عنها أحاديث مكذوبة صنعها أصحاب الأغراض. وأوضح أن التقية التي يمارسها علماء الشيعة تعني من حيث الواقع أن يظهر أو يقول شيئًا ولكن يضمر خلافه، وهذا على خلاف ما عمل به الإمام علي وابناه الحسن والحسين[٢] ودعا الشيعة أخيرًا إلى التخلص من فكرة التقية وازدواجية الشخصية، وأن لا يأتوا هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر.

٣. الإمام المهدي المنتظر

ويرى أن فكرة الإمام المهدي المنتظر فكرة جميلة، تبعث على الأمل بتحقيق العدل والسلام، وهي موجودة في كثير من الأديان، ونادى بها أفلاطون والفارابي، ولكن الشيعة حددوا مهديهم بالاسم دون دليل قاطع، وألصقوا بهذه الفكرة بدعتين: بدعة أداء الخمس من المال. وبدعة ولاية الفقيه. بوصف الفقيه وليًّا ووكيلاً عن المهدى المنتظر إلى حين خروجه.

وجرت فكرة المهدي والنيابة عنه فكرة وجوب الاجتهاد وعدم تقليد العالم الميت، ووجوب أن يقلد الشيعي أحد العلماء ويطيعه في مرجعيته. وانتقد الشيعة في منهجهم الفقهي الذي يترك القياس، ويدعون أنهم يأخذون بالعقل، وهم أبعد ما يكون عن استخدام العقل، حيث أكثر ما ورد في أحاديث كتب الشيعة لا يتناسب مع العقل[٣].

---

(١) د. موسى الموسوي: الشيعة والتصحيح، (ص ١٣)، طبعة لوس أنجلوس، ١٩٨٧م.

(٢) الشيعة والتصحيح: مصدر سابق، (ص ٩٦).

(٣) الموسوي: مصدر سابق، (ص ٨٣).

٤. فيما يتعلق بالخمس

يرى الموسوي أن الخمس كما هو وارد في القرآن يختص فقط بغنائم الحرب، ولكن فقهاء الشيعة عمموه على جميع الأموال والمكاسب، وادعوا وجوب دفعها للإمام أو لنائبه (المرجع الديني)، ويرى أن الخمس بدعة ابتدعها الشيعة بعد القرن الثالث الهجري بوصفها وسيلة لتقوية المذهب ودراسته، وابتدع الشيعة أحاديث في وجوب دفع الخمس للإمام الغائب عن طريق وكيله (المرجع)، وتوعدت تلك الأحاديث من لم يدفع بالخلود في النار وعدم قبول صلاته وحجه وجميع طاعاته[1].

ونحا باللائمة على كثير من المراجع الدينية على تجميعهم لأموال الخمس وبعضهم ادعاها لنفسه واستولى عليها ورثته، وأوضح أن الخمس استعمل لتحقيق أغراض الشيعة السياسية.

٥. فيما يخص ولاية الفقيه

يرى أن فكرة ولاية الفقيه بدعة استعارها من ابتدعها عن فكرة الحلول الإلهي في النصرانية، حيث تعتقد بوجود صفة الألوهية لرجل الدين، وأن أمره هو أمر الله، وقال: إن من قال بها اعتقد أن الولي الفقيه إنما هو وكيل عن الإمام الغائب المنتظر، وذكر أن كثيرًا من فقهاء الشيعة أنكروا أن تكون للفقيه سلطة ونيابة عن الإمام، وأن موقعه الآن اعتداء على سلطة القاضي، وأوضح الموسوي كيف أن العالم الشيعي عبدالعال الكركي الذي انتقل من لبنان إلى إيران في عهد الشاه إسماعيل وأضحى بمرتبة الولي الفقيه الذي يُسيِر توجهات الشاه إسماعيل الشيعية (وشاه طهماسب)، خاصة اضطهاد السنة وإجبارهم على دخول مذهب التشيع في عهد إسماعيل الصفوي ومن بعده.

ونحا باللائمة على المجتهد الفقيه السيد محمد الطبطبائي الذي تقدم صفوف جيش الشاه علي القاجاري لغزو روسيا ورجوعه إلى إيران منكسرًا، حيث استقبله الإيرانيون بالخزي والعار على فعلته وتحريضه على ذلك الغزو الفاشل.

---

(١) موسى الموسوي: مصدر سابق، (ص ١٠٥- ١٠٩).

ويرى أن لا سلطة للفقيه على إمام المسلمين ولا على عامتهم، بدليل القرآن الكريم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ١٢٢، فسلطته محصورة بالتعليم والإنذار، ويرى أن فكرة ولاية الفقيه استغلت سياسيًّا، ووضعت في الدستور الإيراني، وأصبحت سلطة على رقاب الجميع بما فيهم الفقهاء.

وذكر الموسوي أنه يخشى أن تستغل فكرة ولاية الفقيه لاضطهاد الناس في إيران أولاً، ثم استخدامها لأغراض سياسية خارج إيران[١].

٦. فيما يتعلق بالغلو

ويرى الموسوي أن غالبية الشيعة الإمامية قد اعتقدوا بعقائد الغلاة النظرية والعملية، فالنظرية ما في كتب الحديث من أفكار غالية ومعجزات عن الأئمة، وأما العملية ففي زيارة الأضرحة الأخرى في معابدهم و أضرحتهم. وامتدح قلة من علماء المذهب الذين حاربوا الغلو، ونادى بتصحيح المذهب، وما فيه من أفكار غالية خاصة ما ورد في كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي، وما ورد فيه من طعن على الخلفاء الراشدين والصحابة، وذكر أن المرجع الديني البروجردي أمر برفع تلك الطعون من الطباعة، ولكن الناشر لم يفِ بذلك في كلا الطبعتين.

٧. وفيما يخص زيارة قبور الأئمة

أنكر الموسوي على الشيعة الإمامية طريقة زيارتهم لقبور الأئمة وما يتلونه من أدعية عند دخولهم أو ما يفعلونه في تلك الزيارت، واعتبر الصيغ المتداولة في كتب الأدعية عندهم هي من فعل الغلاة، التي يذكرون فيها عصمة الإمام ومعجزاته وصفاته التي لا يوصف بها إلا الخالق وحده، واعتبر كل ذلك من صناعة العلماء والمراجع الدينية، وجر الضعفاء والفقراء إلى عمل لا يتفق مع قواعد الإسلام، وما طلبه نبي الأمة في نصوص

(١) د. موسى الموسوي: مصدر سابق، (ص ١٢٣- ١٣٣).

القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وطالب الشيعة وخاصة علماءهم، بتصحيح هذا المسار وعدم الاختلاف مع بقية المسلمين في آداب زيارة المقابر وقبور الصالحين[١].

٨. ضرب الرؤوس في يوم عاشوراء

أنكر على الشيعة الاحتفال بعزاء الحسين يوم عاشوراء، وأنكر ما يفعلونه من ضرب أجسادهم بالسلاسل والقامات ومرورهم مجموعات باكية على قبر الحسين في كربلاء، وقال: إنها عادة نبتت في العهد البويهي الفارسي، الذين حكموا العراق في القرن الرابع الهجري، ثم تعمقت هذه العادة في العصر الصفوي، وكيف أن هذه الاحتفالات السنوية تثير البغضاء والكراهية بين السنة والشيعة، ويذهب ضحيتها القتلى في العراق والهند وباكستان وغيرها، وأوضح كيف أن هذه العادة استغلتها بريطانيا في الإعلام لتوضح للعالم أن تلك القطعان المتوحشة تحتاج إلى من يستعمرها ويدير البلاد عنها، وذكر أن الشيخ محسن الأمين العاملي، قد أفتى بتحريم تلك الأعمال التي تجرى في عزاء الحسين، وكذلك السيد أبو الحسن الموسوي على فتواه.

٩. فيما يتعلق بالشهادة الثالثة

ويقصد بها: (أشهد أن عليًّا ولي الله)، التي ابتدعها السيد المرتضى في القرن الرابع الهجري، ثم أضيفت هذه العبارة فيما بعد إلى الأذان للصلاة في العصر الصفوي.

وذكر أن أكثر فقهاء الشيعة يعدونها بدعة، ولكنها إضافة حسنة لا تفسد الصلاة، بل أصبحت دليلاً على المذهب، وطالب أخيرًا برفع هذه العبارة، والرجوع إلى صيغة الأذان المتفق عليه عند المسلمين[٢].

١٠. وفيما يتعلق بزواج المتعة

أوضح الموسوي دفاع علماء الشيعة إباحة المتعة وتطبيقها خاصة في إيران، وأنكر عليهم الإصرار على إباحتها بالرغم من أن فرقًا شيعية أخرى قد حرمتها، واحتج بأنها

---

(١) د. موسى الموسوي: مصدر سابق، (ص ١٤٣- ١٤٩).

(٢) موسى الموسوي: مصدر سابق: (ص ١٥٩).

لو كانت حلالاً للجأت تلك الفرق إلى عدم تحريمه وتطبيقها أيضًا في خلافة الإمام علي، إضافة إلى ذلك فإن تطبيقات المتعة في المجتمع تشير إلى مفاسد جمة خاصة في إيران على أوضح وجه من انتشار الأمراض واختلاط الأنساب، واتخاذ المتعة لغايات غير شريفة مخلة بنظام الأسرة وعفاف المرأة.

ونادى علماء الشيعة بتحريمها، وسد هذا الباب الذي تأتي منه كثير من الشرور، وأورد رأيًا للسيد محسن الأمين في قوله: «ليس كل شيء مباحًا هو واجب التطبيق، خاصة إذا ظهرت منه مفاسد»، وهذا شأن المتعة عند الشيخ الأمين.

١١. وفيما يتعلق في السجود على التربة الحسينية

ذكر أن بدعة السجود على التربة الحسينية في أصلها جاءت من رأي فقهاء الشيعة المتعلق بوجوب السجود مباشرة على الأرض أو ما هو من منبت من الأرض، وعدم جواز السجود على الصوف مثلاً بحجة أن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كان مفروشًا بالحصى، وذكر أن هذه البدعة لم يكن ليطبقها أحد لا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الإمام علي والأئمة. يرجح دخولها من قبل الغلاة في العهد الصفوي؛ وحذر من تقديس قبر الحسين وتربته والاستشفاء بشرب طينته، وطالب الشيعة بتصحيح هذا الاعتقاد والرجوع إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة سابقًا[١].

١٢. وفيما يتعلق بالإرهاب والاغتيالات

أدان الموسوي ما تعلق بمذهب الشيعة الغلاة من أعمال إرهابية واغتيالات على مدار التاريخ، وأوضح مسلك الشيعة الإسماعيلية في قلعة الموت، وزعيمهم حسن الصباح من اغتيالات وامتداد هذا المسلك إلى مناطق الشيعة الأخرى، وقيامهم باغتيال الأمير نظام الملك ببغداد، وأوضح أن مبادئ الإسلام لا تقر أعمال الغيلة، وضرب بذلك أمثلة في اغتيال أبي لؤلؤة المجوسي لعمر بن الخطاب واغتيال الخليفة عثمان في بيته، وكذلك اغتيال الإمام علي في مسجد الكوفة وكلها أعمال لم يرضها المسلمون في تاريخهم، وطالب بتصحيح هذا المسلك وما وراءه من عقيدة يشحن بها المتهورون ضد مخالفي الشيعة، وهو

(١) موسى الموسوي: مصدر سابق: (ص ١٦٧).

ما يتكرر في كثير من بلاد الإسلام، وطالب بأن يستبدل التفاهم بالإرهاب والاغتيالات تجنبًا لإشاعة الفتن بين المسلمين[(١)].

١٣. فيما يتعلق بصلاة الجمعة

أوضح الموسوي أن إقامة صلاة الجمعة أمر واجب بالنص القرآني، ولكن أكثر فقهاء الشيعة الإمامية لم يوجبوها إلا بعد ظهور الإمام الغائب، وذكر أن ذلك دخيل عليهم من روايات موضوعة، قصد بها عزل الشيعة عن بقية المسلمين وعدم سماعهم خطبة الجمعة كي لا يتأثروا بها، وذكر أن قلة من علماء الشيعة أوجبوا إقامتها وعدم الاستعاضة بها عن صلاة الظهر، منهم الحر العاملي وغيره، وطالب بتصحيح هذا الاعتقاد والاستجابة بالنص القرآني بإقامة الجمعة، وأن يقيمها الفرد الشيعي مع بقية المسلمين وعدم التفرد والابتعاد عما يفرق المسلمين[(٢)].

١٤. وفيما يتعلق بتحريف القرآن

عرض الموسوي رأي الشيعة الإمامية في القرآن الكريم، فقال: إن أغلبية علمائهم يقرون بعدم تحريف القرآن، وأنه هو الوارد في الدفتين لا نقص فيه ولا زيادة، ولكن قلة منهم ذهبت بحصول التحريف في القرآن نقصًا أو زيادة منهم الشيخ النوري في كتابه (تحريف الخطاب في كتاب رب الأرباب) وغيره من الغلاة الذين أوردوا أحاديث موضوعة عن الأئمة في هذا الباب، وسفه الموسوي عقول هؤلاء، كيف يصدقون الرواة الكذبة، ويتركون قول الله في قرآنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩، وذكر أن شيخه السيد الخوئي الذي درس عليه بعض الوقت في النجف يذكر في تفسيره أن مسالة تحريف القرآن هو حديث خرافة، ولكنه في موضع آخر أقر بوجود قرآن لعلي بن أبي طالب ورد فيه كثير من الزيادات، وقال: إن وجوده محل إجماع من علماء الشيعة.

وورود ذلك في كتاب الاحتجاج للطبرسي، ولكن الخوئي فسر تلك الزيادات بأنها شرح إلهي لما ورد في مصحف علي، وانتقد الموسوي هذا الرأي.

---

(١) موسى الموسوي: مصدر سابق: (ص ١٧٧- ١٨٣).

(٢) موسى الموسوي: مصدر سابق، (ص ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٥).

فكيف يختص الله الإمام علي وحده في تأويل القرآن الكريم دون بقية المسلمين، وأنه لم يصح ورود أي إشارة من الإمام علي على أن لديه مصحفًا يختلف عما بيد بقية المسلمين، وكذا أنكر الموسوي صحة ما يعتقده بعض الشيعة من وجود مصحف فاطمة، أو أن يكون فيه علوم لا يعرفها إلا الإمام المهدي الذي سيظهرها، ولماذا تخفى هذه العلوم عن المسلمين، ويحرم منها طيلة تلك الغيبة، وطالب الموسوي الشيعة هؤلاء بتصحيح اعتقادهم في القرآن الكريم، كما هو عليه سائر المسلمين.

١٥. وفيما يتعلق بالرجعة والصلوات الخمس والبداء

أنكر الموسوي على الشيعة الإمامية اعتقادهم برجعة الأئمة إلى الحياة الدنيا، وأن يحكموا الأرض، وأوضح أن هذا الاعتقاد سببه الرغبة في الانتقام من الخلفاء الراشدين والصحابة، الذين اعتقدوا أنهم قد اغتصبوا حق علي في الإمامة، وقال: إن الذين اخترعوا الرجعة بروايات مكذوبة ربما استعاروا الفكرة من فيثاغورث الفيلسوف اليوناني، وقال الموسوي: إن الرجعة ليس لها مكان كبير في الاعتقاد الشيعي، لكنها تتردد في صيغة الأدعية التي تتلى عند زيارة قبور الأئمة، وطالب الموسوي بتصحيح هذه العقيدة والانسجام مع عقيدة بقية المسلمين، كما خطأ الموسوي الشيعة الإمامية ما هم عليه من قصر الصلاة وجمعها مرتين بدل خمس وتركهم سنة النبي، وفعل الإمام علي في إقامته الصلوات الخمس في المساجد، ودعا الشيعة إلى عدم التفرد والخروج عما عليه المسلمون. أما بالنسبة إلى البداء فقد ذكر أن أكثر الشيعة لا يفهمون معناها، وأوضح أن سبب ظهوره يعود إلى تسلسل الإمامة عندهم من الأب إلى الابن الأكبر، ففي عهد الإمام الصادق كان ابنه إسماعيل هو الأكبر، ولكنه توفي في حياة أبيه وإليه تنسب الشيعة الإسماعيلية، ولكن الشيعة الآخرين (الاثني عشرية) ادعوا إمامة موسى بن جعفر خلافًا للقاعدة، وقالوا: إن الله قد بدا له تغيير الإمام من إسماعيل إلى موسى، وذلك للاحتجاج ضد الإسماعيلية، فسبقه صراع سياسي بين فرق الشيعة، وعلى ذلك يطلب الموسوي تصحيح هذه العقيدة التي لا نفع فيها اليوم من الناحية العملية، ومن الأفضل لهم تنزيه الخالق عن فكرة البداء، لأن علمه تعالى سابقًا على الأحداث. وأخيرًا فإن الموسوي بالرغم من أنه قد درس الفلسفة والديانات القديمة، إلا أنه لم يرجع أفكار الشيعة الاثني عشرية التي

طلب تصحيحها إلى القول: إن الشيعة قد استعاروها من ديانات وفلسفات قديمة، إلا إشارات بسيطة في فكرة المهدي المنتظر وفكرة الرجعة.

وعلى كل حال فقد تعرض الموسوي إلى الانتقاد من علماء وكتاب الشيعة الاثني عشرية، حيث تعرضوا فيها لطعنه في سلوكه الشخصي، واتهامه بقلة العلم ليس فقط بعقائد وأفكار الشيعة، بل بقواعد اللغة العربية أيضًا، كما هي عادة نقاد الشيعة، ومن أمثلة من انتقده على آرائه هو الدكتور علاء الدين السيد محمد القزويني في كتابه (مع الدكتور موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥م)، وليس في هذا الكتاب سوى ترديد ودفاع لنفس ما أورده كُتّاب وعلماء الشيعة الاثني عشرية المدافعين عن تلك العقائد، فلا حاجة بنا إلى ترديدها.

وقد نادى الموسوي في كتيب صغير (يا شيعة العالم استيقظوا)، وطلب الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. الاستيقاظ لماذا؟
٢. لماذا نحن الشيعة الإمامية ألزمنا أنفسنا بالتبعية للفقهاء؟
٣. لماذا أحكم الفقهاء علينا طوق العبودية؟
٤. لماذا يتعاطف بعض الشيعة مع الزعامة المذهبية الشيعية في إيران ولا يتعاطف مع محنة الشيعة منها؟
٥. لماذا الزعامة الشيعية الإيرانية استعلت على الشيعة من القوميات الأخرى؟
٦. لماذا تؤيد القوى الاستعمارية الكبرى النظام الشيعي المذهبي؟
٧. لماذا لا تتفق بعض دول المنطقة التي تعاني من إرهاب النظام المذهبي الحاكم على الشيعة في إيران مع التصحيح؟
٨. لماذا لم يستطع المناضلون الشيعة إسقاط النظام الشيعي المذهبي؟
٩. هل يوجد حل لخلاص الشيعة من محنتها غير التصحيح؟[١]

---

(١) موسى الموسوي: يا شيعة العالم استيقظوا. لوس أنجلوس.

رأي مختار الأسدي في إصلاح التشيع

يرى الأسدي أن العقل الشيعي اليوم في أزمة، سببها مبادئ الشيعة القديمة، التي تكونت في ظروف تاريخية معينة وعدم ملاءمتها للفكر والعقل في العصر الحديث، وعدم مقدرة علماء الشيعة الكبار على تجاوز هذه الأزمة، والمجيء على الأقل بتفسيرات وحلول يمكن أن يقبلها الطرف الآخر، ويذكر بحصول طروحات لإصلاح الفكر الشيعي، ولكن من جهات أجنبية مشبوهة، قد يمكن أن يكون قد قصد بها إشعال الصراع والفتنة بين الطرفين الشيعة والسنة، وقد ذكر في المعنى مباحث عدة تتعلق بالعصمة وبالولاية التكوينية، التي يرى فيها الخطأ على إصرار الشيعة في مفهومها، كما أن من الخطأ الدفاع عن إمام غائب يقوم مقامه من يريد استغلال الشيعة فكريًّا وماديًّا، مع أن الله في كتابه قد أمر المسلمين بالشورى لاختيار ولي الأمر، كما نحا باللائمة على تقليد العلماء في الطاعة لهم مع كونهم بشر مثل غيرهم، وأن لا قداسة لأحد يحتج بها على الآخرين من العوام والضعفاء يقصد إخضاعهم لطاعة عمياء[1].

رأي آية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقعي القمي في إصلاح التشيع

درس البرقعي العلوم الدينية لمذهب الشيعة الاثني عشرية في كل من قم والنجف، وحصل على درجة الاجتهاد بعد أربعين سنة، وقام بالتدريس في العديد من مدارس المذهب، ولكنه اكتشف في أثناء دراسته لكتاب (الكافي) لمؤلفه محمد بن يعقوب الكليني أن الأحاديث المروية مطعون بها من قبل المحدثين الشيعة، وذلك من جهتين: جهة الثقة بالراوي؛ لأن أكثر رواتها كذبة لم توثقهم حتى مصادر الشيعة وكتب الرجال، ومن جهة أخرى مخالفة متن الحديث للقرآن الكريم أو للعقل، لما فيها من خزعبلات ومعجزات منسوبة زورًا إلى الأئمة، وقد تعرض المؤلف في إيران للاضطهاد والتحقيق والسجن عدة مرات، تسبب كل ذلك في مرضه ووفاته. وكتب عدة كتب في إصلاح المذهب.

(١) مختار الأسدي: أزمة العقل البشري، دار الانتشار العربي، ٢٠٠٩م، بيروت.

منها: (دراسة حول الولاية)، و(الخرافات الوافرة في زيارات القبور)، وأيضًا (تفسير شعاع من القرآن)، وأيضًا (تحقيق علمي في أحاديث المهدي)، وقد سمى كتابه المتعلق بأحاديث الكافي (كسر الصنم)، حيث اعتبر النصوص الواردة في الكافي كأنها صنم يعبد في المذهب، فلا بد في رأيه من كسر هذا الصنم أولاً، وامتدح البرقعي ما قام به ابن الغضائري من تحقيق الثقة بالراوي ورواته وبنصوص كتب الحديث المروية خاصة كتاب (الكافي) الذي تعرض إلى زيادات قام بها أهل الأغراض، كما امتدح جهود الشيخ قلمدان على كتابه (هدية السماء) والمتعلق بروايات الكافي التي قال عنها: إنها مكذوبة وموضوعة من أعمال المغيرة بن سعيد وأبو الخطاب وبنان، وعرض المؤلف تعريفًا لكتاب الكافي وكتابته ومتى كتب وبعض خصائص هذا الكتاب، ثم عرض هدف المؤلف من تأليف الكافي، وعرض طريقة دراسته لكتاب الكافي عن طريق نقد سلسلة أحاديث الرواة، ثم نقد نص الحديث، وانتهى إلى عرضه على نصوص القرآن والعقل.

ثم استعرض أبواب الكتاب واحدًا بعد الآخر، بدأ بكتاب العقل والجهل إلى آخر الأبواب[١].

العلماء المصلحون للتشيع في العصر الحديث

بعد انتشار العلم وتبادل الكتب والمعلومات في العالم الإسلامي وظهور حركة النهضة الإسلامية وصلت تلك المؤثرات من الجزيرة العربية ومصر والعراق والشام إلى علماء إيران، وكثير من تلك الكتب والأفكار تحمل روح النهضة والوحدة الإسلامية؛ ولذا فقد تأثر بها كثير من علماء شيعة إيران منذ مطلع القرن العشرين، وبدأ بعضهم بنشر أفكاره وكتبه، ولكن جوبهوا من قبل السلطة السياسية وسلطة علماء الدين معًا إنكارًا وتهديدًا وسجنًا لكثير من أولئك المصلحين لمذهب التشيع الاثني عشري، واتهم بعضهم بالوهابية والذين تناولوا في إصلاحه الأفكار المتعلقة بالتوحيد والإمامة والرجعة وغيبة الإمام الثاني عشر والخمس وشتم الصحابة، وما إلى ذلك من أفكار الشيعة الاثنى عشرية التي

(١) آية الله العظمى، السيد أبو الفضل البرقعي القمي: عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول (كسر الصنم) مجلد أول، مجلد ثاني، مكتبة العبيكان ١٤١٢هـ.

خرجت فيها عن إجماع المسلمين، والحقيقة أن بعض هؤلاء المصلحين دخلوا في الإصلاح بالتدريج، فقد كانت بعض كتبهم القديمة تحمل أفكار المذهب قبل رجوعهم عنها، وبعضهم الآخر كان الإصلاح عنده يمس بعض الأفكار لا جميع ما في المذهب، ومن أولئك العلماء المصلحون للتشيع نذكر:

١. السيد أسد الله خرقاني.
٢. آية الله الشيخ محمد مهدي الخالصي (في الكاظمية ببغداد).
٣. حيدر علي قلمداران القمي صاحب كتاب:
   أ. طريق الاتحاد وكتاب دراسة نصوص الإمامة.
   ب. طريق الاتحاد في تمحيص نصوص الإمامة.
   ج. طريق النجاة من شر الغلاة.
   د. الخمس.
   هـ. رد قروي على السيد المَحَلاّتيّ.
   و. الخلافة والإمامة، انظر: كتاب سوانح الأيام للبرقعي (ص ١٥٣- ١٥٥).

٤. الشيخ إسماعيل آل إسحاق الخوئيني.
٥. آية الله السيد محمد جواد الموسوي الغروي الأصفهاني: انظر: كتاب سوانح الأيام للبرقعي (ص ١٩٣- ١٩٥).
٦. آية الله العلامة السيد محمد حسين فضل الله (في لبنان).
٧. آية الله الدكتور محمد الطهراني.
٨. آية الله العلامة السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقعي القمي، له من الكتب:
   أ. عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول.
   ب. التعارض بين مفاتيح الجنان والقرآن.
   ج. دراسة علمية لأحاديث المهدي.
   د. الخرافات الوافرة في زيارات القبور.
   هـ. قبس من القرآن.
   و. نقد المراجعات.

ز. الدعاء.

ح. العقيدة الإسلامية.

ط. منهاج السنة في رد أهل البدعة.

ي. شرح للمؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: كتاب سوانح الأيام للبرقعي (ص ١٦٨).

٩. العلامة السيد مصطفى حسينى الطبطبائي، انظر: كتاب سوانح الأيام (ص ٨٤-٨٦).

١٠. الأستاذ أحمد الكاتب.

١١. آية الله شريعت سنكلجي، صاحب كتاب:

أ. مفتاح فهم القرآن.

ب. توحيد العبادة.

١٢. يوسف شعار.

١٣. عبدالوهاب فريد: صاحب كتاب الإسلام والرجعة.

١٤. الحاج يوسف شعار التبريزي.

١٥. محمد عبدالشكور اللكهنوي صاحب كتاب:(الباقيات الصالحات) من علماء الشيعة في الهند.

١٦. حجة الإسلام والمسلمين مرتضى رادمهر: صاحب كتاب: كيف اهتديت: ولادة جديدة واختيار جديد.(ص ٣٨٩) في كتاب: سوانح الأيام.

١٧. آية الله العظمى: نعمت الله صالحي نجف آبادي، صاحب كتاب: تأمل في آية التطهير.

١٨. محمد باقر سجودي: صاحب كتاب: التناقضات في العقيدة.

الفصل الثالث

التقريب بين السنة والشيعة كفكرة إصلاحية

مقدمة

إن محاولة الإصلاح لمذهب الشيعة الاثني عشرية تكاد تكون قديمة، بدأها قديمًا الذين كتبوا عن الفرق الإسلامية وعقائدها من أمثال كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، وكتاب (الفرق بين الفرق) للبغدادي، وهذا من جانب، وكتب كثيرة أخرى من الجانب السني، ومن جانب الشيعة كتاب النوبختي (فرق الشيعة)، وسعد القمي في كتاب (فرق الشيعة) أيضًا، أما في مجال الفقه، فكتب الخلاف عند الفريقين قد عنت ببحث آراء الطرفين، فعند السنة من أمثلة ذلك: أبي يزيد الدبوسي في كتابه (الأسرار)، وأبي المظفر السمعاني في كتابه (الاصطلام) والقفال، وأبي المعالي الجويني.

ومن جانب الشيعة: عَلَم الهدى المرتضى في كتابه الانتصار. ومحمد بن الحسن الطوسي في كتابه المبسوط. فقد قيل: إنه درس على بعض مشايخ الشافعية ببغداد إضافة إلى شيخه الشيعي المفيد، وكذلك الشيخ الطبرسي في كتابه (مجمع البيان) الذي قال عنه بعض المتعصبين الشيعة: إنه قد كتبه مجاراة لأهل السنة، ولكن هذه الكتابات من الجانبين لم تؤثر كثيرًا في إصلاح المذهب وإن كانت تبعث على فكرة وجوب الإصلاح، ولكن العوامل السياسية غالبًا ما تؤدي إلى تعميق الشقة بين الطرفين.

نادر شاه والتقريب بين السنة والشيعة

قام نادر شاه حاكم إيران بغزو العراق بجيش من السنة الأفغان والشيعة الإيرانيين، وكان حريصًا أن يقترب المذهبان مع بعضهما، لما شاهده من غلو حدث قبله عند الملوك الصفويين، فعند دخوله إلى بغداد أدى بجيشه التحية والاحترام، وصلّوا عند قبر أبي

حنيفة، ثم اتجه بجيشه إلى النجف، وكذا فعل عند قبر الإمام علي، وكان معه جملة من علماء الشيعة، فطلب من علماء بغداد السنة أن يأتون إلى النجف والاجتماع وبحث الفرق بين المذهبين، وهذا ما سمي بمؤتمر النجف، حيث خرج المؤتمرون بوثيقة اتفاق، كان من أهمها تحريم المتعة والترضي على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه.

دار التقريب بالقاهرة

بدأها الشيخ الشيعي: محمد تقي القمي بين شيوخ الأزهر أيام شلتوت، وذلك سنة ١٩٤٨م تقريبًا، واشترك معهم في هذا الجهد الشيخ: عبدالمجيد سليم، واتفقوا على إصدار مجلة رسالة الإسلام، ومن الذين اشتركوا في جهود التقريب الشيخ: مصطفى عبدالرازق. والشيخ محمد علي علوبة.

ومن الجانب الشيعي: الشيخ: آغا حسين البروجردي، والشيخ: محمد الحسين آل الكاشف الغطاء، والسيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي[١].

وكان يزور دار التقريب ويكتب في مجلتها كثيرًا من علماء الطرفين والساسة في اجتماعات دار التقريب (في الزمالك)، حيث كانت تضم أشتاتًا من المذاهب والفرق التي غالبًا ما كان يسود بينهم المجاملة وإخفاء ما يشين وإظهار ما يودي إلى التفاهم، وبعد أربع سنوات تكشف للشيخ عبداللطيف محمد السبكي أن من الأغراض التي طلبوها من دار التقريب المشاركة السنوية في عزاء الحسين في النجف، وتدريس مذهب الشيعة الإمامية في الأزهر، وقد تطرقت مجلة الرسالة في أول أمرها إلى أفكار عدة في الخلاف بين الطرفين، وكان من أهمها مباحث الإمامة والتقية وسب الصحابة، والمتعة والمسح على الرجلين، وقد توقفت المجلة عن الصدور سنة ١٩٧٢م، ومن آثار التقريب هذا إدخال فكرة الطلاق السني في الأحوال الشخصية المصرية، الذي يفيد بأن الطلاق الثلاث في مجلس واحد يعد طلقة واحدة خلافًا لرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عده طلاقًا بائنًا

(١) د. أحمد سيد أحمد علي: التقريب بين أهل السنة والشيعة، (ص ٦٥- ٧١)، دار اليقين، مصر، ٢٠٠٨م.

وأمضاه على المسلمين. وطبع تفسير الطبرسي (مجمع البيان) وفتوى الشيخ شلتوت بجواز التعبد على فقه الشيعة الإمامية، واستمرت الدار مفتوحة بنشاط متواضع حتى قيام الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م، ولكن أعيدت الدار (في جاردن ستي) في عهد مبارك وتم تجميدها، وقد وجه كثير من النقد إلى فكرة التقريب وما تم فيها، ومن أهم تلك الانتقادات:

أولاً: ما ذكره الشيخ: محب الدين الخطيب من أنها دعوة إلى مذهب شيعي في وسط سني قصد بها نشر التشيع في صفوف السنة، بدليل أن دولة إيران هي التي كانت تمد دار التقريب بالمال والمصروفات، وترفض إنشاء دار مثلها في طهران بقصد التعريف بمذهب أهل السنة أو في أي مركز من مراكز الشيعة، وذكر الشيخ السبكي أنه كان يرتاب من الصرف السخي على الدار وعلى الكاتبين في مجلتها، ونقل عبدالله الموصلي أن هدف التقريب في القاهرة هو نفس هدف إيران في نشر التشيع بين القبائل السنية في العراق، وكيف أنهم نجحوا في ذلك، ويدعي أحمد سيد أحمد علي، أن مرشد الثورة الإيرانية: علي الخامنئي أمر بإنشاء المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران سنة ١٤١١هـ.

ومن جهود هذا المجمع طبعت مجلة الرسالة، وطبع كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد (لابن رشد المالكي)، وكتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كما نشر تفسير الشيخ شلتوت.

ثانيًا: إن إزالة الخلاف بين السنة والشيعة يبدو أمرًا مستحيلاً، ودعوة التقريب لا تستطيع تحقيق هذا الهدف. وقال المدافعون عن التقريب: إن الهدف هو مجرد معرفة كل فريق ما عند الآخر، فيحل التسامح والتفاهم بدل الشقاق.

ثالثًا: إن هدف التقريب بجمع المسلمين على مذهب واحد أمر مستحيل، ويرد المدافعون: أنه ليس من أهداف التقريب جمع الفريقين على مذهب واحد، بل كما ذكرنا في اطلاع الفريقين على ما عند بعضهم بعضًا، وعزا أصحاب التقريب المشكلات التي يجب العمل عليها، هي:

١. مسألة سب الصحابة عند الشيعة الاثني عشرية:

إن أغلب مصادر الشيعة الاثني عشرية وخاصة القديمة تنقل روايات فيها شتم وسب وانتقاص من الخلفاء الراشدين الثلاثة خاصة، وبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة، وبالرغم من أن بعض علماء الشيعة أنكر هذا المسلك، منهم عبدالمحسن شرف الدين وكاشف الغطاء ومحمد جواد مغنية والشيخ الخالصي ومحسن الأمين، والحقيقة أن هذه عقبة كأداء واجهت أصحاب التقريب، ولم ينجحوا في رفع هذا الشتم من المذهب، إضافة إلى أنه قد قيل: إن بعض علماء الشيعة الاثني عشرية الذين رفعوا شتم الصحابة قالوا ذلك تقية[(١)].

٢. الرجعة:

قال بعض دعاة التقريب ومنهم الشيخ محمد الحسين الكاشف الغطاء: إن فكرة الرجعة عندهم ليست أصلًا من أصول الدين، وأن منكرها من الشيعة يبقى مسلمًا في حكم المذهب، ويبدو أن المجلسي على خلاف هذا الرأي، فقد قال في (بحار الأنوار) (٥٣/ ١٣٧): «الرجعة عندنا تختص بمن محصه الإيمان ومحصه الكفر، دون من سوى هذين الفريقين»[(٢)].

٣. تحريف القرآن:

يعتقد دعاة اليوم من الشيعة الاثني عشرية أن الإجماع يكاد يكون منعقدًا على عدم صحة الزيادة أو النقص في القرآن، ومن قال بخلاف ذلك لا يخدش هذا الإجماع، ومن أصحاب هذا الرأي: عَلَم الهدى السيد المرتضى في كتابه الانتصار، والشيخ الطبرسي في كتابه (مجمع البيان)، ونقل ذلك أيضًا عن الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي.

---

(١) د. أحمد سيد أحمد علي: التقريب بين أهل السنة والشيعة، (ص ٣٤٨- ٣٨٠)، دار اليقين للنشر مصر، المنصورة، ٢٠٠٨م.

(٢) د. ناصر بن عبدالله القفاري: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، القسم الثاني، (ص ١٠٢٩)، دار طيبة، الرياض١٤١٦هـ.

ومن علماء اليوم:

أبو القاسم الخوئي، ومحمد جواد البلاغي، ومحمد تقي الحكيم، ومحمد رضا المظفر[١]، ولكن الفريق الآخر يصر على أن أكثرية علماء الشيعة الاثني عشرية على فكرة تحريف القرآن ومن قال بخلاف ذلك ربما قال تقية، والذين قالوا بالتحريف كثيرون، منهم الشيخ المفيد والكليني والقمي في تفسيره والعياشي في تفسيره، ومن القائلين بالتحريف الشيخ أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي في كتاب (الاحتجاج)، ومحمد باقر المجلسي في (مرآة العقول)، ونعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الإنسانية)، والشيخ النوري في كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)، والشيخ البحراني في تفسيره (البرهان)، ومحسن الكاشاني في تفسيره (الصافي)، وتلميذ الكاشاني أبو الحسن العاملي محمد طاهر الفتوني، والشيخ ناصر النوري في كتابه هداية المرتاب في تحريف الكتاب[٢].

٤. السنة النبوية

يرى الشيعة الاثني عشرية: أن الحديث هو ما نقل عن المعصوم، وانقسموا في صحة ما روي في كتبهم؛ فالطائفة الإخبارية يرون أن جميع ما ورد في كتب الحديث الأربعة خاصة وغيرها روايات صحيحة وموثقة، من جهة سلسلة الرواة، ومن جهة نص الحديث، وعلى خلاف ذلك طائفة الأصوليين (المنسوبين لتحكيمهم قواعد أصول الفقه، ولا تعني الرجوع إلى أصل النص عن الرسول وأصحابه)، فهؤلاء قد ألّفوا في علم الرجال، ومن يقرأ كتبهم يجد أكثرية الرواة غير موثقين عندهم.

وقد تأخر عندهم الكتابة في علم الحديث، ولم يظهر ذلك إلا في أواخر القرن السادس الهجري على يد فقهاء الحلة غالبًا، وليس عندهم تلك التقسيمات المعروفة للحديث عند السنة: (متواتر- صحيح- حسن- مكذوب- أو غير صحيح- خبر آحاد).

---

(١) د. أحمد سيد أحمد علي: مصدر سابق، (ص ٤٠٦)، وما بعدها، و(ص ٤١٦)، وما بعدها، (ص ٤٢٤)، وما بعدها، و(ص ٤٧٠)، وما بعدها.

(٢) د. ناصر بن عبدالله القفارى: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، القسم الثاني، (ص ١٠- ٣٨- ٦١- ٦٧)، دار طيبة، الرياض، ١٤١٦هـ.

وقد بدؤوا بتصنيف الخبر إلى صحيح وغير صحيح، وأضيف الحديث الموثوق في القرن السابع على يد ابن طاوس أو قيل على يد ابن المطهر الحلي، وأنهم بذلك قد قلدوا ما عند السنة من تقسيم الحديث، وقد تناول دعاة التقريب بين الطرفين مباحث نكاح المتعة، حيث توقف كل طرف يدافع عن دليله، ومسألة المسح على الرجلين، وقد أثبت كل فريق رأيه المعروف فيها، دونما تقريب، أما الجمع بين الصلاتين فقد شرح كل فريق ما عليه مذهبه.

وعمومًا فإن فكرة التقريب والعمل السابق فيها لم تكن ناجحة، وقد أدت لتعريف علماء الأزهر خاصة بمذهب الشيعة الاثني عشرية، فقد كان أكثرهم ولا يزال غير مطلع على ما فيه من غلو، وأما الجانب الآخر، فقد أفاد في نشر مذهبه في وسط جديد.

عمومًا فإن هذه التجربة حرية بالدراسة ومفيدة دراستها لمن يتصدى لإصلاح التشيع، وما فيه من غلو يتسبب في تفرقة المسلمين، ويفتح فجوة لأعداء الإسلام للنفاذ منها ضد الفريقين[١].

ويرى محب الدين الخطيب استحالة الالتقاء أو التقريب بين مذهب الشيعة الاثني عشرية ومذهب السنة، وذلك استنادًا إلى موقف كل منهما، وليس فقط بسبب ابتعاد أصولهم في الاعتقاد عن أصول السنة، بل إلى شهادة بعض علمائهم، فقد نقل أن الشيخ الخونساري نقل أيضًا رأى نصير الدين الطوسي، الذي مفاده أن فرقة الشيعة الإمامية هي الفرقة الناجية الوحيدة، وما عداها من فرق فهم على ضلال[٢].

---

(١) د. أحمد سيد أحمد علي: مصدر سابق، (ص ٤٧٠)، وما بعدها.

(٢) محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة، ط ٣، (ص ٨١)، ١٤٠٩هـ.

الخلاصة

قد أثبتنا بالدلائل التاريخية والفكرية أن مذهب التشيع وخاصة مذهب الشيعة الغلاة الذي ورث التشيع السياسي في القرنين الأول والثاني الهجريين، ثم تحول إلى مذهب ديني، استعار أفكاره واعتقاداته من عناصر أجنبية، تبدأ من الديانات الوثنية: كالمجوسية والهندية، أو ديانة وادي الرافدين والصابئة، أو من ديانات سماوية كاليهودية والنصرانية، أو من الفلسفة اليونانية وخاصة الأفلاطونية المحدثة، وأثبتنا انتقال تلك العناصر عن طريق عدة جسور ووسائل وأسباب، منها العرب الذين كانوا على النصرانية أو اليهودية ثم دخلوا الإسلام والتشيع خاصة، واستوطنوا البلاد المفتوحة، فهؤلاء العرب كانوا من أوائل الشيعة السياسيين في القرون الأولى، ثم تبين لنا دور الموالي والشعوبية، ورواة الحديث في نقل العناصر الأجنبية إلى التشيع خاصة في مراكز التشيع كالكوفة والمدائن وقم في إيران.

كما أثبتنا الدور الذي قامت به بعض فرق الصوفية في نقل تلك العناصر الأجنبية إلى التشيع، وخاصة فرقة البكتاشية وعلاقتها فيما بعد بالدولة الصفوية، وأثبتنا يقينًا جملة من علماء وفلاسفة وصوفية شيعة إمامية، كانوا يحملون بعضًا من تلك العناصر الأجنبية في أفكارهم، وذلك مما دونوه في كتبهم على امتداد تاريخ التشيع.

وتساءلنا أخيرًا: هل يمكن إصلاح الفكر الشيعي؟ وذلك بتقديم بعض المحاولات التي نترك للقارئ تقييم مدى قدرتها على الإصلاح. أملنا كبير أن يتم الإصلاح على يد علماء الشيعة أنفسهم؛ لأنهم أعرف من غيرهم، وهم القادرون على إصلاح ما سببه الشيعة الغلاة طيلة تاريخ التشيع.

علاقة معتقدات الشيعة المنتحلة بالسياسة

لعل القارئ الكريم بعد أن يقرأ أبواب هذا الكتاب الذي أثبت انتحال الشيعة لكثير من العناصر الأجنبية المتعلقة بالديانات والفلسفات القديمة، يتساءل: ما هي دوافع الشيعة لما وراء تلك الأفكار؟ بالرغم من أنها تتناقض في كثير أو قليل مع نصوص القرآن

الكريم والسنة الثابتة، وعلمهم الصريح بذلك. فلماذا يخالفون مجموع الأمة الإسلامية في عقيدتها؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إن الأسباب تتلخص فيما يأتي:

١. السبب السياسي

وهو السبب الرئيس لدوافع الشيعة، فمنذ تكوين المعارضة السياسية ضد الخليفة عثمان رضي الله عنه اتخذت هذه المعارضة في البداية سببًا سياسيًّا، مفاده أن الإمام علي بن أبي طالب كان الأولى بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع تصاعد الخلاف السياسي بدأت المعارضة التي التفت حول الإمام علي تضيف أفكارًا وعقائد تؤيد فيها معارضتها خاصةً للأمويين، وهذه الإضافات من العقائد والأفكار تبنتها مجموعات وفرق الشيعة في بداية ظهورها، ويمكن الإشارة إلى تلخيص مواقف تلك الفرق بما يأتي:

١. موقف السبئية:

وقد ظهروا في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، وتسببوا في اغتياله خاصة من أولئك العرب المتهودة من قبيلة جيبل وجذام وكندة، الذين جاؤوا من الفسطاط بمصر، ومثلهم القادمون من الكوفة من متهودة العرب من قبيلة همدان وحمير، ثم اتسع نفوذهم في خلافة الإمام علي رضي الله عنه، وانضووا تحت لوائه منتشرين بين جيشه خاصةً، وقد أوضحنا فيما سبق عدم قدرة الإمام علي في تنقية جيشه وأصحابه من هذه المعارضة السبئية، وقد نادت واستعارت أفكارًا من اليهودية والمجوسية أخصها ما ذكرناه من فكرة العصمة، وأن الإمام يعلم الغيب، وأن له صفة إلهية، ورثها عن طريق النور المحمدي، وحتى عندما اُغتيل من قبل الخوارج ادعت السبئية أنه لم يمت، وأنه سيرجع، وهو في السماء حيث إن الرعد صوته والبرق سوطه، إلى ما هنالك من أفكار السبئية المنسوبة لعبدالله بن سبأ وأصحابه التي سبق أن عرضناها مفصلاً، وهذه المعارضة تذهب إلى تكفير مخالفيها بسبب عدم إطاعتهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيما يدّعون من وصيته لعلي بالخلافة بعده؛ ولذا فهم يكفرون الخلفاء الثلاثة وأكثر صحابة رسول الله بوصفهم مرتدين عن الإسلام.

٢. الكيسانية:

وهي المنسوبة إلى كيسان من موالي عبيد الله المختار الثقفي، الذي ثار بالكوفة انتقامًا لقتلة الحسين بن علي رضي الله عنه، وادعت الكيسانية بالخلافة إلى محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بـ(ابن الحنفية) بعد مقتل والده، ونسبوا له الإحاطة بالعلوم كلها، وله علم التأويل عن طريق معرفة الباطن، وترى الكيسانية أن الإمام له حق تأويل الشريعة وتفسيرها حسب علمه؛ ولذا فهو واجب الطاعة في كل ما يأمر به، فالدين عندهم طاعة رجل، كما ينقل الشهرستاني في الملل والنحل؛ ولذا فطاعة الرجل (الإمام) تبطل جميع فرائض الإسلام.

ومن فرق الكيسانية الهاشمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية، التي من أفكارها أن لكل ظاهر باطنًا، ولكل شخص روحًا، ولكل تنزيل تأويلاً، ولكل مثال في (العالم العلوي) حقيقة في عالمنا، وهذا العلم استأثر به ابن الحنفية لابنه أبي هاشم.

إن الكيسانية والهاشمية على الأخص فتحت بابًا واسعًا منذ نشأت التشيع في القرن الأول الهجري عن طريق التأويل الباطني، الذي كان منتشرًا ومعروفًا في العقائد الدينية والفلسفية القديمة، وأخصها ما أشرنا إليه في اليهودية وفي الفلسفة اليونانية والمؤثرات المجوسية (مات أبو هاشم سنة ٩٨ هـ بالحميمة، وقد ادعى العباسيون أن أبا هاشم قد أوصى لهم بالخلافة بعده).

٣. الخرمية:

ومن أشهر دعاتها المدعو خداش الذي أسلم بعد أن كان نصرانيًّا في الحيرة، وقيل: إن اسمه خداش كناية لخدشه دين الإسلام، وقد توفي سنة ١١٨هـ بخرسان، بعد أن اختير وهو في العراق الذهاب إلى خرسان للدعوة لإمامة آل البيت مع نقباء بني العباس.

ونسب للخرمية عقائد مجوسية تتعلق خاصةً بالتفتيش عن اللذة، وخاصةً مع إباحة النساء، وكلها أفكار لها علاقة بالديانة المزدكية الفارسية القديمة، ويرى الباحث فان

فلوتن أن الخرمية هي من أوائل المذاهب التي نادت بفكرة وحدة الوجود، متأثرين بما هو موجود في المذاهب القديمة التي بسطنا البحث فيها[١].

وقد أضحت الخرمية في بابك حركة الحسن: في فارس كان لها أثر بالغ في عهد المأمون فيما بعد، حيث إن بابك الخرمي قاد مجموعة بالثورة ضد الدولة، وادعى أن الإمامة هي لآل البيت وليست شورى بين المسلمين، وقد بسطنا آراء بابك في كتابنا (جذور التشيع وأسبابها)[٢].

٤. الراوندية:

وهي المنسوبة إلى ابن الراوندي، الذي وصفه علماء الإسلام بالملحد، حيث كانت آراؤه مناقضةً لعقائد الإسلام، وقد نشأت هذه الحركة والفرقة في مدينة راوند بإيران قرب أصفهان، وآراء هذه الفرقة متأثرة باليهودية، وأخصها مقالتها المتعلقة بأن الإمام له صفة الألوهية عن طريق الحلول أو التناسخ، وقد انقسمت الراوندية إلى عدة فرق بفارس أشار إليها مؤرخو الفرق منهم النوبختي في كتابه فرق الشيعة[٣].

لقد اخترنا الإشارة إلى هذه الفرق التي تكونت في القرن الأول الهجري، وأشرنا إلى التذكير بمعتقداتها دون تفصيل، وهذه الفرق ومعتقداتها لم تكتف بمجرد بث آرائها، وإنما كانت عبارة عن ثورات وحركات سياسية ضد الدولة الإسلامية في العراق وفارس، خاصة وقد حمل آراء هذه الفرق الشيعية رجال انتقلوا من الكوفة والمدائن خاصة إلى مختلف أقاليم فارس وخاصة خراسان، وحينما جاء محدثو الشيعة لتدوين الحديث عندهم في المذهب وجدوا رواتهم خاصة من الموالي والعرب الذين تأثروا بهذه الأفكار، فنقل محمد بن يعقوب الكليني في كتابه (الكافي) أواخر القرن الثالث الهجري جميع آراء وأفكار تلك الفرق على تناقضها الواضح، فكتابه يحوي خليطًا من آراء تلك الفرق الشيعية المغالية، وضعها الرجال على شكل أحاديث نسبوها إلى أئمة الشيعة الاثني عشرية زورًا

---

(١) فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، (ص ٢٠٣)، ترجمة: د. حسن إبراهيم- محمد زكي إبراهيم، ط ٢.

(٢) د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: جذور التشيع وأسبابها، (ص٢٧٥)، ط ١، ٢٠١٢م -١٤٣٣هـ.

(٣) د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: مصدر سابق، (ص ٢٧٢)، ط ١، ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ.

وكذبًا بشهادة علماء ورجال الشيعة المتخصصين في علم الحديث: كالكشي في رجاله، والنجاشي في رجاله، وابن الغضائري، وغيرهم من أمثال (آية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقعي القمي) في كتابه (كسر الصنم)، وكثير غيره من الذين بسطنا آراءهم المتعلقة في الأحاديث المروية في الكافي وبعد الكليني ابن بابويه القمي، فجمع أحاديث أخرى في كتابه (من لا يحضره الفقيه)، ويحتوي على بعض ما أورده الكليني، وأضاف إليه أحاديث أخرى أقل غلوًّا مما جاء في الكافي بالرغم من وقوعه في التضاد بين الأحاديث التي أوردها، مثال ذلك الأحاديث المتعلقة بالسهو في الصلاة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة وجواز السهو عليهم، وأحاديث تناقض ذلك تتعلق بالعصمة من الخطأ والسهو، وبعدهم جاء محمد بن الحسن الطوسي، فجمع أيضًا أحاديث للشيعة في كتابه (الاستبصار)، وكذلك كتابه المشهور بـ(التهذيب)، ففي التهذيب يعد الطوسي في مقدمته إلى أنه سيقوم بتصحيح الأحاديث المتناقضة فيما بينها، وسيصلح أخطاء من جمع قبله من الأحاديث التي لم تصح في نظره، ولكنه في آخر كتابه يعتذر للقارئ أنه لم يستطع تحقيق ما وعد به، حيث يبدو أنه غرق في بحور متلاطمة من الأحاديث المتناقضة التي إن أسقطها سقطت معه عقيدة الشيعة، وهذا ما عبر عنه بعض محدثي الشيعة، حينما اكتشفوا أن غالبية رواياتهم مكذوبة، قالوا بوجوب التمسك بما جاء فيها من عقائد وأفكار؛ لأنها أصبحت من ضرورات المذهب.

وهكذا يتضح للقارئ الكريم كيف أن العامل السياسي دفع إلى تبني أفكار وعقائد ديانات وفلسفات قديمة تمسكوا بها بالرغم من شهادتهم ببطلان وكذب رواتها، لأنها أصبحت بمرور الزمن من ضرورات عقيدة التشيع، وأرجو أن ينظر القارئ الكريم إلى جدول الأحاديث الذي وضعناه في كتابنا (جذور التشيع) الذي يعكس هذه الحقيقة، ومن هنا نود الإشارة إلى أن الفرد الشيعي اليوم وخاصةً غير المطلع على تلك التفاصيل قد لا يلام كثيرًا لأنه قد شرب تلك الأفكار من طفولته وبين أسرته، ولذا أصبح لزامًا على أهل العلم ومن بيدهم قيادة الأمة مسؤولية تبصير الشيعة بهذه الحقيقة التي رافقت التشيع منذ نشأته الأولى، وهذا أحد الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا الكتاب.

ومن الجدير بالذكر أن التشيع السياسي في نشأته الأولى كان عربيًّا تكون في الغالب من رجال الإمام علي رضي الله عنه، ومن القبائل اليمنية وبالأخص التي انضمت إلى جيشه، وحين انكسارها تفرقت من الكوفة إلى أنحاء بعيدة عن مركز الخلافة وخاصة الأقاليم الفارسية في قم وخراسان وكاشان، وفي مرحلة تالية انخرط الموالي من غير العرب في التشيع خاصة بعد ثورة المختار في الكوفة، على التفصيل الذي أوردناه في كتابنا (جذور التشيع)، فالدافع السياسي: كما يبدو من أهم أسباب تكوين أفكار التشيع، وهنالك أسباب أخرى مساعدة منها:

١. السبب الاقتصادي:

استن الخلفاء الراشدون الثلاثة على تقسيم العطاء على الجيوش وعلى المسلمين المستحقين، حسب أقدميتهم في الإسلام، فالذين أسلموا في بداية الدعوة من المهاجرين والأنصار وأهل بدر يدفع لهم عطاء أكثر من غيرهم، والذين دخلوا الإسلام بعد فتح مكة يدفع لهم من العطاء أقل من الأوائل المذكورين أنفًا، ويأتي الأخيرون الذين دخلوا الإسلام بعد انتشاره وحين الفتح الإسلامي خاصة إلى بلاد ما وراء النهر، ولما كانت أكثر القبائل اليمانية قد دخلت الإسلام بعد الفتح فقد أتت حصتها من العطاء أقل من أهل العالية (المهاجرين والأنصار)، وقد كان الإمام علي رضي الله عنه يخالف هذه السياسة في تقسيم العطاء، حيث كان يرى منذ عهد عمر رضي الله عنه وجوب التقسيم بالتساوي بين المسلمين، وقد نفذ ذلك في خلافته، ولكن بعد مجيء الخلفاء بعده رجعوا إلى سياسية التقسيم الأولى، مما أوغر صدور أكثر القبائل اليمنية التي كانت بالفعل منضوية تحت لواء الإمام علي رضي الله عنه.

فقد كانت ناقمة على سياسة بني أمية في تقسيم العطاء، وهذه النقمة سببت انضواء كثير من رجال هذه القبائل في الثورات التي قامت ضد الأمويين، وكانت في أول عهدها متصفةً بصفة الثورة السياسية، ولكن بمرور الزمن واتصال أولئك الناقمين بعناصر وحركات غير عربية أصبح أولئك من أوائل حملة التشيع السياسي في البداية، حيث كانوا فقط يفضلون إمامة علي رضي الله عنه وبنيه بعده، ولكن بعد قمع تلك الثورات والحركات الشيعية والعلوية انقلبت أفكارها إلى تبني أفكار الغلاة شيئًا فشيئًا بتقدم

الزمن والاحتكاك والسكن بين ظهراني أمم غير عربية خاصة في فارس، حيث تسللت العناصر الأجنبية من الديانات والفلسفات القديمة إلى الشيعة.

٢. السبب الإقليمي الجغرافي

إن الباحث إذا تتبع العرب وقبائلهم من حيث مسكنهم منذ ما قبل الإسلام يجد أن بعضًا منهم قد سكنوا قريبًا من الأقاليم الأجنبية الفارسية أو الرومية في الشام والعراق، حيث تمثل الإمارات العربية مثل ميسان والحضر والحيرة والرها والغساسنة وغيرها تمثل نقاط التقاء.

فقد كان هؤلاء العرب على تماس بالأمم الأخرى، وتبنى بعضهم بعض تلك العقائد القديمة، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه كان من السهل أن يدخلوا ويدَّعوا أن بعضًا من تلك العقائد هي من الإسلام أو من أفكار الأئمة، وقد بسطنا هذا السبب بوصفه جسرًا عبرت منه عقائد الديانات والفلسفات القديمة إلى التشيع.

ومن أهم الأسباب الإقليمية التي وجدتها فيما يبدو أحد العوامل التي عبرت منها عقائد وأفكار الديانة اليهودية خاصةً بين بعض القبائل اليمانية في اليمن قبل الإسلام، فأثر الفكر اليهودي والمجوسي الإيراني كان واضحًا على بعض العرب اليمانية، فلما دخلوا الإسلام وانضووا تحت لواء الإمام علي رضي الله عنه أظهر كثير منهم عقيدته القديمة، واستخدموها للانتصار للإمام علي في حروبه، وتحولهم بعد ذلك بوصفهم حزبًا معارضًا للدولة ينادي بإمامة آل البيت المعصومين والمخلوقين من النور الإلهي وما إلى ذلك من الصفات التي سبق أن بسطناها.

كما نشير إلى عامل مهم في هذا المجال، وهو أن كثيرًا من هؤلاء العرب قد استوطنوا أقاليم من فارس ومن الدولة الرومانية. وذلك بعد الفتح الإسلامي، فقد كان بعضهم من حملة التشيع، حيث ساعدوا على انتشاره في تلك البلاد.

٣. السبب الديني

ان كثيرًا من العرب بل ربما بعض القبائل كانت على الديانة النصرانية قبل الإسلام كقبيلة تغلب وبعض منهم كانوا على الديانة اليهودية أو المجوسية، فلما دخلوا الإسلام كانت

تلك الأفكار من تلك الديانات راسخةً في أذهانهم استخدموها في تناول العقائد والأفكار الإسلامية، وخاصة ما أدخلوا منها على التشيع، وبمرور الزمن ترسخت تلك الأفكار وتوزعت على فرق ومذاهب شتى شكلوها حسب حاجتهم في الاحتجاج ضد خصومهم، وقد أوردنا مجموعة كبيرة من الكنائس النصرانية ومدارسها، وكذلك اليهودية ومعابدها المنتشرة في بلاد العرب والمسلمين، وقد أوردنا في ثنايا البحث رجال دين من النصرانية واليهودية والمجوسية دخلوا في التشيع، وتركوا سمات واضحة وصلتنا عن طريق مصادر الشيعة القديمة خاصة.

ومن هنا يظهر أن التشيع كان في أول نشأته عربيًّا، ثم في وقت لاحق تبنته الشعوب غير العربية كالفرس والروم وحرفته واستخدمته لتحقيق أغراضها، ولكن مما يأسف له أن تلك العناصر غير العربية كانت غاليةً في أفكارها وعقائدها الشيعية إلى درجة تبلغ بعض الأحيان إلى الانقلاب على العرب وملامتهم حتى الشيعة منهم.

٤. انتشارالفرق الصوفية:

إن التصوف في مناحيه وأفكاره ساعد على انتشار وتكوين التشيع. وكما عرضنا فإن التشيع والتصوف يلتقي في كثير من الأفكار المستعارة من الديانات والفلسفات القديمة، خاصةً ما تعلق بصفات الشيخ أو الإمام وادعاء عصمته ومعرفته بالغيب وكشف الحجب والأسرار وإبراء المرضى، وقد يصل الحال إلى الادعاء بإحياء الموتى، وأن له صفة أو جانبًا إلهيًّا قادرًا على تسيير الكون بدعوة الحلول الإلهي وفكرة وحدة الوجود، وما إلى ذلك من ادعاءات بسطناها في هذا الكتاب.

مصادر البحث

١. إبراهيم، عوض: **سورة النورين التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم**، القاهرة، دار زهراء الشرق، ١٩٩٨م.

٢. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي: **الكامل في التاريخ**، بيروت ١٩٦٥ م.

٣. ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحق: **الفهرست**، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٧.

٤. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق: **الفهرست**، بيروت، دار المسيرة، ١٩٦٣م.

٥. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين الأتابكي اليشبقاوي الظاهري: **النجوم الزاهرة في** ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة القاهرة.

٦. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني: القبيلة والإمام المظلوم، **فتاوى ابن تيمية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م.

٧. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي: **مسند أحمد بن حنبل**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م.

٨. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م.

٩. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري: **تجريد التمهيد لما في الموطأ من أسانيد**، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٣٥٠م.

١٠. ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي: **الفتوحات المكية**، دار صادر، بيروت.

١١. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري: **السيرة النبوية**، دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٢. ابن واصل، أبوعبدالله بن محمد بن سالم بن نصرالله المازني التميمي الحموي: **مفرج الكروب**، القاهرة، ١٣٧٧هـ -١٩٥٧م.

١٣. أبوجبل، كاميليا، **يهود اليمن**، دار النمير للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٩م.

١٤. أبوزهرة، محمد أحمد مصطفى أحمد: الإمام الصادق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م.

١٥. أبوالشعر، هند: حركة المختار، عمان، ١٩٨٣م.

١٦. أبوحسين، عبد الرحيم وسعداوي، صالح: **الكنائس العربية في السجل الكنسي**،عمان، المملكة الأردنية، ١٨٦٩ -١٩٢٢م.

١٧. الأسدي، سيف بن عمر: **الفتنة ووقعة الجمل**، جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش.

١٨. الأشعري، أبوالحسن: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، إسطنبول، ١٩٢٩م.

١٩. الأصبهاني، أبو نعيم: **حلية الأولياء**. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٢٠. الاصطخري، ماسنيون: **خطط البصرة**، دار الوراق للنشر، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٢١. الأعظمي، محمد ضياء: **فصول في أديان الهند**، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٢٢. الأندلسي، محمد بن يحيى بن بكر: **التمهيد والبيان في مقتل عثمان**، دار الثقافة الدوحة، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٣. الأنطوني، يوحنا الحبيب صادر: **الديارات في معجم البلدان** ، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٤. البار، محمد علي: **المسيح المنتظر وتعاليم التلمود**، الدار السعودية، الرياض، ١٩٨٧م.

٢٥. الباشا، حسن: المشكلة اليهودية من عهد ابن سبأ إلى صدر الإسلام، **المجلة**، عدد ٩، ١٩٥٧م.

٢٦. بدوي، عبد الرحمن: **مذاهب الإسلاميين**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

٢٧. البراك، فاضل: **المدارس اليهودية والإيرانية في العراق**، المكتبة الوطنية العربية، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٢٨. البشروئي، سهيل ومسعودي، مراد: **تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة**، دار الساقي، بيروت.

٢٩. البغدادي، أبو بكر أحمد بن عبدالمجيد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**. القاهرة، ١٩٣١م.

٣٠. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر: **الفرق بين الفرق**، القاهرة، ١٩١٠م.

٣١. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر: **الفرق بين الفرق**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٣٢. التستري، أبو محمد سهل عبد الله: **تفسير القرآن الكريم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٣٣. التميمي، أبو ذر هجاد بن مساعد: **الألوهية والعبودية في معتقد الرافضة**، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٤. الجريد، سعد بن عبدالرحمن: **القبائل العربية في بلاد الشام وعلاقتها بالدولة الإسلامية**، جامعة الإمام، سنة ١٤٠٦هـ.

٣٥. الجزائري، نعمة الله بن عبد الله: **الأنوار النعمانية**، تبريز، ١٩٥٨م.

٣٦. جستنية، بسمة بنت أحمد محمد: **أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة**، جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ.

٣٧. الجعيط، هشام: **الكوفة**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٦م.

٣٨. جنجي، أمير حسين: **إيران الصفوية**، دار طيبة للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى -٢٠١٠ م.

٣٩. الحديثي، عبدالعال: **السبئيون منهجًا وغاية**، دار القلم، الكويت، ١٩٨٥ م.

٤٠. الحديثي، نزار عبد اللطيف: **أهل اليمن في صدر الإسلام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٤١. الحديد، عبدالحميد ابن هبة الله: **شرح نهج البلاغة**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.

٤٢. الحسن، عبداللطيف بن عبدالرحمن: **الزواج المؤقت**، دار الحرف، بيروت، ٢٠٠٠ م.

٤٣. الحسن، عبداللطيف عبدالرحمن: **أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة**، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

٤٤. الحسن، عبداللطيف عبدالرحمن: **الزواج المؤقت**، دار الحرف، بيروت،٢٠٠٦ م.

٤٥. الحسن، عبداللطيف عبدالرحمن: **جذور التشيع وأسبابها**، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٢ م.

٤٦. الحلاج، أبو منصور: **الطواسين**، منشورات الجمل، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٧. حمادة، محمد عمر: **تاريخ الصابئة المندائيين**، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٢م.

٤٨. الحمادي، محمد بن مالك: **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة**، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٦م.

٤٩. الحمام، زياد: **العلاقة بين الصوفية والإمامية**، دار البيان، الرياض، ١٤٣٢ هـ.

٥٠. الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

٥١. الحيدري، نبيل: **التشيع العربي والتشيع الفارسي**، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٤ م.

٥٢. الحيني، محمد جابر عبد العال: **في العقائد والأديان**: الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧١م.

٥٣. الخطيب، محمد أحمد: **عقيدة العصمة بين الإمام والفقيه عند الشيعة الإمامية**، الجامعة الأردنية، مكتبة الأقصى، ١٩٩٤م.

٥٤. دراور، الليدي: **الصابئة المندائيون**: ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩م.

٥٥. دراور، الليدي: **الصابئة المندائيون**، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان رومي، الطبعة الثالثة، بغداد، ١٩٨٧م، .

٥٦. الذهبي، شمس الدين: **تذكرة الحفاظ**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٢م.

٥٧. الذهبي، شمس الدين: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، دار الفكر العربي القاهرة.

٥٨. الرومي، جلال الدين: **المثنوي**، المكتبة المصرية، لبنان، ١٩٦٧م.

٥٩. ريشار، يان: **الإسلام الشيعي**، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.

٦٠. الزغبي، فتحي محمد: **غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م.

٦١. الزهراني، عوض بن عيضة: **مظاهر تقديس الأشخاص عند الشيعة الاثني عشرية**، جامعة أم القرى، ١٤٢٨ -١٤٢٩ هـ.

٦٢. الزيات، حبيب: الديارات النصرانية في الإسلام، الطبعة الأولى، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٩م.

٦٣. الزين، علي: فصول من تاريخ الشيعة في لبنان، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، جامعة الكويت.

٦٤. السحمراني، أسعد: **ترجمان الأديان**، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٢م.

٦٥. السعدي، غازي: **الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود**، الطبعة الأولى، دار الجليل، عمان ١٩٩٤م.

٦٦. السهروردي، ضياء الدين: **آداب المريدين**، الطبعة الأولى، المكتبة الأولى للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.

٦٧. سوسة، عالية أحمد: حول النشاط الصهيوني في العراق في الثلاثينيات، **مجلة مركز الدراسات الفلسطينية**، ١٩٧٩م.

٦٨. السويدي، عبدالله: **مؤتمر النجف**، القاهرة، ١٣٩٣هـ.

٦٩. شبر، عبد الله: **حق اليقين في معرفة أصول الدين**، الجزء الأول، مؤسسة الأعلمي، لبنان، ١٩٣١م.

٧٠. الشعراني، أبوالمواهب عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الأنصاري: **الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية**، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٧١. شلبي، أحمد: **اليهودية**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

٧٢. الشهرستاني، أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: **الملل والنحل**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥م.

٧٣. الشهرستاني، أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: **تحريم نقل الجنائز**، بغداد، ١٩١١م.

٧٤. الشيبي، كامل مصطفى: **الصلة بين التصوف والتشيع**، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٦٣م.

٧٥. الشيبي، كامل مصطفى: **الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري**، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م.

٧٦. الشيخ عيد، يوسف إبراهيم: **أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبين**، دار المعالي، عمان، ١٩٩٨م.

٧٧. صوفي، عبد القادر محمد عطا: **دراسات مهنية لبعض الفرق الرافضة والباطنية**، دار أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٥م.

٧٨. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر: **تاريخ الأمم والملوك**، القاهرة، ١٩٥٤م.

٧٩. طعيمة، صابر: **التاريخ اليهودي العام**، الطبعة الثالثة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٨٠. الطهراني، أغابزرك: **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، مطبعة الغري، النجف، ١٩٣٦م.

٨١. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي: **الاحتجاج**، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ١٤١٠هـ.

٨٢. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي: **المبسوط في فقه الإمامية**، طهران، ١٣٨٧م.

٨٣. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي: **تلخيص الشافي**، قم ١٣٨٢هـ.

٨٤. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي: **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد**، طهران، ١٩٠٠م.

٨٥. ظاظا، حسن: **الفكر الديني الإسرائيلي وأطواره ومذاهبه**، الإسكندرية، ١٩٧١ م.

٨٦. ظاظا، حسن: **الفكر الديني اليهودي**، دار العلوم، بيروت، ١٩٩٩م.

٨٧. عبدالحميد، عرفان: **نشأة الفلسفة الصوفية وتصورها**، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٨٨. عبدالحميد، محسن: **حقيقة البابية والبهائية**، دار الصحوة، ١٤٠٥هـ.

٨٩. عبدالغني، عارف: تاريخ الحيرة في الجاهلية و الإسلام، دمشق، دار كنان.

٩٠. العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٩١. العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في معرفة الصحابة**، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠م.

٩٢. العسقلاني، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

٩٣. العسقلاني، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٩٤. العسقلاني، ابن حجر: **ميزان الاعتدال**، دار علم الفوائد للنشر مكة المكرمة، ١٩٩٧م.

٩٥. عطا، زبيدة محمد: **اليهود في العالم العربي**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣م.

٩٦. عفيفي، أبو العلا: **الملامتية والصوفية أهل الفتوة**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م.

٩٧. العلي، أحمد صالح: **امتداد العرب في صدر الإسلام**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ١٩٨٣/٠١/٠١.

٩٨. العلي، محمد بن عبد العزيز محمد: **عقيدة الحلول والتناسخ**، دار الصميعي، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٩٩. **العهد القديم**: المزامير:١٤٩.

١٠٠. عوض الله، حامد: **ممالك بني إسماعيل**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣م.

١٠١. العياشي، محمد بن مسعود: **تفسير القرآن**، قم، ١٣٨٠هـ.

١٠٢. الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد: **فضائح الباطنية، القاهرة**، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤م - ١٣٨٣هـ.

١٠٣. الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد: **فضائح الباطنية**، دار البشير، ١٩٩٣م.

١٠٤. فوزي، فاروق عمر: أبو مسلم الخراساني وأسطورة البطل المنقذ، **مجلة الآفاق**، العدد العاشر، ١٩٧٩م.

١٠٥. القمي، ابن بابويه: **عقائد الصدوق**، إيران، ١٣٢٠هـ.

١٠٦. القمي، ابن بابويه: **من لا يحضره الفقيه**، مؤسسة الأعلمي، لبنان، ٢٠٠٥ م.

١٠٧. القمي، الصدوق ابن بابويه؛ **علل الشرائع**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م.

١٠٨. الكاتب، أحمد: **التشيع السياسي والتشيع الديني**، دار مؤسسة الانتشار، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٠٩. كاشف الغطاء، محمد حسين: **أصل الشيعة وأصولها**، من منشورات البزاز، لندن، ١٩٩٤م.

١١٠. كريم، يوسف: **تاريخ الفلسفة اليونانية**، بيروت: دار القلم.

١١١. الكشي، عمر: **رجال الكشي**، شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٩ م.

١١٢. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي: **أصول الكافي**، مكتبة الصدق، ١٣٨١م.

١١٣. كوربان، هنري: **في الإسلام الإيراني: جوانب روحية فلسفية**، ترجمة: ذوقان قرقوط، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م.

١١٤. لوح، محمد أحمد: **تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي**، دار الهجرة، الرياض، ١٩٩٦م.

١١٥. مبارك، أحمد: **الإبريز من كلام سيدي الغوث عبد العزيز الدباغ**، القاهرة ١٩١٧م.

١١٦. المجلسي، محمد باقر : **بحار الأنوار**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١١٧. محمد، سعد المبارك الحسن: **أصول الديانة اليهودية وفروعها ودورها في تكوين عقائد الرافضة**، الطبعة الثانية، دار المنتقى، السودان، ٢٠١١م.

١١٨. مروة، علي: **التشيع بين جبل عامل وإيران**، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٨٧م.

١١٩. مزهر، عباس إبراهيم: **زلزال في أرض الميعاد**، دار ومكتبة البصائر بيروت، ٢٠١٢م.

١٢٠. المسعودي، أبو الحسن بن علي: **مروج الذهب**، باريس، ١٨٦١-١٨٧٧م.

١٢١. مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

١٢٢. المسيري، عبد الوهاب محمد: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٢٣. المظفر، محسن عبد الصاحب: **جغرافية المعتقدات والديانات**، دار صفاء للنشر، عمان، ٢٠١٤م.

١٢٤. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: **الاختصاص** مؤسسة الأعلمي، ، بيروت، ١٩٨٢م.

١٢٥. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: **الإرشاد**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م.

١٢٦. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: **الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة**، النجف، ١٩٨٤م.

١٢٧. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: **أمالي المفيد**، النجف، ١٩٦٢م.

١٢٨. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: **أوائل المقالات في المذاهب والمختارات**، مؤسسة مطالعات إسلامية، ١٤١٣هـ.

١٢٩. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: **في الرد على الصوفية** (مخطوطة ذكرت من جملة كتب المفيد).

١٣٠. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: **كتاب الاختصاص**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م.

١٣١. مهران، محمد بيومي: **تاريخ العرب القديم**، دار المعرفة، مصر، ١٩٩٤م.

١٣٢. موسوي، أحمد كاظمي: ظهور مرجعية التفصيل في المذهب الشيعي الاثني عشري، **مجلة الاجتماع**، العدد الرابع، ١٩٩٨م، بيروت.

١٣٣. الموسوي، صباح: **الطائفة الصوفية**، مركز الناقد الثقافي.

١٣٤. الموسوي، موسى: **الشيعة والتصحيح**، بيروت، ١٩٨٨م.

١٣٥. النجاشي: رجال. قم، ١٣٩٨هـ وأعيد طبعه بالأوفست ١٩٥٠م.

١٣٦. نجم، الأب ميشال: **تاريخ كنيسة أنطاكية للروم الأرثوزكس**، جامعة البلمد، ١٩٩٩م.

١٣٧. النعماني، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جعفر: **كتاب الغيبة**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٣م.

١٣٨. نعمة الله، عبد الله: **فلاسفة الشيعة حياتهم ورواتهم**، دار مكتبة الحياة، بيروت،١٩٣٠ م.

١٣٩. النوبختي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت: **فرق الشيعة**، إسطنبول، ١٩٣١م.

١٤٠. النوبختي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، **فرق الشيعة**، دار الأصول، ودار الأضواء، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م،

١٤١. النوري، **حسين محمد**: **فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب**، إيران، ١٣٩٨هـ.

١٤٢. نيروز، إبراهيم: **كشف المفقود من كنائس عابود**، بيت المقدس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٤٣. الهاشمي، سعد: **الرواة الذين تأثروا بابن سبأ**، ١٩٩٢م.

١٤٤. ولفنسون، نائيل: **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، مطبعة الاعتماد، بمصر، ١٩٢٧م.

١٤٥. ولي، عبدالعزيز محمد نور: **أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري**، دار الخضري للنشر، المدينة المنورة، ١٩٩٦م.

١٤٦. اليسوعي، لويس شيخو: **النصرانية وآدابها**، **دار المشرق**، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

١٤٧. اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م.

١٤٨. اليماني، محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي: **كشف أسرار الباطنية، وأخبار القرامطة**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.